سلسلة الحارسة الشخصية 1

الحارسة الشخصية

الحارسة الشخصية
تأليف: لينا ليهتولاينين

ترجمة: عن الإنجليزية أمل رواش
تحرير: هدى فضل

طبعة 2023
الطبعة الأولى
رقم الإيداع: 2022/20585
الترقيم الدولي: 9789773197773

تصميم الغلاف: سيد كامل
© جميع الحقوق محفوظة للناشر
60 شارع قصر العيني – 11451 – القاهرة
ت 27921943 – 27954529 فاكس 27947566
www.alarabipublishing.com.eg

تصميم الغلاف: سيد كامل

Copyright © Leena Lehtolainen, 2009
Original edition published by Tammi Publishers, 2009
Arabic edition published by agreement with Leena Lehtolainen and Elina
Ahlback Literary Agency, Helsinki, Finland.

لينا ليهتولاينين

الحارسة الشخصية

رواية من فنلندا

ترجمة: أمل رواش

العربي للنشر والتوزيع

تمت مراعاة المعايير البيئية في أثناء إعداد هذا الكتاب
We took into consideration the environment while doing this book

بطاقة فهرسة

ليهتولاينين، لينا
الحارسة الشخصية: رواية من الأدب الفنلندي/ تأليف: لينا ليهتولاينين
ترجمة: أمل رواش.
- القاهرة: العربي للنشر والتوزيع (2022).
ص، سم.
تدمك 9789773197773
1- القصص الفنلندية
أ- رواش، أمل(مترجم)
ب- العنوان 894.543

1

يطلق الكرواتيون على قط "الوَشَق" اسم "ريس" ويعرفه النرويجيون باسم "جيبه"، أما الألمان فيدعونه "لوكس" في حين يسميه الفنلنديون "إيلفس"، وفي الفولكلور الفنلندي ثلاثة أنواع مختلفة من حيوان "الوَشَق" هي: القط والثعلب والذئب، في مقدوري التعرف على كل واحد منها من رُقْطة جلده وأثرِ أقدامه، وعلى عاتق الثلاثة تُلقى مسئولية بقائي عاطلةً عن العمل.

أعمل لدى "أنيتا نيوتينين" منذ عام، وها أنا ذا أتبعها وهي تتفقدُ بيض عيد الفصح المُزركش، في متجر مجوهراتٍ بأحد مراكز التسوق الفاخرة الجديدة في "موسكو"، ولن يُسمح لك بدخول المبنى إلا بعد المرور عبر جهاز كشف المعادن، والذي أطلقَ بالطبع صَفِيرًا حَادًّا بمجرد أن مررت عبره ومن ثم طُلب مني ترك مسدسي "الجلوك" 9 ملم.

شرحت لحراس الأمن المدجَّجين بالسلاح قائلة:

- أنا في حاجةٍ إليه لِكَي أقومَ بعملي.

لكن بلا جدوى، وبالتالي.. إذا أردتُ أن أرافق "أنيتا" إلى داخل المركز التجاري؛ فعليّ أن أتخلى عن مسدسي، قال لي أحد الحراس بالإنجليزية:

- سوف نحرص على ألَّا يدخل المبنى أي شخص مشبوه.

بالطبع شككتُ بشدة في أنهم سيفعلون ذلك، فأي شخص يمكنه شراؤه بما يكفيه من مال، لكن "أنيتا" تأهَّبت لانتهاز الفرصة، فقالت وهي تبتسم ابتسامة تنم عن ضيق:

- طالما نحن هنا بالفعل، فدعينا نتأكد من مدى صحة هذا الأمر، على أية حال.. أنا المُعرَّضة للخطر وليس أنتِ.

لم أبتسم.

اشترت "أنيتا" بيضة عيد الفصح دون مضايقات تُذكر وقد كلفتها ثلاثة أضعاف ما تدفعه لي شهريًّا، من الواضح أنها لم تكن "بيضة فابرجيه" أصلية؛ لأنها لو كانت أصلية لكلفتها عشرة أضعاف راتبي الذي أتقاضاه سنويًا، ومع ذلك.. لم تكتفِ "أنيتا" بالدُمى والحلي والمنمنمات أو "التشوتشكي" كما نسميها، وأرادت إلقاء نظرة سريعة على متجر الفراء المجاور للجواهرجي.

عادة ما أطلب من العميلات اللاتي أحرسهن عدم ارتداء ملابس لافتة مثل معاطف الفرو باهظة الثمن، غير أن "أنيتا" لم تستجب أبدًا لنصيحتي، وعلى الرغم من أن رؤيتي لفراء حيوان المنك الميت، والثعالب الفضية تحديدًا وهو يكسو جسدها، لم يكن بالمشهد الممتع، واضطُررت إلى تحمله بوجه عام، لكن قدرتي على الاحتمال نفدت عندما وقفنا أمام معطف الفراء الذي سلخوه من حيوان "الوَشَق".

يطلق على قط "الوَشَق" بالروسية اسم "ريس" أيضًا، وقد قدَّرت أن صُنع ذاك المعطف الذي لا يتجاوز طول الكاحل -والذي تُبدي إعجابها به- تطلَّب ذبح وسلخ

نحو دَستة من حيوان "الوَشَق"، وتصاعدت مشاعر الغضب والامتعاض داخلي، فحاولت أن أهدأ بأن أُنظم تنفسي بالأساليب التي تعلمتها، ولكن كلها لم تفلح.

كانت "أنيتا" تحاول ارتداء المعطف المصنوع من فراء "الوَشَق"، هَرَعَت إليها موظفات المبيعات لمساعدتها في ربط المشابك والأزرار بشكل صحيح، كُنَّ قريبات من "أنيتا" بما يكفي لطعنها بسكين أو حقنها بسم قاتل، وكان عليَّ التحرك في اتجاهها كي أتأكد من سلامتها، لكني لم أفعل.

قالت "أنيتا" للموظفات بالإنجليزية:

- كم هو جميل فراء "الوَشَق" هذا!

ثم تحولت إلى الفنلندية وقالت لي:

- ما رأيكِ يا "هيلجا"؟ أليس رائعًا؟ إنه يشعرني بأني قطة حقيقية.

لم تكن لدى "أنيتا" أدنى فكرة عن المشاعر التي أحملها تجاه حيوان "الوَشَق"؛ فلم أخبرها عن حياتي إلا خطوطًا عريضةً فحسب، ولم تهتم بمعرفة المزيد؛ فقد كانت مغترة بنفسها لدرجةِ أنها لا تعير اهتمامها لأي شخص سواها.

فأجبتها بنبرة أذهلتها:

- من المؤكد أن الفراء يبدو أكثر جمالًا على جسد "الوَشَق" الحي.

فقالت وهي تلف المعطف حول جسدها بإحكام، وتُمسِّد الفراء الناعم برفق:

- ماذا قلتِ؟

ثم توجهَت مرة أخرى نحو المرآة وقالت:

- أيًّا كان رأيكِ.. فهو لا يهمني.

تحولت "أنيتا" إلى الإنجليزية مرة أخرى وقالت للسيدات أنها تريد المعطف، خلعت الفراء وبدأت تبحث في حقيبتها عن بطاقة ائتمان، وكانت تمتلك أربعة، استخدمت بطاقة "أمريكان إكسبريس" لدفع ثمن بيضة عيد الفصح، والآن قررت

استخدام بطاقة الفيزا لدفع ثمن الفراء، بدأ الموظف في تغليف البضاعة بورق رقيق وبرفق، بالنظر إلى البقع الداكنة بالفراء الذي بين يديها، يمكنني القول إن هذا المعطف بالذات كان مصنوعًا من فراء قط "الوَشَق". قلت لها:

– إذا اشتريتِ هذا المعطف، فسوف أستقيل على الفور.

التفتت "أنيتا" إليَّ، وبطاقة الائتمان تلمع في يدها وقالت:

– ماذا تقولين؟

– سمعتِ ما قلتُه، أنا لا أعمل مع أشخاص لا أستطيع التغاضي عن أفعالهم.

– إنه مجرد معطف فراء.

– بل معطف من فراء "الوَشَق".

الآن حان دوري كي أُعكِّر مزاج "أنيتا" التي تتوقع دائمًا أن تحصل على ما تريد، رأيتها مَرَّاتٍ لا تُعد ولا تُحصى وهي تهاجم المرؤوسين غير المؤَهَّلين وممثلي خدمة العملاء غير الفعالين، أما الموظفين المتواضعين أمثالي فعليهم أن يغلقوا أفواههم. صرخت:

– لن أسمحَ بأن تستقيلي.. بل سأطردك أنا.

فصرخت بدوري:

– لا يَهُمني.

كنت أعرف أن وجهي قد احْمَرَّ غَضَبًا الآن، ويتصبب عرقًا، وأوشكتُ أن أركل حامِل المعاطف وأُحطِّم مرايا المتجر، إلا أنني بالكاد ضبطت أعصابي.

وقف الموظفون يشاهدون مباراة الصراخ الدائرة بيننا في صمت وذهول، ومن الغرفة الخلفية خرج حارس أمن له شارب وتنبعث منه رائحة مخلل الملفوف النَّتنة، بدا أبله بحق، لا يتحدث الفنلندية –لا هو ولا أي واحدة من الموظفات– لذلك لم يفهموا سبب معركتنا، ولكنهم تمكنوا بالطبع من معرفة أي واحدة منا تملك المال.

قال بأسلوب مُهذَّب:

- أرجو منكما أن تغادرا.

سواء كانت العبارة مهذبة أم لا، لكني أعرف أنها تعني في الأساس أن نغرب عن وجهه. صرخت "أنيتا":

- إياكِ أن تفكري حتى في استخدام اسمي كمرجع لوظيفة جديدة! سأحرص على ألا تحصلي على عمل مرة أخرى، على الأقل في "فنلندا"!

جاء ردي كالصفعة فقلت:

- أنتِ لستِ بالأهمية التي تظنينها.

عندما أمسك حارس الأمن بذراعي، بذلتُ قصارى جهدي حتى لا ألقي به ناحية المرآة.

انتزعتُ مسدسي عند بوابة الخروج، ولم أمهل نفسي وقتًا كافيًا لكي أشرح لحراس الأمن سبب مغادرتي المركز بمفردي، تعلمت القليل من اللغة الروسية خلال رحلاتنا، وأصبحَت كلمة "دوراك" أي أحمق هي كلمتي المفضلة، تمتمتُ بها لأحد الحراس عندما حاول منعي من المغادرة من دون "أنيتا"، نزل سائقنا من السيارة ليفتح لي الباب لكني تجاوزته واقتحمتها دون أن أتفوَّهَ بكلمة، كان فندقنا على بعد نصف ميل فقط من المركز التجاري، ولم أجد صعوبة في العثور عليه فخريطة "موسكو" انطبعت في ذهني.

ركبت المصعد إلى الطابق العاشر، وكما هو الحال دائمًا، شغلنا غرفتين متجاورتين يفصل بينهما باب، لم تتحمل "أنيتا" فكرة أن ننام في الغرفة نفسها، مثلي تمامًا، ولكن لا بد أن أظل في مدى السمع، تسمعني وأسمعها، وفي أغلب الأحوال كنا نترك جهاز مراقبة الأطفال قيد التشغيل بغرض تأمينها.

أدركتُ أنني قد أحسنت اختيار توقيت استقالتي تمامًا، إنه الأول من سبتمبر، وقد تلقيت أجري عن شهر أغسطس للتوِّ، ولو اكتشفت "أنيتا" أنها لن تستطع استخدامي كعمالة حرة بلا تأمينات لغضبت، حسب معرفتي بها، قد تجد طريقة للتهرب من تعويضي عن قضاء وقت إجازتي معها.

اتصلتُ بالإنترنت باستخدام شبكة "الواي فاي" الخاصة بالفندق لمعرفة ما إذا كان هناك مكان متاح في أي رحلة جوية في ذاك اليوم، كُنَّا -أنا و"أنيتا"- عادة ما نطير من أجل أعمالها التجارية، إلا أنني لم أجد مقاعد متاحة من أي فئة؛ فجميع الرحلات الجوية محجوزة بالكامل، اتصلتُ بمحطة القطار، لكن القطار الليلي كان كامل العدد أيضًا، ولحسن الحظ.. وجدت مقاعد في قطار اليوم التالي، حجزت مقعدًا في مقصورة شاغرة تتسع لثلاثة أشخاص، وبعد أن اتصلت بالفندق المجاور وحجزت غرفة لليلة واحدة، حزمت أغراضي وغادرت دون أن أُدوِّن لها ملاحظة، مجرد التفكير في معطف فراء "الوَشَق" جعلني أشعر بالاستياء، ولم أرغب في رؤية ربة عملي السابقة مرة أخرى أبدًا، طَوَّحْت مفاتيحي على مكتب الاستقبال وتجاهلت توبيخ الموظف.

عرض بواب الفندق أن يوقف لي سيارة أجرة فرفضت، ومشيت إلى محل إقامتي الجديدة، وهناك وجدت أن غرفتي صغيرة وتفوح منها رائحة دخان سجائر، ولكن أي شيء سيفي بالغرض إذا كان لليلة واحدة فقط، بدأ هاتفي المحمول يدق؛ إنها "أنيتا"، أغلقته ثم نزلت إلى مطعم الفندق وطلبت فطيرة "البليني" الروسية وبعض الكافيار والمخللات والعسل، والكريمة الحامضة وسلطة الفطر البري وفودكا، أما النبيذ الأحمر الجورجي فقد شُطب من قائمة الطعام، وهو دليل على أن الحرب

ما زالت مستمرة، بالإضافة إلى الفودكا، اخترت البيرة الليتوانية القوية، وتجرعتها في جرعتين طويلتين قبل أن أطلب زجاجة أخرى.

لم أحب "أنيتا" أبدًا، والحقيقة أن ذلك لم يكن مهمًّا، فقبل سبع سنوات تخرجت بمرتبة الشرف في أكاديمية الأمن في "كوينز" بـ"نيويورك"، ولم يكن هناك كثير من حارسات الأفراد في "فنلندا"، لذلك كان بوسعي دائمًا انتقاء ما يحلو لي من الوظائف، دفعت لي "أنيتا نيوتينين" ضعف ما يتقاضاه أي شخص آخر في مهنتي، كانت تسافر مرة واحدة على الأقل شهريًّا بين "هلسنكي" و"موسكو" و"سانت بيترسبرج" وهي تتمتع بالحماية المطلوبة بالطبع، فيما يبدو كانت أعمالها العقارية عابرة للحدود، لكن طالما أني لم أشارك في أي شيء يقع تحت طائلة القانون، فلا داعِيَ لأن أقلق بشأن فقدان شارتي كحارسة، أما عدم استخدام اسم عميل كنت أعمل لحسابه كمرجع لوظيفة جديدة فهذه قصة أخرى، وهذا الأمر من شأنه أن يصيب "مايك فيرتيو" -رئيس المدربين في الأكاديمية الأمنية- بالإحباط، فكم من مرة شدَّدَ على أن السمعة الطيبة ضرورية في مهنة حراسة الأفراد، صحيح أن بعض الأخطاء قد تُرتكب أحيانًا وضرب مثلا بحارسٍ عجز عن حماية عميل من عدة قتلة تربصوا به ولكنه شدَّدَ على أنه يجب الحفاظ دائمًا على ثقة العميل، مع انتهائي من تناول زجاجة البيرة الثانية.. سمعت صوت "مايك" في رأسي وهو يلقنني محاضرة عما حدث.

بالطبع ستحاول "أنيتا" إقناعي بالعودة؛ لأنني أعرف الكثير عنها، بما في ذلك تفاصيل أنظمة الأمن في منزل "نيوتينين" وفي مكتبها أيضًا، وهذه المعلومات ستكون ذات أهمية قصوى لأي شخص قد تُسوِّل له نفسه أن يهدد حياتها.

أقنعتها في نهاية المطاف بأن تخبرني عمن تظن أنهم أعداء لها؛ فحراس الأفراد يحتاجون إلى التسلل إلى عقلية المجرم حتى يمكنهم التنبؤ بتحركاته الإجرامية مسبقًا، كان زوج "أنيتا" قد اختفى من حياتها منذ سنوات وانتقل إلى مكان مجهول بشمال "فنلندا" بينما كانت ابنتها الوحيدة تعيش في "هونج كونج"، حرصتُ دومًا على ألا أترك "أنيتا" بمفردها أبدًا، وكنت أنام أحيانًا في منزلها الذي تبلغ مساحته ألفي قدم مربع بمجمع سكني في جزيرة "لاهتي"، أول شيء قمت به هو تجديد نظام أمن المنزل، لأن مصدر التهديد الرئيسي لـ"أنيتا" هو حبيبها السابق الذي تردَّدَ على المنزل عدة مرات، إنه "فالنتين فيودوروفيتش باسكفيتش"، واحد من أباطرة سوق العقارات في "موسكو"، والذي لا يظن خيرًا بتلك المرأة الفنلندية التي نسفت أنشطته التجارية الصيفية المستقرة في منطقة البحيرات بـ"فنلندا" بالقرب من الحدود الروسية.

رنَّ هاتفي مرة أخرى، إنها "أنيتا"، تركته يرن، هل فقدت صوابَها؟ هل كانت مفزوعة من كل سيارة تمر ومرعوبة من كل عابر؟ هل حبست نفسها بغرفتها وأغلقت الباب بالقفل؟ كان سائقنا "سيرجي شابالين" مخلصًا ومع ذلك أظن أنه كغيره.. له ثمن، عرفت "أنيتا" أن الأمن والحماية لا يمكن ضمانهما إلا إذا كنت الشخص الذي بوسعه أن يدفع أكثر، آمنَت بأن الجميع يشبهونها؛ لا يهتمون إلا بإيجاد غطاءٍ لأفعالهم، ومع "أنيتا".. تقمصت الشخصية التالية: لست الأذكى، لكني قوية وحذرة، لم تدرك على الإطلاق أنني رصدت كل تحركاتها بدقة -بهدف حمايتها بالطبع- ولكن مع كل تلك المعلومات التي أملكها أستطيع أن أجعل حياة "أنيتا" جحيمًا إن أردت.

نفذت الفودكا والبيرة إلى رأسي مباشرة، على الرغم من الوجبة المُشبِعة التي تناولتها، بعد دفع الفاتورة.. خرجت أتجول، كان وقت الغسق، وشوارع المدينة مكتظة بالناس، ذهبت إلى كشك لشراء مشروب غازي وزجاجة مياه فوارة،

التقت عيني بعينَي رئيس الوزراء "بوتين" على غلاف العدد الأخير من جريدة "برافدا"، حيث كان يعلق على الوضع في "جورجيا" وكان "باسكفيتش" يدعم "بوتين"، وهو سبب آخر يُضاف إلى أسباب خوف "أنيتا" من "باسكفيتش".

سمعت صوتًا رُجُولِيًّا بالقرب مني يقول بالروسية:

- ما الأمر يا فتاتي؟

لمحته بطرف عيني وتأكدت من أنه ليس واحدًا من رجال "باسكفيتش" المأجورين. أجبته بالفنلندية:

- أنا لستُ فتاتك.

ابتعدت بينما ظل الرجل ينادي:

- يا فتاة! يا فتاة!

تمنيت ألا يكون قد ظن أنني عاهرة، فلا شيء بمظهري يمكن أن يترك لديه هذا الانطباع، فطولي 159 سم، ووزني 75 كيلو، وقصصتُ شعري ليبدو قصيرًا مثل شعر صبي صغير، كما ارتديت ملابس تناسب وظيفة الحارس الشخصي: جينز، وسترة جلدية قصيرة، حذاء عالي الرقبة مقدمته من الفولاذ، ارتديته قبل مغادرة الفندق، وكان المرور به عبر جهاز الكشف عن المعادن تجعل الدخول إلى مراكز التسوق مستحيلة، لذلك لم يفدني كثيرًا في "موسكو"، لكني شعرت بالراحة؛ لأنني أعرف أن مجرد ركل رجل بالغ به ركلة واحدة سريعة ستفقده الوعي.

عدت إلى الفندق الذي أقمت به أنا و"أنيتا"، وميزتُ نافذة غرفتها، فموقعها محفور في ذاكرتي، الضوء في النافذة يمكن أن يكشف بسهولة عما إذا كان هناك دخيل بغرفتها أم لا، وها هي "أنيتا" أضاءت مصباح

الغرفة وبدا ظلها مرئيًّا، يا لها من بقرة غبية! إنها تفعل كل ما نهيتها عن فعله بحذافيره، وسوف تدفع ثمن ذلك إذا ورطت نفسها في مشكلة.

ورغم هذه الأفكار.. تردد صوت "مايك فيرتيو" في رأسي وهو يقول إنه من الخطأ أن تترك العميل بمفرده، ولكن "مايك" لم يكن ليفهم أن شراء "أنيتا" لمعطف من فرو "الوَشَق" جعلني أشعر باستياء شديد.

علَّمني "مايك" كل ما يلزم كي أقرر من ينبغي عليَّ حمايته، فبعض حراس الأفراد يُوظفون من قبل مجرمين، رأيت بنفسي جيش "باسكفيتش" الصغير، المكون من عضلات مفتولة مستأجرة، عندما واعد "أنيتا" في مطعم "شي مونيك" الذي كنت أعمل به في ذلك الحين، واعتاد هؤلاء تناول العشاء به، ورغم ذلك تمكنت من حماية "أنيتا" من مجموعة الخنازير تلك، عليَّ أن أفتخر، لا أن أخجل من نفسي.

تأكدت من أن الموظف في مكتب استقبال فندق "أنيتا" ليس هو من وبخني سابقًا عندما طوحت مفاتيح الغرفة، أسرعت وتوجهت إلى ردهة سبق وأن رأيت بها هاتفًا عموميًّا، اتصلت بغرفة "أنيتا"، وعندما ردَّت.. أنهيت المكالمة، إنها بخير إذن، ستعود "أنيتا" إلى "فنلندا" بالطائرة باكرًا يوم الأربعاء، أظن أنها تمكنت من تدبير شؤونها حتى هذه اللحظة، لم يتبقَ لها سوى اجتماع واحد مع الشخص الذي أدار عقاراتها في "موسكو"، تمكنت "أنيتا" من الوصول هناك، و"سيرجي" يقود لها السيارة، وأنا حرة في القيام بما يحلو لي إلى أن أغادر المدينة.

ظل الرجل في مكتب الاستقبال يُحدِّق بي، تذكرت أن حارس الأمن ظل يتابعني بعينيه وأنا أتوجه إلى الهاتف العمومي، بينما كان يقف بالقرب

من المصاعد يفحص بطاقات القفل الرقمي لغرف جميع النزلاء قبل أن يسمح لهم بالصعود إلى الطابق العلوي، سبق وأن حذرت "أنيتا" من الإفراط في الثقة به، ثم كان هناك عمال النظافة أيضًا، ولهم الحق في دخول جميع الغرف، ونحن لا ندري شيئًا عن خلفياتهم، وفجأة.. بدا لي أن العالم كله يمثل تهديدًا لـ"أنيتا" الوحيدة.

سمعت مصعدًا ينزل، بمجرد أن وقع بصري على مقدمة حذاء "أنيتا" عالي الرقبة المصنوع من جلد من ماركة مسجلة، والمألوف لي، واريتُ نفسي في تجويف بالحائط، كانت ترتدي معطف فرو "الوَشَق"، لكنها تركت أزراره مفتوحة، هَرْولتُ في اتجاه بوابة الخروج الرئيسية مباشرة ورأيت سيارة أجرة مألوفة تنتظرها، إنها سيارة "سيرجي"، أثار ذلك فضولي لأنها لم تكن مرتبطة بأي مواعيد في المساء، من المفترض أن نعطي تعليمات لخدمة الغرف بأننا سنخلد للنوم مبكرًا كي نحصل على قسط وافر من النوم، ما الذي جعلها تغير خططها؟

وقفتا سيارتا أجرة خارج الفندق، ومن ثم قفزتُ في واحدة مملوكة لشركة كنت أتعامل معها من قبل، أمرت السائق بأن يتبع سيارة "سيرجي شابالين"، انطلق السائق وهو يزمجر بكلمة: "حاضر"، سارت السيارة بمحاذاة قصر "الكرملين" إلى أن وصلت الموقع الذي كان يقف به فندق "روسيا" شامخًا ذات يوم، ثم عبرت النهر متجهة جنوبًا، كنا متجهين -فيما يبدو- نحو العقارات التي تمكنت "أنيتا" من الاستيلاء عليها بالاحتيال على "باسكفيتش"، هل هي في طريقها إلى اجتماعها مع مدير العقارات؟

أثناء الكساد الأسوأ الذي ساد في أوائل التسعينيات، ورثت "أنيتا" من والدتها مئات الأفدنة على الشواطئ والجزر الصغيرة الواقعة بمنطقة "سافيتايبالي"، شرق "فنلندا". في ذلك الوقت، توقفت أعمال البناء بتلك المنطقة تمامًا، ونظرًا لارتفاع معدل البطالة، تمكنت "أنيتا" بسهولة من التفاوض بشأن صفقة تطوير واعدة. ظن المجلس المحلي أن البناء سيوفر فرص عمل وأن الكبائن الصيفية الجديدة سوف تجذب المصطافين في المستقبل، ومن ثم فالصفقة تُعد منحة للشركات المحلية، وكل ما كان ينقص "أنيتا" لبدء البناء هو الأموال.

التقت "أنيتا" بـ"باسكفيتش" في مدينة "لابينرانتا" القريبة حيث كان يتفقد الفيلات المتاحة من أجل زبائنه الروس، ويعتبر "باسكفيتش" واحدًا من طبقة الأقلية الروسية الثرية الصاعدة، وله صلات في عالم النفط والغاز الطبيعي وذلك في أعقاب الاضطرابات الاقتصادية التي عانت منها "روسيا". وسط تلك الأجواء المضطربة، يمكن لأي شخص بلا ضمير أن يصبح ثريًا. كان زوج "أنيتا" قد اختفي من حياتها لتوه، ولشعورها بالحرمان العاطفي، فقد سحرها "باسكفيتش"، وفي هذه الحالة من الجنون المؤقت، وتحت تأثير ثروته، لم تنضم إليه "أنيتا" في الفراش فقط، ولكن في مجال الأعمال أيضًا، شرع الاثنان في بناء ثلاثة منتجعات صيفية صغيرة، وفيلات رائعة على جزيرة تطل على بحيرة "سايما"، افترضا أن كثيرًا من الأغنياء الروس سوف يُقبلون على امتلاك تلك العقارات، وكذلك جنى "باسكفيتش" أموالًا باشتغاله في مجال العقارات في "موسكو"، وتقدمت "أنيتا" بطلب للحصول على قرض ضخم يمنحها امتيازًا يخولها أن تصبح شريكة له، ولأنه كان يتوقع أن الكساد الفنلندي سينتهي لا محالة، فكان من المنطقي أن يستثمر في "روسيا"، ولبضع سنوات.. بدت هذه

الاستراتيجية ناجحة؛ حققت استثمارات "أنيتا" في "فنلندا" و"موسكو" أرباحًا طائلة، تكفي لسداد القرض بوتيرة فاجأت موظف القرض نفسه.

في إحدى الأمسيات، وصلت "أنيتا" إلى شقتهما الفاخرة على سطح أحد المباني في "موسكو" دون سابق إنذار فوجدت "باسكفيتش" في السرير مع فتاتين من المومسات المرخصات، شبه عاريات. لم يمضِ وقت طويل حتى اكتشفت أنها لم تكن المرة الأولى، لم تُبدِ "أنيتا" أي رد فعل غاضب، بل خرجت بهدوء من الغرفة ثم عادت وهي تحمل زجاجة "شمبانيا" وأربعة أكواب، وبعد أن سكبت لكل منهم شرابًا، قالت باستهزاء أنها فهمت أخيرًا أنه بعد عشر سنوات من الزواج، بدأ زوجها يشعر بالملل منها. أقسم "باسكفيتش" أنه لم يمل من "أنيتا" أبدًا؛ لكنه لا يستطع الاكتفاء بامرأة واحدة.

بعد ذلك.. تركته "أنيتا" لمغامراته الحقيرة؛ لأنه كان يعود إليها دائمًا، وانشغلت هي بمغامرتها الخاصة التي بدأتها قبل التحاقي بالعمل لديها بعامين، لم أعرف كل التفاصيل، ولكن نتيجة للمكيدة التي دبرتها، تمكنت "أنيتا" من امتلاك منتجعٍ كامل من الكبائن الصيفية، وكذلك منزلين بمحاذاة نهر "موسكو" يصلح كل منهما لسكن أسرة واحدة، وشككت في أنها إما قامت بتخدير "باسكفيتش"، أو أنه لم يكن لديه أدنى فكرة عن محتوى المستندات التي يوقعها، ومع ذلك.. فإن توقيعاته ملزمة من الوجهة القانونية، ومن ثم كان القانون في صف "أنيتا".

بعد اكتشافه مكيدة "أنيتا"، شن عليها "باسكفيتش" هجومًا ضاريًا؛ لذلك ظلت داخل الحدود الفنلندية خلال العامين التاليين، إلا أنها لم تثق مطلقًا في مدير العقارات في "موسكو"، وبالتالي فإن قيامها بزيارات متكررة

لها كان ضروريًا، واضطر حارسها الشخصي السابق إلى تقديم استقالته مدعيًا أن وتر كاحله قد قُطع ولن يتمكن من أن يركض مرة أخرى، لم تصدق "أنيتا" قصته عن الحادثة التي تعرض لها في غير أوقات العمل الرسمية؛ بل اشتبهت في أنه إما تلقى رشوة أو تعرض لهجوم ما، بعدها انتقل الرجل إلى "فلوريدا" حيث أدار صالة ألعاب رياضية هناك.

رأيت سيارة "شابالين" تتوقف عند مبنى مألوف وخلفها توقفت سيارة الأجرة التي أستقلها، سألني السائق عن خطوتنا التالية، فقلت له بالإنجليزية أن علينا أن ننتظر ونرى، راقب "شابالين" "أنيتا" وتأكد من دخولها المبنى بعد إدخال رمز فتح الباب ثم انعطف بالسيارة بطريقة شديدة الخطورة، فتصاعدت أصوات أبواق السيارات القادمة.

كان بالمبنى بار في الطابق السفلي اسمه "سفوبودا"، قررتُ أن أدخله وأجلس على مقعد بجوار النافذة حتى أتمكن من رؤية "شابالين" عندما يعود ليُقِلَّ "أنيتا"، وبعد أن دفعت الأجرة للسائق أدركت أنه لم يتبقَ معي سوى خمسين روبلًا فقط، لكنها تكفي لطلب مشروب واحد في هذا المكان الغريب بأضوائه الصارخة، والخالي تقريبًا.

على الرغم من أن ديكور البار اقتصر على الطاولات الخشبية وكراسي بلاستيكية طويلة، فإن كل شيء بدا مشبعًا بدخان السجائر، لم أجد صعوبة في العثور على مقعدٍ خالٍ بجوار النافذة، طلبتُ زجاجة بيرة وقبل أن يفتحها النادل تأكدت من أن غطاءها لم يعبث به أحد، من الواضح أنه شعر بالإهانة لأنه حدَّق في وجهي بغضب، ولكن دون أن يتفوَّه بكلمة واحدة، حملتُ البيرة وذهبت إلى مقعدي وبدأت لعبة الانتظار، كانت الساعة الثامنة والنصف.

في غضون خمس عشرة دقيقة جاءت مجموعة من الرجال إلى الحانة، وبدا واضحًا من طريقة تحيتهم للساقي أنهم زبائن دائمين، لم أتعرف على أي منهم، بمقدوري مراقبة البار من المشاهد المنعكسة على زجاج النافذة، فشاهدت الرجال يحضرون زجاجة فودكا كاملة، ويتناوبون على تناول جرعات منها مع طبق مخلل وعبوات عسل وكذلك قشدة حامضة، لا أدري من أين أحضروها، كان الرجال في حالة هرج ومرج حتى أنهم عرضوا على النادل أيضًا تناول جرعة، وشربَ مضطرًّا، لم يعرني أحد منهم انتباهه في البداية.

لم أرصد أي حركة بالخارج، كان شارع من تلك الشوارع التي تسكنها الطبقة المتوسطة العليا، ولم يكن به مشاريع تجارية سوى بار ومتجر بقالة صغير. ورغم أنه ليس فاخرًا، فإن المجمع السكني المملوك لـ"أنيتا" لا يزال بعيدًا عن متناول سكان الطبقة العاملة في "موسكو"، فكل وحدة بالمنتجع بها حمام ساونا على الطراز الفنلندي، وهو ما يضيف إلى قيمتها الشرائية. نظرت مرة أخرى إلى المشهد المشوه المنعكس على زجاج النافذة فرأيت رجلًا يُحدِّق بي، وعندما نهض واقترب مني لكي يبدأ حديثه معي، تناولت رشفة بيرة وتركت راحة يدي بجوار الزجاجة، قدم لي سيجارة.. لكنني رفضت بهز رأسي. بدأ يثرثر باللهجة الروسية أو لعلها كانت يونانية، لذا لم أكن بحاجة حتى إلى التظاهر بأنني لا أتحدث الروسية. ظهر رجل آخر بجواري وأصبحت عالقة بينهما، لم أشعر برغبة في التشاجر لأنني كنت في حالة تأهب، وبعد كل ما جرى قد أنجح في إقناع "أنيتا" بمنحي شهادة خبرة.

تقدم نحونا رجل ثالث؛ في محاولة منه لمنع الرجلين من مضايقتي، ومن المعروف أن رفض سيجارة في "روسيا" يعتبر وقاحة، وبصراحة لم أكن

لأهتم بما يظنه هؤلاء الرجال الغرباء بي، لمحت "أنيتا" عبر النافذة وهي تخرج من الباب الأمامي وتُحدق في الشارع الخالي وكانت في حالة ذهول، وأظن أنها توقعت أن تجد "شابالين" في انتظارها، ولكنها لم تجده.

عادت إلى الداخل مرة أخرى وعلى الأرجح اتصلت بـ"شابالين"، تجرَّعتُ البيرة وخرجتُ متجاوزة الرجال الثلاثة دون كلمة واحدة، لم أجد وقتًا لدخول الحمام أيضًا، كم كنت أكره أن يذلني أحد وأعرف أن "أنيتا" لن تعفو عني بسهولة، مشيت على مَضَضٍ كي أنتظرها لعلَّنا نجد طريقة نحل بها خلافاتنا، كان باب المبنى من الخشب المُصمت بلا ثقبٍ للمفتاح، لم تكن هناك سيارات بالشارع، لا أحد سوى كلب واحد يجري بين البيوت.

ما حدث بعد ذلك هو أنني استيقظت لأجد نفسي في غرفة غير مألوفة مع امرأة غريبة تصرخ في وجهي، شعرتُ بصداع، وشممت رائحة القيء تفوح من كل شيء حولي، إن اثنتي عشرة ساعة من حياتي سقطت من ذاكرتي بطريقة ما ولا أدري عنها شيئًا.

2

كانت المرأة التي تصرخ في وجهي بالغرفة تعمل في مكتب استقبال الفندق، وعلى ما يبدو كان من المفترض أن أغادر الفندق قبل أكثر من ساعتين ونصف؛ لذا فأنا مضطرة لدفع مبلغ إضافي مقابل هذا الوقت ومقابل الجهد الذي بذله عمال النظافة الذين اضطروا للتعامل مع الفوضى التي أحدثتها، وكي أتخلص منها؛ وعدت بأن أغادر الساعة السادسة وبدفع ثمن كل شيء، كنت أشعر بالدوار والغثيان، لكن لم يتبق في معدتي شيء لكي أتقيأ، وأخيرًا قررت المرأة أن تغادر الغرفة وهي تغمغم كلامًا عن السياح الفنلنديين السكارى، تحاملت على نفسي ونهضت ببطء من السرير وكنت أشعر بعطش شديد، لا بد أن المشروب الغازي وزجاجة المياه الفوارة ما زالا في حقيبتي من اليوم السابق، ألقيت نظرة على الغرفة ووجدت حقيبة الظهر بجوار الحائط، هل بقية أغراضي كاملة وسليمة؟ كنت قد فقدت الوعي وأنا بكامل ملابسي، باستثناء حذائي وسترة رأيتها مكومة على الأرض، أما هاتفي المحمول فكان في جيب السترة، ومحفظتي في جيب صدر قميصي. كان لا يزال بها ما تبقى من نقود

بعملة الروبل بعدما دفعت ثمن البيرة، أما مسدسي فوجدته تحت البطانية على السرير، وهذا يعني أنني لم أتعرض للسرقة.

شربت بعضًا من المياه الفوارة، وتناولت حَبَّة دواء ضد الغثيان وحَبَّتين من المسكنات، خلعت ملابسي حتى أتفقد جسدي جيدًا في المرآة، لم أجد أي علامات تدل على أنني تلقيت لكمات، على الرغم من أن أذني كانت تَطن، ووجدت بعض الخدوش على ركبتي، ويبدو أنني سقطت عليهما، ولكن جلد كفي لم يُكشَط، ولم أشعر بأي ألم أو كدمات في مفاصل فخذي أيضًا؛ فعرفت أنني لم أتعرض للاغتصاب.

وأنا أستحم ظللت أفكر في الطعام الذي تناولته بالأمس، لو قُدِّم لي العشاء في الفندق مع بيرة مخلوطة بمخدر، لشعرت بتأثيره فيما بعد، في البار.. لم أرفع عيني عن مشروبي كما لو كان طفلي الوحيد، فهل فعلت؟ عندما خرجت "أنيتا" من المبنى، ولجزء من الثانية، انصب تركيزي عليها دون غيرها، فهل دس لي أحد الرجال الثلاثة شيئًا في زجاجتي في هذه اللحظة؟ لعنتهم بصوت عالٍ ولففت نفسي بمنشفة صغيرة غطَّت جذعي بالكاد، أغلقتُ الستائر واتصلتُ بـ "أنيتا"، لكنها لم ترد.

هل قابلتها؟ هل سوَّينا خلافَنا؟ كيف وصلت إلى الفندق؟ حاولت جاهدة أن أتذكر بلا جدوى، اتصلتُ بغرفتها في الفندق ولم يرد أحد أيضًا، أكد عامل السويتش أن السيدة "نيوتينين" نزيلة بالفندق، لكنه لم يمدني بأي معلومات أخرى.

من يا تُرى يعرف ما تنوي عليه "أنيتا"؟ مساعدتها "مايا بيتروفا"؟ سائق سيارة الأجرة "سيرجي شابالين"؟ ولكني لم أسجل رقم هاتف

"بيتروفا" وهاتف "شابالين" أعطاني إشارة مشغول خرقت أذني، تمددت على السرير مرة أخرى وغطيت جسدي ببطانيه رائحتها عفنة مثل ملابسي، والحمام كذلك كان في حاجة لعملية تنظيف واسعة، وعندما تقلبت في السرير، شعرت بشيء حريري عالق بساقي، إنه وشاح "أنيتا" الذي يحمل علامة "جوتشي"، ما الذي أتى به هنا؟

بدأت أشعر بالذعر، ما كانت "أنيتا" لتعطيني الوشاح أبدًا، حتى لو افترقنا بطريقة ودية، تفقدت مسدسي؛ هل اسْتُخدِم؟ لم يكن على فوهته آثار للبارود ومشط الذخيرة به عدد طلقات الرصاص نفسها التي كانت موجودة عندما تفقدته آخر مرة، فلماذا أسمع طنينًا في أذني كما لو أنه بسبب طلق ناري؟

اضطرِرت للخروج من هذه الغرفة التي تثير اشمئزازي، لم تعمل معدتي منذ ساعات وكنت أتضوَّرُ جوعًا. بعد تفتيش أغراضي وجدت "بروتين بار"، وأكلته ببطء حتَّى لا أصاب بالدوار، بعد الاستحمام مرة أخرى ارتديت ملابسي وحزمت وشاح "أنيتا" تحت أمشاط الذخيرة في حقيبة الظهر، كان مسدس "الجلوك" آمنًا في جرابه تحت ذراعي، وفي مكتب الاستقبال دفعت ثمن الغرفة واستعدت جواز سفري، ركبت مترو الأنفاق إلى محطة القطار وأخذت تذكرتي، ظللت أحاول الاتصال بـ"أنيتا" و"شابالين" دون جدوى، ورغم أن هاتف "شابالين" يرن الآن، إلا أنه لم يرد.

لم أرغب في حمل حقيبة ظهري أو تركها في مخزن الحقائب؛ لذلك ذهبت إلى مطعم المحطة وطلبت حساء "بورش" ومياه فوارة، وبعد أن استعدت قواي، حاولت أن أتذكر أحداث الليلة الماضية، لكني وجدت صعوبة في تذكر ما حدث لي بعد أن خرجت من البار كي أنتظر "أنيتا"، ربما التقينا، وربما رفضت التحدث

معي، وربما سقط منها وشاحها وهي شاردة الذهن وأنا التقطته، وكنت أنوي إعادته لها فيما بعد، بعض العقاقير التي تتسبب في فقدان الوعي تمسح العقل وتتركه نظيفًا تمامًا؛ مما يجعل من المستحيل استعادة الذكريات ولو حتى بالتنويم المغناطيسي أو العلاج النفسي، تمنيت ألا أكون قد ارتكبت أي حماقة، لعلي ركبت السيارة الأجرة بمحض إرادتي وفقدت وعيي في غرفتي بالفندق، أو هكذا تمنيت، بمجرد أن أتمكن من تسجيل الدخول إلى حسابي المصرفي عبر الإنترنت، سأعرف إذا كان أحدهم استخدم بطاقتي كي يدفع لسيارة الأجرة.

أنعش الحساء معنوياتي إلى أن أعدت الاتصال بـ"أنيتا" مرة أخرى، هذه المرة.. رد عليَّ رجل مجهول يتحدث الروسية، لماذا يحتفظ هذا الرجل الغريب بهاتف "أنيتا"؟ وها هو قد عرف رقمي؟ اللعنة، أغلقت الهاتف، ربما كان الرجال الثلاثة في البار من أتباع "باسكفيتش" المأجورون، هذا بخلاف النادل، لم أرد أن أتمادى في الأخذ بهذه النظرية أكثر من ذلك، الحقيقة هي أن شخصًا ما تمكن من الإفلات من جميع إجراءاتي الأمنية، وأيًّا كان هذا الشخص.. فهو لم يكلف نفسه عناء أن يجعل الأمر يبدو وكأنني تعرضت للسرقة، وهو أكثر شيء أخافني.

بمجرد أن سمحوا للركاب بالصعود أخيرًا إلى القطار، وجدت مقصورتي، وشعرت بالراحة على السرير الأصغر المقابل لسرير بطابقين، قررت قضاء الليل ومسدسي إلى جواري، حتى لو قرر سارق قطار قيرغيزستاني الانضمام إلى مقصورتي، لم تستخدم "أنيتا" القطار بين "فنلندا" و"روسيا" أبدًا؛ لأن فكرة مشاركتها دورة مياه مع أناس لا تعرفهم فكرة مستحيلة بالنسبة لها، وعندما قلت لها أن حق الوصول لمرافق الطائرة ليس مقصورًا عليها فقط، قالت ببساطةٍ إنه لن يُسمح للحثالةِ دخول دورات مياه درجة رجال الأعمال.

نادى محصل التذاكر بالخارج، وانطلقت صافرة وبدأ القطار يتحرك، استلقيتُ في انتظار تفقد التذكرة، سيتوقف القطار في "سانت بيترسبيرج" لنقل المزيد من الرُّكَّاب، ولكن حتى نصل سأتمتع برفاهية أن أظلَّ وحدي بالمقصورة، حاولت أن أنام، ولكني عجزت عن ذلك، أخذت أغفو.. ولم أكن على يقين مما إذا كان أزيز الرصاصة الذي ما زال يطن في أذني حلمًا أم ذكرى، وعلى الحدود من الجانبين أيقظني مفتشو جواز السفر أولًا، ثم ضباط الجمارك، لكن النعاس كان غالبًا عليّ فلم أعرف ما إذا كانوا حقيقيين أم من نسيج خيالي.

بمجرد وصولي إلى "هلسنكي"، ركبت الترام إلى منطقة "كابيلا" حيث وضعت معظم أغراضي في شقة مشتركة، بدت الغرفة المتربة بسريرها الوحيد، والمكتب الصغير، والكرسي المريح، غريبة بالنسبة لي، لم أجد الطالبتين اللتين تشاركاني الشقة، واللتين تصغراني بحوالي عشر سنوات تقريبًا، وقد أسعدهما أني أدفع ثلث إيجار شقة من ثلاث غرف نادرًا ما أتواجد فيها، كانتا على علمٍ بأني أعمل في مجال الأمن؛ فقد أدليت لهما ببيانات غامضة حول قيامي بتسليم أشياء ثمينة مما يستلزم بقائي خارج البلاد لفترات طويلة، لم تكُنا رفيقتي السكن -لحسن حظهما- على دراية بالمخاطر التي ينطوي عليها العيش معي، وسعدتُ بتلك التدابير التي اتخذتها، أما عنواني الرسمي هنا فهو: 7 شارع "أونتامو" وليس الكابينة التي استأجرتها في "توروباكا" بمنطقة "ديجيربي" حيث أقضي معظم أوقات فراغي، لم يكن هناك إيصالات دفع تربطني بالشخص الذي استأجرت منه الكابينة، لذلك أعتبرها أكثرَ أمانًا بالنسبة لي من الشقة.

وفكرة وجود شخص لا يزال يلاحقني جعلتني أعيش في قلقٍ دائمٍ، أثارت ممارسات "أنيتا" التجارية عداءً بين الفنلنديين والروس الذين وعدوا بعقد صفقات حصرية معهم، اعتبر الروس امتلاك منزل للعطلات وسط المناظر الطبيعية الفنلندية البِكر، إشارة للمكانة الاجتماعية، ولكن القيمة الشرائية هبطت بعدما كرر العشرات من زملائهم الروس تجربتهم نفسها، وفي منتجع الكبائن تحول السُلافيون الذين يتمتعون عادة بحس دعابة إلى فنلنديين مصابين بجنون العظمة، يختبئون خلف سياجهم الأمنية ويمدون الأسلاك الشائكة في البحيرة، ويحرصون على ألا يقترب منهم أي شخص مشبوه أكثر مما ينبغي، من المستحيل أن أعيش جحيم منتجع الإجازات الذي ابتدعَته "أنيتا" حتى لو امتلكتُ المال، وها هي أجزاء من شواطئ بحيرة "سايما" بدأت تتخذ شكلًا غريبًا يشبه ذاك الشريط المزدحم بالفنادق الشاطئية المبتذلة بجنوب أوروبا.

كانت خزانة المطبخ في الشقة فارغة تمامًا لكنني وجدت كوب نودلز "الرامن" وتناولتها وأنا أغسل ملابسي، كانت حمولة خفيفة؛ ملابس داخلية وقمصان فقط، فقد استلمت ملابس التمرين من مغسلة الفندق صباح أمس لذلك لم تُتَح لي الفرصة بعد لأرتديها، وعندما أخرجت النودلز من الكوب بشوكة، لاحظت وجود سيارة ذات دفع رباعي متوقفة في شارع "كوسكيلا" زجاج نوافذها معتمٌ وتحمِل لوحات معدنية روسية.

اللعنة! هناك شخص ما زال يلاحقني، وهذه المرة لن يساعدني مسدسي ولا حزامي الأسود في الجودو، كان رجال "باسكفيتش"

المأجورون خبراء متمرسين، سبق لي أن أخبرت "أنيتا" أن "باسكفيتش" قد يكون رجل أعمال روسي وضيع، إلا أنه أثبت بالفعل أنه ليس هاويًا.

بذلت قصارى جهدي للتحرك في الشقة دون لفت الانتباه، كانت الستائر في غرفة نومي مُسدلة دائمًا، وهناك ستارة قصيرة تُغطِّي الجزء العلوي من نافذة المطبخ، كان باب غرفة "جيني" مغلقًا بالفعل، وأغلقت كذلك باب غرفة "ريكا"، ذهبت لإحضارِ مِنظاري المُكبر، لكنه لم يُفد في رؤية ما وراء النوافذ المظلمة، من الواضحِ أنني لم أكن أعرف كل القتلة المأجورين الذين يعملون في "فنلندا"، لكنني تفقدت لوحة ترخيص السيارة وحاولت أن أستدعي أي لوحات مشبوهة صادفتها، وبحثت في ذاكرتي لعلي أجد ما يتطابق معها، وذكَّرني ذلك برجلَين أعرفهما من رجال المافيا كانا يفتخران بأن سياراتهم تحمل لوحات معدنية بلا أرقام من باب تخويف الناس.

انتهيت من غسل الملابس، ولكن لم يكن هناك سبيلٌ للخروج إلى الفناء لنشره على حبل الغسيل حتى يجِف، فهذا سيجعلني هدفًا سهلًا، كان لدي سترة "كيفلار" واقية من الرصاص، لكنني لم أمتلك خوذة، علاوة على ذلك.. فمن المؤكد أن تجوالي وأنا أرتدي خوذة سيُلفت انتباه الجيران، قررت استعمال مجفف الغسيل بالمبنى بدلًا من نشره لأنه سريع، وإذا اكتشفت أثناء تجفيف ملابسي أن من يلاحقني لا يزال هناك، يمكنني الانتقال من ردهة إلى أخرى بالطابق السفلي، ثم أغادر عبر مخرجٍ آخر، على الرغم من أن المجرم المأجور المتمرس سيمتلك نسخة من خريطة المبنى، فإنه سيشتبه في أنني أحمل الشيء نفسه.

لم أرغب في المخاطرة بأن أترك قاتلًا مأجورًا يلاحقني حتى كابينة "ديجيربي"، ولكن لا ينبغي أن أبقى هنا أيضًا، لا أحد سيتبعني إلى "هيفونبرسينساري"، تلك الجزيرة الصغيرة بالقرب من مدينة "كافي" بشرق "فنلندا"، على بُعد بضع مئات من الأميال فقط من الحدود الروسية، اسمها يعني جزيرة " مؤخرة الحصان"، عندما أوضحت معناه لزملائي في أكاديمية "كوينز" استغرقوا في الضحك، كان بوسعي أن أستأجر سيارة في "يونسو"، أو أركب طائرة وهي أكثر أمانًا من القطار، ولكن ميزة القطار أنني أستطيع النزول إذا تطلب الأمر ذلك، رُحت أقارن بين خياراتي بينما كنت في البدروم أنتظر الغسيل حتى يجِف.

بعد وفاة والدتي، ربَّاني شقيقها، خالي "جاري"، لم أدرك إلا فيما بعد كم كنت محظوظة لأن الأخصائيين الاجتماعيين قرروا تسليم طفلة يبلغ عمرها أربع سنوات إلى رجل يبلغ عمره أربعة وعشرين عامًا، ولكن هذا الاختيار كان الأمثل في تلك اللحظة، عاش خالي على الحدود التي تقع شمال "كاريليا" و"كووبيو" في بلدية "كافي" بجزيرة "هيفونبرسينساري".

وبعد وفاة خالي ورثتُ الكابينة، لكني لم أرغب في العودة، أراد جارنا "ماتي هاكاراينن" شراءها لأن رأس شبه الجزيرة كان مذهلًا، وفكَّر في أن يقسِّم قطعة الأرض بين أطفاله الخمسة، إلا أنها ظلت مجرد خطة،

لا تزال غالبية جزيرة "هيفونبرسينساري" غير مأهولة، تمتعتُ بحق الانتفاع بالكابينة مدى الحياة وكان استخدامي لها موضع ترحيبٍ على الدوامِ ما لم يكن هناك من يشغلها، اتصلت بـ"هاكاراينن" من هاتف "ريكا" الأرضي، أرادت رفيقتاي في السكن التخلص من الهاتف منذ زمن

بعيد، لكنني تمكنت من إقناعهما بالعكس حتى الآن، فاستخدامه يُعتبر أكثر أمانًا من هاتفي المحمول، على الرغم من أنني أغير رقمي بشكل متكرر، عندما أجاب "ماتي هاكاراينن" على الهاتف، كان بوسعي سماع صوت منشار جنزير يعوي في الخلفية.

وعندما سألته عن إمكانية إقامتي بالكابينة قال:

- بالتأكيد.. تفضلي، لا يزال المفتاح في مكانه القديم، سأزيل البوابة التي تسد الطريق المؤدي إلى الجزيرة، قفل البوابة داخل الكابينة، تستطيعين إغلاق البوابة مرة أخرى إن أردتِ.

ثم أكمل قائلًا:

- بالمناسبة.. بها كهرباء الآن.

- حقًا؟!

- إنهم يبنون كبائن جديدة على الأراضي التي تمتلكها إدارة الغابة، ولذلك أقاموا محطات كهرباء تخدمها، لا أحد يرغب في البقاء في كابينة دون كهرباء هذه الأيام، وركبت أيضًا مضخةً للمياه في حمام "الساونا"، لو وجدتِ فرصة، تعالي لتأخذي بعض الحليب والخبز والبيض، سوف تَخبز "مايا" بعض الفطائر، والغابة مليئة بالتوت البري والفطر الطازج.

استأجرتُ سيارة واشتريت تذكرة القطار عبر الإنترنت وطبعتها، وبينما كنت أفعل ذلك.. اختفت السيارة ذات الدفع الرباعي الروسية، مهما كان مَنْ بالسيارة فلعله يتلاعب بي، وحتى أؤمِّن نفسي غادرت المبنى من مخرج آخر، قفزت في حافلة بشارع "ماكيلا"، وبعد محطتين تحولت إلى الترام رقم سبعة، نزلت في محطة قطار "باسيلا" وأنا مستعدة لرحلتي التي ستبلغ

ثلاثمائة ميل إلى شرق "فنلندا"، يبدو أنه ما من أحد يلاحقني، ولن تعرف رفيقتاي في السكن أنني كنت هناك، إلا إذا كانتا تحضران "الرامن"، وعلى الرغم من أن "ريكا" و"جيني" كانتا فقيرتين، فإنني أثق بأنهما لن يبيعاني إلى "باسكفيتش"، وقد درسَت "ريكا" علم اللاهوت بينما درست "جيني" المسرح؛ كل واحدة منهما تلعب دورها بطريقتها الخاصة، كانت "جيني" نباتية صارمة وممثلة، في حين كانت "ريكا" تفكر في الانضمام إلى "الإكليروس" المسيحي، وبينما كنت أستمع إلى مناقشاتهما، خطر لي أنهما اختارتا شخصيات مرئية، في حين رُسمت شخصيتي لتكون غير مرئية.

كان نصف القطار خاليًا تقريبًا ويبدو أن كل من على متنه لم يعرني انتباهه، لكن ذلك لم يجعلني أقل حذرًا؛ أوليتُ اهتمامًا خاصًّا بمن حولي في المحطات الأقرب من الحدود الروسية؛ "كوفولا"، و"لابينرانتا"، و"إيماراتا"، انتظرتني سيارة دفع رباعي صغيرة بمكتب لتأجير السيارات في "يونسو"، على بعد حوالي ثلاث ساعات بالقطار من "هلسنكي"، ستساعدني سيارة الدفع الرباعي الرياضية في التنقل على طريق جزيرة "هيفونبرسينساري" الذي ضربَته العواصف الرعدية أواخر الصيف وجعلته وعِرًا، شعرتُ بأنَّني أكثر أمانًا فيها مقارنة بسيارة أصغر لأنني أجلس على كرسيٍّ أكثر ارتفاعًا ويمكنني أن أكشف المركبات الأخرى على الطريق، فحصتُ السيارة سريعًا باستخدام كاشف المتفجرات الخاص بي، وحرصت على ألا أثير الانتباه، قدت سيارتي إلى مركز تسوق كبير لأشتري بعض البقالة لزوم رحلتي؛ بطاطس ومكرونة وتونة معلبة ونقانق الضأن وفطائر لذيذة، وصندوق به اثنتي عشر زجاجة بيرة، وبرغم اتباعي حمية غذائية فإن السعرات الحرارية هي الأهم

بالنسبة لي الآن، ذهبت إلى متجر الخمور لشراء زجاجتين من شراب "الروم"، واحدة منهما هدية لـ"ماتي هاكاراينن" وعوضًا عن "الروم" أحضرت لزوجته "مايا" حلوى بمربى البرتقال.

كان عدد المركبات الروسية في "يونسو" كافيًا لكي أَكُفَّ عن القلق الذي ينتابني تجاه كل سيارة تمر بي، بعد القيادة لعشرين دقيقة ومرورًا بمدينة "أوميله"، توقفت حركة السيارات، وأصبحت سيارتي هي الوحيدة على الطريق، بعد عشرين دقيقة أخرى كنت في الشارع الرئيسي الوحيد في مدينة "أوتوكومبو" التي تتَّسم أيضًا بالهدوء والتي لم أَزُرْها منذ وفاة خالي "جاري".

تقع "هيفونبرسينساري" في بلدية "كافي"، وتقدم خالي "جاري" بطلبٍ كي ألتحق بمدرسة في مكان آخر لأن الوصول إلى "هيفونبرسينساري" كان متعذرًا للغاية، وفي الثمانينيات، كانت مدرستي الابتدائية في "ريكارانتا" قريبة منا، ولكن عندما التحقت بالمدرسة الإعدادية ثم الثانوية؛ استغرقتني المسافة ما يقرب من ساعة سواء سيرًا على الأقدام أو حتى بالحافلة، لم يترك لي ذلك ما يكفي من الوقت لأقيم علاقات اجتماعية، لم تعمل سيارة خالي "جاري" بشكل دائم؛ فعندما يعاني من نقص في السيولة النقدية، تصبح السيارة هي أول شيء يتوقف عن الإنفاق عليه، كان لديه صديق، تاجر سيارات مستعملة، أعطاه سيارة "لادا" وأخرى "داتسون"؛ نشأت وأنا أؤمن بأن السيارات ما هي إلا قطعة حديد يأكلها الصدأ.

بدت الأدغال على طول طريق "مونانييمي" كعهدها دائمًا، وغطت صخور بحجم قبضة اليد الطريق بينما أفرع شجرة الصفصاف التي تنمو في أواخر الصيف موقع قطع الأشجار، وأحاطت الغابات الكثيفة

بـ"هيفونبرسينساري" مثلما كانت دائمًا مما ولَّد داخلي شعورًا بالأمان والطمأنينة، ومع ذلك.. وكلما توغَّلتُ بالسيارة لمسافة أبعد، أدركت مدى التغير الذي طرأ على المشهد، وتجسد أمام عيني مدى قسوة عملية قطع الأشجار والتي خلَّفَت وراءها غابة جرداء، ويبدو أنهم فرشوا أماكن تجريف الغابات عن عمد بأغصان الصفصاف ذات الأهداب الناعمة؛ لكي يخففوا من حدة المناظر المقفرة، ولم تنجُ أيضًا المناطق القريبة من "هيفونبرسينساري"؛ فها هي لافتة على الطريق تعلن عن تقسيم تلك المناطق وتخصيصها لإقامة مشاريع بناءٍ متنوعة.

لابد أن سكان المناطق التي قُسِّمت قد أطلقوا على "هيفونبرسينساري" في الوثائق الرسمية اسمًا آخر أقل إثارة للتهكم، فكم سخروا مني في المدرسة الإعدادية لأني من جزيرة "مؤخرة الحصان"، لكني عملت على ألا تدوم هذه السخرية طويلًا، لم يهتم طلاب المدرسة بحياتي الماضية، ولكن بمجرد أن مررت ببعض التقلبات المزاجية وأنا في الصف السابع، استشف منها أحد المعلمين طبيعة شخصيتي، فشاعت عني عبارات من نوع: "اسمها "الوَشَق" وهو اسم على مسمى، لا ينبغي العبث مع "هيلجا إلفسكيرو"، وقد بذلتُ قصارى جهدي لتحسين صورتي، رغم أنني لم أكن مثل الجميع؛ ومع ذلك فقد نجحت في تكوين بعض الصداقات.

أوشك الظلام أن يهبط وبدأ رذاذ المطر يتساقط، صدق "هاكاراينن" عندما قال إن البوابة مفتوحة، وعلى الرغم من أنها لن تمنع السيارات الأخرى من الوصول إلى الجزيرة، إلَّا أن وجود البوابة جعلني أشعر بقليل من الأمان، لم تكن الجزيرة جزيرة بالمعنى الحرفي للكلمة، بل شريطًا ضيقًا

يتخذ شكل جزيرة ومتصل ببرزخ صغير يؤدي إلى اليابسة؛ مما جعلها تشبه مؤخرة حصان متصلة بجذعه، ويمكن الوصول إليها بسهولة سيرًا على الأقدام أو بالقارب، عملت عائلة "هاكاراينن" على تحسين مظهر الجزيرة، وازْدَهَرَت نباتات "الخلنج" على جانبي الطريق وزُرع عباد الشمس في أصص، وكان فطر "ريتليجيل" ينمو مع عنب الثور البري على جانب الطريق؛ مما جعلني أتذكر حلوى خالي "جاري"، هنا قد يمكنني الاختباء من "باسكفيتش" ورجاله المأجورين، ولكن ليس من طفولتي.

عندما وصلت إلى الفناء، لاحظت الستائر الكروشيه منسدلة على نوافذ الكابينة، بذل خالي "جاري" قصارى جهده لكي يُبقي الفناء نظيفًا، لكنه لم يكن أبدًا الشخص الذي يهتم بتجميل المنزل، على عكس "مايا هاكاراينن"، التي لا تشاهد التليفزيون ولا تمر على منزل أحد الأصدقاء لتناول القهوة دون أن يكون بين يديها مشروع كروشيه.

ترجلتُ من السيارة ووقفتُ دون حراك لبعض الوقت، ورحت أُنصت، كان المكان شبه صامت ومظلمًا للغاية، لم يأتِ الناس إلى كَبائِنهم لقضاء أمسيات شهر سبتمبر، تحسَّستُ مكان المفتاح ووجدته في مكانه المألوف تحت السلالم، أما السقيفة فقد طُلِيَت وأخفت طبقة الطلاء البنية اللون الجديدة آثار الخدوش التي أحدثتها "فريدا" تمامًا، لم تعش "فريدا" أبدًا مع "آل هاكاراينن"، ولم نعرف أحدًا استضافَ أنثى "الوَشَق" بمنزله لبضع سنوات سوايَ أنا وخالي، وفي أحد المرات علق "ماتي" على رائحة البول القوية التي تفوح من فناء منزلنا، لكن خالي "جاري" كان مقنعًا عندما ألقى باللوم على الكلاب التي سُمح لها بالإفلات من مقودها والتجول في المنطقة.

كنت في الثامنة من عمري عندما دخلت "فريدا" حياتنا في يوليو عام 1984، ظلَّت ذكرى ذلك المساء حيَّة في ذاكرتي لا تموت، بدأ الأمر بعدما تلقى خالي "جاري" مكالمة هاتفية وبدا واضحًا أنها أزعجته، قال لي بصوت خافت وهو يبحث عن معطفه:

- إنه "كوبينين" اللعين، ستعتنين بنفسك هذه الليلة، يمكنك تدبر الأمر، أليس كذلك؟ سأعود حالما أنتهي من شيء ما.

- ماذا؟

بادرني خالي "جاري" ببعض التعليمات قائلًا:

- لا تقلقي، فقط أحضري ما تبقى من المكرونة وسخنيها في مقلاة، تذكري إضافة كمية كافية من الزبدة حتى لا تحترق ولا تنسي إطفاء الغاز.

ثم جهَّز بعض السندويتشات وبعضًا من عصير التوت المُركز ليأخذها معه، ربَّتَ على وجنتيَّ بسرعة، وقبض على بندقيتيه؛ الصيد والرَّش، وخرج من الباب، أما عن كيف وجد خالي "فريدا" فكانت حكاية من حكايات ما قبل النوم المفضلة لَدَيَّ، على الرغم من أن خالي "جاري" كان يخجل من الدور الذي لعبه فيها، فعلى بُعد عدة أميال منا تقع مزرعة دواجن اشتبه مالكها "كوبينين" منذ فترة طويلة في أن هناك "وَشَق" يأكل ما يصادفه من دجاجه الذي يرعى بِحُرية في فناء منزله وأنه قد لَمحَه يحومُ حول المكان، ولدى "كوبينين" كلبًا لعينًا من سلالة "كاريليان" ومن عادته أن يبقيه مقيدًا في الفناء، لكنه سمح للكلب بالتجول بحرية ذلك اليوم، عندما شم الكلب رائحة "الوَشَق" طارده حتى جُحره، فاتصل "كوبينين" بخالي "جاري" واثنين آخرين لم يهتما كثيرًا بشأن

إطلاق النار على "الوَشَق" في غير الموسم الرسمي لصيده والذي يمتد بين ديسمبر وفبراير، لم يعد هناك مفرٌ الآن من التخلص من لِصِّ الدجاج.

كان لهذا "الوشق" عرين في بعض الغابات على بعد ساعة من "ماريانيفارا"، وعندما بلغه خالي "جاري" أخيرًا، أعاد الرجال الآخرون الكلب إلى المنزل، ورأى خالي "جاري" و"هاكاراينن" و"سيبو هولوباينن" يقبعون في حفرة في انتظار "الوَشَق"، لم يكن خالي "جاري" على وفاق مع "سيبو"، ظل الرجال ينتظرون "الوَشَق"، لا بد أنه كان يتَضوَّر جوعًا وإلا فما سببُ خروجِه للصيد في وضح النهار؟ وسيضطر الحيوان في نهاية الأمر إلى الخروج من جحره كي يلقي نظرة خاطفة متلصصة، وإذا فعل.. ستكون مهمة خالي "جاري" منعه من العودة لجُحره مرة أخرى.

عند الثالثة صباحًا تقريبًا، ظهر "الوَشَق" أخيرًا، كانت أنثى رشيقة وصغيرة، وعلى الرغم من أن خالي "جاري" تردَّدَ عندما وقعت عيناه عليها، إلا أنه قفز وسدَّ عليها الطريق، فأصابها الذعر وركضت نحو الغابة، ثم توقفَت فجأة عندما شمت رائحة "هولوباينن"، الذي أخذ يشد من أزرِ نفسه بتعاطي مشروب مُسْكِر، وعندما صوَّب بندقيته أصاب جذع شجرة، عادت "الوَشَق" إلى الحفرة ونظر خالي "جاري" في عينيها المذعورتين بإمعان.

وكلما استدعى خالي "جاري" ذكرى ذلك الموقف، كان يقول:

– لم أستطع إطلاق النار عليها، حتى لو كانت طلقة واحدة ستنهي حياتها، كانت غاية في الجمال.

ظل "كوبينين" يصرخ ويسب ويلعن، وسدَّدَ "هولوباينن" مرة أخرى، ولكنه لم يُصِب الهدف، أطلق "كوبينين" طلقته الأولى، وأصاب أنثى "الوَشَق" في وركها، فحاولت الهرب، ولكنها انهارت عند قدمي "هاكاراينن".. لقد قتلها.

بعد ربط قدمي "الوَشَق" وتعليقه على غصن شجرة، بدأ الرجال الآخرون يتشاجرون حول مَن سيصيبها الحظ مِن زوجاتهم وتحصل على شالٍ بديعٍ من فراء "الوَشَق"، كانوا على استعداد للعودة إلى المنزل والاحتفال بهذه المناسبة بتناول الخمر، لكن بوصلة خالي "جاري" سقطت منه أثناء المطاردة وتخلف عن الباقين كي يبحث عنها. قال خالي "جاري":

– لم تكن لَدَيَّ رغبة في الذهاب إلى بيت "كوبينين" للاحتفال بقتل "الوَشَق" لأنني شعرت وكأنني قتلتُ إنسانًا لا حيوانًا، وندمت حتى على ذهابي هناك لأساعده، وعثرت على بوصلتي بالقرب من جحر "الوَشَق" وهناك سمعت أكثر صوت أثار شفقتي على الإطلاق، كان صوت صغيرة "الوشَق". كانت على الأرجح أصغر وأضعف صغارها، أخرجت رأسها من الجُحر وألقت نظرةً خاطفة. كان واضحًا أنها تفتقد أمها، ونحن الحمقى خرقنا القانون مرتين، مرة بالصيد في غير مواعيد موسم الصيد، ومرة بقتل أنثى كانت أمًّا لأنثى "وشَق" صغيرة؛ وهما محميتان بحكم القانون.

في كل مرة يعيد سرد هذه الحكاية تسري رعشة في صوته، ليس لأن القوانين كانت تعنيه كثيرًا؛ وإنما لأنه مستاءٌ من الدور الذي لعبه في قتل أنثى "الوَشَق". أكمل قائلًا:

– كنت أعرف أن "كوبينين" سيقتل هذه الصغيرة إذا رآها في أي وقت، ولم تكن لتقوى على العيش بمفردها في الغابة وهي لا تملك مهارات صيد،

يا لها من مسكينة! كم كانت خجولة لكنها سريعة واستطاعت أن تدلف مرة أخرى إلى الجُحر، لكنني نجحت في إخراجها، رغم أن ذلك كاد يُكَلِّفني أنفي، وضعتها في حقيبتي، وتأكدت من أن لديها هواءً كافيًا كي تتنفس، وكنت آمل ألا تموء وألا تركل بقوة، وتساءلتُ: ماذا سأطعمها؟

وكي أضع نهاية للحكاية المكررة، كنت أضيف في كل مرة:

- وفي صباح اليوم التالي أيقظتني "فريدا" وهي تلعب في أصابع قدمي، ومنذ ذلك الحين أصبحت أنا و"فريدا" صديقتين مقربتين.

استدعيت في مخيلتي صورة "أنيتا" وهي تمسد بلطف معطف فرو "الوَشَق"، هل كان أمامي شيء آخر أفعله غير الاستقالة؟ كان عليَّ أن أفعل ذلك من أجل "فريدا".

حملت حقيبتي وبها بقالتي، وتحسست الحائط بحثًا عن مفتاح الضوء، ووجدته بجوار الباب، بدت المقصورة غريبة بعد أن غمرها الضوء الكهربائي، ولم يكن هذا هو الشيء الوحيد الذي بدا جديدًا فقد وجدت أيضًا ثلاجة، وميكروويف، وآلة لصنع القهوة، بل وجهاز تليفزيون، عدت لإغلاق البوابة وقرَّرت أن أذهب للسباحة.

كانت بحيرة "ريكافيسي" باردة كالثلج؛ واخترقتني مياهها مباشرة ونبهت حواسي، أخذت أنصت وأشم رائحة الظلام مثلما اعتدت أن أفعل وأنا طفلة صغيرة كلما شعرت بالغيرة من قدرة "فريدا" على الرؤية في الظلام، وفيما بعد.. عندما جربت ارتداء نظارات الرؤية الليلية في أكاديمية الأمن في "كوينز" شعرت وكأنني قط سِنَّوْر حقيقي.

يجب أن أتأقلم أكثر مع الظلام، وقد كانت "موسكو" -رغم كل شيء- دليلًا على حقيقةِ أنني أنزلق في هذا الاتجاه، وبعدما عدتُ إلى الكابينة اكتشفتُ كم أفتقد المشاعرَ الأسرية الذي تَبُثُّها مصابيح الزيت، وتمنيت أن يكون "هاكاراينن" قد أبقى على واحد منها على الأقل، ومع ذلك كان عليَّ أن أعترف بأن الكهرباء كانت مفيدة في جوانب أخرى؛ فلن أضطر مثلًا إلى شحن الكمبيوتر المحمول الخاص بي في السيارة، كما يمكنني تثبيت أجهزة استشعار الحركة حول الكابينة، بالطبع سيلاحظها اللص المحترف على الفور، لكنها ستفيد مع اللص المبتدئ، وتحت الضوء المنبعث من نوافذ الكابينة، ثبَّتُّ أجهزة الاستشعار بسرعة.

لم نكن بحاجة إلى أجهزة استشعار الحركة في وجود "فريدا"، فقد حدث أن اكتشفَت لصًّا مخادعًا جاء بزورقٍ لا صوت له كي يسرق زورقَ خالي "جاري"، كانت "فريدا" مروَّضة ولا تتجاوز خطورتها خطورة قطة منزلية أليفة، إلا أنها أيقظت خالي "جاري" الذي ركض إلى الرصيف مُلوِّحًا ببندقيته ليهدِّدَ اللصَّ الذي خاف وفرَّ، كان اللص المزعوم ابنًا مراهقًا لأحد الجيران ولم يدرك أن سلاح خالي لم يكن معبأً بالذخيرة.

وضعت اثنتين من الفطائر اللذيذة في الميكروويف، وشربت بعض البيرة، ثم ذهبت مباشرة إلى الفراش، كنت قد اشتريت ملاءة حريرية عالية الجودة وخفيفة للغاية تصبح بحجم منديل عند طيِّها ومن المفترض أن تُستخدم داخل كيس النوم الذي أحمله معي في كل مكان، لففتها حول جسدي وزحفت بين المرتبة والبطانيات، كانت رائحتها غريبة ويبدو أن "مايا" غسلتهم بمسحوق معطرٍ ما.

لطالما تسببَت أقدام "فريدا" في صدور صريرٍ بالأرضيات، ومنذ صغرها.. أحبت أن تنام في سريري، وشرح لي خالي "جاري" أن سبب ذلك هو أن درجة حرارة جسدي أعلى من درجة حرارة جسدها، في البداية كانت "فريدا"

أصغر حجمًا مِنِّي بكثير، ولكن مع حلول الربيع، أصبحت في حجمي نفسه، وحتى في منتصف الشتاء لم استخدم سوى بطانية واحدة لأن "فريدا" كانت تمدني بالدفء، وكلما استدعيتُ هذه الذكريات، أشعر بفرائها الناعم بين أصابع قدمي، وبأنفاسها التي تفوح منها رائحة اللحم العطِن، كانت "فريدا" أختي، في تلك الليلة نمت بجوارها كما كنت أفعل دائمًا.

استيقظتُ على صوت جلبة، رفعتُ مسدسي من على الكرسيِّ الذي استخدمته كمنضدة، تجاوزت الساعة السابعة بقليل وكان الضوء خافتًا بالخارج، نظرت عبر النافذة ورأيت شخصًا مألوفًا لي يهرب من الكابينة، إنها "مايا هاكاراينن"، هربت "مايا " من جرس الإنذار الذي أوصلته بجهاز استشعار الحركة، ناديت عليها وأنا أغلق جرس الإنذار:

- "مايا".

سقطت سلة الهدايا التي كانت تحملها على درجات سلم الكابينة، وتسرب صفار البيض عبر نسيج السلة، قررت "مايا" أن تحضر لي بعض الحلوى الطازجة، كيف نسيت أن "آل هاكاراينن" يضبطون ساعاتهم وفقًا لمواعيدِ أبقارهم؟ فقد كانوا يستيقظون كلَّ صباحٍ في الخامسة، دسست المسدس في جيب سروال البيجاما وبدأت أعدو خلفها وأنا حافية القدمين. ناديت:

- أهلا بك يا "مايا"! أنا "هيلجا"! عودي!

ولأن "مايا" كانت في الستين من عمرها فلم تسعفها قدماها، ومن ثم لم أجد صعوبة في اللحاق بها، ألقيتُ باللوم على صوت جرس الإنذار الفظيع الصادر من السيارة وأنا آمل ألا تكشف "مايا" كذبتي، ثم دعوتها لتناول القهوة،

لحسن الحظ، كُسرت بيضة واحدة فقط، وكان غطاء الزجاجة محكمًا فلم يتسرب منها الحليب. سألتني "مايا":

– هل سافرتِ إلى "أمريكا" مرة أخرى؟

أخبرتها أن ذهابي إلى "نيويورك" كان أمرًا رائعًا، ولكن نشاطي تركز مؤخرًا في "روسيا"؛ وهو ما دفعها إلى الحديث عن الوضع في "جورجيا" وكيف أن "هيفونبرسينساري" قريبة جدًّا من الحدود الروسية، ورغم ذلك قالت إن لديها بعض الأخبار المفرحة وهي أن مهرة الحصان "كيوتي" المفضلة لَدَيَّ وأنا طفلة قد أنجبت الأسبوع الماضي، ووعدتُ بأن أمرَّ عليها في أقرب وقت ممكن، أعطيتُ "مايا" الهدايا التي أحضرتها لها ولزوجها، فقالت إن "ماتي" سيسعد بزجاجة "الروم"، رغم أنها ستحرص على ألا يُفرط في الشرب.

بعد أن غادرَت، فتحت التليفزيون الذي ما زلت أشعر بأن وجوده بالكابينة غريب، وكانت نشرة الأخبار قد بدأت للتوِّ.

ظهر على الشاشة مذيعُ أخبارٍ تنمُّ تعبيراتُ وجهه عن خطورة الخبر الذي سيذيعه وقال:

– قُتلت سيدة أعمال فنلندية في "موسكو"، وعُثر على جثتها صباح الثلاثاء بالقرب من محطة مترو الأنفاق في "فرونزنسكايا"، وتحقق ميليشيا "موسكو" في الحادث.

3

رغم أن اسم سيدة الأعمال لم يُذكر، فإنني واثقة من أنها "أنيتا"، تجمعت خيوط الجريمة في يسر مثل قطع الأحْجِيَة، ولأن تأثير القهوة التي شرِبتها في وقت سابق أخذ يتراجع؛ شعرتُ بأن ذهني مشوش، قُتلت "أنيتا" بالقرب من محطة مترو أنفاق "فرونزنسكايا"، ولم تذكر الشرطة كيف أو متى قُتلت، لكنها قُتلت قبل صباح الثلاثاء وأنا ما زلت في موسكو، لم أتذكر على الإطلاق حتى ما إذا كنت بالقرب من تلك المحطة أم لا، ومرة أخرى.. لم أستطع تذكر أي شيء مما حدث بين عشية يوم الاثنين وبعد ظهر الثلاثاء.

ما زال وشاح "أنيتا" في حقيبتي، كيف حصلتُ عليه بحق الجحيم؟ لا أدري، أخرجته من الحقيبة وفكرت في أن أحرقه في موقد حمام الساونا، لو ألقيت برماده في البحيرة، فلن يدري أحد أنه كان بحوزتي.

فتحتُ هاتفي ووضعت الشريحة التي أعطيت رقمها لـ"أنيتا" ذات مرة ولكنها لم تتصل بي عليها ولو لمرة، وجدت أنني تلقيت عشر مكالمات أو نحو

ذلك، تفقدت أحدث مكالمة وبريد صوتي ونص رسالة فوجدت أنها جميعًا من "ريكا"، رفيقتي في السكن، وكلهم يحملون الرسالة نفسها:

"مرحبًا يا "هيلجا"، الشرطة تبحث عنك ولم يقولوا السبب، أخبرتهم أنك قد تكوني خارج البلاد في رحلة عمل، لكني لا أعرف أين، طلب قائد الشرطة "تيبو لايتيو"، من مكتب التحقيقات الوطني أن تتصلي به على هذا الرقم: 071-8787-007 أو تراسليه عبر بريده الإلكتروني:

Teppo.laitio@poliisi.fi

لدى مكتب التحقيقات الوطني ممثلون في موسكو و"سانت بيترسبرج"، لكن "لايتيو" هذا ليس واحدًا منهم، لن يعثروا على بالسهولة التي يتخيلوها، لكنني أدركت لماذا اعتبروني أحد المشتبه بهم الرئيسيين، كيف يمكنني الإجابة على أسئلتهم وأنا ليس لدي أدنى فكرة عن مكان وجودي وقت وقوع الجريمة؟ اتصل بي رئيس الشرطة "لايتيو" مرتين، ترك لي رسالة بريد صوتي وأخرى نصية، لم يخبرني بأي شيء عن القضية، بل كان يحاول استخلاص المعلومات مني، ووجدت أيضًا رسالة بريد صوتي أخرى بالإنجليزية من رقم مجهول قبل رسالة "لايتيو"، تقول:

"أنتِ لا تعرفين أي شيء عمن قتل ربة عملك، لا شيء مطلقًا، هذا إذا كنتِ لا تريدين أن ينتهي بك المطاف ميتة مثل ذاك "الوَشَق" الذي ترتدي ربة عملك فراءه، أتفهمين؟".

كان المتحدث رجلًا، ويتحدث بلهجة روسية ثقيلة، من النوع الذي يسهل تقليده، وقد يكون فنلنديًّا أو إستونيًّا أو بولنديًّا، حاولت تبَين أي وجه شبه بين صوته وصوت أي من زبائن بار "سفوبودا" المشاكسين، لكنني عجزت عن تذكرِ أصواتهم جيدًا؛ لأن تركيزي كان منصبًّا حينها على تجاهلهم تجاهلًا تامًّا، وكان ذلك غَلطة فادحة.

أردت معرفة المزيد عن تلك الفنلندية المقتولة في موسكو، حتى أتأكد من أنها "أنيتا" بالفعل، لم أتمكن من استخدام الإنترنت في الكابينة، ولكن لَدَيَّ خدمة إخبارية على هاتفي، بدأت أمرر الشاشة بحثًا عن مزيد من المعلومات، ولكني لم أجد في كل القنوات سوى المقتطف نفسه الذي سمعته بالفعل ذاك الصباح على شاشة التليفزيون، هل يجب أن أقود سيارتي ثلاثة عشر ميلًا حتى "أوتوكومبو" لشراء جريدة أعرف منها الأخبار؟ ربما لم يشترك "آل هاكاراينن" إلا في الجريدتين المحليتين: "سافون سانومات" و"ماسودون توليفايسوس" وكل منهما تستهدف القُرَّاء من المزارعين وحراس الغابات فقط.

إنَّ وجود "أنيتا" بمفردها بالقرب من محطة "فرونزنسكايا" بمترو الأنفاق ليس منطقيًّا، ما الذي كانت تفعله واضطرها أن تمشي بمفردها في وسط المدينة، أَيًّا كانَ المبرر؟ "أنيتا"! التي لا يمكن حتى أن تركب مترو الأنفاق في موسكو؟ كم من الساعات قضيناها في زحام المرور داخل سيارات أجرة تفوح منها رائحة التبغ الرخيص قبل أن نعثر على "شبالين"، حاولت الاتصال به مرة أخرى، ولم أسمع سوى تسجيل صوتي يشير إلى أن هذا الرقم لم يعد بالخدمة كما توقعت، وحتى اسمه.. هل كان "شبالين" حقًا؟ كان امتلاك بطاقة تعريف شخصية مفيدًا ليس فقط في الحصول على بيانات الاتصال الخاصة بك؛ بل وللحصول على هوية مزورة. هل تخلى "شبالين" عن "أنيتا" التي أصابها الذعر من استخدام سيارة أجرة أخرى فظنَّت أنها ستكون أكثر أمانًا لو استقلت مترو أنفاق مزدحم؟

تقع منطقة "فرونزنسكايا" جنوب شرق قصر "الكرملين"، بالقرب من نهر موسكو، وفي الأفق تلوح حديقة "جوركي" على ضفة النهر الشاسعة، كنت أركض عبر هذه المنطقة أحيانًا حتى النهر بعدما أتأكد من أن "أنيتا" آمنة في غرفتها الموصد بابها بالفندق، كما أن المكان لا يوحي بأنه موحِش؛ إنه لا يخلو من الناس أبدًا، ولو أنني قاتل مأجور لحاولت العثور على موقع أبعد لأنفذ فيه مهمتي.

لم أرغب في الاتصال بـ"لايتيو" على الفور؛ لأني خشيت أن تحاول الشرطة تتبع المكالمة عبر أبراج الهاتف المحمول لتحديد مصدرها، حذفت التهديد المنطوق بالإنجليزية بعد أن دونته وحفظته على ناقل البيانات حيث احتفظت بجميع الملفات التي تخص "باسكفيتش"، ثم راجعت ملاحظاتي السابقة حول اتصالاته بـ"أنيتا".

جُنِّد "باسكفيتش" من قِبل الاستخبارات السوفيتية قبل سقوط الاتحاد السوفيتي، ولكن عصر "يلتسين" بما ساده من رأسمالية فوضوية فتح له الباب للاستيلاء على أكبر عدد ممكن من الممتلكات، حاليًا يُطلق اسم "سلوفيك" على أي شخص ينتمي للطبقة الحاكمة ويحميه الرئيس ورئيس الوزراء، وهو ما يعني عمليًّا أن أعماله فوق القانون الروسي، وبالنظر إلى مكانة "باسكفيتش" فإن بقاء "أنيتا" على قيد الحياة وهي على علاقة به طوال هذه المدة يُعدُّ معجزة، امتلك "باسكفيتش" فيلا في "برومارف" ببلدة "تميساري" واتخذ منها ذريعة لزيارة فنلندا بين الحين والآخر، عرض على "أنيتا" أن يلتقيا قبل شهر من رحلتنا إلى موسكو، لكنها رفضت عرضه بلباقة، فهي لم تصدق ادعاءاته حول عقد هدنة وأيقنت أنه ينصب لها فخ.

أخرجتُ هاتفي الاحتياطي وأدخلت الشريحة الأخرى واتصلت بـ"ريكا" لكنها لم ترد، ومن على الهاتف وعبر بريدي الإلكتروني الجديد على موقع "الهوتميل"، كتبت بريدًا إلكترونيًّا إلى "مونيكا"، على الشرطة أن تبذل جهدًا أكبر إذا أرادت الاطلاع على رسائل البريد الإلكتروني الخاصة بي، كتبت لها أنني تركت وظيفتي لأني تشاجرت مع "أنيتا" والآن ماتت "أنيتا".

كنت أفتقد "مونيكا"، فبعد وفاة خالي "جاري" أصبحَت أعز صديقة لي؛ فقد كانت بديلًا للأخت الكبرى والخالة، وعلى الرغم من أن مطعمها "شي مونيك" يحمل اسمًا فرنسيًا، فإنه تخصص في المطبخ الفنلندي الاسكندنافي، مع التركيز على المكونات المحلية والصديقة للبيئة، وبالنسبة لها.. كان الطعام مُعَادِلًا للسياسة، أظن

أن هذا أغضب عددًا لا بأس به من المنافسين، ففي إحدى المرات.. سحب مجهول صمامات كهرباء ثلاجات التخزين خِلسة، مما أفسد طعامًا بلغت قيمته آلاف اليوروهات، بعد فترة وجيزة، ومرة أخرى أصيب بعض الزبائن بتسمم غذائي، وبعد تتبع مصدر التسمم اكتشفت "مونيكا" أن طَلَبيَّة من جبن الماعز قد حُقنت ببكتيريا "السالمونيلا"، وعندها قررت أن تستعين بحارس شخصي، وصادف أنني المرأة الوحيدة المتاحة لشغل هذا المنصب، فأصبحَت الوظيفة من نصيبي.

لم يمضِ وقت طويل على عملي لدى "مونيكا" حتى حاول أحدهم تسميمها، كان الفاعل سيئ الحظ؛ فقد تناولت رشفة من كوب شاي "مونيكا" قبل أن أتركها تشربه، وبالطبع ليس بمقدور أي شخص التعرف على رائحة سم "السيانيد"، ولأنها خشيت أن تخيف هذه الأخبار زبائنها، لم تتقدم "مونيكا" ببلاغ للشرطة، بعدها.. وأنا أتذوق كل طعام وشراب لا يتم تحضيره في مطبخها، وبعد الحادثة بثلاثة أيام تغيَّب أحد الطهاة وأبلغ أنه مريض ولم يعد للعمل مرة أخرى، ووضع غيابه حدًّا لهذه الحوادث، ومع ذلك.. أبقتني "مونيكا" في الوظيفة، حملنا لبعضنا بعضًا محبة، وانتهى بي الأمر إلى العمل لحسابها كمدبرة منزل وسائقة أيضًا بدوام جزئي، ولأنها فنلندية تتحدث السويدية؛ كنا نتواصل في أغلب الأحيان باللغة السويدية، مما أدى إلى تحسين مهاراتي اللغوية بشكلٍ لافت.

لو رآني "مايك فيرتيو" أستخدم المهارات الأمنية التي علمني إياها في أداء الأعمال المنزلية لاستشاط غضبًا، كان العمل لحساب "مونيكا" شيئًا يشبه الإجازة وهو ما أصابني بالملل في النهاية، عندما قرَّرَت "مونيكا" أن تقلب حياتها رأسًا على عقب وتنتقل إلى واحدة من أفقر البلدان في العالم موزمبيق، شعرت بالارتياح؛ لأن ذلك دفعني للتركيز على مسيرتي المهنية، كانت "مونيكا" امرأة مثالية آمنت بأن كل فرد ينبغي أن يحصل على طعام جيد بغض النظر عن ثروته، كما أنها خطَّطَت لاستخدام الأموال التي جمعتها من عشاق الطعام الفنلندي الأثرياء لمساعدة

الجوعى في موزمبيق، وهو ما أثار لغطًا في وسائل الإعلام، حتى خارج فنلندا، لأن الناس لا يستطيعون تقبل ما تفعله؛ لماذا تتخلى عن مؤسسة ناجحة مثل "شي مونيك" وعن دورها كطاهية تليفزيونية شهيرة وتذهب لتعيش بين الفقراء وتطبخ لهم الظباء أو أيًّا ما كانوا يأكلونه في أفريقيا؟

وفي اليوم الأخير قبل إغلاق مطعمهما، دعت "مونيكا" زبائنها الدائمين إلى عشاء أخير، وكان من بينهم "أنيتا نيوتينين"، وأثناء العشاء.. سألت "أنيتا" "مونيكا" كيف أتتها الجرأة على الذهاب إلى موزمبيق وحدها، بينما كانت "أنيتا" تخشى مجرد الذهاب بمفردها حتى إلى مكان مجاور لموسكو و"سانت بيترسبرج"؟

بدلًا من الإجابة على سؤالها عرضتني "مونيكا" عليها قائلة:

– لم يسبق لكِ أن استعنتِ بحارس شخصي، أليس كذلك؟ لَدَيَّ امرأة تصلح لهذه المهمة.

هكذا انتهى بي المطاف إلى العمل لحساب "أنيتا"، اكتشفت فيما بعد، أن العمل معها أشق من العمل لدى "مونيكا"، فلم يكن لدى "أنيتا" إلا هدف في الحياة سوى جمع أكبر قدر ممكن من الأموال، وشخصية من هذا النوع يسهل التعامل معها، أجبرتها الأموال على المخاطرة، ولكن غالبًا في مجال المال فقط، بذلت قصارى جهدها بالفعل لحماية رفاهيتها الحسية، ولذلك.. لا، ليس هناك أي شيء يبرر تجوالها بالقرب من محطة مترو أنفاق "فرونزنسكايا"، بل إنها منطقة لم تكن لتمشي فيها أبدًا بمفردها.

إن تَهَرُّبي من الشرطة سيُعرِّض رخصتي كحارسة للخطر، كنت بحاجة للعمل معها في هذه القضية، وتمنيت لو استطعت أن أتذكر أي شيء مما حدث بعد مغادرتي البار، كل ما استطعت تذكُّره هو ذاك الباب الخشبي المُصمَت،

هل وقف خلفه حارسٌ شهد ما حدث في الشارع؟ هل أخبر الشرطة أنه رآني أغادر من دون "أنيتا"؟ أم أنه شاهد شيئًا آخر؟

شعرت بأنني في حاجة لأخذِ قسطٍ من الراحة كي ألتقط أنفاسي وإلا فستنتابني نوبة هلع، بعد أن استعدت هدوئي.. أخذت أقارن بين خياراتي، كان عليَّ أن أمنح نفسي المزيد من الوقت وأحاول مجددًا أن أتذكر ما حدث، أثناء ذلك.. حاولت الاتصال بـ"باسكفيتش"، لا أعرف إلى أي مدى وصلت ميليشيا موسكو في تحقيقاتها في قضية "أنيتا"، في الواقع.. وبعدما أمعنت التفكير في الأمر، أرى أن اتصال أحدهم بي كي يُهددني أمرًا مريبًا، ألا يعني ذلك أن موت "أنيتا" لا يمكن اعتباره بأي حالٍ نوعًا من الكرِّ والفرِّ؟ هل كان "باسكفيتش" مغترًّا بنفسه لدرجة أنه اعتقد أنني سأختبئُ في بلدي مثل "وَشَق" جريح؟

الآن أنا نادمة على حذف التهديد من بريدي الصوتي، فالنسخة المطبوعة لن يُعتد بها كدليل، بالطبع أنا لا أعرف مع أي نوع من ضباط الشرطة سأعمل، فالناس لا يدخلون مكتب التحقيقات الوطني لأنهم يستسهلون ذلك أو لأنهم يريدون زيارة صديق، فكرت بعد المدرسة الثانوية في الالتحاق بأكاديمية الشرطة، ولكن بالنظر إلى تاريخ حياتي؛ أدركت أنهم لن يقبلونني.

عندما تجري الدماء في عروقي، يساعدني دومًا هذا على تصفية ذهني، ارتديت سروالي الرياضي وقميصًا من القطن ليمتصَّ العرق ولكي يحققا الغرض منهما كان عليَّ ارتداء حذاءٍ رياضيٍّ عاديٍّ، لَدَيَّ كذلك حبل للقفز؛ خفيف الوزن ومن جدائل مضغوطة ويمكن أن يفيدني إذا ما احتجت إلى تقييد شخصٍ ما، تفقدت السقيفة أولًا لمعرفة ما إذا كان "هاكاراينن" احتفظ بأثقال خالي "جاري" القديمة، نعم.. ما زالت هناك، جنبًا إلى جنب مع جهازه الذي ابتكره وكان يستخدمه في التدريب، وهو جهاز رياضي غير آمن بالمرة. اعتاد خالي

"جاري" الذهاب إلى السقيفة لرفع الأثقال، حتى لو بلغت درجة الحرارة بالخارج سالب 30، الآن الجو دافئ، حوالي 15 درجة حسب مقياس الحرارة. ظللتُ أقفز على الحبل حتى تَصبَّبتُ عرقًا ثم بدأتُ في رفع الأثقال. رفعت بعض الأوزان الحُرَّة الخفيفة أولًا، خمسة كيلو لكل ذراع، تعلمت كيف أقوم بتمرين مثالي لعضلات الذراعين وأنا في العاشرة من عمري.

كان خالي "جاري" قد تنافس على المستوى الإقليمي كرافع أثقال، لكن حياته المهنية انتهت لأنه كان منافسًا ضعيفًا ولم أرِثْ منه ذلك، وحتى في الجيش كنت أستمتع باستعراض قوتي، وأحيانًا أحمل حقائب ظهر لأشخاص آخرين بالإضافة إلى حقائبي، وفي أكاديمية "كوينز" الأمنية.. كان عليَّ إثبات أنني أقوى امرأة، حتى لو عرضني ذلك للإصابة؛ فكنت أتدرب أحيانًا بأن أقوم بحمل رَجُلين على ظهري يزن كل منهما 77 كيلو، فتنتاب "مايك فيرتيو" نوبة ضحك.

لن يضحك "مايك" الآن لو عرف ما فعلته، بل سيطلب مني على الأرجح رد شهادتي إلى الأكاديمية، بدأت عضلاتي تؤلمني، حتى لو استطعت رفع 90 كيلو، فما زلت أشعر بمشاعر سيئة حيال "أنيتا".

سمعت ضجة مفاجئة فانتفضت مسرعة، إنه مجرد سنجاب يقفز من شجرة إلى أخرى، كم من مرة طاردَت "فريدا" سنجابًا حتى على الشجرة، وكم من مرة حاولنا إقناعها أن مثل هذا الحيوان الصغير لا يُعَدُّ وجبة ذات بال لحيوان "وَشَق" بالغ، وفي النهاية.. اصطاد خالي "جاري" الأرانب البرية من أجلها دون أن يخبر رفاق الصيد، ووفق معتقداتهم، فلا بأس لأحدهم من أن يخرق القانون بشرط أن يشاركه الرفاق صيده، أتذكر "فريدا" وهي تقضم بسعادة الساق الخلفية للظبي الذي اصطاده "هاكاراينن" في غير موسم الصيد، ورأى أننا لا نستحق إلا بعض من قطع اللحم الخشن، بينما استاءت منه "مايا" للغاية لأنه

احتفظ بأفضل قطع اللحم لنفسه حتى أنها أحضرت لنا بعضًا من اللحم المفروم كتعويض، وكانت وليمة شهية، لم يكن من عادتنا شراء اللحوم من المتاجر، وإذا فعلنا.. فمن أجل "فريدا" فقط، لم نكن بحاجة إلى اللحوم فالعيش على بحيرة يعني أن بوسعنا الحصول على الأسماك بالقدر الذي نريده.

أخذت غُطسًا سريعًا في البحيرة، ثم توجهت إلى الساونا بعدها وقد أعجبتني المضخات الحديثة التي تم تركيبها. لم يحدث أن فكرت في افتتان خالي "جاري" بالتقشف حتى بلغت سن الرشد وبدأت أرى الأمر غريبًا؛ وحتى ذلك الحين، كانت أحوالنا تسير على ما يرام دون كهرباء ولا مياه جارية، وعندما أصبحت في المدرسة الإعدادية، حصلنا على مولد كهرباء لأن خالي أصبح في حاجة إلى الكهرباء كي يستمع إلى أقراصه المدمجة، كانت ممتلكاته الموسيقية تتكون من ألبومات مميزة لفريق البوب السويدي "ABBA"، استمات هو ورفاقه في الجيش لمشاهدة مسابقة الأغنية الأوروبية والتي فازت بها "ABBA"، وهناك وقعَ في غرامِ المغنية "فريدا"، نعم.. لقد سمَّى صغيرة "الوَشَق" على اسم أجمل مخلوق رآه في حياته، ولم يكن لي رأي في هذا الاختيار بالرغم من الصعوبة التي وجدتها في نطق هذا الاسم الأجنبي.

خرجت من البُحيرة وأعددت كميَّةً كبيرةً من الشاي الأسود، ولكن حتَّى هذا لم ينجح في تصفيةِ ذهني، فما زلتُ لا أتذكَّر ما حدثَ في موسكو، تحوَّلتُ إلى رقم هاتفي الرسمي واتَّصَلتُ بقائدِ الشرطة "لايتيو" وتركتُ له بريدًا صوتيًّا:

– مرحبًا، أنا "هيلجا إلفسكيرو"، لقد تركت لي بريدًا صوتيًّا، أنا في نزهةٍ برِّيةٍ في "لابلاند" بـالنرويج، وشبكاتُ التغطيةِ الخلويةِ ضعيفةٌ هنا، هل لي أن أعرفَ سببَ اتِّصالِكَ؟

التزَمَ "لايتيو" الصَّمتَ لدقيقةٍ، خطَرَت لي قصَّةُ النرويجِ تلكَ وأنا أرفعُ أثقالَ خالي، فهذا سيوفِّرُ لي بعضَ الوقتِ؛ ستجعلني أشعرُ بالهدوءِ والراحةِ لبضعةِ أيامٍ

على الأقلّ، ويمكنُني أن أتظاهرَ بأنَّني لم أسمعْ بما حدثَ لـ"أنيتا"، وشكَكتُ في أن "لايتيو" سوف يتتبَّعُ مكالَمتي، هذا ما لم يكن لدى الشرطة أوامرٌ باعتقالي، قال:

- النرويج، هه؟ هذه مفاجأة.

كان صوتُه أكثرَ غضبًا من بريدِه الصوتيِّ الأوَّل، أكملَ قائلًا:

- الأمرُ يتعلَّقُ بربَّةِ عملكِ، "أنيتا نيوتينين"، متى رأيتِها آخر مرَّة؟

من حيثُ المبدأ، تعوَّدتُ ألَّا أقولَ سوى الحقيقة دائمًا؛ ولكنَّ المرء يضطرُّ إلى اللُّجوء للكذبِ أحيانًا، أجبت:

- ربَّةُ عملي السابقة.. يا سيدي، أنا استقلت، وآخر مرَّة رأيتها كانت في موسكو بعد ظُهر يوم الإثنين، لكن لماذا تسأل؟

- أين رأيتِها بالضبط؟

روَيتُ له التَّفاصيلَ وتعلَّلْتُ بانقطاعِ الخطِّ أثناءَ تسجيل الرِّسالة لضعفِ شبكة التغطيَةِ الخَلَويَّة، أرادَ "لايتيو" أن يعرفَ كيف وصلتُ إلى النرويجِ من موسكو، فزَعَمتُ أنَّني قفزتُ من القطارِ في "كوفولا" قُرب الحدودِ الروسيَّة، حيث قابلتُ صديقَتي وركبنا القطارَ معًا إلى "يونسو"، وهناك استأجرنا سيارةً وقُدنا طوالَ اللَّيلِ حتَّى وصلنا إلى النرويج، ثمَّ سألته مجدَّدًا عن سببِ المكالمة، لكنَّ "لايتيو" واصلَ لعبةَ قط "الوَشَق" والفأر، قال:

- كنتِ الحارسة الشخصيَّة لـ"أنيتا نيوتينين"، فمن كان يهدِّدها يا تُرى؟

- لم يكن الأمرُ متعلِّقًا بحمايةِ حياتها بقدرِ ما كان متعلِّقًا بحمايةِ ممتلكاتِها يا سيِّدي، لكنَّها واجَهَت بعضَ المشكلاتِ مع شريكها السابق في العمل، "فالنتين باسكفيتش"، وأظن الآن أن هذا مجرَّد تاريخ قديم.

- أنتِ لا تعتقدينَ إذن أنَّ السيدة "نيوتينين" كانت معرَّضة لخطرٍ محدقٍ عندما استقلتِ؟

– ماذا تعني؟ ماذا حدث لــ"أنيتا"؟

على الرغم من أنَّ "لايتيو" تحدَّث معي كما لو كنتُ ندًّا له، فقد اخترتُ أن يكونَ حديثي معهُ رسميًّا كي يلزَمَ حدودَه، فسأل عمَّا إذا كنتُ أخطِّط للعودةِ إلى هلسنكي قريبًا؛ فأخبرته بأنني لا أعرف، وأنَّني أعتبر نفسي امرأة حرَّة الآن.

– حسنًا، الأفضل أن تعودي سريعًا، فقد قُتلَت "أنيتا نيوتينين" منذ ليلتينِ في موسكو.

تظاهرتُ بالصَّدمةِ فورَ سماعي الخبرَ منه واستمتعتُ بأدائي، حرصتُ على ألَّا أبالغَ في التمثيلِ، فأنا حارسةٌ محترفةٌ في مجالِ الأمن، ولست مراهقةً متقلبةَ المزاجِ، أخبرتُ "لايتيو" بأنَّني سأتحدَّثُ مع صديقتي حولَ خطَطنا وسوف أتواصلُ معه، أغلقتُ الهاتفَ وسادَ الصمتُ.

أدليتُ باسم "باسكفيتش" إلى "لايتيو"، سيعرفه قريبًا في كلِّ الأحوال، كما أنني لا أظنُّ أنَّ خوفَ "أنيتا" من "باسكفيتش" لم يكن بالقدرِ الذي حاولَت إقناعي به، لَدَيَّ أسبابٌ تجعلني أشتبه في شخصٍ فنلنديٍّ يلاحقُ "أنيتا" بخلافِ "باسكفيتش"، كانت "أنيتا" تؤجِّرُ ممتلكاتها للمسافرينَ من رجالِ الأعمالِ الفنلنديِّين الذينَ يحتاجون إلى مكانٍ للإقامةِ في موسكو، ذاتَ يومٍ سمعتها تتجادلُ مع أحدِهم باللغةِ الفنلنديَّة عبرَ الهاتف؛ يبدو أنَّ المستأجر أرادَ عدمَ تسجيل الإيجار في الأوراقِ الرَّسميَّة، ورفضَت "أنيتا" وقالت له بحزمٍ أنَّه ليس في وضعٍ يسمحُ له بأنْ يُطالبها بخرقِ القانونِ من أجلِ مصلحَتِه، وعليه ألَّا يدفعها لنشرِ هذه المعلومات حتَّى لا تكون نهايته، لم أسأل "أنيتا" مع مَن كانت تتحدَّثُ ولا أظنُّ أنها كانت ستُخبرُني، لكن بوسعي أن أعرفَ هويَّته مِن قائمةِ المستأجرينَ الذين يستأجرون الشُّققَ من الباطنِ حرصًا منهم على إخفاء هويَّاتهم، مثلما فعل عميلُ "أنيتا" الفنلنديُّ، ومع ذلك فقد شكَكْت في أنَّها ابتزَّته.

دفعتُ "لايتيو" إلى أن يصدِّقَ كذبتي حولَ علاقتي المزعومة بتلكَ الصديقة، رغم أنَّني بالفعلِ أتمتَّع ببعضِ الخبراتِ مع النِّساء، فأنا مارستُ كلَّ أنواع الأشياءِ وأنا في "نيويورك"، لكنَّني لم أرغب أبدًا في إقامةِ علاقة جدِّية؛ لأن علاقة الحبِّ أخطرَ أشكال التفاعل الإنسانيّ، هكذا تعلَّمتُ وأنا طفلة، مضَت حياةُ خالي "جاري" على ما يرام رغم أنَّه عاشَ بمفرده وكذلك أنا، حتَّى "الوَشَق" لا يتزاوجُ إلَّا خلالَ موسم التزاوج، وبعده تطردُ الأنثى الذكرَ، ثم تعتني بصغارها لمدَّة عام، إلَّا إذا حدث ولاقَت مصير أم "فريدا".

قرَّرْتُ أن أذهبَ للتَّحقُّقِ مِمَّا إذا كان "آل هاكاراينن" لديهم اتصالٌ بشبكةِ الإنترنت حاليًا أم لا؛ لأنَّني افترضتُ أنَّ المزارعينَ بحاجةٍ إلى الشبكةِ لتعبئَةِ كلَّ أنواع النماذج الإلكترونية الخاصَّة بالاتِّحاد الأوروبي، ومن هناك يمكنُني الاطِّلاع على الأخبارِ بالروسيَّة، حزمت قاموسي وقفزت في زورقِ التجديفِ، اشترى "ماتي" قاربًا جديدًا مصنوعًا من الألياف الزجاجيَّة ليحلَّ محلَّ قارب خالي "جاري" الخشبيّ القديم، فضَّلتُ هذا النموذج الجديد لأنَّ القديمَ أثارَ في نفسي ذكرياتٍ مؤلمة، وسمعتُ أنَّه احترقَ بفعلِ حرارةِ الصَّيف، وقد صُمِّم القاربُ المصنوعُ من الألياف الزجاجيَّة ليسيرَ بمحرِّكٍ بدلًا من المَجادِيف، وبمجرَّد أن أمسكت بالمحرِّكِ تمكَّنتُ من توجيهِ دفَّته بشكلٍ جيد، تبلغ المسافة من البحيرةِ حتَّى منزل "آل هاكاراينن"، حوالي نصف ميلٍ فقط، لم أجدِّفْ منذ أن كنتُ في "كوينز" عندما قُمنا بالتجديفِ في النَّهرِ الشَّرقيِّ، حتَّى تمثال الحرِّية، وكان مجهودًا صعبًا لاستحالةِ تكرارِه اليوم هناك؛ بسبب الإجراءات الأمنية المشددة، لم يَكُن هناكَ أحدٌ في البحيرةِ إلَّا طائر نورسٍ ظلَّ يُحلِّق فوقي حتَّى تأكَّدَ من أنَّني لا أنوي اصطياده.

بدا الهدوءُ على منزلِ "آل هاكاراينن"، وفي الحقلِ القريبِ منه رأيتُ الحصانَ "كيوتي" ومِن حوله تمرحُ مهرةٌ غشيمة، ربَّما ذهبَت "مايا" لقطفِ التُّوتِ بَينما يأخذُ "ماتي" قيلولةَ النَّهارِ اليوميَّة، ما زالَ الجرَّارُ في الفناءِ والمِحراثُ

متَّصِلًا به، كان موسمُ الحصاد الصيفي قد انتهى، ويعمل المزارعون الآن في الحقولِ قبل أن يبدأ الصَّقيع، كم من شهورِ صيفٍ أمضيتها في المساعدةِ خلالَ موسم الحصادِ جنبًا إلى جنبٍ مع خالي "جاري" ومع جيرانٍ آخرين.

طرقتُ البابَ ولَّما لم يجبني أحدٌ دفعته ودخلت، أعلم أنَّه مفتوحٌ فلا أحدَ في الرِّيف يُغلق بابَ بيته، دخلت ونظرتُ حولي، من الواضحِ أنَّهم جدَّدوا أثاثَهم بعد زيارتي الأخيرة وكسوه بجلدٍ بنيٍّ، أخذتُ أُنادي على "ماتي" و"مايا"، ثمَّ شقَقْتُ طريقي إلى الغرفةِ الخلفيَّة حيثُ المكتب، في ذلك الوقت كانت كتب مزارع الألبانِ تُحفظُ في مجلَّداتٍ من الورق المقوَّى البُنِّي، وها أنا أرى الآن جهاز كمبيوتر محمولٍ عمره بِضع سنوات، ولِحُسن الحظِّ لم يكن له كلمة مرورٍ، لذلك تمكَّنت من تسجيلِ الدُّخولِ على الفورِ، سأحتاجُ إلى إعطاءِ "ماتي" و"مايا" محاضرةً بسيطةً حول الإجراءاتِ الأمنيَّةِ الَّتي يجبُ أن يتَّبِعوها، فتحتُ المتصفِّحَ..

تصفَّحتُ الصُّحف الفنلنديَّة اليوميَّة أوَّلًا، إلَّا أنَّها كرَّرَت المعلومات نفسها الَّتي رأيتها بالفعلِ على شاشةِ التليفزيون، بينما أسوأ جريدةٍ في موسكو كانت مليئةً بالأخبار، هكذا فهمتُ بمساعدة قاموسي، زعمَت هذه الجريدةُ أنَّ "أنيتا" كانت سيدة أعمالٍ أثرت ثراءً فاحشًا من وراء بيع الفيلاتِ للرَّوس، نقرتُ على الرابطِ المصاحبِ للخبر، لم أكن جاهزةً للصَّدمَة الَّتي أصابَتني وأنا أرى "أنيتا" مستلقيةً على جانبِها في الشارع، وحولَ رأسِها هالةٌ بشعة من الدم، ومن باب اللياقة، وَضعت الجريدةُ فوق عينيها شريطًا أسوَد، إلَّا أنَّني تعرَّفتُ عليها، عندما أمعَنت النَّظر في الصورةِ رأيتُ أنَّ المسلَّح لم يكتفِ بتسديدِ رصاصةٍ واحدة، بل أطلقَ عليها النَّار عدَّة مراتٍ، بدت الطلقاتُ عشوائية، وتناثرت الدِّماءُ على معطفها الجديد المصنوع من فراء "الوَشَق"، وهكذا ذُبحَ "الوَشَق" مرَّتين؛ مرَّةً عندما سلخوا فراءَه، ومرَّةً عندما أطلقوا الرَّصاصَ على فرائِه المتهدِّل على ذاك الجسد.

أخذتُ أُحدِّق في الصورةِ لفترةٍ طويلة، كان المشهدُ مرعبًا، صحيحٌ أنَّ بمقدوري قتل إنسانٍ لأنَّ ذلك يُعتبرُ -على أيِّ حال- جزءًا من التدريباتِ التي تلقَّيتها، لكن هل كان بمقدوري أن أقتلَ "أنيتا" بهذه الطريقة؟ ما زلتُ لا أتذكَّر ما حدث في تلك اللَّيلة، ورغم أنَّ المسدَّس الذي استُخدمَ في قتلِها ليس مسدَّسي، فإنَّني لا أستطيعُ الادِّعاء حتَّى الآن بأنَّني بريئةٌ من قتلِها، ولا حتَّى بعد أن تلقيت هذا التهديدَ عبر الهاتف، لم يكن إثباتُ براءتي لرئيسِ الشرطة "لايتيو" كافيًا؛ بل عَلَيَّ أن أُثبت ذلك لنفسي أيضًا.

4

أغلقتُ جهاز الكمبيوتر وعدتُ إلى غرفةِ المعيشة، حيث انتظرتُ "آل هاكاراينن" لنصفِ ساعةٍ أخرى، وعندما لم يظهرْ أحدٌ؛ غادرتُ المنزلَ وذهبتُ لأرحِّبَ بالحصانِ والمهرةِ الَّتي تقدَّمَت نحوي وهي تعرُج، وأخذَت تمصُّ أصابعي كما لو كنتُ أمها، اعتدتُ أن أمتطي "كيوتي" وأنا أعيش هنا إلَّا أنَّها كانت حصانًا للعمل وليس للَّعب، ولم تُحب ارتداءَ السَّرج.

بعد محادثةٍ قصيرةٍ مع الخيولِ، بدأتُ رحلة العودة إلى "هيفونبرسينساري" وبصراحةٍ.. شعرتُ بالارتباكِ قليلًا مِن دون شبكةِ الإنترنت الَّتي لم أثبِّتها مطلقًا على هاتفي، ويرجعُ ذلك جزئيًّا إلى أنَّني خشيتُ من أن تُسهِّل الشبكةُ عمليةَ تتبُّعي، تعلَّمتُ في الأكاديميَّةِ أنَّه ينبغي ألَّا تترك وراءك أقلَّ أثرٍ ممكن؛ إذا أردت أن تكون غير مرئيٍّ، ولن يتمكنَ أيٌّ من "لايتيو" ولا "باسكفيتش" من العثورِ عَلَيَّ إذا أكثرتُ من تغيير شركة المحمولِ وشرائحَ الأرقام الخاصَّة بي بما يكفي لتضليلهم مع الاستمرار في التنقل.

لسوءِ الحظِّ أنَّ "أنيتا" قُتلت بالرَّصاص بعدما استقلتُ مباشرةً، كِدتُ أشعرُ بالذَّنبِ لأنَّني لم أعقد صفقةً مع "فالنتين باسكفيتش"، ولكن لا يبدو أنَّني

أُمثِّل له فائدةً كبيرة، ولا بُدَّ أنَّ رجاله من القتلةِ المأجورين تَتَبَّعونا في موسكو منذُ أيامٍ، ومن المؤكَّدِ أنَّهم اقتفوا أَثَري وأنا أستقلُّ القطارَ المتَّجِه إلى هلسنكي، ولعلَّهم مِن الرِّجالِ الذين دسُّوا لي المخدِّرَ في البار، كان القطارُ شِبه خالٍ تقريبًا، لذلك كان مِنَ السَّهل لِمَن يحملُ تأشيرةً فنلنديَّة أن يتعقَّبني.

تقرَّحَت راحتي مِن أثرِ التَّجديف، مما زاد مِن شعوري بأنَّني أصبحتُ من سكَّانِ المُدنِ ذَوي الأيادي النَّاعمة، مشيتُ إلى الغابةِ كي أقطفَ القليلَ من عنبِ الثَّور، ووجدته أمرًا سهلًا للغاية؛ لأنَّ العنبَ كان وفيرًا جدًّا هذا العام، عندما عدتُ إلى الكابينةِ.. بذلتُ قصارى جهدي لتصفيةِ ذِهني بالتأمُّلِ، لكنَّ الأفكار ظلَّت تُعاودني؛ ولم تفلح أيٌّ من الآليَّاتِ الَّتي تعلَّمتها في التَّخلُّصِ منها، كنتُ أعرفُ أنَّ النَّاس وهُم في حالةِ سُكرٍ ومخدَّرين لا يمكنُ أن يتنبَّؤوا بما قد يفعلوهُ وبما هم قادرون على فعله، وقد لا يتخيلون أنَّ بمقدورِهم أن يفعلوا هذا الشيءَ وهم في كاملِ قواهم العقليَّة، كنتُ غاضبةً من "أنيتا"، ولو أنها استفزَّتني فلا أحد يدري ما كنتُ سأفعل.

مكثتُ في المنطقة حتَّى يوم السَّبت، ظلَّ المطرُ ينهمرُ بلا انقطاعٍ تقريبًا، لذلك.. فإنَّ أحذيةَ المشي لمسافاتٍ طويلةٍ ومعدَّات المطرِ حقَّقَت الغرضَ منها كُلَّما خرجتُ كي أقطفَ الفِطر، ظلَّ "لايتيو" يحاولُ الوصول إليَّ، إلَّا أنَّني لم أُعاود الاتِّصال به، تناولتُ العَشاءَ مرةً واحدةً مع "آل هاكاراينن"، وحَكَت لي "ماتي" أنَّها رأت "سيبو هولوباينن" في "ماريانيفارا"، ويبدو أنَّ عروسَه التايلانديَّة الَّتي طلبَها بالبريد الإلكتروني قد هربَت مع رجلٍ من "كوبيو"، وهذا ما يفسِّر سببَ رؤيةِ "سيبو" وهو يشتري صندوقًا من مشروبِ "مون شاين" الكحوليِّ مِن "إركي كارو"، الَّذي يقومُ بتصنيعِ وتقطيرِ الخمورِ عاليةَ الجودةِ منذ خمسين عامًا.

الحقيقةُ هي أنَّ "سيبو هولوباينن" هذا كان آخر شخصٍ أخافه في حياتي، الآن أعرف أنَّ بمَقدوري التفوُّق عليه وهزيمته في الملاكمةِ والشِّجار وحتى المعارك الكلامية،

ولكن ذكرى خوفي القديم منه أثارت كراهِيتي له مجدَّدًا، وأظنُّ أنَّ من واجبي أن أكون مُمتنَّةً له؛ لأنَّه السبب الذي دفَعَني لأسجِّل اسمي في فُصول الدِّفاعِ عن النَّفس، وتدريبِ الحراسة، وأخيرًا.. الالتحاقُ بالجيش، فعندما بلغت الخامسة عشر، أدركت أنَّ خالي "جاري" لن يكون موجودًا دائمًا كي ينقذني من كلِّ أشباه "سيبو" في هذا العالم.

كانت أمسيةً من أمسياتِ شهر نوفمبر؛ لذا خرجَ خالي "جاري" لصيدِ الظِّباء، وكان دخولُ "هولوباينن" إلى نادي الصَّيدِ محظورًا بعد أن أطلقَ رصاصةً بالخطأِ على قدمِ نائبِ رئيسِ مجلسِ المدينةِ أثناءَ مطاردةِ الأرانب البرِّية، وقعَ نادي الصَّيد في ورطةٍ حقيقيةٍ لأنَّه حاول إخفاءَ ما حدث عن الشُّرطةِ وموظَّفي مركز الرعاية الصِّحِّية وكذلك زوجة الرجل المصاب، بل إنَّهم زعموا أنَّ صيادًا مجهولًا كان في الغابة وأصابت رصاصته نائب الرئيس، غير أنَّ زوجةَ النائبِ عبَّرت عن ثقتِها في أنَّ زوجها أخفقَ في التَّصويبِ وأطلق النَّار على قدمه، وألَمَحت بشكلٍ مسيءٍ للغايةِ إلى أنَّه غير متمكِّنٍ من إطلاقِ النَّار، وبسبب الانزعاجِ الذي أصابه.. أعلن نائبُ الرئيسِ أنَّ "هولوباينن" لم يَعُد محلَّ ترحيبٍ في جماعةِ رفاق الصَّيد.

وفي المساء نفسه، غطَّى صوتُ الموسيقى الَّتي كنتُ أسمعها على صوت الجرَّار الذي اقترب من بيتِنا، كان من المقبول بالنسبة لـ"هولوباينن" أن يقفزَ خلف عجلةِ القيادة وهو مخمورٌ؛ لأنَّ الجرَّار من الناحيةِ الفنيَّة مجرَّد مركبةٍ، قرَّر زيارة صديقه العزيز "جاري" حاملًا زجاجةً من الفودكا محليَّة الصُّنع، إلَّا أنَّه لم يجد أحدًا بالمنزلِ سوايَ.

كانت "جوانا سوسي" قد سجَّلت لي شريطًا لـ"مادونا"، المُغنية الَّتي عشقَتها كلُّ الفتيات في صفِّنا المدرسيِّ، وقد بذلتُ قصارى جهدي لتمشيطِ شعري مثل تسريحة شعرها، فجعلته معقوص اللفَّات قليلًا، لم أكن أرتدي سوى حمالة صدرٍ بيج، ولباسٍ داخليٍّ أرجواني فقط، وارتديت شالًا كروشيه جعلتُ منه تنُّورة، وأضفتُ

اللَّمسةَ الأخيرةَ بارتداءِ حذاءٍ أحمرَ عثرتُ عليه في العُليَّة، وكانا كعباهُ طويلين لدرجة أنَّ طولي بلغ ما يقرُب من 162 سم، واستخدمتُ المكنسةَ كميكروفون، دخل "هولوباينن" الكابينة وأنا أرقصُ على نغماتِ أغنية "Like a Virgin"، وكنَّا قد توقَّفنا عن إغلاقِ الباب بما أنَّنا لم نعُد بحاجةٍ إلى إخفاءِ "فريدا"، سألني:

– ماذا تفعلين؟ هل عمكِ هنا؟

ورغم أنِّي أخبرته أنَّ خالي ليسَ بالبيتِ، فإنَّه لم يعتبرْ ذلك إشارةً إلى أنَّه عليهِ أن يغادر، بل جلس إلى الطاولةِ، قال "هولوباينن":

– لقد كبرتِ وأصبحتِ امرأةً حقيقيَّة، نضجَ جسدُكِ، تعالي واشربي جرعة.

وضعَ يده في جيب الصَّدر وأخرجَ زجاجةً ومدَّ يده إليَّ، لم أتحرَّك.. وبسببِ الرَّقص فاحت رائحةُ العرقِ منِّي والآن بدأتُ أرتجفُ، وحتَّى أصل إلى غرفتي كي أرتدي بعضَ الملابس وأستُرُ جسدي، كان عَلَيَّ أن أمرَّ بجوار "هولوباينن"، وعندما حاولت أن أفعل، أمسك بي وجذبَني إلى حجره، كان وزنه لا يقلُّ عن تسعين كيلو، فحشَرَني كرشُه السمينة بين جسده والمائدة الَّتي حكَّت حافتُها ظهري بشكلٍ مؤلمٍ، قال:

– اعتادت أمُّكِ ارتداءَ تلكَ الأحذية لإثارةِ رجالِ البلدة، يبدو أنَّكِ تحذين حذوها.

أمسك "هولوباينن" ثدايَ بقوَّةٍ لدرجةِ أنَّهما برزا من حمالةِ الصدر، ثُمَّ مزَّق الشَّالَ، ورغم أنَّني كنتُ قادرةً على الدِّفاع عن نفسي دومًا، فإنَّني وقفتُ أمامَه مشلولة عاجزة عن التَّنفس، حاولَ دفع يده داخلَ ملابسي الداخليَّة، لكن سروالي الضيق حال دون ذلك، فدفَعني على الأرضِ وشعرتُ بمعدتِه الكبيرةِ فوق جسدي كقطعة لحمٍ صلبة تحجَّرَت بين جسدَينا، توقَّعتُ أن أموت في أيِّ لحظةٍ؛ لأنَّني أعلم أنَّ النِّساءَ إذا لم تفعل ما يريده الرجال؛ فمصيرهن الموت، وربما متُّ خنقًا بفعلِ ثقلِ جسدِ "هولوباينن" لولا دخولُ خالي "جاري" الغاضب؛ لأنَّ اللَّوم وقع عليه عندما فلتَت منه

ظَبْيةٌ ولم يكن الذنبُ ذنبه، ولم يسعده رؤيةُ جرَّار "هولوباينن" أمام البيتِ لأنَّ المدعو "هولوباينن" هذا دائم التنمُّرِ على الآخرين، وهو من أطلق النَّار على أمِّ "فريدا".

عندما تحدَّثنا عن الواقعة فيما بعد، قال خالي إنَّه يحمدُ الرَّبَّ أنَّني كنتُ أمسكُ بالمكنسة كميكروفون وليس بفأسٍ، فرَّ "هولوباينن" من فرطِ الكدماتِ، وتظاهرَ فيما بعد أنَّه لا يتذكَّرُ ما حدث، لكنَّ بوسعي أن أقولَ من الطريقةِ الَّتي نظرَ إليَّ بِها أنَّه يتذكَّر كلَّ شيءٍ، كان ينبغي أن نتقدَّم ببلاغٍ للشرطةِ، لكنِّي أظنُّ أنَّ خالي "جاري" خَشِي أن يأخذوني منه، سبَّبَ لي هذا الموقفُ صدمةً شديدةً، حتَّى أنَّني لم أشعر بأيِّ رغبةٍ في الحديثِ عنهُ إلى أيِّ مخلوقٍ، بعدها اصطَحَبني خالي إلى حمَّام الساونا حيثُ فركتُ بشرَتي بقوَّةٍ حتَّى جرحت نفسي، أحرَقنا كلَّ الملابس عدا حذاءَ أمِّي، وبعد بضعِ ليالٍ اشتعلت النيرانُ في جرَّار "هولوباينن"، ولم يكتشفوا من فعلها، كنتُ أنا الشَّخصُ الوحيدُ الَّذي شَمَّ رائحةَ البنزينِ تفوحُ من خالي تلك الليلة.

منذ تلك اللَّيلة ولسنواتٍ طويلة لم أعد أستمعُ إلى "مادونا"، حتَّى ذهبتُ إلى "نيويورك" وأجبرتُ نفسي على الذِّهاب إلى حفلتِها الموسيقيَّة، وبينما أخذت أرقصُ على أنغام "Like a Virgin" تخيَّلتُ ما يمكن أن أفعله بـ"هولوباينن" لو أنَّني رأيتهُ في يومٍ من الأيَّام، سوف أطرحه أرضًا عدَّة مرَّاتٍ وأكسِّر عظامَه، أو أصوِّب مسدَّس "الجلوك" إلى وجههِ وأجعله يرقصُ حتَّى يتبوَّل في سرواله ويتوسَّلُ لي طالبًا الرحمة.

الآن.. لم أعد أخافُ منهُ وهزمتهُ بالفعلِ في ذِهني، مثلما سأهزم "باسكفيتش" و"لايتيو" بالضبط، طلبتُ من "ماتي" أن تُوصل تحيَّاتي إلى "سيبو"، لا يهمني كثيرًا ما إذا كان يُفرط في تعاطي الكحول حتَّى الموت أم لا، ولكن من العار أنَّه حيٌّ بينما خالي ميِّت.

عاملني "آل هاكاراينن" باعتباري صديقة قديمة، وظلُّوا يربِطونني بالماضي الذي ظنَنْت أنَّه ولَّى مُنذ زمنٍ بعيدٍ، فأنا لم أُواظب على التَّواصُل مع أيِّ شخصٍ من مدرستي

الثانويَّة؛ لأنِّي كرهتُ اطِّلاعَهم على كلِّ أسراري، وبمجرَّد أن أتمَمْتُ الامتحانات النهائيَّة، قطعتُ مسافةَ ثلاثمائة ميلًا بعيدًا عن بيتي إلى "فانتا"، إحدى ضواحي هلسنكي، لأحصلَ على تدريبِ الحراسة ثمَّ عملت في عدَّة مدنٍ أخرى مختلفة، وبعدها التحقتُ بالجيشِ فورَ أن فتحوا بابَه أمامَ النِّساء، كان انتقالًا سلسًا بالنسبةِ لامرأةٍ مثلي؛ لأنِّي عشتُ طوال حياتي مع رجلٍ واحدٍ في البيت نفسه، وتعاملتُ مع البنادقِ والمسدساتِ باعتبارها أدواتٍ منزلية، ورغم أنَّهم وضعوا أولئكَ السيِّدات اللَّاتي التحقنَ بالجيش الفنلنديِّ تحت المِنظار، فإنَّني لم أمانع أن أصبحَ رائدة في هذا الميدان.

خلال فترةِ التحاقي بالجيشِ، سمعت عن أكاديميةِ "كوينز" التي تقدِّم برنامجًا متخصصًا في الأمنِ مُدَّته عامين، وأغرَتني فكرةُ الهروب إلى "نيويورك"؛ حيث لا يعرف أحدٌ خلفيَّتي الاجتماعية ولا تاريخَ حياتي، كانت مشكلتي الوحيدة هي المال الذي لم أكن أملكه، فتكلفة التدريب تبلغ 20000 مارك فنلنديّ، أي ما يعادل تقريبًا 3000 يورو سنويًا، ناهيك عن تكاليف الإقامةِ، والطعامِ، والسفر.

بعد أن أنهيت خدمتي بالجيش، حصلت على ثلاثِ وظائف، كلٌّ واحدةٍ منها تعدُّ ضربًا من الجنون لأن معظم دخلي من الثلاثة يُدفعُ للضرائب، أثناء عملي كحارسة.. وَزَّعتُ الصُّحف المجانيَّة، وجمعتُ بينها وبين وظيفةٍ عاملة نظافةٍ كلَّما وجدت وقتًا، وفي البداية أخفيت خطتي الكبرى عن خالي؛ لأنَّه واجه بالفعل أوقاتًا صعبةً عندما عشتُ بعيدًا عنه في "فانتا"، رغم أنَّه استوعب سبب هذا الاختيار؛ وهو عدم وجودِ وظائفَ في "كافي"، ولعلَّه تمنَّى سرًّا أن أتزوَّج من فتى مدلَّل من قريةٍ مجاورة وأُصبح زوجةً لمزارعٍ، ولكن لا بُدَّ أنَّه أدركَ أنَّ مثل هذه الحياة لا تناسبني.

وبسببِ قيامي بوظيفتين؛ لم أستطِع زيارةَ خالي "جاري" لفترةٍ طويلة، فتلقيت مكالمةً منه قال فيها:

- ما تريده لن يأتي إليك دون أن تذهب إليه أولًا.

شعر خالي بعدمِ الارتياح في المدينة، حاول ألَّا يبدو ريفيًّا غيرَ مُتحضرٍ فاشترى سروالًا جديدًا من الجينز، وقصَّ شعره حسب الموضة، واستخدم صابون الصنوبر لأنَّه كان مقتنعًا بأن رائحته أفضل من معظم أنواعِ الكولونيا.

فُوجئَ خالي بمدى الإرهاق الذي يبدو عَلَيَّ، وافق زميلي في العمل على أن يذهب للمناوبةِ بدلًا مني بعدما رجوته، ولكنِّي ظللتُ في حاجةٍ لتوزيع الصحفِ في الصباحِ الباكرِ، وعندما أخبرتُ خالي عن الوظيفتين، انزعجَ وقال:

– هل العيش في المدينة باهظ الثمن إلى هذا الحد؟ ألَا تكفي وظيفةٌ واحدةٌ لإعالة شخص واحد؟

هنا حانت اللحظة المثالية لتحقيق حلمي وإبلاغ خالي به رغم أنَّني أعلم أنه لن يعجبه، وعلى أيِّ حالٍ فإن "نيويورك" تقع على الجانب الآخر من المحيط، بعدما أبلغته.. جلس خالي صامتًا لفترةٍ من الوقت، ثم بدأ في التجوُّلِ في أرجاء الشقَّة مثلما تفعلُ "فريدا" كلَّما حبسناها في السقيفة، وأخيرًا قال:

– لكنكِ تملكين الكثير من الأموال في البنك، تركَت لكِ جدتكِ خمسين ألف مارك، وقد حافظتُ على المبلغ بعيدًا عن متناول يدكِ خشية أن تقعي في حبِّ مجرمٍ مثلما حدث مع والدتكِ و..

لم يكمل خالي "جاري" كلامه لأنَّه أتى على ذِكر ما لا يجب أن يُذكر.

شعرت برأسي يدور، هل هذه الأموال ملكي فعلًا؟ إنها تكفي لشراء سيارةٍ أو السفر حول العالم! نصَّت وصيةُ جدتي على أنَّه لا يحقُّ لي سحب هذه الأموال قبل أن أبلغ الرابعة والعشرين من عمري إلَّا إذا حصلت على موافقةِ خالي، وبمجرَّد أن رقَّ خالي لحالي، سافرتُ إلى "نيويورك".

كان هدفي الوحيد هو التخرُّج من أكاديمية الأمنِ مع مرتبةِ الشَّرف، كان التواجدُ في الأكاديمية بسياساتها الصارمة، وروح الزمالةِ السائدة فيها شيئًا يُشبه العودة إلى الجيش مرَّةً أخرى، رغم أنَّ المجموعة تتألَّف هذه المرة من أشخاصٍ يحملون خلفياتٍ متنوعة، التجربة ككلٍّ اختلفَت تمامًا عن تجربتي في "هيفونبرسينساري" ولأقصى حد، غير أنَّني لم أنسَ موطني قط.

قرَّرت يوم السبت أن أتوقَّف عن الاستغراقِ في الذكرياتِ وأواجهُ الواقعَ، حان الوقت كي أتحمَّل مسؤوليةَ ما فعلته في موسكو، وبينما كنتُ أقود السيارةَ في طريق عودتي إلى "يونسو" قلتُ لنفسي أنني ارتكبتُ أكبرَ غَلطةٍ في حياتي عندما تركتُ "أنيتا" بمفردِها في موسكو، وسأحملُ هذا الذَّنبَ مدى الحياة، ومن "يونسو".. ركبتُ القطار واتَّصلتُ بـ"لايتيو" وأخبرته بأنَّني سأصلُ هلسنكي قريبًا، أثناء تحدُّثي معه.. بدأت واحدةٌ من الفتياتِ المراهقاتِ السخيفاتِ الجالساتِ أمامي في الضَّحكِ بصوتٍ عالٍ، وشعرتُ بحرج "لايتيو" عندما سمعني أقولُ لها:

- أتظنِّينَ أن هذا مُضحك؟

ثم نهضتُ من مقعدي ومشيتُ حتَّى نهاية العربة كي أستطيعَ التحدث إليه، قال "لايتيو":

- أنتِ في القطار إذن؟

لا بد وأنَّه قد لاحظ تغييرًا في الأصوات.

- متى ستصلين "باسيلا"؟

عندما أخبرته قال إنَّه سيأتي كي يُقلني بسيارته، لم أرغب في أن أُشير إلى أنَّ القطار توقَّف في "تكوريلا" أيضًا؛ حيث توجد مكاتب يشغلها المكتبُ الوطنيُّ للتحقيقات، سأدعه يلفُّ ويدور بالسيارةِ إلَّا إذا أسعفَه ذكاؤُه واكتشفَ الأمر.

أكمل قائلًا:

– سأنتظركِ أعلى السُّلم الكهربائي، لن أرتدي زيِّي الرسميِّ، لكنَّني سأتعرف عليكِ من الصُّور التي لَدَيَّ بالسِّجل.

بدا كلامُه وكأنَّه يحمل تهديدًا ووعيدًا، لحسنِ الحظِّ كان لَدَيَّ بضع ساعات في القطار كي أعدُّ ذِهني لاجتماعنا، أنا بريئةٌ، لذا لا داعٍ للقلق، أنا بحاجة لتبنِّي هذا الموقف إذا أردتُّ أن أقنعه، بدأتُ أشعر بالنُّعاس بعدما بذلت قصارى جهدي كي أسترخي، لكن سرعانَ ما عاودتني الأفكارُ عن "أنيتا" وعن الأيَّام القليلةِ الماضية، فمن كانت تقابلُ يا تُرى في "فرونزنسكايا"؟

من الصعب شرح المعركة التي نشبَت بيننا حولَ فراءِ "الوَشَق" لأيِّ شخصٍ لم يقابل "فريدا" الَّتي أعتبرُها أكثرَ من مجرَّد حيوانٍ أليفٍ، إنَّها بمثابة أختٍ لي، وعلى الرغم من ترويضها جزئيًّا، مثل جميع الحيوانات البرِّيَّة، فقد ظلَّت ردود أفعالِ "فريدا" غير متوقَّعة، إنها تسترشِدُ بغرائزِها، ودون سابق إنذارٍ تنظرُ إليَّ أنا وخالي "جاري" باعتبارنا أعداءها، ولكن لم يحدث أن هاجمَتنا قط، وإذا زمجرت بغضبٍ نتجنبها ونؤثرُ السلامة.

كلما شعرتُ باسترخاءٍ حقيقيٍّ، أجد نفسي أتحوَّل إلى "وَشَق"؛ أشعرُ بالفراء ينمو على جلدي، وبآذانٍ مرفوعةٍ تخرج من رأسي، وبذيلٍ قصيرٍ يهتزُّ كي يتوازنَ جسدي، وبملمسِ الثَّلجِ ناعمًا تحت قدمي، وبمخالبي تضربُ الجليدَ كي تتشبَّثَ به بشكلٍ أفضل، وبأنَّني أركضُ وراء أرنبٍ بريٍّ؛ كنت الصيادة ولست الطريدة.

تمسَّكتُ بهذا الشُّعورِ عندما نزلتُ من القطار في "باسيلا"، حيث كان المطرُ غزيرًا لدرجة أنَّه بلَّل حتَّى هؤلاء الذين يقفون تحت المظلَّات، رصدت "لايتيو" في لمحِ البصر؛ إنه ذاك الرجل صاحب المظهرِ المُتَأَفِّف الواقف أعلى السلَّم الكهربائي، وعلى الرغم من قصرِ قامته بالنسبة لرجلِ شرطةٍ، كشفت وقفته – الحذرة والمسترخية في آنٍ واحِد– عن طبيعةِ عملِه، وبمعطفه القصير الأزرق

الداكن وقبعته ذات الحواف بدا أنه يستلهم خطوطَ الموضة الخاصَّة به من الأفلام الأمريكيَّة، كما أنَّ شكل شاربه يعود إلى حقبة السبعينيات، ولعنتُ نفسي لأنني لم أرتدِ حذاءً بكعبٍ عالٍ، فالرجال لا يستخفُّون بامرأةٍ أطول منهم، قلت:

- مرحبًا بك، أنا "هيلجا كانيرفا إلفسكيرو"، اسمي الآن "إلفسكيرو"، وليس "سورلواته"؟

أراد "لايتيو" أن يُعَرفني أنه أدى واجبه المنزلي تجاهي، فشعرت أنني قط "وَشَق" وهو أرنبٌ بريٌّ، لعله يستطيع الإفلات من قبضتي إلَّا أنه ليس في وضعٍ يسمح له بتهديدي، قادَني إلى سيارتِه الـ"فولفو" الزرقاء الداكنة وعلى ما يبدو أنها ملكه؛ فمكتب التحقيقات لا يمكن بأيِّ حالٍ من الأحوال أن يمنح موظفيه مثل هذه السيارات الأنيقة، جلست بالمقعد الخلفيِّ كما لو كنت أستقلُّ سيارةَ أجرة، وفي مرآة الرؤيةِ الخلفيَّة التقَت عيني بنظرةِ "لايتيو" الغاضبة بفعل المفاجأة.

بدلًا من اتِّخاذِ الطريق المؤدِّي إلى مكاتب التحقيقاتِ قاد "لايتيو" السيارةَ باتِّجاهِ "تولو"، وفسَّرَ ذلك قائلًا:

- لَدَيَّ مكتبُ منزلي هناك لأن العمل لأوقاتٍ إضافيَّةٍ طويلةٍ يُجهدني، ويمكنكِ العودةُ إلى المنزل عن طريق الترام، أتمنَّى أن يكون لديك اشتراك حافلة، لا داعي لإنفاق أموال الحكومةِ على دفع الأجرة.

لماذا لم أطلب منه أن يُظهر لي شارَتَه؟ هل كان هو "لايتيو" حقًا وليس داهية من هؤلاء المجرمين المأجورين الذين تمكَّنوا من الحصول على رقم هاتفي من داخلِ مكتب التحقيقات؟ كل ما استطعت رؤيته من المقعد الخلفيِّ كان شاربٌ طويلٌ كثيفٌ والذي بدا مزيفًا، كما ارتدى قبَّعة أخفت شعره.

تمكن "لايتيو" من العثور على موقف سياراتٍ خلف الاستاد الأولمبي، وتبعته إلى بهوِ بنايةٍ يصعب تصنيفها، ألقيت نظرةً خاطفة على قائمة أسماء السكان في الطوابق السبعة، وعزائي الوحيدُ هو أنني وجدت اسم "لايتيو" بينها، حُشرنا في مصعدٍ صغير، وبمجرَّد إغلاق باب القفص القديم، تخيلت "فريدا" وهي حبيسة السقيفة وتخدش الأبواب بشراسة، نظرت للأسفل، إلى حذائه الأسود، بثقوبه المنمَّقةِ ورباطه الأبيض والأسود، فاحت رائحة دخان السِّيجار من "لايتيو".

على باب أحد الشُّقَق كُتب اسمُ "لايتيو"، إلَّا أنَّه توجَّه إلى بابٍ آخر بلا لافتةٍ وفتحه، اعتقدتُ أنَّه كان مدخلًا للخدمات والإمداداتِ في الماضي، كانت رائحة السيجار أقوى في الدَّاخل، وعندما خلع "لايتيو" قبَّعته، رأيت أن رأسه أصلع، مدَّ يده لأخذ معطفي، فلمس ظهري عرضًا، فجفلت، إذا رأى "مايك فيرتيو" ذلك، لعاقبني بالرَّكضِ حول البنايةِ عشرات المرات.

كان "لايتيو" يرتدي سترةً رماديةً داكنةً مقلَّمة، ورباط عُنق به رسومات على شكلِ مربعات، فتح بابُ مكتبه الذي كان معبَّقًا برائحة دخان السيجار، لم أنتظر حتَّى يطلب منِّي الجلوس، بل جلستُ على الأريكة الجلديَّةِ الداكِنة، رمى "لايتيو" نفسه على مقعدِ مكتبه وفتح درجَ المكتبِ وأخرج علبةَ سيجار، بعدما اختار نوع السيجار، فصل طرف السيجار بحركةٍ خاطفة، عندما وضع "لايتيو" السيجار السميك بين شفتيه، لم أجد منظرَه جذَّابًا، قال وهو ينفث الدخان تجاهي:

- لا يُسمح لنا بالتدخينِ في مكاتبِ التحقيقات، ولكنِّي أتمتَّع بهذه الميزة المتواضعة هنا.

لعلَّه يعرف قوانين التَّدخين أفضلَ مني ويستطيعُ أن يعدِّد أسبابَ السماحِ له بالتدخين هنا، ولعلَّ "لايتيو" نسيَ أنَّني كثيرةُ التردُّد على روسيا، حيث يدخِّن الناس هناك بشراهة، ومن ثَمَّ فإن قليلًا من الدخان لن يزعجني.

بدأ يسألني عن تاريخي الوظيفيِّ، لم أرَ أمامَه جهاز كمبيوتر أو جهاز تسجيلٍ، لا شيء سوى دفترين لتسجيل الملاحظات فقط، ولم أرهُ يدوِّن بهما أيَّ شيء.

أخذ "لايتيو" يقول شاكيًا:

– إنهم لا يهتمُّون إلَّا بتوافهِ الأمور، مثل قوانينِ التدخينِ، لكنَّهم يتجاهلونَ القضايا الحقيقيَّة، مثل جرائم القتل.

دخَّن سيجاره، وفجأةً غيَّر الموضوعَ وقال:

– هل تخطِّطين أنتِ وصديقتكِ لإقامةِ حفل زفافٍ بالكنيسةِ رغم أن الأساقفة ما زالوا ضد هذه الفكرة؟

– وهل هذا من شأنكَ؟

– أنا أتساءلُ فقط عمَّا إذا كنتِ مؤمنةً أم لا، هل أقمتِ علاقة مع "أنيتا نيوتينين"؟

– أنا لا أعبث مع عملائي، وحسب علمي.. فإن "أنيتا" تميلُ للرِّجال فقط.

– وهل أثار ذلك غيرتك؟

لم أرد على أسئلتِه السخيفة، وتركته يدخِّنُ سيجاره بصمتٍ وأنا أراقب حركة شاربه، كان لدى "فالنتين باسكفيتش" شاربًا أيضًا، لكنه من طرازٍ أوروبيٍّ أكثر، صغيرٌ ومبروم، سأل:

– سافرتِ إذن إلى أمريكا للتدريب على الأمن، هه؟ هل تحملينَ مسدسًا دائمًا؟

أردت أن يكون ردِّي على سؤالِه بسحب مسدَّسي وإشهارِه في وجهه، لكنني لم أرغب في أن يصادره، ثم سألني عن الأشخاص الذين كانوا يهدِّدون "أنيتا". قلت:

– باعتباري حارستَها الشخصيَّة كان عملي يتعلَّق بالسلامةِ العامَّة أكثر من أيِّ شيءٍ آخر، لكن مثلما قلت لك عبر الهاتف، كانت "أنيتا" خائفةً من شريكها التجاري السابق "فالنتين باسكفيتش" وهو حبيبها أيضًا.

ظلَّ "لايتيو" صامتًا لبرهةٍ، ثم قال:

- حبيبها؟ هل كان "نيوتينين" أو أيًّا كان اسمه، حبيبها؟
- نعم، لعدة سنواتٍ، أظنُّ أنك لم تحسن القيامَ بواجبك الخاص بتاريخ "أنيتا".

- أشكرك أيتها المُتذاكية، لا يبدو أن للسيدة "نيوتينين" أيُّ أصدقاءٍ وحتى ابنتها تعيش في مكانٍ ما في آسيا ولن تعود إلى فنلندا إلَّا في وقتٍ لاحقٍ من هذا الأسبوع، أخبريني الآن بالمزيد عن "باسكفيتش" هذا.

كان من الحكمة تغيير مجرى الحديث بعيدًا عني، لذلك اغتنمت فرصةَ ذكره لاسم "باسكفيتش" وأخبرته بكل ما أعرفه عن أعمال "أنيتا" و"باسكفيتش" التجارية، وكل عمليات الاحتيال التي تورَّطا فيها بعدما دبَّ الخلافُ بينهما، كتب "لايتيو" بعض الملاحظات ولم يقاطعْني مرةً واحدة، قال متعجبًا:

بدأتِ العملَ إذن لحساب السيدة "نيوتينين" بعدما انفصل العاشقان "أنيتا" و"باسكفيتش" ولا بد أنَّها كانت تأخذ العملَ على محملِ الجدِّ.

ثم أكمل قائلًا وكأنَّه يقرأ من نصٍّ مكتوب:

- أقصد هل وجدتِ الكثيرَ من العمل معها؟ أقصد قتالًا وإطلاقَ نار، مثل الحارس الشخصي الحقيقي؟ هل كنتِ تطلقين على رؤوس الرجال وتركليهم في خُصْياتهم؟

- لم يكن هذا ضروريًّا، مجرَّد مرافقتي لها حمايةٌ كافية.
- يبدو أن "أنيتا نيوتينين" قُتلت بعدما تركتيها مباشرة، لماذا استقلتِ فجأة؟ هل شعرت صديقتك بالغيرة؟
- استقلت لأن السيدة "نيوتينين" قررت شراءَ معطفٍ من فراء "الوَشَق" ولم يعجبني ذلك منها.

انفجر "لايتيو" في الضحك حتَّى اهتزَّ شاربُه وقال:

– أتظنِّين أنني سأصدِّق قصتكِ هذه؟ أنت غير ناشطة في مجال حقوق الحيوان؛ كما أنكِ امرأة مجنَّدة في الجيش! من دفع لكِ كي تتخلي عن السيدة "نيوتينين"؟ أهو "باسكفيتش" أم أحدُ أتباعه؟ هل ثلاثون روبلًا من الفضة مبلغ كافٍ لكِ؟

من الواضح أنه لم يصدق قصة "الوَشَق" ولم يكن بحاجةٍ إلى الاطلاع على تاريخ حياتي، أكمل قائلًا:

– أم هل فعلتِ ذلك بنفسك؟ استدرجتِها إلى شارعٍ هادئٍ ثم قتلتِها؟ وها أنتِ الآن جالسة هنا تتصرفين بكلِّ براءةٍ إلى أن تتواري بعيدًا عن الأنظار، وتُنفقي أموالَ قتلها في جزيرة "ليسبوس" مع صديقتكِ، أو أيًّا ما كان يفعله أمثالكِ.

لم أستطع منع شعوري بالكراهيةِ تجاه "لايتيو"، ولكنَّ شكوكه تدلُّ على أنَّ مكتبَ التحقيقات وميليشيا موسكو لم يعثُرا على أيِّ دليلٍ يفيد في حلِّ لغز القضيَّة، ولعلَّهم لم يرغبوا حتَّى في التورُّطِ فيها، قلتُ:

– من المؤكَّد أن لديك حق الوصول إلى سجلات هاتف "أنيتا نيوتينين" ويمكنك التحقُّق منها لترى أنَّني اتَّصلتُ بها عدة مراتٍ، حتَّى بعدما ماتت بالفعل، لماذا فعلت ذلك لو أنني القاتلةُ حقًا؟

أطلق "لايتيو" ضحكته البغيضة مجددًا وقال:

– هل تظنني يا عزيزتي أنني أحمق؟ مؤكد أنكِ تظنين ذلك وإلا لما جلستِ هنا وطرحتِ هذا السؤال البريء! أنت ندمتِ على التخلِّي عنها، هه؟

– نعم ندمت، وحاولتُ الاتصالَ بها.

أوشكتُ أن أخبره أنَّني سعيتُ خلفَ "أنيتا"، إلَّا أنَّ هاتفه رنَّ وقاطعنا، وبعدما رد بدا عليه الغضبُ مما يقوله الطرفُ الآخر.

قال لي بحدَّةٍ:

– هل يمكنكِ مغادرة الغرفة لحظة؟ اذهبي إلى الردهة، سأستدعيكِ بمجرَّد أن أنتهي من المكالمة، وإياكِ أن تحاولي مجرَّد التفكير في الهربِ، لو فعلتِ سأرسلُ في أعقابكِ نصفَ شرطةِ هلسنكي.

نفَّذتُ ما أمرَني به، على الرغم من أنَّ إملاء الأوامر عَلَيَّ يُزعجني، شعرت براحةٍ عندما خرجت من الغرفة المليئةِ بدخانِ السيجار ودخلت الردهة؛ حيث يمرُّ هواءٌ أكثَرَ نقاءً عبر شرفتها، لدهشتي استطعتُ سماع صوت "لايتيو" قادمًا من نافذةٍ صغيرةٍ كانت تسمحُ بخروج الأصواتِ أكثر مما تسمحُ بخروج الدخان، كان يتحدَّث باللغة الإنجليزية وبلهجةٍ ثقيلة:

– أنا لا أصدقكَ، كل هذا هُراء وأنت تعرف ذلك، اسكت! سوف أتصل بالسفارة الفنلنديَّة ووزير خارجيَّتِنا.

عندما سكت، تسلَّلْتُ عائدةً إلى الردهة، وسرعانَ ما ظهر عند الباب ووجهه أحمر من شدَّة الغضب، وقد غطَّت حبَّاتُ العرق رأسَه الأصلع ومدَّ يده وجذبني إلى الداخل، صرختُ فيه:

– ارفع يدك عني وإلا سأتقدَّم بشكوى رسمية!

– ومن سيصدقكِ؟ أنا أعمل شرطيًا منذ اثنين وثلاثين عامًا دون أن تُسجَّل حادثةٌ واحدة ضدي، إنني أنزعج حقيقةً من النِّساء الملعوناتِ غير المسؤولات أمثالك، اللاتي يفعلن أيَّ شيءٍ مقابل المال، عثرت شرطة موسكو على القاتل، إنَّه مدمنٌ مُتَشَرِّدٌ بلا مأوى ممن يعيشون في محطَّةِ مترو أنفاق "فرونزنسكايا"، عثروا عليه اليوم ميِّتًا بتسمُّمٍ ناجمٍ عن إفراطٍ في تعاطي الكحول، ووجدوا بحوزته محفظةَ السيدة "نيوتينين" وجواز سفرها.

حدقت في "لايتيو" غير مصدِّقة، الآن فهمتُ لماذا كان يصرخ في الهاتف، سألت:

- رجل مُتَشَرِّد؟! ولكن ألم يطلق الرصاص على "أنيتا"؟
- كيف عرفتِ؟
- أنت أخبرتني الآن.
- لا، لم أفعل! لست غبيًا لدرجةٍ تجعلني أُخبر المشتبه به بطريقة ارتكاب الجريمة، ولم تذكر أي من وسائل الإعلام الفنلنديَّة هذه التفاصيل.

أخبرت "لايتيو" أثناء مكالمتنا الأولى أنني لم أسمع أيَّ شيءٍ عن الواقعة، لذا سرعان ما اخترعت له قصَّةً حول ذهابي إلى مقهى الإنترنت في "يونسو" حيث اطَّلعت هناك على الأخبار من المواقع الروسيَّة، فسألني "لايتيو" عن عنوان المقهى، فقلت إنني لم أنتبه إلى العنوان، ولكنه بالقرب من السوق.

كانت القصة التي صدَّرَتها الميليشيا عن القاتلِ المُتَشَرِّد بلهاء، وربما صدقوها، وربما تلاعب شخص ما بالأدلَّة على اعتبار أن مجرَّد العثور على محفظةٍ بحوزته يعدُّ دليلًا قاطعًا ضده، لكن المُتَشَرِّد لم يكن يملك على الأرجح أيَّ شيء سوى سكينٍ ويديه، وما كانت "أنيتا" لتقترب من المُتَشَرِّدين بأيِّ حالٍ من الأحوال، والحقيقة أن هذا هُراء، كان "لايتيو" محقًّا.

- إذن، أنتِ تصفحتِ المواقع الروسيَّة الإلكترونية، أليس كذلك؟ هل تتحدثين الروسيَّة أم أنكِ تلقيتِ مكالمةً من القاتل؟

ظل "لايتيو" يلوِّح لي بالتهديد والوعيد إلَّا أنَّ قواه خارت بعد المكالمة الهاتفية وبدأ في التقهقر والتراجع، انطفأ سيجاره فأشعله مرةً أخرى.

وبعد برهة فتح الصندوقَ وقدَّم لي سيجارًا، وعندما رفضت عبس وأطلق الشتائمَ مرةً أخرى.

– ماذا بكِ؟ ألَا تستحقين هذه الأخبار المفرحة وبجدارة؟ أعتقد أن لديكِ مبرِّرًا للاحتفال! أين احتفظتِ بثمن القتل، هه؟ في مكان آمنٍ بموسكو؟ اللعنة، إذا أمسكتُ بكِ وأنتِ تحاولين عبور الحدود، فسأقبضُ عليك!

تركته يصرخُ لبعض الوقت، ثم سألته عمَّا إذا كانت الميليشيا في موسكو قد أغلقت قضية مقتل "أنيتا" في ضوءِ هذا الخبر، وبعدما أطلق بعضَ الشتائمِ أكَّد "لايتيو" أنهم أغلقوها، ثم فتح درجَ مكتبه مجدَّدًا وأخرج زجاجة كونياك هذه المرة، وتخطَّى الكأسَ، وشرب مباشرة من الزجاجة، ثم قال:

– اخرجي من هنا، أيَّتُها العاهرة، اذهبي وفكري في الجريمةِ التي ارتكبتِها، ابتهجي لأنَّنا اكتشفنا أمرَ القاتل للتو، اذهبي وإلا سأسجنك كمشتبهٍ به، لستِ بالغباء الذي يجعلك تقتلينَها بنفسكِ، لكن لا أحد ينكر أنَّكِ متورطة بشكل ما!

تناول "لايتيو" جرعةً كبيرةً أخرى من الكونياك وحدَّق في وجهي وهو يجفِّف الكونياك التي سالت على ذقنِه.

نهضتُ وتخيَّلت نفسي أمسك بسيجارهِ وأطفئَه في رأسه الأصلع، ولكني لا أرغب في دخول السجن، ولذلك سحبت معطفي ونزلت السلَّم، وبينما كنت أعبر الشارع سمعت صوت "لايتيو" يصرخ من نافذته.

– لا تظني أنكِ لن تريني ثانية! سنلتقي مجدَّدًا!

5

وجدت "ريكا" في المطبخ بينما كانت "جيني" بالخارج، سحبت زجاجة البيرة من حقيبتي وفتحت غطاءها بأسناني، بعدما شربت نصفها سألتُ "ريكا" عمَّا إذا كانت قد رأت أحدًا يبحث عني بالمبنى بخلاف الشرطة، قالت إن المبنى بدا هادئًا ولم يتردَّد عليه أحدٌ سوى بعض شهود "يهوه" الذين أخذوا يطرقون الأبوابَ كعهد طائفتهم، وكذلك طالبٌ روسيٌّ يبيع لوحاتَه الفنِّية، واشترت جارتنا واحدةً منها، ودعت الشاب إلى القهوة وفطيرة "الكيشي"، لم تبدُ هذه القصة عن الطالب الروسيِّ مقبولة تمامًا، لذلك اتَّصلت بجارتنا لأدعو نفسي لإلقاء نظرةٍ على اللوحة التي اشترتها منه، ولأنها أرملةٌ فقد أسعدتها فكرةٌ الحصول على رفقة، وكنت دائمًا ما أستمتع بتناول المخبوزات من صنع يديها.

قبل أن أنام.. تفقَّدت المكان حولي بحثًا عن أيِّ شيءٍ غير مألوفٍ، اخترت غرفتي بعناية ووضعت المرتبة في المكان المناسب تمامًا، لا أحد يستطيع إطلاق النار على الغرفة من الشارع، ربما يستطيع لو صعد على سطح مبنى على الجانب الآخر من الطريق، لكن مَن سيُطلق النار من هناك سيغامر بأنْ يصبح في مرمى البصر، وضعتُ مسدس "الجلوك" بجانبِ مرتبتي وخزينته معبَّأة، لم يحدث أن

رأته "ريكا" ولا "جيني" من قبل، فأنا أحتفظ به في مكان السلاح وراء مكان المفتاح، لكنِّي لففته هذه المرَّة بوشاح "أنيتا" الذي تفوحُ منه رائحةُ عطرها المستخلصُ من نبتة "الفانيليا" و"الباتشولي"، تحياتي لكِ في العالم الآخر.

حلمتُ بـ"فريدا"، كنا نركض على البحيرة المتجمِّدة، ثم توقفت لكي أصطادَ لها الأسماكَ من فتحةٍ بالجليد لتلعبَ بها، عندما وصلنا إلى اليابسة، سمعنا طلقة رصاصٍ في الغابة، وفجأةً امتلأ جسد "فريدا" بجروحٍ تنزف منها الدماء مثلما نزفت من الفراء الذي ارتدته "أنيتا" عشية وفاتها، استيقظتُ من النوم مفزوعةً وأدركت أن ثمة شخصٌ يحاول الدخول إلى شقَّتنا فأحدث ضجَّة أيقظتني، لم يبدُ الأمرُ وكأنه اقتحام، إنما كان أشبه بمحاولةِ فتح بابٍ بمفاتيحٍ خاطئة.

نهضت ببطءٍ وأمسكت بمسدسي وخرجت لأُلقي نظرةً على الردهة، فوجدت أحدهم يفتح الباب ويدخل وهو يترنَّح، فرفعت مسدسي بشكلٍ مفاجئٍ، ولأنها كانت مخمورةً ولا تعي ما تفعل، حدقت "جيني" في المسدس لحظةً ثمَّ صرخت.

عدت مسرعة إلى غرفتي، وأغلقت الباب خلفي، وأخفيت المسدسَ في حقيبتي، عدت إلى الردهة وأنا أصوِّب هاتفي القديم القابل للطيِّ نحو "جيني" مثل المسدس، قلت لها:

- يا إلهي، كفِّي عن الصراخ! سوف توقظين المبنى كله!

سقطت "جيني" وتكوَّمَت على أرض الردهة وهي تقول:

- هناك مسدس مصوَّب نحوي.

- إنه مجرَّد هاتف محمول يا "جيني"، ظنَنتُ أنَّ هناك من يحاول اقتحام الشقَّة فأحدثَ هذه الضجة، وأوشكت أن أستدعيَ الشرطة.

سمعت صوت حركة خفيفة في غرفة "ريكا"، فهمست لـ"جيني" لكيلا أوقظها:

- أنت مخمورة ولا تعرفين رأسكِ من قدميك.

حملت "جيني" ودفعتها إلى الحمام فقد تتقيأ.

كانت "ماري هيجينز"، مالكة الشقة التي كنتُ أقيم بها في "نيويورك"، من حينٍ لآخر تعود إلى شقتنا بشارع "مورتون" وهي شبه فاقدةٍ للوعي من جراء تعاطيها لمزيجٍ من الكوكتيلات والكوكايين، فأجد نفسي وقد أصبحتُ خادمةً متخصصةً في إزالة آثار الثمالة، وإطعامها الأطعمة المالحة والأدوية، اعتبرتها صفقة رائعة، والفضل في ذلك يعود إلى ابن عمِّها "مايك فيرتيو"، الذي عرَّفني على المكان، ولأن شقتها تقع في "ويست فيلدج" وهو أمرٌ مثاليٌّ بالنسبة لي، في الحقيقة.. أظنُّه أرادني أن أراقبَها وأهتمَّ بها، ولأن "ماري" راقصة، كنت أرافقها أحيانًا إلى أنديةٍ حيث لا أعرف إلى أيِّ نوعٍ من الناس أتحدث، ذكورٌ أم إناث؟ ورغم أنَّ حماسي تجاه تلك الجولات أقل من "ماري"، فإنني استمتعتُ برؤية أناسٍ يلعبون دورًا في المساء يختلف عن ذلك الذي يلعبونه بالنهار.

تُعتبر الدراسة في الأكاديمية بمثابة وظيفةٍ بدوامٍ كامل، والوصول إليها يستغرق 30 دقيقة، في ذلك الوقت كانت قيمة الدولار أعلى من المارك الفنلنديِّ، لذلك فإن دخلي المتاح كان محدودًا، شعرتُ في "مانهاتن" بالانفصالِ عن الوطن، لكنني استمتعتُ بسرد تاريخ حياتي للغرباء كما استمتعت باستحداث هوياتٍ جديدةٍ لي؛ مرة أتقمَّص دور عاملة نظافة فنلندية، اسمها "أنيلي"؛ ومرة أتقمص دور طالبةٍ دنماركيةٍ تدرس الفنَّ اسمها "هيلين"، عدتُ إلى فنلندا ومعي حمولة كبيرة من الحبوب المضادة للغثيان التي تُفضِّلها "ماري" وبطاقات عملٍ لأناس التقيت بهم؛ وأناسٍ ودَّعتهم في الصباح مع وعدٍ بالاتصالِ ولكني لم أتصل بهم قط.

بمجرَّد خروج "جيني" من الحمام وهي تزحف، أعطيتها جرعةً مضاعفةً من الحبوب التي كنت أعطيها لـ"ماري" والتي أثَّرت سلبًا على ذاكرة الأخيرة، في صباح اليوم التالي.. عندما عدت من العدو الصَّباحي، تمنيت أن تفعل

الحبوبُ الشيءَ نفسه مع "جيني" التي وجدتها جالسةً في المطبخ، تشرب عصير البرتقال ببطءٍ وتبدو شاحبةً شحوبًا شديدًا بخلافِ احمرار عينيها.

رحَّبت بي وهي تبتلعُ جرعةً من العصير بصعوبة:

– مرحبًا.. سعيدة برؤيتكِ هنا.

سوف تمنعها حبوب "ماري" من التقيُّؤ، لكن يبدو أنها لا تتذكر أنني أعطيتها أيَّ شيء، أكملت قائلة:

– أخبرتني "ريكا" أنني أيقظتك ليلة أمسِ، لا أدري متى، آسفة، أعتقد أن بدايةَ الفصل الدراسي قوية.

– لا عليكِ، غلبني النوم بعدها مباشرة، أستأذنكِ في بعضٍ من عصيرك؟ سأشتري لك المزيد منه فيما بعد.

إنه يوم الأحد، وعَلَيَّ الانتظارُ يومًا آخر قبل تسجيل اسمي ضمن فئةِ العاطلين عن العمل، وليس لَدَيَّ أيُّ نيةٍ لانتظار الثلاثة أشهر الإجبارية قبل بدء وظيفةٍ جديدة، لذلك شرعت في البحث، راجعت إعلانات "مطلوب مساعدة" بالجريدة، ورأيتُ إعلانًا يطلب مساعدةً أمنية في مطار "هلسنكي فانتا"، تقدمت بطلبٍ للوظيفةِ عبر الإنترنت، وأثناء تسجيل الدخول، أرسلت بريدًا إلكترونيًا آخر إلى "مونيكا فون هيرتيزن" أيضًا، رغم أنني لا أعرف أيَّ نوعٍ من شبكات الإنترنت تُستخدم هذه الأيام، كانت "مونيكا" واحدةً من الأشخاص القلائل الذين يعرفون قصة "فريدا".

لا بد أن جارتنا "إيلي فوتيلاينن" لزمت شقتها بسبب الطقس السيِّء، تعيش "إيلي" هنا، فهي أول من سكن العمارة بعد إتمام المبنى مباشرةً؛ لذا فهي بمثابة أمٍّ روحيةٍ لمعظم سكان العمارة، ومن حينٍ لآخر كنت أساعدها في تنظيف نوافذ شقتها أو في نقل السِّجَّاد إلى الطابق السفلي لتهويتِه، وعندما قرعت جرس بابِها.. فتحت الباب وهي ترتدي مريلةَ المطبخ، ورائحة فطيرةِ التوتِ الرائعةِ تفوح في بئر السلَّم، قالت:

– أهلا يا "هيلجا"! لم أركِ منذ وقتٍ طويل، لكني لمحتكِ وأنتِ تركضين تحت المطر هذا الصباح، احذري كيلا تصابين بنزلة برد!

– أنا لا أمرض بسهولة، اطمئني، هل تسمحين لي بالدخول؟

– تفضلي! انتهيت لتوِّي من صنع فطيرة عنب الثور، كنت في "نوكسيو" أجمع العنب مع "سيلفي" و"فاينو"، ستكون جاهزة بعد خمسِ دقائق أخرى، هل تريدين بعض القهوة أيضًا؟

جلسنا في غرفة المعيشة التي تغطي جدرانها لوحاتٌ خزفيةٌ منمنمة صنعتها "إيلي" على مدار سنوات، وسبق أن أهدتني لوحتينِ منها، تخصصت السيدةُ "فوتيلاينن" في الزهور والطيور؛ لذا فإن اللوحاتَ التي تقتنيها تجسِّد الاثنين، لمحتُ لوحةً جديدةً معلَّقةً على الحائط جعلتني أرتجفُ بمجرَّد أن وقع بصري عليها.

التفتُّ إلى السيدة "فوتيلاينن"، التي يبلغ طولها 170سم تقريبًا وجسدها هشٌّ مثل خزفها وقلت:

– أخبرتني "ريكا" أنكِ عثرتِي على بائعِ لوحاتٍ روسي، هل اشتريتِ منه هذه اللوحة الجديدة؟ احذري! لا ينبغي أن تسمحي للغرباء بدخول بيتك.

ثم عدت أنظر إلى اللوحة ثانية، لم أستطع إبعادَ نظري عنها.

– أنتِ تظنين أنَّ لا حول لي ولا قوة، أليس كذلك؟ لا تقلقي؛ أستطيع أن أفرِّق بين من يمرُّ بوقتٍ عصيبٍ ومن يدَّعي ذلك، و"يوري" هذا شخصٌ يتمتع بروحٍ طيبةٍ ترتاحين له، إنه يعمل سائق شاحنةٍ لجمع القمامة نهارًا ويرسم في المساء، ويرسل كل ما يكسبه إلى عائلته بالقرب من مدينة "مورمانسك"، كان "يوري" يتضوَّر جوعًا مما جعلني أدعوه لتناول القهوة وبعضًا من فطائر "الكيشي" بلحم الخنزير.

– هل اخترتِ هذه اللوحة؟

– بل اختارها "يوري"، قال إن ألوانها إضافةً رائعة لهذه الغرفة، وكان محقًّا، انظري كيف تتناغم مع أريكتي وورق الحائط، ورغم أن لوحة البجعة التي رسمها أعجبتني أكثر، رأيت أن بيعها سيكون أسهل من تلك التي اشتريتها، أستأذنكِ لأذهب إلى المطبخ لأرى ما إذا كانت الفطيرة جاهزة وأعدُّ المائدة.

تقدمتُ بضع خطواتٍ نحو اللوحة وكان التوقيع المدون عليها كبيرًا وواضحًا: "يوري ترانكوف"، هذا الاسم قد لا يكون اسمه، ولعله لا يملك هذه اللوحات أيضًا، فمن السهل شراء لوحاتِ الهواة بأعدادٍ كبيرةٍ من شخصٍ مُتَشَرِّد يعيش في أيِّ محطة مترو أنفاق في موسكو، لم يكن "ترانكوف" هذا فنانًا متواضعًا، بل إن لوحته واقعية بشكلٍ لا يُصدق، ومقاسها صغيرٌ، حوالي 11 × 15 بوصة، لو اختلفت الظروف لأعجَبت بهذه اللوحة كثيرًا لأنها تُجسِّد قط "الوَشَق" وهو يقفز من فوق إفريزٍ صخريٍّ ليهاجم غزالة، ولكن لا يمكن قراءة هذه اللوحة الفنية إلا على أنها نوعٌ من التحذير، ماذا قال ذلك البريد الصوتي الذي أرسلوه لي؟ أن ألتزم الصمت إذا لم أرغب في أن ينتهي بي المطافُ ميتة مثل "الوَشَق" الذي كانت "أنيتا" ترتدي فراءه؟

حاولتُ أثناء شربنا القهوة أن أعرف المزيد من التفاصيل عن "ترانكوف" من السيدة "فوتيلاينن"، أخبرتني أنَّها رأتهُ وهو يجرُّ حقيبةً على عجلٍ وبها عشراتٌ من اللوحات الصغيرة لبعض الحيوانات، وأنه طلب خمسين يورو ثمنًا للَّوحة، لكنها أعطته ستين يورو؛ لأنها لم تجد بحقيبتها سوى ثلاث ورقاتٍ نقدية من فئة عشرين يورو، قلت:

– هل تحدثتما بالإنجليزية؟ أنتِ لا تتحدثين الروسيَّة، أليس كذلك؟

– بلى، ولغتي الإنجليزية ليست جيدة أيضًا، يتحدث "يوري" الفنلندية بطلاقةٍ معقولةٍ بالنظر إلى أنه يقيم بهلسنكي منذ الخريف الماضي فقط، من الواضح أنه شابٌ طموح.

لم تنجب "إيلي فوتيلاينن"، لذا كانت تحب تبني الشباب وضمَّهم تحت جناحها، سألتُها عما إذا كان "يوري" قد ترك أيَّ بياناتٍ للتواصل معه، إلَّا أنه كان فقيرًا لحدِّ أنه لا يمتلك هاتفًا محمولًا، اتَّهمتنِي السيدة "فوتيلاينن" بالتحامل على الروس لأن "يوري" لم يتناول سوى ثلاث شرائح من فطيرة "الكيشي" بعد إصرارٍ منها، لا أظنُّ أن "يوري" لديه أيُّ خططٍ لسرقة السيدة "فوتيلاينن"؛ فهو مجرَّد مرسال، وقد وصلت رسالته بصوتٍ عالٍ وواضح.

ولأنها فنانةٌ ماهرة، طلبتُ منها رسم صورةٍ لـ"يوري"، فهزَّت رأسَها بالنفي وقالت:

- ابنتي المسكينة، إنكِ ترتابين في كلِّ مَن حولك، وأظن أن ذلك جزءٌ من وظيفتك.

سمعت "إيلي" القصة المتداولة عن طبيعة عملي مثلها مثل رفيقتَيَّ بالسكن، وعلى الرغم من احتجاجها، بدأت ترسم، وسرعان ما بدت صورةٌ لرجلٍ نحيلٍ خدوده غائرة ولحيته صغيرة وسوالف، التقطت "إيلي" ملامحه السلافية التي يسهل تمييزها وصوَّرتها: عظامُ الخد والجبهة البارزة والأنف الرفيع الصغير، قلت:

- من المؤسف أنَّ عنوانه ليس معكِ، هذا البورتريه سيعجبه بالتأكيد، هل يمكنني شراؤه؟

- ماذا تقصدين؟ تشترينه؟ فلتأخذيه، أوه! وخذي أيضًا من فطيرة عنب الثور لـ"جيني" و"ريكا"، بالمناسبة.. مَن منهما أحدثت ضجةً في الردهة ليلة أمس؟ أظنُّ أنها "جيني"، فالفتاةُ المتدينةُ على الأرجحِ لا تفعل ذلك.

عادت السيدة "فوتيلاينن" إلى المطبخ كي تلف الكعكة وتركتني وحدي أحدق في اللوحة.

عندما عدتُ إلى شقتي، قمت بتصوير ونسخ البورتريه بطابعة "ريكا" التي تعرفَت أيضًا على صورة "ترانكوف" وقالت إنه الرجلُ الذي ظهر عند بابنا، قلت لها:

- إذا رأيتِ هذا الرجل مرَّة أخرى، أخبريني، ولا تسمحي له بدخول الشقة تحت أيِّ ظرفٍ من الظروف، وسوف أخبر "جيني" بذلك عندما أراها المرة القادمة.

- لماذا؟

- إنه شرير، مُتحرِّش، من الأفضل الابتعاد عنه.

- هل تعرض لكِ؟

- حاول ذلك، أفضِّل ألَّا أتحدث عن الأمر لأسباب تتعلق بسرية المهنة، كما تعلمين.

- يا إلهي، يا لها من وظيفة! أنتِ ملاحقة من رجال الشرطة واللصوص على السواء!

في محاولةٍ لتغيير مجرى الحديث، مزحت معها وقلت إنني أتمنى ألَّا أضطرُّ إلى اللجوء إليها قريبًا كمرشدةٍ روحية، افترضت أن بمقدوري جمع المزيد من المعلومات عن المدعو "ترانكوف" بمحطة القطار، لحسن حظي أن "ريكا" جرَّت "جيني" جرًّا إلى السينما في وقتٍ لاحقٍ من اليوم نفسه، وأصبحت الشقة لي وحدي كي أستعد، سوف أتقمَّص في المحطة شخصيةً بديلة، شخصية "ريسكا راسانين".

وشخصية "ريسكا" هذه ابتكرتها قبل بضع سنواتٍ عندما أرسل لي "ديلان مونرو"، صديق "ماري" من "تريبيكا"، بريدًا إلكترونيًا يخبرني فيه عن رحلته إلى فنلندا كي يقوم بتدريس دورةٍ تدريبيةٍ حول كيفية انتحال شخصية ذكر، فقمت بالتسجيل فيها على الفور، كنت أعلم أن تقمصي لشخصية رجل سيفيدني فيما بعد، اختار الطلاب الآخرون أنواعًا من الرجال أكثر حيويةً مثل: لاعب هوكي الجليد، رئيس تنفيذي، محبٌّ للأغاني الصاخبة، لكنني اخترت رجلًا فنلنديًّا نموذجيًّا من كل النواحي، رجل من ذلك النوع الذي زاملَني في المدرسة ولعب معي الورق في الجيش.

كان شعر "ريسكا" أطول قليلًا وأكثر غزارةً من شعري الأشقر المقصوص، ولديه شارب كثيف وبقعة صلعاء في رأسه من الخلف، عادة ما كان يحاول إخفاءها بقبعةِ بيسبول، كما تعود نظاراتُه الشمسية العاكسة إلى حقبة

السبعينيات، كنت بحاجةٍ إلى حواجبَ كثيفة لأُصبح "ريسكا"، وكي تبدو بشرتي ذكورية أكثر؛ وضعت طبقاتٍ من كريم الأساس، وأوصى "ديلان" باستخدام علامة تجارية معينة.

ملابس "ريسكا" تشبه ملابسي إلى حدٍ كبير، فالأحذيةُ القتالية والجينز الذي يصلح للجنسين، وكذلك سراويلُ الجريِ والأحذية الرياضية التي يرتديها "ريسكا" من وقتٍ لآخر، أما قميص خالي "جاري" ذو المربَّعات البُنِّية والرمادية فوجده "ريسكا" مريحًا بعض الشيء، والأهم من ذلك هو نوع مشيته: واثقة، رجولية وتحمل رسالة مفادها: "ابتعدي عن طريقي"، وعندما ظهر "ريسكا" في موسكو، ظنَّت العاهراتُ أنه سائحٌ فنلنديٌّ.

كان صوته هو العقبة الأكبر، صحيحٌ أن صوتي جهوري، لكنه يظلُّ صوت امرأة، وعندما يتكلم "ريسكا" يبدو كأن شيئًا ما عالقًا في حلقه فيصعب فَهم كلامه، كما أنه يعاني أيضًا من لَعثَمةٍ، مما يجعله يبدو أقلَّ خشونة مما يريد، بذل "ريسكا" قصارى جهده كيلا يتحدث بلهجةٍ محلية، ولكن إذا انعطف انعطافًا حرجًا في أسلوب التعبير يفتضح أمره علاوة على روحه المرحة التي تُفشي عن أنه من شرق فنلندا.

سألني "ديلان" لماذا "ريسكا"؟ لماذا هذا الرجل الذي بلا مزية تُذكر تقريبًا؟ حمل سؤالُه الجواب، "ريسكا" بلا ميزة؛ أي لا شيء فيه يثير اهتمامَ أحد، ممَّا يعني أن النساء لن تلاحقه ولن يُشكِّل تهديدًا للرجال، وهو لا يملك شيئًا يُحسَد عليه، وتجعله لهجتُه يبدو مثل الأبله أحيانًا، وفي وجوده يتخلَّى الناس من حوله عن حذرهم.

بعد إضافة رائحة تليق بـ"ريسكا" تمَّت عملية تحوُّلي، بدا كرجال "الهيب هوب"، فعِطر ما بعد الحلاقة ومزيل العرق اللذان يستخدمهما يحملان علامة "فيراري" التجارية، ولأنَّ من الضروريِّ إخفاء رائحتي الخاصة، لذا كنت أتظاهر بالسعال وأُشعل سيجارة وأنا في طريقي إلى محطَّة الحافلات، وفي

بعض الأحيان كنت أرشُّ ملابس "ريسكا" بالبنزين، إن بصمات أصابعنا ليست متطابقة، على الأقل في الوقت الحالي، لذلك ارتدى "ريسكا" قفازاتٍ جلدية، كلما سمحت الأحوال الجوية بذلك.

كان "ريسكا" يعرف بعض الأشخاص الذين يتسكعون في محطة القطار وتوقف كي يدردش معهم، إن انتحال امرأةٍ لشخصية رجلٍ يجعلها تبدو أصغر من عمرها البيولوجي، ولأنني ارتديت مثل "ريسكا"، فقد أصبحت في الخامسة والعشرين من عمري، وبَدَوْت كعامل مزرعةٍ انتقل للإقامة في المدينة، كان من السهل على "ريسكا" الاختلاط بمجموعةٍ من المراهقين يتسكَّعون في المحطة، رأى مجموعةً أخرى تتحدث مزيجًا من الروسيَّة والفنلندية من بينهم رجلان في العقد الثالث تقريبًا يرتديان ستراتٍ جلدية، اقتربت خطوة، ولم يمضِ وقتٌ طويل حتَّى تحدث معي أحدهم، قال:

– مرحبًا، ماذا تريد؟

عرفت من لهجته أنه لم يكن فنلنديًّا، أكمل قائلًا:

– هؤلاء الفتيات لَسن للبيع، كما تعلم.

– أنا لا أطاردُ الفتيات.

– ماذا؟ أنت تطارد الفتيان إذن؟ ليس لدينا هذا النوع، ولكن أعطني خمسين وسأعطيك طرف خيط.

– لا أريد سوى فتًى واحد فقط، رسَّامٌ روسيٌّ، باع لوحةً جميلةً لسيدةٍ عجوز، وأودُّ الآن أن أشتري واحدة، هل تعرفه؟ "يوري ترانكوف"؟ إنه يقود شاحنة لجمع القمامة، ويرسم مناظر طبيعية.

– لا أعرف أيَّ رسَّامين، لكن يمكنني أن أسأل عنه لو أردت، أعطني رقم هاتفك وسيجارة، لو معك.

ناولته واحدة فأخذها وعلى وجهه تعبيرٌ يثير الضحك، لم أكن أدخن سوى السجائر الخفيفة فقط، وإلا سأختنق، علاوة على أن السجائر الخفيفة أرخص، وهو ما يناسب شخصية "ريسكا" الذي يسترخص الأشياء، لم يهتم الرجلُ بأننا في مكانٍ مغلق، وأشعل السيجارة بينما كتب له "ريسكا" أحد أرقام هاتفي على عجل؛ سوف أتذكر تفعيل خط هاتفي المسبق الدفع، ولأن الرجل بدا متعاونًا جدًّا؛ انتقل "ريسكا" إلى بار المحطة لعله يجد مخبرين محتملين من النوع نفسه، وطلب بيرة حتَّى لا يبدو مشبوهًا.

ولأنك "ريسكا" فإن دخول حمام الرجال يُعتبر تحديًا، تعلمتُ التبوُّل وأنا واقفة وتعلمت محاكاة الأصوات التي يصدرها الرجال وهم يتبوَّلون، لكن الأمر لم يكن سهلًا، كان استخدام المِبْوَلات أمرًا مَفْرُوغًا منه، ويُنظَر للرجل الذي يستخدم المرحاض كي يتبولَ على أنه غريبُ الأطوارِ، خاصةً لو كان شخصًا يشبه "ريسكا"، ومن ثَم احتاج "ريسكا" إلى تعاطي البيرة ببطءٍ وتروٍ، فمن يدري كم من الوقت سيبقى في المحطة.

ستكون ضربة حظٍّ إذا عَثر على شخصٍ يعرف "ترانكوف" بل وإذا قرَّر هذا الشخص أن يدلي لـ"ريسكا" أيضًا بمعلوماتٍ عنه، ولأني لا أدري إذا كان "ترانكوف" قد باع لوحاتَه لأيِّ شخصٍ غير جارتي أم لا، فإن الاستقصاء عنه قد يجرها لمتاعب هي الأخرى، عاودتني صورة "أنيتا" الدموية وهي ممددة في الشارع مرتدية معطفَها الفرو الملطَّخ بالدماء، إذا حاولوا اقتفاء أثر "ريسكا" فأشكُّ أنهم سيضطرون أيضًا لملاحقة شقيق "إيلي فوتيلاينن" الذي يعيش في "لويما"، بلدة الطواحين الصغيرة، غرب فنلندا.

كان مساء يوم أحدٍ عاديٍّ في محطة القطار، طلابٌ عائدون من زيارة ذويهم، جنودٌ يقفزون في القطار المتَّجه شمالًا إلى بلدة "هامينلينا" القريبة، ومنها يتابعون طريقهم إلى قاعدة "بارولانومي" العسكرية، وريفيون

يغادرون المدينة بعد زيارتهم الأسبوعية، وبمجرَّد أن انتهى "ريسكا" من شرب البيرة.. بدأ يتسكَّع، لن تهتم الشرطة بشخصٍ مثله، لكنَّ حراس الأمن سيطردونه ليتسكَّع في مكان آخر.

ظلَّ "ريسكا" يتسكع في أرجاء المحطة حتَّى منتصف الليل دون أن يحالفه أيُّ حظ، حتَّى الروسي الذي تحدث إليه في وقتٍ سابق غادر المحطة في حوالي العاشرة، وانضمَّ بعضُ الأطفال الأصغر سنًا إلى مجموعته، لا يبدو أنهم مهتمون للذهاب إلى المدرسة في الصباح، شرب "ريسكا" كوبًا من الشاي في مقهى لا يسمح باستخدام دورة المياه الخاصة به إلَّا للعملاءِ الذين يدفعون فقط، فحص هاتفه.. لا مكالمات، خرج كي يلحَقَ بالحافلة التي سيستَقِلُّها إلى بيته.

كانت حافلة ليلية أخيرة وشبه خالية، جذب انتباه "ريسكا" شابان بستراتٍ جلدية يجلسان في نهاية الحافلة، لكنه لم يستطع تمييزَ اللغة التي يتحدثانِها، بدا أنها إما من فنلندا أو من أوروبا الشرقية، ظاهريًّا، بدا "ريسكا" مسترخيًا، لكنه كان متأهبًا.

نزل الشابان في محطة "ريسكا" نفسها، بدا الشارع خاليًا، فيما عدا ذلك سيارةُ الأجرة الوحيدة التي تمشي في الشارع، مشى "ريسكا" بثقةٍ ولم ينظر وراءه، وحتَّى يُتقن دور "ريسكا"، فإن أقل ما كان يخشاه شابٌّ مثله هو أن يتعرض للسرقة بالإكراه، على الرغم من أنه وحسب الإحصاءات هو الأكثر عرضةً للاستهداف، لم يكن "ريسكا" مخمورًا، ولم أرغب أنا في اتِّخاذ أيَّ رد فعل تجاههما، ولأني لا أريد أن أتوجَّه إلى البيت مباشرةً، مشيت إلى بار "كابوجريلي" المجاور الذي أعلم أنه يغلق الساعة التاسعة أيام الآحاد، لكنني بذلت قصارى جهدي لأبدو كرجلٍ يحاول العثور على حانةٍ قريبة تسمح له بالدخول، رجلٌ يتجوَّل بحثًا عمن يعبث معه، سمعت من يقول:

- مرحبًا يا رجل، أعطنا سيجارة.

ها هما الثنائي بستراتهما الجلدية بجواري الآن، تكلم الشاب بلغةٍ فنلندية سليمة دون لُكْنَة أجنبية، كانا أصغر سنًّا مما اعتقدت في بادئِ الأمر، بالكاد في سن المراهقة، ناولتهما علبةَ السجائر، وأشعلا السجائر في صمت.

سألني من يثرثر أكثر والذي بدا وجهُه المليءُ بالبثور شاحبًا من فرط التدخين:

- ما الذي تبحث عنه أيُّها العجوز؟ خمر؟

- أنا! لا، أنا لا أبحث عن أيِّ شيء، خطر على بالي فقط أن أرى إذا كان البار لا يزال مفتوحًا، أنا أزور ابن عمي هنا في المدينة.

بدأ "ريسكا" يسرع الخطى مبتعدًا عنهما في الاتجاه المعاكس لبيته، لم أُحضر معي أيَّ نوعٍ من الأسلحة، ولم أرغب في الاشتباكِ بالأيدي أيضًا، وعلى عكس "هيلجا"، لا يلعب "ريسكا" الجودو، ولم أكن مستعدَّة لأن أقطع أدائي التمثيلي للشخصية إلَّا إذا كانت حياتي على المحك، علاوة على أن اقترابهما مني قد يكشف عن نوع جنسي، وسيصعب أن أعرف موقفهم تجاه ارتداء ملابس الجنس الآخر.

صاح الثرثار من خلفي قائلًا:

- أيها المتخلِّف، يا لك من فلَّاحٍ لعين!

لو تعرض "ريسكا"، الفنلندي الشرقي، للإهانة فإنه سيرد لهذين المتسكعين الصغيرين الصاعَ صاعَين، لكن "هيلجا" الحارسة لم ترغب في المخاطرة، انعطف "ريسكا" عند زاوية الشارع إلى فناء شقةٍ مألوفةٍ واختبأ في ظلِّ حبل الغسيل المشترك، بدأ الشابان يتجهان نحوه، لكنهما لم يهتما به وتجاوزاه، انتظر "ريسكا" خمس عشرة دقيقة كاملة قبل أن ينعطف إلى البيت.

لم أرَ أضواءً خلف نافذةِ مطبخنا أو في غرفِ نومِ رفيقتاي، ومع ذلك أردت التخلُّص من ملابس "ريسكا"؛ فاستخدمت المخزن الخاص بنا في الطابق السفلي لإزالة الباروكة والشارب، بمجرَّد وصولي إلى حمَّام شقتنا، غسلتُ كلَّ

مستحضرات التجميل واستحمَمت، على الرغم من أن الضَّجَّة التي أحدثتها قد توقظ شريكتَي في السكن، ولكن من الضروري التخلُّص من رائحة "ريسكا"، تلك الرائحة التي ذكَّرتي بخالي "جاري" وبالحزن الذي شعرتُ به عندما أخذَت رائحته تتلاشى ببطءٍ من سترة الصيد التي احتفظتُ بها، ذهبت إلى الفراش وأنا أستدعي تلك الرائحة التي تجعل استغراقي في نومٍ لذيذ أمرًا سهلًا.

في صباح اليوم التالي تناولت إفطارًا مكونًا من وعاءٍ كبيرٍ من عصيدة الحنطة السوداء، ونصف كرتونةٍ من عصير الطماطم، لم يُصدر هاتفي أيَّ صوت، بعد الإفطار.. أخذت الترامَ باتِّجاه "هاكينيامي" لزيارة مكتب البطالة، وبغض النظر عن عدد المرَّات التي ذهبت فيها هناك، فتجربتي معه كانت دائمًا مريرة، فكَّرت هذه المرة في إحضار كتابٍ وزجاجةِ مياهٍ وموزتين، بعد انتظار ما يقرب من الساعتين، وجدت نفسي أخيرًا وجهًا لوجهٍ مع إحدى الموظفات التي أَوحى لي شكلُها بأنها تستعد للتقاعد؛ اتسعت عيناها تحت العدسات الطبية السميكة، وبهما لمحتُ بلادةً ولا مبالاة، أخبرتها باسمي ورقم الضمان الاجتماعي وتاريخ العمل، قالت:

- ما سبب إنهاء العقد؟

- خلافٌ مع ربِّ العمل.

- هل منحك ربُّ العمل شهادة خبرة؟

- لا.

طقطقَت بلسانها ثم قالت:

- الأفضل لكِ أن تحضري هذه الشهادة وإلا لن تحصلي على وظيفةٍ بسهولة، فالحارس يحتاج إلى دليلٍ على أنه محلُّ ثقة.

- حسنًا، لا أستطيع إحضارها الآن؛ فربُّ العمل السابق مات.

بمجرَّد أن قلت هذه الجملة الأخيرة، ندمتُ على الفور، لماذا لم أقم بتزوير شهادةٍ تمتدح عملي؟ إن قائد الشرطة "لايتيو" هو السبب، فكم كنت حمقاء عندما أخبرته عن سبب استقالتي، لن يتمكَّن "لايتيو" من الوصول إلى سجلات مكتب البطالة، ولكن من طبيعتي ألَّا أكذب؛ لماذا أخاطر وأعرِّض نفسي للاعتقال؟ ما لم يكن هناك مفرٌّ من الكذب، انتعش صوت الموظفة وقالت:

- ميِّت؟ ماذا تقصدين بميِّت؟

لم أعرف ماذا أقول، لذلك لم أقل شيئًا، وقَّعت على النماذج التي تفيد بأنني على استعداد للاستفادة من خدماتهم، فعرضوا عَلَيَّ وظيفة عاملة نظافة تبدأ على الفور فقلت إنني سأفكر في الأمر؛ بمجرَّد أن ينخفض رصيدي المصرفي إلى ثلاثة أرقام، بغض النظر عن أيِّ شيءٍ، كان من المهم أن أذهب إلى مكتب البطالة، فبهذه الطريقة.. سيفترِض من يتعقبني -أيًّا كان- أنَّ همي الوحيد هو العثور على وظيفةٍ جديدة، ومثل هذا الشخص لا تعنيهِ العودة إلى موسكو لحلِّ قضية مقتل "أنيتا"، إنَّ هذا لا يعني أنني أجرؤُ على العودة إلى هناك، فأنا سأُجري تحقيقي من فنلندا، حتَّى لو لم أعرف مطلقًا من المسؤول الحقيقي عن مقتل "أنيتا"، فأنا أريد أدلةً على أن القاتلَ لم يكن أنا، لكن ماذا لو لم تُبرِّئني الأدلة؟

عدتُ إلى الشقة لأحزمَ أغراضي في حقيبة ظهرٍ كبيرةٍ، بدأت حافلتي في الانطلاقِ غربًا لمدة ساعةٍ على طول الساحل في اتجاه "توروباكا"، ثم إلى كابينتي في "ديجيربي"، وبمجرَّد أن وصلتَ هناك.. بدأت أسمعُ اللغة السويدية أكثر من الفنلندية، وهو ما دفعَني إلى أن أعاود التفكير في "مونيكا"، لم أجد في كابينتي اتصالًا بشبكة الإنترنت، وكنت بحاجةٍ للذهابِ إلى مركز "ديجيربي" الاجتماعي الذي يفتح أبوابَه مرةً واحدةً فقط كلَّ أسبوعٍ، تعمَّدت الابتعاد عن جيراني في "ديجيربي"، وحتى شقيق صاحب الكابينة المجاورة لي قد تركني وشأني بعد أن تجاهلته عدَّة مرات.

ظلَّت دراجتي أمام البنكِ المحليِّ في "ديجيربي" وقد تحولَت إلى قطعةِ خردةٍ لا يريدها أيُّ لصٍّ، اشتريت بعضَ الطماطم والبيرة من محلِّ البقالة وركبت الدراجة باتجاه الساحل، سوف تستغرق المسافةُ حوالي خمس عشرة دقيقة، وبسبب الحُفَر الموجودة في الطريقِ المليء بالحصى؛ ظلَّت حقيبتي تقفز لأعلى ولأسفل، مما تطلَّب مني بذل كل جهدي كي أحافظ على توازني. كان تحدِيًا حقيقيًّا أن أصعد التلَّة الأخيرة بدراجةٍ بلا فرامل، بدلت ببطءٍ.. وظللت أسبُّ وألعن طوال الطريق، لكنني لم أستسلم.

بمجرَّد وصولي إلى الكابينة.. تجوَّلتُ حولها وألقيت نظرةً داخلها بحثًا عن أيِّ علامةٍ تدل على وجود متسللين، بدا كلُّ شيء كما تركته منذ ثلاثة أسابيع قبل رحلتي إلى موسكو، قبل أن أدخل.. ألغيت جهاز الإنذار ضد السرقة، ثم رميتُ حقيبتي في منتصفِ الأرضية، أوصلتُ الثلاجة بالكهرباء ووضعت بها البيرة، ثم ذهبت إلى السقيفة لأحضر مجرفة.

أعطتني "أنيتا" المستندات في أوائلِ الصيف، من المفترض أنَّ أصول المستندات لا تزال بحوزتها في صندوقِ ودائعها المحفوظ في أمانٍ، لكنها أرادت أن تُبقي نسخةً منها معي، كانت على ثقةٍ من أنني سأضعهم في مكان آمن.

كانت قطعة الأرض الشاسعة مغطَّاةٌ بالحصى، حدد أحدُهم معالمَ طريقٍ مستخدمًا الصخورَ الصغيرة. بالقرب من أحد جوانبي الطريق، كنت قد وضعت كومة من الصخور في بقعةٍ بها الكثير من التربة والعشب، بعد إزالة تلك الصخور بدأتُ في الحفر، وسرعان ما اصطدمت الجرافةُ بمعدنٍ، إنه صندوق "أنيتا" الذي كان أشبه بنموذجٍ مصغَّر لخزانة ودائع، إلَّا أنني واجهت مشكلةً واحدةً فقط: لم يكن لديَّ أيُّ فكرةٍ عن شفرة قفلها الرقمي.

6

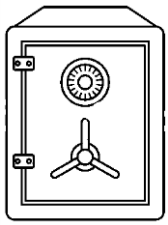

سبق وأن حذَّرت "أنيتا" من استخدام توليفةَ أرقامٍ سهلة التَّخمين لخَزْنتها، ونصحتها بألَّا تستخدم أبدًا تواريخ الميلاد أو أرقام الهواتف، وخصوصًا الأرقام التي تتوافق مع الأحرف الأبجدية لاسمِ مالك الخَزْنة، تُعتبر سلسلة الأرقام العشوائية هي الخيار الوحيد على أن تتكون من ثمانية أرقام، ويتكون كلُّ رقمٍ من خانتين، لم أرغب في حساب توليفات الأرقام الممكنة إنما أحضرت عتَلَةً حديدية من السقيفة، ووضعت الخَزْنة الصغيرة على صخرةٍ وأخذت أضربها بالعَتَلَة، وبرغم الضوضاء التي أحدثتها فإنني بالكاد خدشتها.

ذات مرةٍ نصحني "مايك فرتيو" قائلًا:

– استخدمي ذكاءكِ، فهذا عادةً أفضل من استخدامِ عضلاتكِ.

يبدو أنه على حقٍّ، حملتُ الخَزْنةَ إلى الكابينة وقررتُ أن أتوقف حتَّى أعيد ترتيب أفكاري قبل أن أحاول فتحها مرةً أخرى.

فتحت زجاجة بيرةٍ وألقيتُ بنفسي على الأريكة، عندما حاولت أن أخمِّن من كان على علمٍ بأنني تركت "أنيتا" بمفردها، حملتني أفكاري إلى "هيفونبرسينساري" مجدَّدًا، هذا يعني أن أحدهم كان يتعقبنا طوال الوقت

الذي قضيناه بموسكو، ويعني أيضًا أنني حارسةٌ سيئة لأنني لم ألحظ ذلك، أو أن أحدهم اقتفى أثرَنا بوضع جهاز تعقُّبٍ لكلٍّ منا، لكنني لم أكتشفه رغم عمليات الفحص الدورية التي أقوم بها.

جهاز تعقب! مجرَّد التفكير في وجوده جعلني أنتفض، رغم أنني لم أرصدْ أيَّ علاماتٍ في جسدي بخلاف عدة كدماتٍ صغيرة ربما سببها سقوطٌ بسيط، فقد بدأت أشعر بالقلق، ربما خدَّروني ليس لإيذائي أو تخويفي؛ إنما لزرع جهاز تعقبٍ في جسدي، فجأة شعرت بجسدي كله يطنُّ، كما لو كنت أجلس على تلٍّ نملٍ، نزعت ملابسي بسرعة وخلعت أكبر مرآة من على الحائط، وبمساعدتها هي ومرآة يدٍ، فتشت جسدي بوصةً، بوصةً، لا ندوبَ ولا نتوءاتٍ جديدة، مشَّطتُ شعري عدة مراتٍ، وتحسَّست فروة رأسي، ومررت عليها بجهاز الكشف عن المعادن، وحتى فمي، فحصت كلَّ سِنٍّ به، ارتديت قفازًا طبيًّا وتحسست خيوطَ اللولب، بدا كلُّ شيءٍ طبيعيًا.

فحصت الأغراض التي كانت معي في بار "سفوبودا"، سترتي الجلدية تجعل جهاز الكشف عن المعادن يصدر صفيرًا؛ ولكن هذا بسبب السَّحَّاب والأزرار، تحسست خِياطة السترة بحثًا عن أيِّ شيءٍ غير عاديٍّ فلم أجد، مزَّقت القماشَ عند الكوع فاكتشفت نتوءًا غريبًا، اتضح أنه مجرَّد زِرٍّ إضافيٍّ انزلق بطريقةٍ ما بين جلد السترةِ والبطانة، وبعدما ألقيت بالزِر في سلة المهملات، شعرت بأنني بلهاء.

من المستحيل أن أصدِّق أن مُتَشَرِّدًا مخمورًا بلا مأوى قتل "أنيتا"، لكنَّني لم أرغب أيضًا في الاستسلام لجنون الارتياب، ومن المستبعَد تمامًا أن يكون هناك من دفع رشوةً لميليشيا موسكو، لعلَّ أحدهم قرَّر أنه لا داعيَ لإجراء مزيدٍ من التحقيقات لأن ثمة تفسير منطقي للجريمة؛ كان العمل يفوق طاقتهم، ولن يغيِّر صراخُ الشرطي الفنلندي ولا ابتسامة وزير خارجيتنا قرارَ أيِّ أحد.

تعلمت من رحلاتي المتكررة إلى روسيا أنها مكانٌ يتَّسم بالتعقيد، فمعايير الصواب والخطأ ليست واضحة على الدوام، ومع ذلك.. فإن معظم الروس الذين قابلتهم كانوا ودودين للغاية، وكي تكسب قلوبهم.. لا تحتاج لأكثرَ من نُطق كلمتين باللغة الروسيَّة، ولكن لا يزالُ هناك بعض الموضوعات التي يحظر التطرُّق إليها عند تواجد روسٍ حولك أو على مرمى بصرك، إنهم يعتقدون أن الفنلنديين ينبغي أن يكونوا ممتنِّين لهم، فبدون روسيا.. لظلَّت فنلندا بلدًا ريفيًّا نائيًا غير مأهولٍ وتابعٍ للسويد، أما روسيا السوفيتية فهي مَن منحت الفنلنديين الاستقلال.

عندما حاولت أن أشرح لزملائي الأمريكيين في "نيويورك" لماذا انحازت فنلندا إلى ألمانيا أثناء الحرب العالمية الثانية، اكتشفت مدى التباس فهمهم، حاولت أن أشرح لهم أننا لم نكن نملك سوى خجارين: إما "هتلر" أو "ستالين"، والادِّعاءُ بأنَّ "هتلر" هو الخيار الأصح كان ضربًا من الجنون، ولكن هذا ما حدث، إذا اخترنا "ستالين"، لوقعنا تحت سيطرة روسيا لعقود، مثلما حدث لجيراننا في دول "البلطيق".

شغَّلت التليفزيون الذي كان مِلكًا لمالك الكابينة، مثله مثل بقيةِ الأثاث، فعندما أتيت هنا لأول مرةٍ لم أحضر معي سوى أغراضي الأساسية فقط؛ لأنني لم أرغب في أن أعطي أيَّ أحدٍ طرف خيطٍ يقودُه إلى مكاني، اعتنى المالك بتوفير خدمة الكابل التليفزيونية أيضًا، وأخذت أتنقل من قناةٍ إلى أخرى إلى أن رأيت وجهًا مألوفًا.

إنه وجه النائبة "هيلينا ليموسفو" التي كانت دائمة التردُّدِ على مطعم "شي مونيك"، وساعدت كثيرًا في دعم مشروع طعام "مونيك" الخاص بـ"مونيكا" في "موزمبيق"، تعمل "ليموسفو" في مجال حقوقِ الإنسانِ وحرية التعبير، عندما قُتلت الصحفيَّة الروسيَّة "آنا بوليتكوفسكايا"، طالب كبار السياسيين لدينا "ليموسفو" بأن تكفَّ عن التحدُّثِ إلى الصحافة بعدما قالت علنًا أن "بوليتكوفسكايا" قُتلت بناءً على أوامرِ رئيسِ الوزراء الروسي حينها "فلاديمير

بوتين"، وها هي "ليموسفو" على شاشة التليفزيون تعلِّق على وعدِ روسيا بسحب قواتِها من جورجيا وعلى إعلان "بوتين" بأنَّ سقوطَ الاتحاد السوفييتي يُعدُّ مأساةً جيوسياسية، وباعتبارها معارضًا قويًّا للطاقة النووية، انتقدت "ليموسفو" الطريقة التي يعتمد بها الفنلنديون على الطاقة التي يُنتجها الروس، مثل الطاقة النووية والغاز الطبيعي، كان اللقاء مع واحدٍ من السياسيين أصحاب التصريحات الطنَّانة، ولم أغير القناة بل استمعت إلى ما كان ينبغي عليها أن تقوله:

– ليس أمام فنلندا من بديلٍ سوى الكفِّ عن استيراد الطاقة، وهذا يعني أنه لا مفرَّ من ترشيد استهلاكنا للطاقة.

وبينما أخذ المراسل الصحفي يطرح عليها أسئلةً بطريقةٍ فظَّة حول القدرة التنافسية الوطنية والانكماش الاقتصادي الذي يلوح في الأفق، وصلتني في اللحظة نفسها رسالةً نصية، كانت من السيدة "فوتيلاينن"، قرأتُ رسالتها على عجل، كتبت أنها رأت "يوري ترانكوف" يسير بمحاذاة طريق "كوسكيلا"، بالقرب من بنايتنا، لكنها لم تكن متأكدة.

شعرتُ برهبةٍ تتسلَّل إلى عقلي رُوَيْدًا رُوَيْدًا، لن يلاحقوا رفيقتايَ بالسكن، أليس كذلك؟ بل سيفعلون إذا اكتشفوا عنواني وعرفوا أنني لا أعيش بمفردي، كان الصقلِّيون يُرهبون طرائدهم برفع رؤوس الخيول على أسنَّة الرماح، ومن ثم عليَّ أن أحسم أمرَ لوحة "الوَشَق" هذه.

وضعت زجاجةَ البيرة نصفَ الفارغة في الثلاجة، وأخفيت الخَزْنة تحت كومةٍ من قطع الأخشاب في حمام الساونا، وتسلَّقت جرفًا قريبًا حتَّى استطعت أن أرى المحيط، تحت رذاذ المطر الذي يتساقط ببطءٍ، بدا الجو هادئًا ورماديًّا كفِراء ذئبٍ، رأيت سرب إِوَز يحلق في عنان السماء؛ فوقتُ هجرته قد حان، بوسعي أن أتظاهر بسهولة بأنَّني من مُحبي عَيْش الغُرَاب، أو أن أمسك بالمنظار من الكابينة وأتظاهر

بأنني عالمة طيور، بفضل خالي "جاري"، عرفت كيف أَميز عَيْش الغُرَاب الصالح للأكل عن غيره السام، بذل جهدًا لتعليمي ما يعتبره أهم المهارات الحياتية.

أعادتني أفكاري عن خالي إلى الصفِّ الثاني عندما كاد الشِّقاق أن يدبَّ بيننا، فقد افتتحت معلمتي ناديًا يمارس فيه الأطفال التربية الرياضية كل يوم خميسٍ بعد انتهاء اليوم الدراسي، إلَّا أنني لم أتمكن من الانضمام للنادي لأنني لم أجد وسيلةً تعيدني إلى البيت بعد مغادرة الحافلة المدرسية، ولأن معلمتي تعيش على بُعد ميلٍ من المدرسة تقريبًا، فقد عرضت عليَّ أن تقلني بسيارتها إلى البيت بعد انتهاء تدريباتي الرياضية، يبدو أنها أشفقت عليَّ، فأنا فتاةٌ يتيمةُ الأم ترتدي جواربَ غير متطابقة، ذات يومٍ بقيتُ بعد المدرسة وتمرَّنت على القفز وحبل التسلق، وقد أتقنت كليهما، عقب ذلك مباشرةً أقلتني معلمتي إلى البيت، وأوقفت السيارة أمام فناء البيت مباشرةً، من الواضح أنها توقعت أن أدعوها للدخول، أردت فعلًا أن أدعوها كي أقدمها لحيواني الأليف "فريدا"، لكنني شعرت بأنَّ خالي "جاري" لن يرحب بذلك؛ لذلك فقط شكرتها على توصيلي ثم أرشدتها إلى أفضلِ مكانٍ يمكن أن تسلكه كي تلتفَّ بسيارتها وتعود، وركضت إلى الداخل وناديت على "فريدا".

لم أجد "فريدا" هناك، خالي "جاري" فقط، لم أره غاضبًا لهذا الحد في حياتي، حيث بدا وجهه مثل ثمرةِ عنب الثور البري اليانعة، واهتزَّ شاربُه وهو يصرخ في وجهي قائلًا:

– ماذا يجري هنا بحق الجحيم؟ لماذا أتيتِ بمعلمتكِ إلى هنا؟

– أخبرتُكَ عن النادي الرياضي، وهي أحضرتني إلى البيت، ظننت أنك لا تزال في موقع البناء في "كارتونين" و..

أوشكتُ على البكاء، فالأمر لا يستدعي أن يغضب خالي لهذا الحد.

– خامات البناء نفدت؛ لهذا أنا بالبيت، والحمد لله أنني هنا! بالكاد أخفيت "فريدا" قبل أن تدخلا، ألَا تفهمين أن "الوَشَق" هو سرنا؟ لا يمكنك إخبار أيَّ شخص عن وجودها هنا! سيأخذونها بعيدًا إلى حديقة حيوانات، أو ربما أسوأ من ذلك؛ سيقتلونها.

بكيت، بالطبع لم أرغب في التخلِّي عن "فريدا"، قلتُ وأنا أنتحب:

– لن أذهب إلى النادي الرياضي ثانية، أعدك.

استعاد خالي "جاري" هدوءه بسرعة، لكنه ذكَّرني مراتٍ عديدة في ذاك المساء بأن "فريدا" لا بد أن تظلَّ سرنا.

سألتني معلمتي يوم الخميس عما إذا كنت سأبقى بعد المدرسة لأحضر التدريب في النادي وعندما أبلغتها بأنني لن أستطيع قالت:

– ولما لا، يا حبيبتي؟ يمكنني أن أقلكِ إلى البيت.

– لا أستطيع، إنه سر.

قالت بوجهٍ عابس:

– سر؟ شاركيني سرك إذن.

– لا أستطيع! إنه سرٌّ بيني وبين خالي "جاري"!

شهقَت المعلمةُ وغطَّت فمها بكفِّها وهمست:

– حبيبتي، أهو سرٌّ بينكما؟ ينبغي أن تفصحي عن أسرارِك، متى ذهبتِ إلى ممرضة المدرسة آخر مرة؟ أوه! لا، ماذا ينبغي أن أفعل الآن؟

حيرني الانزعاج الذي بدا عليها، سألتني:

– هل السرُّ يبدأ بالحرف "تاء"؟

انتابني القلق لأنها تعلم بأمر "فريدا"، وشعرت بأنفاسي تتزايد فعليًّا، قلت:

– يا إلهي، كيف تعرفين هذه الكلمة، كيف أضعها في..

– في الواقع، إنها كلمة تبدأ بحرف "تاء"!

كيف لا يمكنني أن أميز تَخْدِيش المخالب الذي أراه على أبوابنا كل يوم؟
قلت:
- لا يمكنني إخبارك بالمزيد!
ها أنا أخبرتها فعليًا بالكثير وهو ما سيجعل خالي "جاري" يفقد صوابه، قلت:
- يجب أن أستقلَّ الحافلة، إلى اللقاء.

خدشتني "فريدا" بمخالبها عدَّةَ مرات، ورسم التَخْدِيش خطوطًا دمويةً على جسدي، ولكن لم تصل خطورتها إلى حدٍّ يستلزم عرضها على المرضة التي تأتي إلى مدرستنا كل يوم ثلاثاء، وبالرغم من أننا لسنا بحاجة إلى تطعيمات هذا العام، فإننا جميعًا كنا نخاف من المرضة؛ فيديها باردتين ورائحتها غريبة، عندما كبرت.. أدركت أن مصدرَ رائحتها هو ذاك العطر الزهري المنتهي صلاحيته الذي تشتريه من متجرٍ محليٍّ يبيع سلعًا مُنوَّعة.

عندما ظهرت المرضةُ في المدرسة يوم الجمعة، قلق الطلاب، لم يسبق أن حضرت للمدرسة في يوم غير يوم الخميس إلَّا عندما انتشر القملُ في شعر "هانو هاكاراينن"، فجاءت وفحصتنا جميعًا، كنا حينها في الصف الأول، وها هي ممرضة المدرسة تطلب مني الآن أن أتبعها خارج الفصل، سمعت الأطفال خلفي يتهامسون، أخذتني إلى مكتبها الذي استخدموه كعيادة تمريضٍ وكغرفةٍ لتخزين الخرائط وأدوات التدريس، ومن على الرفِّ العُلوي أخذت بومة قزمة محنطة تحدِّق بي، سألتني بشيءٍ من الحرج:

- حسنًا، بخصوص هذا السر الذي بينك وبين خالك، هل هذا السر مؤلم؟
حدقت بها ثم قلت:
- حسنًا، إنه لا يؤلم، إنه لطيف، وجذاب أيضًا! أعني إنه يسبب الخدوش أحيانًا، ولكنه ليس بهذا السوء، انظري، الخدوش على وشك أن تندمل!

رفعت كم قميصي كي أريها الخدوش التي أحدثتها مخالبُ "فريدا" بمرفقي الأسبوع الماضي.

- خدوش! اسمعي يا "هيلجا"، لا بد أن تخلعي كل ملابسك.

سحبت المرضة حاجزًا قابلًا للطي أمام الباب ووضعت ملاءةً ورقيَّةً على سريرٍ قديمٍ كان يُستخدم كطاولةٍ للفحص الطبي، سألتها:

- لماذا؟

لم أفهم بأيِّ حق تقتحم هذه المرضة عَلَيَّ الفصل ثم تطلب أن أخلع ملابسي! فأنا لا أعاني من شيء، فلا حلقي يؤلمني ولا أعاني من سعالٍ على الإطلاق، قالت:

- اخلعي ملابسك فحسب.

بدت الحشرجةُ التي في صوتها واضحة أكثر من أيِّ وقتٍ مضى، سمعت من طلاب الصف السادس أن طلاب الصف الخامس سيخضعون لفحص الأعضاء التناسلية للتأكد من عدم تعرضهم للتحرش الجنسي، ولكن الفحص سيقتصر على الأولاد فقط.

خلعت ملابسي ببطءٍ في غرفة التخزين الباردة، سترتي وقميصي أولًا، ثم بنطالي الجينز، وتحته كنت أرتدي سروالًا ورديًّا سميكًا يتسبب في تسلخ الجلد في أعلى الفخذ، لم أخلع ملابسي الداخلية، فتَّشَت المرضةُ بشرتي وسألتني عن سبب الخدوش المتفرقة بجسدي، قلت:

- قطتنا شرسة بعض الشيء.

يُعتبر "الوَشَق" قطٌّ على أيِّ حال، قالت بسخرية:

- قطة، هه؟ مخالبها طويلة جدًّا، قطتك تلك.

رأيت حركات غريبة عند حلق المرِّضة، إن لديها تفاحة آدم مثل الرجال، قالت:

- هَيَّا، اخلعي سراويلك الداخلية أيضًا واقفزي على السرير.

ثم تمتمَت لنفسها:

– من دون طاولةِ فحص مناسبة، كيف.. حسنًا، الآن ارفعي ساقيكِ وافتحيهما.

نفذتُ ما قالته، ثم شعرت –ودون سابق إنذار– بشيءٍ معدنيٍّ باردٍ يندفع داخلي فصرخت وركلتُها في فمها، فسقطت يدها من على الشيء المعدني البارد، فأخرجته وظللتُ أصرخ، عندما حاولَت أن تلمسني مرةً أخرى، صرخت وعضَضتها، تحولَت صرخاتي إلى نوعٍ من الزمجرة الخافتة التي أسمعها تصدر من "فريدا"، طلبَت مني الممرضة أن أرتديَ ملابسي مرةً أخرى وأن أتبعها إلى الفصل، حيث كان الأطفال الآخرون يتناولون بالفعل غداءهم، لم تسمح لي بالدخول؛ بل استدعت المعلمة للخارج ووقفنا جميعًا في الردهة، قالت:

– لم تسمح لي بفحصها؛ لقد تصرفَت مثل المجنونة، بل إنها عضَّتني! وهذا ليس مُستغربًا حقًّا، بالنظر إلى صفاتها الوراثية، هل هي عنيفة مع الأطفال الآخرين؟

– لم ألحظ ذلك.

– سأطلب من الطبيب بمركز الرعاية الصِّحيَّة أن يفحصها، توجد لديهم أَسِرةٌ بها أحزمة تقييد، هل بوسعك أن تحضريها للمركز؟

– طلاب المرحلة الابتدائية ينهون يومَهم المدرسي في الواحدة يومي الإثنين والجمعة.

– يوم الإثنين القادم إذن، سوف أرتِّب ذلك مع الطبيب، هناك شيءٌ مريب، بالنظر إلى حالة الهياج التي أصابتها، سأطلب منه أن يصطحبها أخصائي اجتماعي، أليس "بيريو كوستينين" هو الأخصائي الذي تولى قضية "إلفسكيرو"؟

بدت شفتها العليا منتفخة من أثر ركلتي، فأخذَت تضغط عليها بأصابعها، قرأت تعبيرًا غريبًا رُسم على وجه معلمتي وهي تقودني إلى الفصل، كان الأطفال قد انتهوا بالفعل من تناولِ طعامهم، لكنني تمكنت من كشط جزءٍ كبيرٍ من بقايا البطاطس المهروسة بقَعْر الوعاء، سألني أصدقائي عما كانت

تريده المرضة، لكنني لم أجبهم، ولم أذكر ذلك لخالي أيضًا؛ فما فعلته المرضة يشعرني بالخجل، لطالما نبَّهني خالي إلى أنَّ كل ما يقع بين فخذيَّ هو من شأني أنا وحدي، ولا ينبغي مطلقًا أن أدعَ أيَّ أحدٍ يلمس هذه المنطقة، لم يخبرني أبدًا لماذا، لكنني صدقته، وشعرت بالفخر لأنني لم أخذله ولم أفشِ سرَّنا، بالرغم من أن المرضة عاملتني معاملة فظة، وقد نالت ما تستحقه؛ شفة متورمة جزاءً لها على محاولة إيذائي، لم أركز على ما قالته، ماذا قصدت بذلك؟ ما مشكلتها معي بالضبط؟

تمكنت خلال عطلة نهاية الأسبوع من نسيان ما جرى لي بالمدرسة، فقد قضيت يومَي العطلة مع خالي "جاري" في الصيد الجليدي، وبعد الصيد خبز خالي سمك قشر البياض داخل رغيفٍ كما صنع حساء السمك، بينما أخذت "فريدا" تلعب بهديتها، وهي سمكة قشر بياض كانت لا تزال على قيد الحياة، لم أتذكر حتَّى يوم الإثنين أنني مضطرةٌ إلى زيارة الطبيب يوم الثلاثاء، قبل أن أتوجه إلى حافلة المدرسة، داعبت "فريدا" ووعدتها بألَّا أتفوَّه بكلمةٍ واحدةٍ عنها، مهما فعل الطبيب، عندما وصلتُ إلى الحافلة، بدأت عزيمتي تخور فقد تذكَّرت أنني قرأت عن مصل الحقيقة في قصة "العم بطوط" المصوَّرة، قد يعطونني جرعةً وبعدها لن أقول سوى الحقيقة، لن أدعهم يحقنونني بأيِّ شيءٍ.

بدأ اليوم الدراسي بحصة دينية عن ابني "زبدي" Zebedee، وهي القصة التي تتحول إلى واحدةٍ من الدعابات المفضَّلة لدى خالي "جاري" عقب تناوله زجاجَتَي بيرة، وبعد أن يسكر يسأل:

– من هو أبو بني "زبدي" الحقيقي؟

فهل يعرف المعلم الإجابة؟

في فترة الاستراحة قمنا ببناء قلعةٍ ثلجية، ثم حان وقت مادة الرياضيات، حيث تدرَّبنا على جداول الضرب الذي وجدته سهلًا دائمًا، في البيت.. لعبت أحيانًا ألعاب الضرب بأعواد كبريت خالي، بعد ذلك وفي حصة الفنون والحرف اليدوية قمت بتطريز قطعة قماش نويت أن أضعها تحت وعاء "فريدا"، اخترت خيوطًا صفراءَ وأخرى لونها بنيٌّ داكنٌ لتطريزِ قطعة قماشٍ ذات لونٍ بنيٍّ فاتح، رأى الأطفال الآخرون أنها ألوانٌ قبيحة، وهذا يعني أنهم لن يستخدموها وبالتالي سأجد المزيد من الخامات كي أقوم بأعمال تطريزٍ أخرى.

تشتَّتَ انتباهي مرةً أخرى وتذكرت الطبيب فجأة، لن أصدر أيَّ صوت، بغض النظر عن نوع الشيء المعدني الذي سيضعه داخلي، وكي أعدَّ نفسي للألم قمت بوخز ظهر كفِّي بإبرةٍ، يمكنني تحمل هذه المعاناة، سيرى هذا الطبيب.

عندما كنا في السيارة، سألتني معلمتي شتَّى أنواع الأسئلة الغريبة، مثل أين أنام أنا وخالي؟ وهل نذهب إلى حمام الساونا معًا للاستحمام أم لا؟ هل يقبِّلني؟ أخبرتها أنه عادةً ما يقبلني قبل النوم عندما أذهب إلى سريري، وبالطبع نحن نذهب إلى حمام الساونا معًا كي نوفر نفقات الطاقة، سألتني:

– هل يقبلك خالك أحيانًا في أيِّ مكان آخر، أم على خدك فقط؟

فكرت قليلا ثم قلت:

– نعم، لقد قبلته ذات مرةٍ على يده بعدما لعبنا لعبة الملك والملكة، لكن منذ سنوات.

انتاب معلمتي الفضول بشأن هذه اللعبة وحاولت أن تدفعني كي أتذكَّر المزيد عنها، بدأ الأمر عندما حصلتُ على بطانيةٍ حمراء جديدةٍ بدت لي وكأنها عباءة ملك، ثم صنعت تاجًا من الورق المقوى لخالي "جاري"، بدأنا نلعب هذه اللعبة، ولكن بعد قليلٍ وصل "ماتي" على دراجته البخارية وأنهينا اللعبة، لكن كان لا بد من تقبيل يد الملك، على الأقل في القصص الخيالية.

عندما وصلنا إلى مركز الرعاية الصحية قالت لي:

- تذكري أنه يجب أن تردِّي على الطبيب بإجاباتٍ صحيحة، فهو خبير.

يتكون المركز من مبنى أبيض منخفض وواسع، بالقرب منه مدخنة مصنع طويلة، وعلى مسافةٍ أبعد قليلًا، رأيت برج المحجر القديم؛ بدا وكأنه قلعة من قلاع الحكايات الخرافية، أمسكَت المرضة بيدي وقادتني إلى آخر الردهة، وهي تسأل عن الاتجاهات، تفوح رائحةٌ غريبة من المبنى كله، تشبه إلى حد ما رائحة منزل أحد جيراننا.

كان الطبيب رجلًا عجوزًا، شعره أبيض طويلٌ نما في أذنيه أيضًا فخرجت منها شعيراتٌ نويتُ أن أجذبها إذا جرَّب معي أيَّ عمل غريب، ووجدت معه بالغرفة امرأةٌ تُدعى "بيريو"؛ كنت أعرفها لأنها تمرُّ على بيتنا من حينٍ لآخر لتتأكد من أن لدينا ما يكفي من الطعام والشراب في مخزن المؤَن، إنها دائمًا ودودة معي، لكن خالي "جاري" انتابه القلق بشأن زياراتها المتكرِّرة، وكلما عرف أنها قادمة، تظاهر بأنه مشغولٌ بالتنظيف وشراء الغالي من اللُّحوم والبرتقال.

طلبوا مني أن أنتظر بالغرفة بينما خرج الطبيبُ والمعلمةُ وغابا لدقيقةٍ، نظرت في الغرفة ولاحظت السرير؛ الكرسي الغريب المثبَّت به رِكاب سرج حصانٍ مقلوب، بدا الأمر مضحكًا، ثم عادت "بيريو" والطبيب من دون المعلمة وطلبا مني خلعَ ملابسي.

هل الطبيب خبيرٌ حقًا؟ أحيانًا يبعث الأطباء الناس من الموت، مثل يسوع، الراعي الصالح، ولكن بحسب مقولة خالي "جاري": كم من الأذى ارتُكب باسم يسوع هذا، فهل جاؤوا بي إلى هنا لأن الطبيب يحاول أن ينتزع "الوَشَق" منا؟

قررتُ ألَّا أحتجَّ وجرَّدتُ نفسي من ملابسي، أخبرتني معلمتي أن الربَّ يرى كل مكان، فافترضت أنه يرى ما تحت الملابس أيضًا، فلماذا لا يستطيع الطبيب أيضًا أن يرى من خلالها ودون خلعها؟

عندما سُئلت، برَّرت وجود خدوشي بقصة القطِّ الذي أربِّيه بالبيت والتي رويتها من قبل، لاحظ الطبيب العلامة التي تركتها وخزةُ الإبرة، فقلت له إنني وخزتُ نفسي عرضًا في حصَّةِ الفنون والحرَفِ اليدويَّة، ثم طلب مني أن أجلس على الكرسي الغريب وبدأ يعبث بالرِّكاب، كنت أقصرَ من أن أصل إلى حلَقَتيه، يبدو أنهما يريدان لعب لعبة رعاة البقر والهنود لأنهما ربطا ساقيَّ بالرِّكاب، قرأ لي خالي ذات مرةٍ قصةً تحكي عن امرأةٍ بيضاء تُدعى "ديليا" عاشت مع الهنود، وفي القصة ركب الهنود تحت بطن حصانٍ لخداع الرجال البيض، وبالمثل فقد أتوا بهذا الكرسي الغريب لخداعي أيضًا، شعرت بقليلٍ من الارتياح عندما وضع الطبيب فوقي بطانية دافئة، قال بهدوء:

- أغمضي عينيك، واسترخي، تخيَّلي أنكِ في حمام ساونا أو ممددة على شاطئٍ دافئٍ في مكان ما.

لم أجرؤ على إغماضِ عيني، فلا بد من أن أتأكد من أنه لن يحقنني بمصل الحقيقة، كان يحمل قضيبًا معدنيًّا في نهايته مرآة، يشبه تمامًا ذلك الذي حاولَت الممرضة استخدامه معي، أخذ يفركه بين يديه، لم أعد أُحبُّ هذه اللعبة، حاولت سحب ساقي من الرِّكاب، جلست "بيريو" في الزاوية وأخذت تحدِّق، لم يُطلب منها الانضمام إلى اللعبة، قال:

- عزيزتي "هيلجا"، أنا بحاجةٍ لأن أفحصك، إذا لم تحسني التصرف، فسنحتاج إلى ربط يديك أيضًا، يمكنني أن أعطيك شيئًا يهدئكِ ولن يؤذيكِ،

كنت أعلم أنه يقصد مصل الحقيقة، لذلك وعدت بأن أحسن التصرف، شعرت بالجسد المعدني ينزلق داخلي، ورغم أنه لم يكن باردًا كما كان من قبل، فقد ضايقني، لا يفترض أن يضعوا أيَّ شيءٍ هنا.

قال لي مستخدمًا العبارة نفسها التي يمتدح بها جارنا حصانه:

- فتاةٌ طيبة.

ثم سحب القضيب المعدني وحلَّ محله شيءٌ مطاطيٌّ وناعم، ولكن لثانيةٍ واحدة، آلمني قليلًا، لكنني لم أشتكِ، ولن أتفوَّهَ بكلمةٍ واحدةٍ عن "فريدا".

حرَّر الطبيب ساقيَّ من الرِّكاب ثم طلب مني أن أستدير وأنبطح على بطني، نفَّذتُ ما طلبه، رغم أنني كنت قلقةً لأنني لن أتمكن من رؤية يديه، لمسَ مؤخِّرتي بعناية، ثم سحب البطانية فوقي، سألني:

- هل تُحبين العيشَ مع خالك؟

- نعم!

- وتحتفظين ببعض الأسرارِ أيضًا، هل السر له علاقة بأعضائه الخاصة؟

- لا! من لديه هذا النوع من الأسرار؟

خاب أملي، يبدو أن الطبيب الودود مخبول، سألني:

- خالك لا يؤذيك، أليس كذلك؟

- لا، إنه لطيفٌ معي!

نزلت من على السرير وأنا ما زلت ملفوفة في بطانية ثم رميته بنظرةٍ غاضبة وقلت:

- بغضِّ النظر عن نوع مصل الحقيقة الذي تعطيني إيَّاه، فلن أخبرك! إنه سرٌ بيني وبين خالي.

أخذ غضبي يتزايد ويتزايد مما دفعه لأن يطرح أسئلةً حمقاء بخصوص فحص أعضائي الجنسية للتأكُّد من أنني لم أتعرض للتحرش، إن أغبى الصبية في المدرسة هم فقط من يتحدثون عن أشياءٍ من هذا القبيل، أخيرًا قالت "بيريو":

- أخبرتك أن "جاري إلفسكيرو" يعتني بها جيدًا.

تنهَّدَ الطبيبُ وقال:

- حسنًا، لم تتعرض "هيلجا" لأيِّ أذى، هذا مؤكد.. تعالي يا "هيلجا"، ارتدِ ملابسك سأجعل المرضة تُحضر لك الآيس كريم من الكافتيريا، ما هي النكهة المفضَّلة لديك؟

اندفعت قائلة:

- شوكولاتة!

غادر الطبيب ووراءه "بيريو"، بمجرَّد أن ارتديت ملابسي، بدأت ألعب بكرسي الرِّكاب الغريب، وتظاهرتُ بأنني فتاةٌ هنديَّة يحاول الرجال البيض الأشرار رميها بمصل الحقيقة.

لم يكن لدينا ثلاجة، لذا كان الأيس كريم علاجًا تعويضيًّا ممتازًا، أحضرَت لي المرضةُ الآيس كريم وصودا بنكهة البرتقال، تناولتهما وأنا أقوم بعملِ واجبي المنزلي، ثم سمعت طَرقًا على الباب، فُتح الباب وظهرت معلمتي بشعرٍ أشعث وعينين حمراوين وقد امتدَّ أحمر شفاهها حتَّى ذقنها، قالت:

- لا أحد يرد على الهاتف في بيتك، هل تعرفين أين خالك؟

- عند "آل هاكاراينن"، يصلح سقف الحظيرة.

- هل يمكنك أن تخبريني عند من منهم؟ فهذا اسمٌ شائعٌ جدًّا هنا.

قلت وأنا أبذل قصارى جهدي كي أبدو متعاونة:

- لديهم حصان اسمه "كيوتي"، إنَّني أمتطيها مرَّتين، لكنها لا تحبُّ أن ترتديَ السرج وإلا لن تتمايل، وستحاول طرحي أرضًا، نحن فتاتان طيبتان.

عندما بذلتُ مزيدًا من الجهد، تذكَّرت أنَّ الاسم الأولَّ للرجلِ الذي من "آل هاكاراينن" هو "ماتي"، فقالت معلمتي إنها ستأخذني للبيت وستتبع "بيريو" بسيارتها الخاصَّة.

"فريدا"! بدأت أقلق بشأنها، هل سيجد خالي وقتًا كافيًا كي يخفيها قبل أن نصل إلى هناك؟ يجب ألَّا ترى المعلمةُ و"بيريو" "فريدا"، انتابَتني حالة إعياءٍ طوال الطريق إلى البيت، وبمجرَّد أن وصلنا إلى فنائنا أجهشتُ في البكاء، ركضت إلى الفناءِ الخلفيِّ لكنني لم أجد "فريدا"، سألتني مُعلمتي:

- "هيلجا"، هل يمكنكِ الانتظارُ بالخارج كي نتحدثَ مع خالكِ على انفراد؟

ظهر خالي "جاري" عند الباب وبدا غاضبًا مجدَّدًا، أوه! لا، هل ظنَّ أنني بحثُ لهم بالسر؟ ورغم ذلك ابتسم في وجهي وأوشكَ أن يعانقني عندما طلبت مني "بيريو" الانتظارَ بالخارج.

مشيت إلى مبنى حمام الساونا كي أرى إذا كان هناك ماءٌ دافئٌ في الحوض لأغتسل، وكلما اقتربت إلى المبنى تنامى إلى مسامعي مواءً وخدشًا مألوفًا، تمكن خالي من إخفاء "فريدا"! لم أفتح البابَ لأرحِّب بها خشية أن تهرب، وجدت الغسيلَ النَّظيف لا يزالُ في حمام الساونا منذ يوم السبت حيث تركناه يجف، لذلك ارتديتُ سراويلَ داخليةً نظيفة بعدما اغتسلت، تمامًا كما تعلَّمت.

نادت عَلَيَّ معلمتي وقد بدت عيناها أكثر احمرارًا مِن ذي قبل، أمَّا "بيريو" فكانت تشبه كلبَ جيراننا بعد أن يوبخوه، ما زال خالي "جاري" غاضبًا، وعرفت أنه لم يكن غاضبًا مني لأنَّه ضمَّني بشدةٍ، ثم قال:

– لا بد أن أقاضيكما أنتما الاثنتين! كم قاست هذه الفتاةُ على مدارِ حياتها القصيرة! سأدعُ الأمر يمرُّ هذه المرة، ولكنكما تُدينان لها باعتذارٍ وينبغي على الممرضة عمل الشيءِ نفسه عندما تأتي للمدرسة المرة القادمة.

ركعت المعلمة أمامي وربَّتت على خدِّي وقالت:

– عزيزتي "هيلجا"، لقد قمتُ بما ظننته في صالحكِ، أنتِ تقرئين عن هذه الأشياء الفظيعة في الكتب والصحف، وأعتذر عن إجراءِ الفحوصات أيضًا، لم يكن لها أيُّ داعٍ بالمرَّة.

أصابني بكاؤها بالرُّعب، ثم قالت "بيريو":

– أرجو أن تسامحيني يا "هيلجا"، كنت أقوم بعملي فقط، نحن جميعًا ندعمك.

كل هذه الاعتذارات لم تعنِ لي أيَّ شيءٍ، لكنني افترضت أنهما تعتذرانِ عن أسئلتهما الحمقاء وعن الشيءِ المعدنيِّ البارد الذي وضعوه داخلي، لقد سامحتهم، رغم أنَّني أُفضِّل أن أصيحَ في وجه الممرضة عندما أراها المرة القادمة وأقول لها أن تغرب عن وجهي، قال خالي "جاري" إننا لن نثير هذا الموضوع مجددًا أبدًا بعد أن يعتذروا لي، في بعض الأحيان نجد البالغين يتصرفون بغباءٍ شديد، فأنا لم أرتكب أيَّ خطأ، منذ تلك الواقعة أصبحت أخافُ من الأطبَّاء، لذا فإن الفحوصات التي كان من الضروريِّ إجراؤها من أجل دخول الجيش أو الحصول على الوظيفةِ آلمتني، من حينٍ لآخر.. تراودني كوابيسُ عن رَبطي بِركاب السرج في عيادة أمراض النساء، ولم يذهب هذا الخوف إلَّا بعدما تعلمت الجودو وفنونَ القتال الأخرى، مما جعلني أُقنع نفسي أخيرًا أنني آمنة؛ وأنَّه لا أحد سوف يُسيء إلى جسدي مرةً أخرى بسهولة، عندما أدخلوا اللولب برحمي لأولِّ مرةٍ، شعرت وكأن هناك شيءٌ غريبٌ بداخلي، لكن هذا الشيءُ منع ظهور كائن آخر غير مرغوب فيه؛ طفل.

منحتني الكابينة عزلةً هادئةً بعيدًا عن ذكرياتي، بلا أشباح من الماضي ولا أشخاص ينبغي أن أحميهم، انتهيت من البيرة وفتَّشت المكان بحثًا عن زجاجة "تيكيلا" كنت قد اشتريتها قبل أن يبدأ الصيف، غمستُ حافَّة الكأسِ في ملح الكوكتيل، لأن تناول بعض الكحول الآن سيفيدني، لم يمضِ على مغادرتي موسكو سوى أسبوعٍ واحد، ووجدت نفسي على استعدادٍ لأن أدفع مبلغًا كبيرًا لأعود بالزمن للوراء وأمنع "أنيتا" من دخول متجر الفراء، وأقنعها بأنه لا وقت لدينا لتجربة معاطف فراء، وجدت نفسي على استعدادٍ لأن أدفع أيَّ ثمنٍ مقابل ألَّا يُدرج موتُ إنسانٍ على قائمةِ أخطائي.

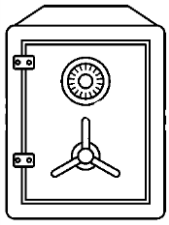

7

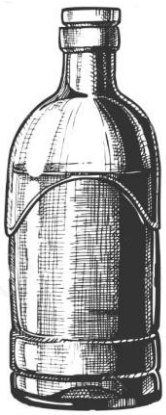

عندما استيقظت كانت الساعة الحادية عشرة تقريبًا، وجدت المطر قد ملأ الكابينة باللون الرمادي، مع بقعٍ من الطحالبِ الخضراء الزاهية تلمع عبر غلالة المطر، وبنظرةٍ واحدة إلى نصفِ زجاجة "التيكيلا" الفارغ على المنضدة أدركت لماذا أشعر بثقلٍ في رأسي، خلعت البيجاما وخرجت تحت المطر، لا أحد هناك إلَّا نقار خشبٍ أسود، وربما أيلٌ فقط، ولعلهما يراقبانني.

ولَّت لحظة السلام التي كنت أعيشها بمجرَّد أن رنَّ هاتفي، هرعت إلى الكابينة ورأيت أن المكالمة صادرة من رقمٍ مجهول، عندما أجبت.. لم أسمع في البداية سوى أزيزٍ، ثم بضع كلماتٍ بالفرنسية، ثم سمعت أخيرًا صوتًا ودودًا يتحدث بالسويدية، إنها "مونيكا"، قالت:

– مرحبًا يا "هيلجا"، ألا تزالين نائمة؟

تقع "موزمبيق" في منطقة تتَّبع التوقيت الزمني نفسه لفنلندا، وعلى الأرجح كانت "مونيكا" تواصل العمل بالفعل لساعات، شعرت بالبرد، لكنني لم أجرؤ على إنهاء المكالمة كي أرتدي ملابسي خشية ألَّا تستطيع معاودة الاتصال، قالت:

– قرأت لتوِّي رسائل البريد الإلكتروني التي أرسلتِها، خدمة الإنترنت غير مستقرَّة أبدًا هنا كما أننا مشغولون في إنهاء مشروعٍ ضخمٍ لبناء دورات مياه.

– هل تبنين دورات مياه الآن؟ وماذا عن الطَّهي؟

– ما زلت أطهو قليلًا، لكن كيف يمكنني أن أطهو طعامًا لأناسٍ لا يملكون دورات مياه مناسبة؟! لا عليكِ، كيف حالكِ أنتِ؟

انتقال "مونيكا إلى "موزمبيق" جعلني أشعر بالارتياح إلى حدٍّ ما؛ فقد سمحتُ لها بالاقتراب من حياتي الخاصَّة أكثر من اللازم، ومن المواقف المتفرقة التي رويتها لها، حاولت تجميع خيوط حياتي الماضية، وهو الشيء الذي وجدته في بعض الأحيان أمرًا لا يُطاق، لم أكن مستعدة لتذكُّر واسترجاع كل شيءٍ بعد، بغض النظر عن عدد المرات التي نصحتني فيها "مونيكا" بأن ذلك لصالحي، وهي الآن على بعد آلاف الأميال، في قارةٍ مختلفةٍ تمامًا، لذلك سأُعبِّر عن رأيي بحرِّية.

اتصلت بـ"مونيكا" على الخطِّ مسبق الدفع؛ فقد شككت في أن الشرطة تتنصَّت على المكالمة، وقلت:

– أنا في أسوأ أحوالي، حالة تشبه المعاناة النفسية والجسدية من أثر الإفراط في الكحول، أنا هنا في الكابينة، أحاول فتح خزنة "أنيتا" التي تركتها في حوزتي، في حال..

بدأت أبكي، اللعنة! إنَّ هذا ليس وقت البكاء، قالت:

– ألَا ينبغي أن تسلِّمي الخَزْنةَ للشرطة؟ بالتأكيد لديهم طريقةٌ لفتحها.

– الشرطة؟ لا فائدة تُرجى منهم! فالشرطة وميليشيا موسكو يدَّعون أن "أنيتا" أصيبت برصاص أطلقه شخصٌ مخمورٌ ومات بعدها بتسمُّمِ الكحول.

كان الخط يُخَشْخِش؛ ووجدت صعوبة في سماع ما تقوله "مونيكا"، ثم انقطع الخط، وقفت أحدق في هاتفي المحمول حتَّى لاحظت أن جسدي يرتجف، تمكنت من ارتداء ملابسي الداخلية والجينز والقميص قبل أن يرنَّ الهاتف ثانية، هذه المرة.. كان صوت "مونيكا" أكثر وضوحًا، كما لو كانت تقف بجواري تمامًا، قالت:

– أتقولين إن أحدَ المخمورين أطلق الرصاص على "أنيتا"؟

– بالطبع لا! "فالنتين باسكفيتش" هو من استأجره بالتأكيد، إنه حبيب "أنيتا" السابق، وقد اعتادا التردُّد على "شي مونيك"، تتذكرين؟ هددني أتباع "باسكفيتش" بالبريد الصوتيِّ أيضًا، لكن الشرطة تعتقد أن القضيةَ أغلقت، أو على الأقلِّ الميليشيا تعتقد ذلك، لم يقتنع الضابط في مكتب التحقيقات الوطني بروايتهم، ولكن ماذا بوسعه أن يفعل؟ ماذا بوسع أي شخص أن يفعل؟

– اتصلي بـ"هيلينا ليموسفو"! إنها تعرف كيف تعمل الميليشيا الروسيَّة،

ثم سمعتها تقول لأحدٍ بالفرنسية:

– دقيقة، أنا قادمة.

خفت صوت "مونيكا"، سألتها:

– من "هيلينا"؟

– النائبة "هيلينا ليموسفو"، كانت زبونة أيضًا في "شي مونيك"،

سمعتها مرة أخرى تقول لأحدٍ بالفرنسية:

– أنا قادمة، حسنًا.. حسنًا.

ثم قالت لي بالسويدية:

– أنا آسفة، يجب أن أذهب، لعلها كارثة ما.

اختفت "مونيكا" ولم يرن الهاتف مرةً أخرى، ارتديت سترةً فوق قميصي وقمت بنقع الشاي الأسود وجعلته أثقل ما يكون بقدر استطاعتي، أعددت وجبةً من عصيدةِ الشوفان وعصير الطماطم مع الكثير من الملح والفلفل الأسود لأجدِّدَ طاقتي، رغم أنني ما زلت أَسْتَطْعِم مذاق "التيكيلا" في فمي.

سأجد "هيلينا ليموسفو" من خلال المعلومات الواردة على موقع مجلس النواب، حاليًا.. لست في وضع يسمح لي بالتواصل معها، لكنني أجريتُ مكالمةً هاتفيةً كي أعرفَ كيف أتواصل مع مساعِدتها، بوسعي استخدام الإنترنت مرةً أخرى ولكن كتابة بريدٍ إلكترونيٍّ طويلٍ على هاتفي يستغرق وقتًا، ولم أطق صبرًا، أغلقت هاتفي وتركته في صندوقٍ مغلقٍ كي أفحص السقيفة بالخارج لعلي أجد أيَّ شيءٍ يمكنني استخدامه لصنع متفجراتٍ ولا يتعدى المطلوب لصنعها بنزين وخميرة خبز وبيض، بشرط أن تكون النتيجة شيءٌ أشبه بانفجارٍ صغير، وليس انفجار يتم التحكم فيه عن بعد؛ حتَّى أتمكن من كسر قفل الخَزْنة دون الإضرار بمحتوياتها، من المفترض أن القفل متين، سأحتاج إلى التفكير في توليفة أرقام قد تكون "أنيتا" قد استخدمتها، لا بد أنها مارست بعض دروس تقوية الذاكرة.

ما زالت مفاتيح منزلها معي فـ"لايتيو" لم يطلب مني تسليمها، ربما داهمت الشرطة المكان وفتشته قبل أن يتحدثوا معي، لكن هل تمكنوا من تفتيش المكان بدقة كما أفعل أنا؟ وبما أن المنزل لم يكن مسرح الجريمة، فلعلهم لم يؤمِّنوه، كنت أعرف نظامه الأمنيَّ بكل تفاصيله، فالخادمة تعيش خارجه وتتردد عليه كثيرًا، على أيِّ حال، ما زال بالمنزل بعض المتعلقات التي تخصُّني، ومن ثم لَدَيَّ سببٌ مشروع للذهاب إليه، قمت بتدوين ملاحظةٍ ذهنية لزيارة حي "ليتيساري" السكني.

ارتديت ملابس المطر وخرجت من الكابينة ومعي سلَّة وسكين لقطع عَيْش الغُرَاب، وبرغم الطقس وجدت الكثير من الفطر الذي يصلح للقطف، صادفت

أيضًا اثنين من مخيَّم "هيكاماكي"، لم أفهم أبدًا سبب رغبة البعض في قضاء عطلاتهم بالقرب من أشخاص غرباء، حيث تصبح الخلافاتُ العائلية والشخصية علنية، وحيث يطَّلع الجميع على عاداتك الغذائية، جعلتني الأرض المخصصة للمخيم أشكُّ في أن استئجار كابينةٍ بـ"ديجيربي" فكرةٌ صائبةٌ من الأساس، أعلم أنني لا أستطيع الإفلات من الآخرين تمامًا، وعلى أيِّ حالٍ لا يوجد أحد يخيِّم على المنحدرات التي تقع خلف الكابينة حتَّى الآن.

تأكدت من أن قارب التجديف الذي جاء بي إلى الكابينة لا يزال راسيًا على الشاطئ، جرفت مياه الأمطار منه ورأيت بجعة تنزلق في انسيابيةٍ على سطح البحيرة الممطِرة، دون أن تلتفت إليَّ.

عدت إلى الكابينة عبر الغابة، لم ألحظ وجود جثة حيوانٍ حتَّى أصبحت على بُعد بضعة أمتار منها، طُرحت الجثةُ وكانت طازجة؛ ولم تفح منها رائحة العفن بعد، على الرغم من أن الذباب كان يَئِزُّ بالفعل حولها، بلَّل المطر والدم جلدَ الغزالِ وكانتا عينيه خاليتين من أيِّ تعبيرٍ وخاويتين، لم يكن موسم صيد الغزلان قد حان بعد، وشككت في أن الصيادين المخالفين لقوانين الصيد قاموا بإطلاق النار بشكلٍ عشوائيٍّ على الحيوانات في منطقةٍ مكتظَّةٍ بالمصطافِّين، رأيت أن جثة الغزال على بعد بضعة أمتارٍ من الطريق، لذلك افترضت أن شخصًا ما صدمه واعتقدَ أنه نجا، أو لعلَّه مات بسبب الشيخوخة أو المرض.

هناك احتمالٌ رابع، تأكدت منه عندما اقتربت بضع خطواتٍ من الغزال: لقد قُتل عمدًا، لكن ليس بالرصاص، تكشف الجروح التي برقبته أنها بلا شكٍّ من فعل "وَشَق" اغتنم الفرصة وملأ بطنه باللحم، كانت هناك أغصانٌ وشجيراتُ توتٍ محطمةٌ ومتناثرةٌ في كلِّ مكانٍ؛ وتهشمت قرون الغزال في أماكن متعددة أثناء العِراك الشرس.

من الناحية القانونية.. كان يجب أن أتَّصل بالشرطة أو جمعية حفظ الطرائد، التي ستحكم بأن الغزال الميت ملكٌ لمن يمتلك الأرض، وعادة ما يكون لنادي الصيد المحلي، سأعترض؛ كان الغزال ينتمي إلى سلالة "الوَشَق" الذي تربَّص به واصطادَه وقتله، ولعلها كانت أمًّا لصغارٍ جائعة.

من الممكن أن تطغى رائحتي على رائحة الغزال، لذلك ابتعدتُ عنه، مات الحيوان في منطقةٍ مفتوحةٍ إلى حدٍّ ما، وفي هذا الوقت من العام تعجُّ الغابةُ بجامعي الفطر، والبعض منهم يصطحب كلابه. في العادة، يتجنب الناس قطف حبَّاتِ عَيْش الغُرَاب والتوت الرطبة، على عكس "الوَشَق".

فحصتُ المكانَ المحيط، لم يكن من السَّهلِ العثورُ على مساراتٍ على أرض الغابة، لأنها في الأغلب تكون مغطاةً بالصُّخور والشجيرات الصغيرة، لكنني وجدت أخيرًا بضع بصماتٍ لمخالب شكلها مألوف، وعلى مسافةٍ أبعد قليلًا، رأيت شعيرات صفراء فاتحة نُتفت أثناء العِراك.

شعرت بوجود "وَشَق" في الكابينة، وهُيِّءَ لعقلي أنني أرى عينيه الصفراوين كالكهرمان، تبرقان عندما كنت أتسلق إلى قمة الجرف لمشاهدة العاصفة وهي تتكشف، في الماضي.. قال الناس أنهم رأوا "الوَشَق" بالقرب من النهر، ولعلهم وجدوا آثار أقدامه على الجليد البحريِّ هناك، وكذلك على بعد أميالٍ قليلةٍ شرق مدينة "كوبيرنيس"، حيث يتمتع "الوَشَق" بمئات الأفدنة من الأراضي البكر وأكوام الصخور الصالحة لعمل أوكاره وحيث الطعام الوفير – الأيائل والأرانب البرِّية– لكن حيث توجد الكلاب أيضًا والتي ينقل نباحها الذي لا ينقطع الأخبار من منزلٍ إلى آخر بمجرَّد رصدِ أيلٍ أو "وَشَق" في مكانٍ قريب.

ساعدني الشعور بوجود "وَشَق" على استجماعِ أفكاري، تستطيع الحيوانات الجلوس لفتراتٍ طويلةٍ دون حِراك، وتظلُّ شبه مموَّهة وغير مرئية،

رغم أنَّ المطر أصبح أكثر غزارة، ظلَلت أمشي لساعاتٍ في الغابة، وأنا أفكِّر، وبمجرَّد أن عدت إلى الكابينة، وضعت عَيْش الغُرَاب بالخارج ليجفَّ ثم اتَّصلت بـ"سارة هارفيلا"، مساعدة "هيلينا ليموسفو"، لم أتمكن إلَّا من الوصول إلى بريدها الصوتي، لذلك تركت طلبًا لمعاودة الاتصال وذكرت أنني عملت مع "أنيتا نيوتينين" وأنني التقيتُ "ليموسفو" من قبل.

فتحت التليفزيون لأشاهد نشرةَ الأخبار، استمعت إلى تقريرٍ عن العمليات الروسيَّة في جورجيا، وعن التكهُّنات حول مدى تأثُّرِ السياسة بعضوية جورجيا المحتملة في حلف "الناتو"، اهتمَّ خالي "جاري" دائمًا بالسياسة وعارَض بشدةٍ انضمام فنلندا إلى الاتحاد الأوروبي، وعندما انضممنا رسميًّا، أحرق العلم الفنلندي في فناء بيتنا احتجاجًا، بعدما تناول الكثير من خمر "مون شاين" ليشدَّ من أزره، في وقتٍ لاحقٍ أوضح أن العلَم أصبح باليًا وبالتالي لم يعد يصلح للاستخدام، لذلك كان لا بد من حرقه من باب الاحترام، وفي اليوم نفسه ذهب إلى بلدةِ "كافي" واشترى علمًا جديدًا.

قبل أن يصبح خالي الوصيُّ القانوني عَلَيَّ، التحق بمدرسة التجارة حيث تعلَّم البناءَ والتشييد، وأخذ يتجوَّل لأربع سنواتٍ في مواقع بناءٍ مختلفةٍ قبل أن يضطرَّ إلى الاستقرار معي، لا أتذكر ما كان عليه حالي قبل أن أعيش مع خالي؛ لا أملك إلَّا بعض الذكرياتِ الضبابيةِ المبهَمة التي لم أَميز أبدًا أيها الحقيقي وأيها المزيَّف، أتذكر مبنى سكني، ومن نافذته كنت أرى شاحنةً لجمع القمامة، كما أتذكَّرُ رائحة بطاطس مهروسة ونقانق، وأصابع السمك وأحذيةً حمراء تطقطِق على الأرضية الخشبية، وشفاه حمراء ناعمةً تطبع القبلات على جبيني، وأتذكر لونًا أحمرَ سال على الأرضية ولطَّخ بيجامتي وتسلَّل إلى سروالي الداخلي، وكذلك البريق الأحمر الذي أخذ يومض في عينَيْ أبي.

كانت "مونيكا" الشخص الوحيد الذي أخبرته بكلِّ هذا، الآن أُبدِّد هذه الذكريات بالتفكير في غزالٍ ميت، ليس لَدَيَّ للأسف! كاميرا بعَدَساتٍ مُقرِّبة، لأن "الوَشَق" لن يقترب إذا شمَّ رائحتي، أفضِّل أن أدعه في سلامٍ بدلًا من إزعاجه لا لشيءٍ سوى أنني أشعر بتحسُّنٍ بهذا التقارب مع توأمِ روحي.

فعلتُ ما سيفعله خالي "جاري" لو كان في مكاني، غفوتُ وحلمتُ، وسرعان ما دخلت في تلك المساحة التي تقع بين النوم والوعي، تمامًا مثلما حدث لي وأنا في قطار موسكو، وجدتُ نفسي عند باب المبنى مرةً أخرى، في انتظار "أنيتا"، وبمجرَّد أن خرجت، ضربني أحدُهم على رأسي على الفور، عندما استعدت وعيي.. وجدت وشاح "أنيتا" الحريري بلونه الأصفر الفاتح إلى جواري، لكني لم أجدها في أيِّ مكان حولي، استيقظت عندما ركض سنجابٌ عبر السقف الصفيح وجعلني أفزَع، هل كان حلمي ذكرى، أم مجرَّد أملٍ أحمق بأن الوشاح انتهى به الحال معي لسببٍ بريء؟

رنَّ هاتفي بعد السادسة مساءً، ورغم أن الرقمَ مجهول، قرَّرت أن أرد، سمعت على الجانب الآخر صوتًا مألوفًا يقول:

– مرحبًا، أنا "هيلينا ليموسفو"، تعازيَّ الحارة، هل كنتِ متواجدةً بالمكان عندما أُطلق الرصاصُ على "أنيتا نيوتينين"؟

– لا، لم أكن هناك.

– قصة أنَّ أحد المُتشرِّدين أطلق الرصاص عليها قصَّةٌ بلهاء، نحن نتعامل مع لاعبين كبارٍ هنا، هل منحتك "أنيتا" إجازة في يوم الحادث؟

– لا أظن أننا يجب أن نتحدث عن هذا الأمر عبر الهاتف.

– نعم، معكِ حق، هل يمكن أن نلتقي؟ هل ستكونين في هلسنكي أو بالقرب من "كيركونومي" في أيِّ وقتٍ في نهاية هذا الأسبوع؟

تعيش "ليموسفو" خارج هلسنكي في "كيركونومي" وقد تمَّ التصويت لصالحها كنائبةٍ عن منطقة "أودينما"، التي تشمل العاصمةَ وضواحيها، اقترحت أن أقابلها هناك، لذلك دعَتني إلى منزلها ليلة الجمعة، وبهذا كسبت بعض الوقت، من المؤكَّد أنها بمجرَّد أن تسمع القصة، سوف تلومني على ما حدث، ولكن أيًّا ما كان، فهذا هو طريقي إلى "كيركونومي" ولا بديلَ عنه، كما يمكنني زيارة المكتبة للتحقُّق من بريدي الإلكتروني، وإجراء المزيد من البحث عبر الإنترنت، في اليومَين المقبلَين، بوسعي أن أسترخيَ وأركز على اقتحام خزنة "أنيتا".

أكلتُ عجَّة عَيْش الغُرَاب وكتبت كلَّ الرموزِ الممكنة كي أفتح الخَزْنة بينما كنت أنتظر تدفئةَ حمَّام الساونا، جرَّبت كلَّ الأرقامِ التي حذَّرتُ "أنيتا" منها: عيد ميلادها، عيد ميلاد ابنتها، للأمام وبالعكس وبالتبديل، جربت رقم الضمان الاجتماعيِّ الخاص بي، رقم الحساب البنكي، وأرقام جواز السفر لكلٍّ منَّا، وجميع أرقام الهواتف التي كان تتصل بـ"أنيتا"، بما في ذلك رقم الهاتف الرسمي لـ"فالنتين باسكفيتش"، لم يفتح أيٌّ منها القفلَ، ذهبت إلى حمام الساونا لأشدَّ عضلاتي وأسترخي، بمساعدة البيرة وقليلًا من "التيكيلا"، ثم شاهدت أخبار الساعة العاشرة، ليس بها أيُّ أخبارٍ عن "أنيتا"، وجدت روايةً ممزَّقةً في الكابينة بعنوان "آن في المرتفعات الخضراء" Anne of Green Gables، فأخذت أقرأها حتَّى رحتُ في النوم.

عند الفجر، أيقظتني قعقعةٌ صاخبةً لسربٍ من طيور "الكركي"، ذهبت إلى الحمام، وتناولت كوبًا من الماء، وحاولت النوم مرةً أخرى، رأيت نفسي في الحلم مستلقيةً وسط حقلِ طحالبٍ، وشمسُ الربيع تغمرُ جسدي، لم يعد رحمي يقوى على حمله أكثر من ذلك؛ فاضطرِرت إلى دفعه للخارج، خرج مني صغير "وَشَق" ملطَّخٌ بالدماء وأخذ يتلمَّس بفمه الطريقَ إلى حلمةِ ثَديي، قبل أن يصل إلى هدفِه،

ظهر واحدٌ آخر، مُفْعَمٌ بالحيوية مثل الأول، ووجد حلمةَ ثديي، شعرت أن حليبي يتدفَّق إلى أفواههم الجائعة، وفراءهم الرطب يبرِّد بطني، ثم ظهر واحدٌ ثالثٌ، جائعٌ مثل شقيقَيه، اعتقدتُ أنني لن أقوى على إطعامه، لكن عندما نظرتُ إلى بطني وجدته مغطًى بالفراء، وبه حلمتان أُخرتان، أمسك "الوَشَق" الثالث بالحلمةِ الموجودة أسفلَ قلبي مباشرةً وبدأ يمصُّها، أخذنا نهرهرُ نحن الأربعة، كنت أعلم أنني سأستيقظ قريبًا، فحاولت أن أطيل الحلم، وحزنت لأنَّني عدت إلى الواقع.

قررَت "مونيكا" أنها لن تنجب أطفالًا في هذا العالم إلى أن يحصل كلُّ فردٍ على ما يكفيه من الطعام، لم تكن دوافعي بمثل هذا النقاء؛ إنما ظننت أنني لن أكون أمًّا صالحة، لا أستطيع أن أضمن أنني لن أتبرَّم من الطفل ولن أنبذه بعيدًا مثلما تفعل "الوَشَق" الأم مع صغارها عندما تكون جاهزةً للتزاوج.

عندما بلغت الثانية عشرة من عمري، التقى خالي "جاري" بـ"كيرسي" في إحدى عربات أعمال البناء والتشييد الخاصَّة به حيث عملت في إعداد وجبات الطعام للرجال، أبدت "كيرسي" اهتمامًا خاصًّا بخالي حتَّى أنها جاءت إلى "هيفونبرسينساري" لزيارته، رَمَقتها بنظرةٍ واحدةٍ فقط ثم أقلَعت في قاربي، ولم أعد للبيت حتَّى اختفت سيارتها الـ"لادا" الرمادية من الفناء، وبعد هذه المرة لم نرها مجدَّدًا ولم نذكرها، ولكننا تسلمنا بطاقةً بريدية بعد ستة أشهر تقريبًا من جُزُر "الكناري" ومن شخصٍ يُدعى "جومبي" الذي تقضي معه شهر العسل هناك، تمعَّن خالي في البطاقة للحظةٍ ثم ألقى بها في النار، وعلى حدِّ علمي.. لم يواعد خالي أيَّ امرأة أخرى حتَّى بعد رحيلي.

تناولت تفاحةً وقررت أن أغتنم فرصة الطقس الصباحي الغائم ولكن بلا أمطار، وأذهب للركض، أثناء الركض أخذت أخمِّن توليفاتَ الأرقام الممكنةِ لفتح القفل، كنت بمفردي ولم أعثر على رفقةٍ أو صُحبةٍ إلا عندما رأيت أيل ذكرًا له قرونٌ كبيرةٌ بالقرب من المنحدرات؛ هرب بسرعةٍ خاطفة ولم أتمكن من اللحاق به،

بعد الركض عدت للتحقُّق من جثَّة الغزال، لقد عثر "الوَشَق" على وليمةٍ وأكل أفضلَ قطعِ اللَّحم ولم يترك منها شيئًا، والآن هو كامنٌ في مكانٍ ما في حفرةٍ ينتظر الظَّلام؛ حيث يمكنه متابعة التهام لحمها، قد يعود إلى الغزال مرةً رابعة، ولكن عندئذ سيجد اللحم قد أصبح بَائِتًا فيتركه "الوَشَق" للطيور والنمل والذباب.

بعد وجبة إفطارٍ ضخمةٍ، قمت بتشغيل جميعَ خطوط الهاتف التي أملكها، وجدت على الخطِّ المسبق الدفع رسالتين صوتيتين: واحدة من "سيسيليا نيوتينين كيكي" عابرةً للمسافة من "هونغ كونغ"، وواحدة من قائد الشرطة "لايتيو"، رأيت أن الرد على أَيٍّ منهما ليس ضروريًّا الآن، بدأت العمل على فتح خَزْنة "أنيتا" التي أعطتها لي حتَّى أضعها في صندوق ودائعي في البنك، وبدلًا من ذلك أحضرتها إلى الكابينة، لم تعرف "أنيتا" أنني نقلتها إلى الكابينة، فلم يكن ذلك ضروريًّا، جرَّبتُ توليفةَ أرقامٍ جديدةٍ خطرت ببالي أثناء الركض، ولكن لا شيءَ منها فتح القفل، عَكَس سطحُ الخَزْنة الفولاذيُّ الرمادي المنبَعج صورةً بشعةً لوجهي، وكأنَّه يسخر مني، كنت غاضبةً وعندما رأيت أن "لايتيو" اتصل بي مرةً أخرى، رأيت أن بوسعي أن أرد عليه؛ فأنا في المزاج المناسب له الآن، قال:

- حسنًا، أين تختبئُ "إلفسكيرو"؟ ذهب رجالي إلى مسكنكِ لإحضاركِ للاستجواب، لكنهم لم يجدوا لكِ أثرًا.

- أنا عند صديقتي، اعتقدتُ أنكم أغلقتم قضيةَ "أنيتا نيوتينين".

- وجدنا في سجلِّ هاتِفها بعضَ جهاتِ الاتصال المثيرةِ للاهتمام، يبدو أنها كانت تنافس شريكها التجاري السابق "فالنتين باسكفيتش" منافسةً شرسةً على شراء بعض العقارات الواقعة على الشواطئ القريبةِ من "كوتكا"، هل فاتك أن تبلغيني بذلك، مجرَّد نسيان؟

وجدت أنه من الأفضل أن ألتزم الصمت الآن، فقد يخبرني "لايتيو" إلى أيِّ مدى تمكنت الشرطة من اقتفاء أثر "باسكفيتش"، قال:

– إنه عميلٌ سابقٌ بالمخابرات الروسيَّة، أنتِ تعرفين ماذا يعني ذلك، أليس كذلك؟

لم ينتظر ردِّي، بل أكمل قائلًا:

– أم أنكِ شريكة في هذه الخطة؟ هل دفع لكِ "باسكفيتش"؟ لقد قدَّم هو و"نيوتينين" عرضين لشراءِ العقار نفسه في "كوتكا"، وأنتِ أيَّتها الحارسة اللعينة "هيلجا" لَعبتي اللعبةَ ببراعةٍ، هل منحكِ "باسكفيتش" جواز سفر جديد؟ لو فعل.. فلا تقلقي سنجدكِ.

– لست مضطرةً لسماع تهديداتكَ، طاب..

قاطعني قائلًا:

– لا تغلقي الخط يا "إلفسكيرو"، من اختار لكِ هذا الاسم؟ لا تظني أنني لا أعرف سبب تغيير اسمكِ، أليس منطقيًّا الآن أن تتعاوني مع الشرطة؟

– لا أعتقد أنَّ طفولَتي لها علاقةٌ بهذه القضية.

لم أطِق صبرًا كي أتخلَّص من "لايتيو" وأشنَّ هجومًا على الخَزْنة مرةً أخرى، لذلك رميت له عظمةً كأنه "وَشَق" يتضوَّر جوعًا خلف قضبانِ قفصه في حديقة حيوانات، قلت:

– لم يكن "باسكفيتش" مجرَّد ضابطٍ سابق في المخابرات السوفيتيَّة، بل كان أيضا من رجال الـ"سلوفيك" ذوي السلطة وأتمنَّى أن تكون مدركًا لما يعنيه ذلك؟

– أنتِ قررتِ ألَّا تبلغيني بذلك أيضًا، هه؟ أين تعيش صديقتكِ؟ لا بد أن نتقابل، هل أذهب إلى "يوكينيمي" أم هل تريدين المجيءَ إلى مكتبي في شارع "يورهيليو"؟

أنهيت المكالمة دون ردٍّ، وأزلت الشريحةَ مسبقة الدفع، وقمت بتركيب شريحةٍ جديدة، لماذا لا يزال "لايتيو" يعمل على قضية القتل هذه؟ هل صدرت له أوامرٌ من وزير الداخلية؟

ذهبتُ أنا و"أنيتا" إلى" كوتكا"، على ساحلِ خليج فنلندا، قبل بضعة أسابيع حيث تعيش السيدة العجوز، "يولينين"، التي كانت "أنيتا" تطاردها لعدة أشهرٍ والتي تُوُفِّيَت أخيرًا وهي في مرحلةِ شيخوخةٍ متأخرة، عن عمرٍ يناهز مائةً وثلاثة أعوام، يبدو أنها احتفظت بسلامة قُواها العقليَّة حتَّى النهاية، وتركت وراءها إرثًا مكونًا من قطعة أرضٍ مساحتها أربعة وسبعين فدانًا تشغل ميلًا تقريبًا من الأراضي المطلَّةِ على المحيط، والتي ستستفيد منها أسرتها لأجيالٍ، ولكن الورثة أرادوا بيعها، أدركت "أنيتا" أنهم لن يواجهوا صعوبةً في العثور على مشترٍ، لذا تقدَّمَت بعرضها، قبل مغادرتنا موسكو، ذكرت لي شيئًا عن أنها عقدت اتفاقًا مبدئيًّا معهم.

ومن ثم.. ضرب "باسكفيتش" عصفورين كبيرين بحجرٍ واحدٍ؛ فقد عاقب "أنيتا" على تآمرها ضده كما تمكَّنَ من التخلُّص من منافستِها له في "كوتكا"، أبدى "لايتيو" سعادتَه بي بما أنني كشفت له عن كلِّ هذه المعلومات، لكني شككت في أن هذه السعادة وراءها دافعٌ آخر مستترٌ، توقفت ميليشيا موسكو عن التحقيق في جريمة القتل، لكن "لايتيو" لم يبدِ نيةً للانسحاب، ويبدو أنه يبحث عن المزيد من الأدلَّةِ التي تبرِّرُ إعادة فتح القضية، ماذا سيحدث لي في حالِ وجد "لايتيو" سببًا مقبولًا لتفتيش شقتي؟ سينبغي عليَّ حينها أن أريهم خَزْنة سلاحي حيث ما زلت أحتفظ بوشاح "أنيتا"، لماذا لم أحرقه؟

أمضيت فترةَ المساء وحتى الساعة العاشرة ليلًا في العَبَثِ بقفل خَزْنة "أنيتا" لكن مهاراتي في فكِّ رموز شفرتها لم تفلح، أخذتُ أضربها بالعَتَلَة بشدةٍ لدرجة أنَّ صدى الصوتِ تردَّد في المنحدرات القريبة، ولم يتزحزح الباب من مكانه قيدَ أنملَة، أما السيناريو الأسوأ فهو أنني ربَّما ألحقتُ بالقفل ضررًا بالغًا لدرجة أنني لن أتمكَّنَ من فتحهِ حتَّى لو توصَّلتُ إلى توليفةِ الأرقام السرِّية، وكملاذٍ أخيرٍ غاضب؛ رميت الخزنة الصغيرة في نار المدفئة، ولكن سرعان ما استعدتها ثانيةً عندما بدأ البلاستيك داخل القفل في الذوبان.

حاولت النوم لبضع ساعاتٍ، لكنني استيقظت في حوالي الساعة الخامسة صباحًا، شعرتُ بحركةٍ خارج الكابينة، حدَّقت بالخارج لأعرف ما إذا كانت عينا "الوَشَق" ستخونه وتبرقان في الظلام، لكنِّي لم أرَ سوى ظلامٍ دامسٍ، عندما خرجت إلى الشرفة لم أسمع سوى الإيقاع الثابت لأمواجٍ لمحيطٍ على بعد بضع مئاتٍ من المترات، ارتديت معدات المطر ورشفت فنجانًا من القهوةِ ثم غسلت أسناني على الفور؛ لم أستطع تحمل مذاق القهوة، انطلقت في الظلام.. ورغم أنني ارتديت مصباح الرأس، فلم أرغب في تشغيله، كانت الرياح تهبُّ من الجنوب الشرقي، لذا يمكنني الاقتراب من جثَّةِ الغزال دون أن تشمني أيُّ حيوانات.

هناك جسدٌ يتحرَّك في الغابة بالقرب من جثة الغزال، تواريتُ ببطءٍ خلف صخرةٍ، وتجمَّدت خلفها بلا حِراكٍ، أوشك الفجر أن يبزغَ الآن.

من المُؤكَّد أنه لم يكن أيلٌ؛ لأنَّه يتحركُ بحذرٍ شديدٍ، ويضع أقدامه بين أكوام الطحالبِ بحرصٍ ويبذل أقصى جهده كي لا يخطو على أيِّ فروعٍ كبيرةٍ حتَّى لا يُحدث ضوضاء، كان أكبر من مجرَّد "وَشَق"؛ لأنني رأيت الأغصانَ تتحركُ لأعلى حوالَي مترين علاوةً على أن "الوَشَق" يمكنه تسلق الشجرة، إلَّا أنه لن يقفز من شجرةٍ إلى أخرى، حبست أنفاسي عندما رأيت الشبح يصعد إلى الطريق.

إنه رجلٌ، يبلغ طوله حوالي مترين، حليقَ الرأس، ذكرتني ملابس التمويه التي يرتديها: البنطال والسترة والأحذية، بالجنديِّ، كانت الشمس تتسلَّقُ أعلى الجرف وتتوارى خلفَه، تمامًا مثلما بدا لي الرجلُ ثمَّ توارى، نهضتُ قليلًا لِأرى وجهه في ضوءِ الشمس، وعرفت على الفور من هو وفي أيِّ جيشٍ خاص يخدم.

رأيته مرتين في "شي مونيك"، عندما كانت "أنيتا" في غنًى عن الحماية، وما زالت حبيبة "باسكفيتش"، لم يسبق أن جلس إلى طاولةِ "باسكفيتش"، فلم يسمحوا للحارس الشخصي بالانضمام له، بل جلس على بعد بضع طاولاتٍ وكان دائمًا

متربِّصًا تحسبًا لأيِّ شيءٍ قد يحدث، من الواضح أنه حارس "باسكفيتش" الشخصي، مما جعلني أطلبُ من نادلِ المطعم أن يعطيني اسمه المدوَّن على بطاقة الائتمان التي كان يستخدمها لدفع فاتورته، في حال احتجت إلى معلوماتٍ عنه في يومٍ من الأيام، أظنُّ أن هذا ليس اسمه الحقيقي، لكنني ما زلت أتذكره، إن الرجلَ الذي نقلَ مسدسَه للتوِّ من حزامه إلى الجراب تحت ذراعه هو "ديفيد ستال".

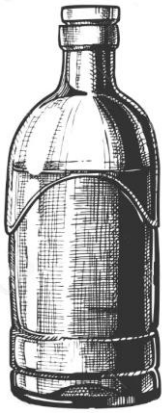

8

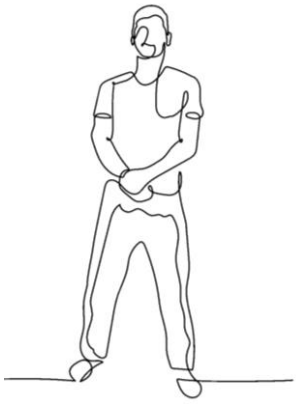

على الرغم من معدَّات المطر، شعرت بالبَلَل يتسرب إلى بشرتي عبر ملابسي، أو لعلِّي كنت أتعرَّق، ما الذي يفعله حارسُ "باسكفيتش" هذا بالقرب من كابينتي بحقِّ الجحيم؟ أين الخطأ الذي ارتكبته؟ هل ثبَّتوا جهاز تعقُّبٍ في جسدي أو هاتفي؟ ليتني أحضرتُ مسدسي معي إلى الغابة، طلقةٌ واحدةٌ فقط ويصبح "ديفيد ستال" في خبرِ كان، بوسعي أن أستخدم عربةَ اليد التي بالكابينة لنقل جثته إلى قاربِ التجديف، وفي جوف الليل أُسقِطها في وسط البحيرة ولن يعثروا عليها حتَّى الربيع، هذا إن وجدوها.

لم يكن معي أيُّ سلاح، وليس لَدَيَّ أيُّ رغبةٍ حقيقيَّةٍ في الشروع في قتل إنسان، رغم أنني سوف أستميت في الدفاع عن نفسي.

والآن أرى "ستال" يمسح رأسه الأصلعَ ويضع قبعةً صغيرةً لها حافةٌ تخفي وجهه، لو كان يرتديها منذ لحظةٍ لما تعرفت عليه.

تلفَّت "ستال" حوله، كما لو كان يدبِّر لخطوته التالية، بعد ذلك بدأتُ في المشي على طول الطريق المؤدِّي إلى كابينتي، نسيت تشغيل جهاز الإنذار ضدَّ السرقة عندما غادرت، لكنني أغلقتُ البابَ، حمام الساونا يظلُّ مفتوحًا دائمًا، لكن ليس بداخله شيءٌ يمكن أن يكشف عن هويَّتي.

انتظرت بضع دقائقَ ثم بدأت أتبَعه، ليس على الطريقِ وإنما عبر الغابةِ، كنت آملةً ألَّا يستدير ويراني، بعد أن انعطفت.. تسلقت جرفًا، مما جعلني أرى منظرًا عامًّا للكابينة، كنت أنوي استكشافَ أفضل مواقع المراقبة حول الكابينة بمجرَّد أن أوقِّع عقد إيجارها، الآن أحاول الوصول إلى كومة الصخورِ التي أعرف أنها سوف تحجبني، ولكنها لن تحجبَ عني المشهد العام.

ينبغي أن أخطو بحذرٍ شديدٍ حتَّى لا أدوسَ على الأغصان وتتكسَّر، وحتى لا تتدحرج الحجارة؛ تمنَّيت أن أيَّ أصواتٍ قد تَصدر بسببي يمكن أن تؤدِّي إلى حركة الحيوانات البرية، ليس لَدَيَّ أيُّ فكرةٍ إلى أيِّ مدى يألف "ستال" الغابة، ولا عن مدى معرفته بمسالكها، في الوقت الذي وصلت فيه إلى مخبئي، رأيته واقفًا بالفناء ثم تجوَّل حول الكابينة لكنه لم يخطُ نحو السقيفة، بعد أن تردَّد قليلًا.. بدأ العودة إلى الطريقِ المؤدِّي إلى المخيَّم.

غمر ضوءُ النهار المكان، وعندما تجرَّأت على النهوض من مخبئي خلف الصخرة، استغرقت بعض الوقت كي أمطَّ أطرافي حتَّى تعمل مرةً أخرى، من الوارد أن يكون "ستال" ما زال ينتظرني عند المنعطف، لذا لم أتوجه إلى الكابينةِ مباشرةً، بل عدتُ إلى حيث رأيته أوَّل مرة، وجدت آثارَ حذائه وبدأت في اقتفاءِ أثره، اختفت الآثار فوق الرمال الناعمة، لكنها بالتأكيدِ ستظهر مرةً أخرى، بدا الأمر كما لو أن "ستال" يتواصل معي ويطلب مني أن أتبَعه.

قادتني خطواتُه من طريق "تالودن" إلى مرفأِ القوارب، ورأيت الخطواتَ نفسها من الاتِّجاه المعاكس أيضًا، عندما وصلت إلى موقف السيارات الموحِل، ظهرَت آثارُ حذائه بوضوحٍ عند المكان الذي أوقف فيه سيارته، لقد اتَّجه شمالَ موقف السيارات، ولكن بمجرَّد وصول السيارة إلى طريق الحصى، تداخل مسار سيارته مع مساراتِ السيارات الأخرى، واقتفاءُ أثره لن يجدي.

عدت إلى الكابينة كي أستحم بماءٍ دافئٍ وأتناول عجة البيض، لم يتبقَّ الكثير من المُؤَنِ الغذائية في المخزن، لذلك كان عَلَيَّ الذهاب إلى متجر "ديلي" بـ"ديجيربي" لشراء بعض المُؤَن، قمت بتَزْبِيتِ مسدَّسي ووضعته في جيب المعطف المعلَّق بالقرب من الباب، لن أغادر الكابينة من دونه، حتَّى ولو من أجل المرور السريع على متجر "ديلي".

أجريت فحصًا آخر للبحث عن أيِّ أجهزةِ تتَبُّعٍ ربما زُرعت في جسدي أو داخل هاتفي المحمول، لكنني لم أجد أيَّ شيءٍ، تَخَلُّصي من الهاتفِ المحمول كان فكرةً سديدة؛ لقد اتخذت القرار الصائب بالتخلص منه عندما قابلت "هيلينا ليموسفو"، بذلت محاولاتٍ قليلةٍ لفتح الخَزْنة مرةً أخرى وهو ما اعتبرته طريقةً ممتعة لتمضيةِ الوقت ولو أنها مملَّة، وبعد انتهاء عاصفةٍ مطيرةٍ مفاجِئة، وضعت المسدسَ في الجراب تحت إبِطي، وقفزت على درَّاجتي وبدأت بالتبديل باتجاه قرية "ديجيربي".

"كيسو"، اسمٌ مألوفٌ في مشهد موسيقى "الروك" الفنلندية منذ السبعينيات، امتلكَ هذا المطرب متجرَ القرية الوحيد لبضعِ سنواتٍ، وفي زيارتي الأولى لـ"ديلي".. لم أصدق عيني عندما رأيته يقف خلف طاولةِ الاستقبال، يبيع النقانقَ والبيرة، واليوم.. رأيت أناسًا جالسين إلى الطاولات خارج المتجر بالرغم من سوء الأحوال الجوية، قرأت بالصحف الشعبية أن "إلفيس" -رئيس إستونيا- قلقٌ للغاية بشأن الطريقة التي يدير بها الجارُ الكبير لإستونيا مصالحَه في جورجيا، اشتريت كلًّا من

الصحف الفنلنديَّة والسويديَّة، وكذلك البيض، والجبن والطماطم وبعض الحليبِ لقهوتي، في الممرِّ المخصَّصِ للخبز، أخذت أتساءل: "هل يهيَّئُ لي أنني أرى "الوَشَق" في كلِّ مكانٍ، أم هل هناك حقًّا "وَشَق" يحدِّق بي من عبوَّةِ خبزِ حبوب "الجاودار"؟ لاحظ "كيسو" أنني أمسك بالخبز، فقال:

- إنه رائع، أليس كذلك؟ من الأفضل أن تشتريه الآن فهو منتجٌ موسميٌّ.

شعرت أنَّ أكل "الوَشَق" يُشبه أكل لحوم البشر، لكنني أكَّدت لنفسي أن هذا كان مجرَّد خبز تشتهر به المنطقة ويُباع في مخبزٍ محليٍّ، ولا بد أن هناك سببًا جعل هذا الخبز يصل إلى يداي، إذا صبرت.. فسأعرف السبب لاحقًا، أضفت رغيفين من خبز "الوَشَق"، وعددًا قليلًا من البيرة الثقيلة، ولوحين شوكولاتة إلى عربة التسوُّق، بعد أن دفعت ثمن مشترياتي من البقالة خرجت كي أسترِقَ السمعَ على أحاديث السكان المحلِّيين بينما أرشف الكاكاو الساخن، لم يتحدثوا عن شيءٍ سوى الانتخابات المحلية التي سيحين موعدها في الخريف.

وعندما وصلت إلى ركن الحيوانات الأليفة توقَفت سيارةٌ فجأةً بجانبي، أنزل السائق زجاج نافذته فتناثرت قطراتُ المطرِ على رأسه الأصلع، ثم استدار نحوي وجهٌ مألوفٌ، إنه "ديفيد ستال" الذي سألني بالسويدية:

- مرحبًا، هل تعرفي أين أجد مخيَّم "كوبارنس"؟

شعرت بثقل المسدس تحت إبطي.

أجبته باللغة السويدية أيضًا:

- لقد سلكت منعطفًا خاطئًا، انعطف وعُد إلى "هانجونتيه"، في اتجاه هلسنكي، التقاطع الأول الذي يقابلك يؤدِّي إلى "كوبارنس"، وستجد محطَّةَ وقودٍ غير مأهولةٍ على الجانب الآخر من الطريق.

كم سيفخر بي "مايك فرتيو"؛ فصوتي لم يرتجِفْ، وتعاملتُ مع "ستال" كما لو كنت أحدَ السكَّانِ المحليين الذي انتابه الفضولُ نحو شخصٍ غريبٍ عن المنطقة يقود سيارةَ "مرسيدس" رمادية داكنة صغيرة وتحمل لوحاتَ ترخيصٍ فنلنديَّة، ولا يوجد عليها علاماتٌ لوكالةِ تأجيرٍ، حفظتُ رقمَ اللوحة عن ظهرِ قلبٍ، قال:

– شكرًا لكِ، يبدو أنني لم أهتم بالخريطة اهتمامًا كافيًا، سمعت أنَّ هناكَ أراضيَ جيدةً لجمع عَيْش الغُرَاب.

ثم استدار بسيارته عند أقرب منعطفٍ ولوَّح لي وهو يبتعد بسيارته.

لم أشعر بالارتجاف إلَّا بعد أن عدتُ إلى الكابينة، أيُّ لعبةٍ يلعبها معي "ستال" هذا؟ أم أنه أبله لدرجة أنه يعتقد أنني لن أتذكره؟ تذكرت أنني لم أجلس أبدًا إلى الطاولات في مطعم "مونيكا" بل لم أكن أرفع عيناي عن "أنيتا" و"باسكفيتش" عبر شاشات مراقبة المطبخ، لذا فإنَّ "ستال" لا يدري أنني رأيته من قبل؛ ومنحني ذلك ميزة لصالحي.

فتحت زجاجةَ بيرةٍ ومزَّقت غلافَ علبة خبز "الوَشَق" الذي اشتريته، وجدته مقسَّمًا إلى جزئين: الجزءُ العلويُّ من الخبزِ يجسِّدُ صورةً لوجه "الوَشَق"، بينما الجزء السفلي قلبوه ليبدو مثل مؤخرة رأس "الوَشَق"، قرَّرت أن آكل الجزءَ السفليَّ أولًا، أخذت كسرةً وأدخلتها بعنايةٍ في فمي، كأنها رقاقات خبزٍ مقدَّس، واستعنت بالمسيح لأثبت أمام أعدائي ووجدت أن البيرة التي أتناولها عكست أطياف اللون الأحمر الياقوتي.

رنَّ الهاتف بعد أن انتهيت من تناول وجبةٍ خفيفةٍ، كانت "سيسيليا نيوتينين كيكي"، ابنة "أنيتا"، أجبتُ، بالرغم من أنني أعرف أن محادثتنا ستجعل مزاجي أسوأ، نحن لم نلتقِ قط في الواقع، رأيت صورًا لهذه المرأة البالغة من العمر ثلاثين عامًا والتي تشبه والدتها وترتدي ملابسَ في غايةِ

الأناقة، ومع ذلك أدركت أن حديثنا لن يكون ممتعًا، عرفتني "سيسيليا" نفسها بخشونةٍ وقالت:

– اتصلَت بي الشرطةُ الفنلندية قبل بضعةِ أيامٍ، وأخبرتني أن أمي ماتت في موسكو، استغرق الأمر أيامًا حتَّى أتمكَّن من الوصولِ إليكِ، ألم تكوني حارستها الشخصية؟ ماذا حدث هناك؟

– لا أعرف أكثر مما تعرفين، لم أعدْ أعمل لديها.

حاولت "سيسيليا" مقاطعتي، لكنني أكملت:

– تقول الشرطةُ إنَّهم عثروا على جثتِها بالقربِ من محطَّةِ مترو أنفاق "فرونزينسكايا".

– حسنًا، أعرف ذلك، لكن لماذا؟

كانت غاضبةً، أكملَت:

– من فعلها؟

– ألم تخبركِ الشرطة؟ أحد المخمورين قتلها وبالمالِ الذي سرقَه منها ظلَّ يشرب الكحول حتَّى مات.

– هذا هراء! بل صديقها السابق دبَّر كلَّ شيءٍ، أليس كذلك؟ لهذا السبب وظفتكِ أمي، وماذا تقصدين بأنكِ لم تعُدِ تعملي لديها؟

– بالضبط، استقلتُ قبل وفاتها.

– وقُتلت بعد استقالتكِ مباشرةً! هذا لا يُعقل! سأكون في فنلندا الأسبوع المقبل كي أتصرَّف في ممتلكات أمِّي، هل يمكنُ أن نلتقي؟

إذا أحسنتُ اللعب بأوراقي، فستمنحني "سيسيليا نيوتينين كيكي" حقَّ الوصولِ إلى الكنوزِ المخبَّأةِ في صندوقِ الودائع، وهذه فرصةٌ ذهبيةٌ لا يمكنني تفويتها، وبما أن كابينتي لم تعد آمنةً من الآن فصاعدًا، فقد أعود إلى هلسنكي حيث يمكن أن أعرِّض "ريكا" و"جيني" والسيدة الحبوبة "فوتيلاينن" للخطر.

يا لها من فكرةٍ عظيمة!

قضيتُ بقيَّةَ اليوم أعبثُ بالخَزْنةِ دون أن يحالفني أيُّ حظٍ، أخذ المطرُ ينهمر بشدَّةٍ، لذلك سعدت بالعمل داخل الكابينة، قبل حلولِ الظلام، قمت بزيارةِ جثَّةِ الغزالَةِ واكتشفت أنها فقدت إحدى ساقَيها الخلفيتين، من المحتملِ أن "الوَشَق" لن يعودَ بعد الآن؛ لأنَّ رائحةَ اللَّحمِ النتنةِ بدأت تفوح.

رنَّ هاتفي حوالي الساعة السابعة مساءً، وأجبتُ رغم أنني لم أتعرَّف على الرقم. سمعت صوتًا ذكوريًّا يقول:

- مرحبًا يا "هيلجا".

ثم تلا ذلك الترحيب صمتٌ، اضطُررت أن أنتظر لعشرينَ ثانيةً حتَّى أسمع الصوتَ من جديد.

- أنا "كيو كوركيماكي"، أعني "سورلواته" سابقًا، كيف حالكِ؟

التزمت الصمت لبرهةٍ ثم صرخت:

- أخبرتك مائةَ مرةٍ، لا شأن لك بي!

- "هيلجا"! اسمحِي لي أن أشرح..

أغلقت الخطَّ، تسارعَت نبضاتُ قلبي وجفَّ حلقي، هدَّد الحساءُ المجفَّفُ الذي أعددته على الغداءِ بأن يتصاعدَ مفعولُه ويُنشِّطَ عقلي ثانية، تغيير كل أرقامي أصبحَ أمرًا ملحًّا الآن، حاول "كيو كوركيماكي" على مدارِ سنواتٍ أن يتواصل معي، لكن أيًّا من مكالماتنا لم تستغرق أكثر من دقيقةٍ، بعد مكالمته الأولى.. تركني وشأني لعامين، وبعد ذلك وردت مكالماته كل ستةِ أشهر.

كرهت قلَّةً قليلةً من الناس في هذا العالم؛ "كيو كوركيماكي" واحدٌ منهم، ولحسن الحظِّ، نسيت أنه موجودٌ من الأصل، ولم أعد أتذكر صوته، وليس لَدَيَّ أيُّ فكرةٍ حتَّى عن شكله الآن، وأظنُّ أنه على الأرجحِ يبدو مثل وحشٍ قبيحٍ له

عينين تطقَّان شررًا، هذه هي صورتُه التي أتصورُها وأتذكرها، ظلَّت تلك الذكرى عالقةً في ذهني، رغم العلاج بالتنويم المغناطيسي الذي جرَّبته في "نيويورك".

سيجافيني النوم الليلةَ، ولن يَغلبني، حتَّى لو تجرَّعت كل ما تبقى من شراب "التيكيلا"، استلقيت وظللت مستيقظةً، أحدِّق في الظلام ومسدسي إلى جواري، لم أكن أعرف ما إذا أُطلقَ سراح "كيو كوركيماكي" أم لا، هل منحه رئيس الجمهورية عفوًا وخرج من السجن؟ لا أتمنى ذلك.

يا له من شيءٍ سيئٍ أن يعرف "كوركيماكي" رقمي الحالي، ولا أدري كيف اكتشفَه، فمن المفترض أن هذه المعلومات يتعذَّر الوصول إليها، والآن عرف "ديفيد ستال" أيضًا مكان إقامتي في "توروباكا"، وفجأة انتابني شعورٌ بعدمِ الأمان، ولم أشعر بتحسُّنٍ حتَّى بعدما قمت بتنظيف سطح المسدس المعدني اللامع، أصبحت عالقةً مثل أم "فريدا" التي اصطادها الرجالُ وذبحوها بلا رحمةٍ، لماذا لم يطلق "ستال" عَلَيَّ الرصاصَ عندما التقينا على الطريق؟ هل يريد أن يلعبَ معي لعبة القط وفريسته؟

في النهاية توقفتُ عن محاولة الاستغراق في النوم ونهضت من السرير، تركت كل الأنوار مطفأةً وأخذت أحدِّق في الظلام المُمطر بالخارج، إنهم جميعًا خارج الكابينة ينتظرونني: "باسكفيتش"، و"ستال"، و"لايتيو"، و"كيو كوركيماكي"، تحققت من أن الباب لا يزال موصَدًا وكل النوافذ مغلقةٌ بالمزلاج، اعتدت أن أنام في الغرفة الرئيسية الصغيرة بالكابينة، لكنني صعدت إلى الدور العلويِّ الآن، ووضعت القدورَ والمقالي على درجاتِ السلم كي يوقظني صليلُ ارتطامها إذا أوقعهم أحد.

عندما استيقظت.. كان الوقتُ قد تجاوز فترةَ الظهيرةِ بالفعل، لم يتحسن الطقسُ بل أصبحت الرؤية متعذِّرةً من شدَّة الرطوبة والضباب، شعرت بالجوع وشعرت بالملل بالتأكيد من أكلِ البيض، كما أنني استهلكتُ المياهَ الغازية لذا

حشَوْت معدتي على عجَلٍ بشريحتين من الخبزِ قبل أن أقفز على درَّاجتي لأتناول الغداء في نُزُل "كوبارنس"، لم أشعر برغبةٍ في اتِّخاذِ المسار الأطولَ عبر طريق "هانكو"، كما أن جرَّ دراجتي عبر الغابةِ لا تبدو فكرةٌ جيدة، لذا قررت أن أسلك طريقًا يستغرق عشر دقائق بمحاذاة شاطئ "توروباكا" إلى "كوبارنس"، حاول كلُّ من له ممتلكات على الشاطئ سدَّ الطريق الخدمي الجانبي أمام حركة السيارات والمشاة، ولكن في غيابهم، يسير الجميعُ عبر تلك الممتلكات، هذا ما قاله لي جيراني على أيِّ حال، توقفت للحظةٍ على الشاطئ أرقُب سربًا من طيور الكركي وهو يقسِم السماء شطرين في طريق رحلته من الغرب إلى الشرق، انفصلت مجموعةٌ أصغرَ عن السرب، وأخذَت تغرِّد كوحدةٍ مستقلة، ثم عادت للانضمام إلى المجموعة الرئيسية، كما لو أنهم يرقصون باليه هوائيّ.

من الممكن استخدام نُزُل "كوبارنس" كموقعٍ لتصوير أفلامٍ منتقاة للمخرج والسيناريست "كوريسمكي"، تمنَّيت لو رأيت "مايك فيرتيو" وعددًا قليلًا من رفاق الأيام الخوالي بـ"نيويورك" في القاعة الخضراء الزاهية التي تُغطِّي جدرانها لوحاتٌ ملونة، هناك جهةُ اليمين في وسط الغابة، وفي النُزُل طلبت بعض شرائح الرنجة، وبطاطا مهروسة وبيرة، وصلت شرائحُ الرِّنجة المخلية مع المخللات والبنجر المخلَّل، فشعرتُ بأنني الآن حقًا في فنلندا.

شعرت أن الوجبةَ وكذلك رحلةَ العودةِ بالدراجة جدَّدَا طاقتي، وجدت سكينًا لقطع عَيْش الغُرَاب في جيب سترتي، وتصادف أن وجدت دلوًا بلاستيكيًّا برتقاليًّا مقبضه مكسورٌ ألقاه أحدُهم على جانبِ الطريق، فأصبح لديَّ كل ما أحتاجه للاطلاع على حالةِ عَيْش الغُرَاب بمنطقة "كوبارنس"، قُدت الدراجةَ باتِّجاه مخيَّمات الموظَّفين التابعة لشركة الطاقة "فورتام" والذي يبعد ثلث ميلٍ عن المخيَّم، ثم ترجَّلت من على الدراجةِ ومشيت عبر الغابة، أحسنتُ صنعًا عندما ارتديت حذاءَ المشي لمسافاتٍ طويلةٍ بدلًا من الأحذية الرياضية؛ لأن الطحلُب كان زلِقًا والمنحدراتُ الصخرية ملساءَ بعد المطر.

عثرتُ على عَيْش غُرَابٍ أصفرَ الساقِ وفطرِ "الغجر" بوفرةٍ مما دفعني للسير فوق المنحدرات باتِّجاه الشاطئ، حيث وجدتُ المزيدَ من فطر "الغجر"، بدا منظر الفِطر بقبَّعاته ذات اللون الأُرجواني ولون جلد الغزال غريبٌ وعتيقٌ، لو لم أكن على درايةٍ بهذا التنوع لتركته كما هو؛ لأنه كان يشبه الفطرَ السامَّ كثيرًا.

وجدت في مقبضِ الدلو المكسور عملًا يشغلني، لذا قصفتُ عددًا قليلًا من أغصان الصفصاف وجلست على جذعِ شجرةٍ لصُنع مقبضًا جديدًا له، كانت الفروع مبلَّلةً ويمكن ثنيها بسهولةٍ، كان خالي "جاري" بارعًا في صنع أدواتٍ بديلةٍ مؤقتة، وعلَّمني في رحلةٍ واحدةٍ إلى الغابة كيف أصنع من لحاء الشجر كوبًا وشربتُ ماءً لم أذق مثله في حياتي.

سمعت وقع أقدامٍ في الغابة، بدَت وكأنها خطواتُ إنسانٍ، وسرعان ما ظهر رجلٌ من بين الأشجار يرتدي ملابسَ تمويهٍ وقبعةَ بيسبول ويتدلَّى من رقبته منظارٌ؛ عرفت من حجمه والطريقة التي يتحرك بها أنه "ديفيد ستال"، ما زال الرجل يتتبعني.

شعرت بالثقل المُطَمئِن للمسدَّس القابع في الجراب، لم يسبق أن سدَّدت تسديدةً رائعةً أبدًا ولم أحب التعامل مع المسدسات تحديدًا، إلَّا أنها جزءٌ من مهنتي وعليَّ الحفاظ على مهاراتي في استخدامها، حفر "مايك فيرتيو" في ذهني عبارةً تقول: "السلاح هو ملاذك الأخير للدفاعِ عن النفسِ والحماية"، كان لديه بعض المواجهات غير السارة مع الجمعيةِ الوطنيةِ للأسلحةِ؛ لأنه عارض القوانين التي تفرضُ إجراءَ عمليَّات تحققٍّ من خلفيات أصحاب الأسلحة المحتملين.

لعل "ستال" كان سريعًا في إشهار المسدَّس وربما لا؛ لم تكن لديَّ أدنى فكرة، تظاهرت بتقليمِ أفرُعِ الشجر بالسكين كما لو أن العالم لا يعنيني، خاصةً أن سكينَ قطع عَيْش الغُرَاب يمكن أن يُستخدَم كسلاحٍ، ظللت أتابع "ستال" بطرف عيني، كنت أعرف أن حجمي لن يساعدني لو واجهته، فهو أضخم مني بشكلٍ واضحٍ، عندما داس

على غصن شجرةٍ وأحدث صوتًا عاليًا لم يعد هناك مجالٌ للتظاهر بتجاهله؛ رفعتُ عيني، وتصرفت كما لو أنني لم أتعرف عليه، توجَّه نحوي مباشرةً ومنعت نفسي بالكاد من إخراج مسدسي وإشهاره في وجهه، شعرت بحُبَيْباتِ العرق تتشكل على ظهري وتحت ثديِي، قال "ستال" بالسويدية:

– مرحبًا.

ثم ألقى نظرةً فاحصةً عَلَيَّ وأكمل:

– أليس هذا عجيبًا! لقد التقينا بالأمس؛ أنتِ من أخبرَتني كيف أصل إلى "كوبارنس"، قررتُ حجزَ غرفةٍ في النُزُل لبضعةِ أيام، الغابات هنا رائعةً للتنزه.

تحدَّث السويدية مثلما يتحدثها الروس في أغلبِ الأحوال، فهم ينطقون حرف "اللام" مخففًا قليلًا، كما تحدث بلهجةٍ سويدية فنلندية واضحة، وليست اللهجة السويدية التي يتحدثون بها في السويد، تحدَّث بسلاسةٍ، وحسب معرفتي باللغةِ فإنه يتحدثها بطلاقةٍ، افترضت أن اللغة السويدية هي لغته الأم، وهذا يُعدُّ غريبًا بعضَ الشيءِ بالنسبة لقاتلٍ مأجورٍ من أتباع "باسكفيتش"، قال:

– أيُّ نوعٍ من الفطر ينمو هنا؟ هل وجدتِ فطر "البورسيني" البرِّيَّ؟

لم أتذكر كيف أقول فطر "الغجر" باللغة السويدية ولم أرغب في التخمين، قلت:

– لن تجد الكثير من "البورسيني" هنا، ولكن الفطر الأصفرَ الساق نبتَ بالفعل، أما هؤلاء، انظر..

أريته الفطرَ الغجري في الدلو، ابتسم "ستال" مشيرًا إلى المقبض، الذي أصبح جاهزًا الآن لتثبيتِه بالدلوِ وقال:

– من الواضحِ أنك تتمتَّعينَ بمهاراتٍ يدوية.

من السهلِ ثني بُرَادَة أغصانِ الصفصاف الرطبةِ وتكوين عُقَد متينة، وتذكرتُ المقولة التي تعلمتها في أكاديمية الأمن: "لا تدع يدك ترتجف".

قلت له وأنا أريه سكيني:
- كل ما تحتاجه هو سكينًا حادًّا، سكينًا لقطعِ عَيْش الغُرَاب.
لم أضع السكينَ في الدلو من الممكن أن يُمسك بها، سألني "ستال":

- هل تعيشين هنا، أم أنها مجرَّد زيارةٍ فقط؟

ما زلت أحاول تخمين آداب "الإتيكيت" الروسيَّة التي يجب أن ألتزم بها عند مواجهة شخصٍ غريبٍ في الغابة، هنا.. لا يتدخل الناس في شؤون الآخرين، أو على الأقل لا يقتربون منك لهذا الحد من أجل قطف عَيْش الغُرَاب، ومع ذلك.. قطف "ستال" واحدةً أمام قدمي مباشرةً، ونظر إليها قليلًا، ثم طَوَّحَ بها بعيدًا وقال:

- بها ديدانٌ، معي سكينٌ، لكنني سأحتاج إلى استعارةِ سلةِ فطرٍ من مالك النُزُل غدا، ما ألذَّ هذا الفطر، وخاصَّة مع القليل من القشدة الحامضة، ظلَّت عائلتي تعيش على هذا الفطر لفتراتٍ طويلة.

ينبغي أن أحافظ على هدوئي، ولا أسمح له بأيِّ حالٍ من الأحوال أن يتعقَّبني، لن يتمكن من إطلاق الرصاص عَلَيَّ دون تركِ بعضَ الدماءِ أو أيَّ دليلٍ آخر، لكنني متأكدة من أنَّ بوسعه أن يكسر رقبتي في جزءٍ من الثانية، لَمعت البحيرة خلفه، من السهل التخلُّص من الجثة بإلقائها فيها، رجلٌ مثل "ستال" لا بد وأنه يحمل مسدسًا به كاتم صوتٍ، ومسدسي ليس مجهَّزًا بواحد؛ لقد اشتريته بطريقةٍ قانونية، إذا أطلقت الرصاص عليه أولًا، فكيف سأتمكَّن من إثبات أن ذلك كان دفاعًا عن النفس.

كنت أرغب في النهوض، إلَّا أنني ركزت على تنظيف الفطر الذي في دلوي مع الحرصِ على أن يبقى "ستال" في مجالِ رؤيتي، سأترك له المجال كي يكشف عن أوراقه أولًا، ملابسُ التمويه وحذاؤه، وحقيبة الظهر التي تشبه حقيبة الجيش أقلَّ شبهًا بمعدات الجنديِّ الآن مما كانت عليه في ضوء الصباح الباكر، نزع قبعته ومسح العرق من على جبينه، هل كان يشعر بالتوتُّر، أم أنه فقد

لياقته البدنيةِ لدرجةِ أنه لا يستطيع السير في الغابة؟ رأيت خصلاتٍ صغيرةٍ من الشعر برأسه الأصلع، والتي يبدو أنه حلقها نظرًا لوجود القليلِ من الشعر، عندما بدأ في خلع حقيبته، استقمتُ في جلستي، انحنى ثم ابتعد عني للحظةٍ، الآن هو الوقت المناسب كي أسحب مسدسي وأجبره على أن يعترف، رفعت الجزء السفلي من معطفي الْفَرْو حتَّى أتمكن من الوصول إلى جراب المسدس تحت ذراعي، نهض "ستال" وهو يحمل شيئًا معدنيًا، تُرمس، قال:

– هل تريدين بعض القهوة؟ أعتقد أن هناك ما يكفي لشخصين، رغم وجود كوبٍ واحد.

– شكرًا، لا أريد.

أخرجت يدي من معطفي، مشى "ستال" بضع خطواتٍ قليلةٍ حتَّى وصل لصخرةٍ كبيرةٍ وجلس عليها، سكب القهوةَ في كوبٍ معدنيٍّ وشربها بسرعةٍ، كما لو كان يروي ظمأه، سألني:

– هل أنتِ من هذه النواحي؟

سأل مرة أخرى.

– إلى أيِّ مدى تعرفين الغابة؟ ذكر مالك النُزُل شيئًا عن برجٍ لمن يريد مراقبة الطيور، هل تعرفين أين ذلك البرج؟

– أنا لست من هنا، لا، لقد استعرتُ كابينةَ صديقٍ لي.

رويت له القصة نفسها التي ألفتها لعددٍ قليلٍ من القرويين المتطفلين الذين بادروا بالحديث معي في متجر "ديلي" بـ"ديجيربي"، قلت:

– إذا كنت تبحثُ عن برجِ مراقبةِ الطيور، فأنت تسيرُ في الاتجاهِ الخاطئ، إنه شمالَ النُزُل، على الجانب الأيسرَ من الطريق.

– هل يمكنكِ اصطحابي إلى هناك في أيِّ يوم؟ أنا في إجازةٍ ولا يوجد الكثير من السُّيَّاح الآن.

- قد أرحل غدًا، هناك بعض الأمور التي لا بد وأن أنجزها.

- هذا مؤسفٌ جدًا، أيمكنني أن أدعوكِ لتناول مشروبًا في النُزُل بمجرَّد أن تنتهي من جمعِ الفطر؟

لم أُعطِهِ إجابةً على الفور، من الجيد أن هناك الكثيرَ من الفطر بالغابة لكي أنشغل بجمعه، بل إنني وجدت بعضًا من فطر "الشانتريل" الذهبي، رأيتُ أنه لا خيار أمامي سوى البقاء لمراقبة "ستال"، لا أصدق أنه انجرف عرضًا إلى "كوبارنس" وأنه ليس لديه أيُّ فكرةٍ عن هويتي، إذا كان الأمر كذلك، فما الذي كان يفعله عندما تسلَّل إلى كابينتي في ساعاتِ الصباحِ الأولى؟

ربما قلَّل "ستال" من قدري واعتقد أنني لا أعرف من هو، إنه يلعب معي لعبة القط والفأر، لكن هذه المرة.. القط "ستال" الأليف ضد "الوَشَق" الشرس، وحتى القط لا يعرف ماذا يفعل عندما يهاجمه "وَشَق".

كم من مرةٍ وبَّخَني "مايك فرتيو" لاندفاعي الشديد ومخاطرتي التي لا داعيَ لها، أسكتُّ صدى صوته الذي يتردَّد في عقلي، واستدرت إلى "ديفيد ستال"، وابتسمتُ قائلة:

- لا يمكنني دخول المطعم بهذه الملابس المتَّسخة، لكن أليس البار مفتوحًا حتَّى الساعة العاشرة؟ يمكنني مقابلتكَ في حوالي الثامنة، هل هذا مناسب؟

اصطنعت الرقة فارتَسَمت على وجه "ستال" ابتسامةً عريضةً وقال:

- هذا رائع! إنني أتطلَّع إلى لقائكِ، حسنًا، سأذهب لأجد برج مراقبة الطيور هذا وأتركك لأشغالك.

أفرغ كوبَ قهوته وأعاد التُرمس إلى مكانه في حقيبة الظهر، ثم تردَّد لحظةً قبل أن يتوجَّه نحوي، هل ظنَّ أنه حازَ على ثقتي بهذه السرعة؟ هل يتأهَّب لمهاجمتي؟ بدلًا من ذلك.. وقف أمامي ومدَّ يده مصافحًا، وقال:

- آسف، لا يصح ألَّا أقدم نفسي، أنا "ديفيد"، "ديفيد ستال"،

نطق اسمه الأول كما ينطقونه بالسويدية: "داه – فيد"، أكمل قائلًا:

– في الحقيقة أنا لا أنتمي إلى أيِّ مكانٍ، لكنني مواطنٌ فنلنديٌّ، رغم أنني لا أتحدث اللغة، سأخبرك بالمزيد عني هذا المساء.

أجبته وأنا أصافحه:

– أنا "هيلجا إلفسكيرو".

– أنا متأكدٌ من أن هذا المساء سيكون ممتعًا للغاية.

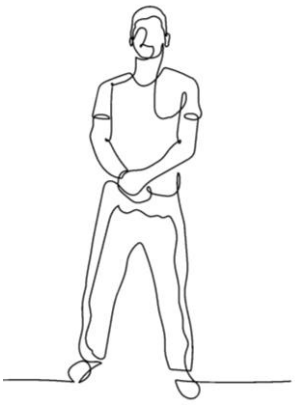

9

بمجرَّد أن تأكدت من أن "ستال" انصرف فعليًّا، سلكتُ طريقَ الشاطئ جنوبًا، اختبأتُ عن عيونِ المارَّة، وفككتُ هاتفي، ولكن لا يزال يتعذَّر عَلَيَّ العثورُ على جهاز تتبعٍ، لا بد وأن "ستال" حدَّدَ مكاني بطريقةٍ ما.

سئمت من جمع عَيْش الغُرَاب، لكن ثمة فكرة خطرت ببالي وهي أن الغابة تمنحنا طرقًا فريدةً للتخلص من أيِّ شخصٍ يسبب لنا المتاعب، ومن سوء الحظ أن موسم فطر "الموريل" قد وَلَّى، وليس هناك أيُّ شخصٍ يبلغ إهماله حد أن يأكل الفطر الأبيض الذي لا يمكن تمييزه عن ذلك السام، وعشاق الفطر الذين يفتقرون للخبرةِ قد لا يميزون بسهولةٍ فطر "الغجر" غير الضار بقبَّعاته الشبكيةِ الدقيقة عن القبعات الشبكية السامَّة المميتة، وخاصةً إذا كان الشخص الذي يأكله جاهلًا، فمثله مثل فطر "الموريل" تمامًا، تجد بجانب صورته الواردة في دليل الفطر ثلاثة تقاطعاتٍ موضحة في قبعته الشبكية الدقيقة المميتة؛ للإشارة إلى مدى احتمالية أن تموت بعد أن تأكله، ولكن على عكس فطر "الموريل"، فإن القبعات الشبكية المميتة لن تكون صالحةً للأكل أبدًا، حتَّى لو غليتها ثلاث مرات، خمس دقائق في كلِّ مرة.

بعد البحث لفترةٍ من الوقت، وجدت فطرين من النوع الشبكي المميت، قمت بلفهما بمنديلٍ كان في جيبي، وللتأكد من أنهما لن تلمسا بقية الفطر، وضعت حفنةً من أغصان وأوراق شجر التنوب لأفصلهما عن بقية الفطر في دَلوي، هاتان القبعتان الشبكيتان تكفيان لقتل رجلٍ بالغٍ، سوف يتسمم "ستال" في نهاية المطاف ببطءٍ مثلما حدث لــ"ألكسندر ليتفينينكو"، الضابط بجهاز الأمن الفيدرالي الروسي، فهو لم يَعرف من قتله، وعندما فعل.. كان الأوان قد فات، فقد تضررت أعضاءه ضررًا بالغًا يتعذر علاجه، لن يستطيع أحد أن يثبت أنني من وضعت لــ"ستال" هذا الفطر المميت في حسائه، حتَّى لو أبلغ العاملون في نُزُل "كوبارنس" السلطات بأنهم رأَوْني معه.

على الأرجح أرسله "باسكفيتش" في أثري لمعرفةِ المعلومات التي أدليت بها للشرطة وما إذا كنت قد ربطت اسم "باسكفيتش" بجريمة قتل "أنيتا نيوتينين"، وكما هو الحال دائمًا.. اعتقدت أنه من الأفضل أن ألجأ لأقلِّ قدرٍ ممكنٍ من الكذب، سوف أتظاهر بأنني امرأة عزباء وحيدة لكن شهوانية، ولن يبدو هذا غريبًا وأنت مع شخصٍ غريب.

هل قلت أتظاهر؟ لقد مرَّت سنواتٌ منذ آخر موعدٍ غرامي، فكل علاقاتي السابقة انتهت بكارثةٍ محقَّقة، سيعرف "ستال" ذلك إذا كان قد قام بواجبه المنزليِّ تجاهي.

بمجرَّد العودة إلى الكابينة، قطعتُ القبعات الشبكية المميتة إلى شرائحَ صغيرةٍ بمقصِّي، وألقيت بها في مقلاةٍ وقليتها، ثم قمت بتطهير المقلاة والمقص، وجدت قارورةً زجاجية في دولاب المطبخ كانت مثاليةً لتخزين سمٍّ بيتيِّ الصُّنع، بل وحجمها مناسب كي أضعها في حقيبتي، بعد ذلك استحممت وقررت أن أتأنَّق بقدر المستطاع.

هذا يشبه إلى حدٍّ كبيرٍ التنكرَ في شخصية "ريسكا"، لكن لا بد وأن أبتكرَ هويَّةً بديلة، لذلك قمت بشراءِ مكياجٍ وقميص ضيِّق لامع مناسب لحفلٍ فاخرٍ أرافق فيه أحد عملائي، قرَّرت ارتداءَ سروال جلدي أسود بدلًا من تنورتي المخملية الحمراء

القصيرة؛ فهو مناسبٌ أكثر لركوب الدراجة، يجب أن أضع حذاءً بكعبٍ عالٍ في السلة، عندما أرتديه سأكون أقصر من "ستال" ببضع بوصات، وهو مناسبٌ تمامًا للركل أيضًا حيث يوجد بطرف الكعب المدبب نواة فولاذية ويشبه حذاء والدتي الأحمر اللون، وضعت كريمَ أساسٍ جعلني أشعر كأنني أرتدي قناعًا، واستطالت رموشي بفعل مَسكرة؛ فأخذت تدغدغ وجهي، لم أضع أيَّ أحمرَ شفاهٍ إلَّا بعد أن أصبحت جاهزة للخروج من الباب، انسجم اللون الأحمر تمامًا مع لون حذائي.

تناسب حجم مسدسي تمامًا مع جيبٍ بسحابٍ في حقيبتي، لففتُ قارورة الفطر في منديل ووضعتها في الجيب نفسه، افترض الناس دائمًا أن حقائب اليد النسائية ثقيلة لأنها مليئة بالأغراض؛ لذلك لن يستغرب أحدٌ إذا انتفخت حقيبتي قليلًا، يمكنني أيضًا استخدام الحقيبة كسلاحٍ إذا دخلت في عِراك، وضعت في السلة مصباحًا كاشفًا ومصباحَ رأس، جنبًا إلى جنبٍ مع حذائي؛ فالظلام سيهبط قبل التاسعة.

شعرت بالتوتر قليلًا، وهو أمرٌ منطقيٌّ لأنني كنت من الناحيةِ العملية ذاهبةً إلى موعدٍ غرامي، سلكت طريق الشاطئ مرَّةً أخرى وقدت دراجتي ببطءٍ كي أتجنب التعرُّق، تركت دراجتي في موقفِ السيارات، رغم عدم وجود موقف درَّاجات، أضاءت الأضواءُ الساحةَ وسمعت صوت نقَّار الخشب وهو منهمكٌ في عمله، خلعت سترتي في الردهة وتوقفت عند دورة المياه لإعادة ترتيب شعري، حتَّى اليافطة المثبَّتة على جدار الحمام والتي تعلن عن ساعة ماركة "جوفيال بيترو" لم تخفِّف من حدَّةِ توتُّري، وعندما نظرت في المرآة، لم أرَ سوى الرعب.

لم يكن بالمطعم سوى النادلة و"ستال"، وكانا يتحدثان بالإنجليزية، رأيته يحمل كوكتيلًا، وبناءً على رائحته النفَّاذة؛ عرفت أنه يحتوي على نبيذ التفاح من نوع "كالفادو"، خطى "ستال" بضع خطواتٍ نحوي، وأمسكَ بيدي ثم قبَّلني على خدي، لقد حلق رأسه مرةً أخرى ويمكنني تمييز رائحة عطرٍ خفيفٍ تفوح منه،

كان يرتدي سترةً سوداء وبنطال جينز أسود وقميصًا أبيض بأزرار، لكن بلا ربطةِ عنق، حدق في سروالي الجلدي بنظرةِ تقديرٍ لم يبذل أيَّ جهدٍ كي يداريها، قال:

- مرحبًا يا "هيلجا"، ماذا تشربين؟

سألْتُ النادلةَ:

- هل لديكِ نبيذ فوار؟

قالت إنها ستعده لي، إنه الشراب المثالي للمرأة التي أحاول أن أكونها الليلة، قادني "ستال" إلى الجزء الخلفي من المطعم حيث توجد طاولة عليها شمعة تومِض، وضع كأسَه عليها ثم سحب لي كرسيًّا، انتظر حتَّى جلست ثم انتقل إلى الجانب الآخر من الطاولة، من مكاني ألقيت نظرةً سريعة على الغرفة بأكملها، ولم يفعل مثلي، هذا المكان يناسبني تمامًا، قال:

- تحتوي قائمة الطعام الليلة على شريحة لحم بالفلفل أو صدر دجاج مع الجبن، سأختار شريحة لحم؛ كل هذا المشي في الغابة جعلني أشعر بالجوع، كنت أفكر للتوِّ في نبيذٍ أحمرَ يتماشى مع اللحم، هذا هو علاجي، بالطبع.. أنتِ قبلتِ دعوتي على أيِّ حال، الأمر يبدو واضحًا بالنسبةِ لي، لكن هذه الأمور تحتاج إلى توضيحِها لكم أنتم، أيتها النساء الفنلنديات.

لم أرفض مطلقًا أيَّ طعامٍ مجاني، خاصةً عندما لا أعرف متى سأتقاضى راتبي القادم، بعد أن أحضرَت النادلةُ شرابي، رفع "ستال" كأسه وقرع كأسي، كان النبيذ نصف مُحَلًّى وشعرت برائحته تتسلل إلى أنفي، جلسنا صامتَين لبرهةٍ، سألته:

- قلت الآن أنتم، أيتها النساء الفنلنديات، ألم تقل إنك مواطنٌ فنلندي؟

بذلت قصارى جهدي كي أنظرَ في عينيه العميقتين بلونهما الرمادي الفاتح، كانت عظام وجنتيه بارزتين وجفونه مغضنة، تساءلتُ عما إذا كان يرتدي عدساتٍ لاصقة ملوَّنة لتغيير لون عينه الطبيعي؟ قال:

– أنتِ تتمتعين بذاكرةٍ قوية، أنا مواطنٌ فنلنديٌّ بالفعل ولكن من أصلٍ مختلَط، فوالدي مواطنًا سوفيتيًا، ولد في "كوتلا – يارفي" بشمال إستونيا، انتقل جدي هناك كي يعملَ في المناجم بعد أن أصبحَت إستونيا جزءًا من الاتحاد السوفييتيِّ، انتقل كي (يتحرر) كما كانوا يقولون في تلك الأيام، وجدتي إستونيَّة أيضًا، من "نارفا" تحديدًا، لكنها شقَّت طريقها إلى المناجم أيضًا، أما والدتي فهي فنلندية، من "تميساري"، القريبة جدًا من هنا، في أوائل السبعينيات التقى والدايَ في "تارتو"، بإستونيا، حيث كانا يدرسان، تخصَّصَت أمي في اللغة الروسيَّة، وانتقلت جدتها من "سانت بيترسبيرج" إلى فنلندا أثناء الثورة، لذلك أظن أن أكثر من ربعي يُعتبر روسيًا، بعد عامين من الزواج ومن الانتظار المؤلم، سُمح لوالدي بمغادرة الاتحاد السوفييتي وانتقلا إلى إستونيا مع عائلته واستقرا في "تميساري" حيث وُلدت، بمجرَّد حصول إستونيا على الاستقلال، عدنا إلى "تارتو"، كانت سنوات مراهقتي صعبة هناك، فليس من السهل العيش في إستونيا بينما كل أصدقائي في فنلندا، بعد ذلك واجهنا كل أنواع التحدِّيات، لكن الأمور أفضل الآن، من أين أنتِ في فنلندا؟

عادت النادلة لتأخذ طلباتنا، قرَّرتُ اختيارَ شريحة لحمٍ مثله، اختار "ستال" النبيذ الأحمر مما يكشف عن خبرةٍ واضحةٍ أثارت إعجابَ جاهلةٍ بالنبيذ مثلي، كرَّرَ سؤاله بعد أن ذهبت النادلة، فأجبت:

– أنا؟ أنا فنلندية من ناحية الأم والأب، نشأت في "كافي" بشمال "سافونيا"، فمن ناحية والدتي أنا سافونيَّة، أما والدي فمن "لابينرانتا"، حيث وُلدت أنا أيضًا.

– هل والدك.. هل هو ميت؟

– إنه كذلك بالنسبة لي.

أخذت جرعةً أخرى من نبيذي تلاشى أثرها بسرعة، من يعنيه إذا قلت له الحقيقة بخصوص حياتي الماضية أم لا؟ ربما سيجعله ذلك يدركُ أنه لا يتعامل مع مجرَّد فتاةٍ شابةٍ بريئة.

– أنت لا تعيشين هنا، إذن؟ هل ما زلتِ تعيشين في.. ماذا كان الاسم.. "كافي"؟

– لا، أنا أعيش في هلسنكي.

لا بد أنه يعرف ذلك، سأل:

– بمفردك؟

– لدي رفيقتان بالسكن، وبلا حيواناتٍ أليفة.

هكذا حاولت أن أداعبه مداعبة تحمل في طيَّاتها غزَلًا، ثم أكملت:

– وماذا عنك أنت؟

– يتطلَّب عملي أن أتنقل بين "تارتو" وموسكو وفنلندا، لكن لسوء الحظِّ لا يمكنني زيارة فنلندا كثيرًا في أغلب الأحوال، آخر مرة زرتها كانت من أسبوعين، اضطررت أن أذهب إلى "كوتكا" مع رئيسي، الآن وبعد أن حصلت أخيرًا على إجازةٍ لبعض الوقت، قررت أن أتوجَّهَ إلى فنلندا وصادف أن مررت على "كوبارنس"، ظننت أن الذهاب إلى "تميساري" لزيارة أماكن ذكرياتي القديمة سيستغرق بعض الوقت خلال عطلةِ نهايةِ الأسبوع، والحقيقة أنني لم أكن أتواصل مع أيِّ أحدٍ هناك، ولكن ما زلت أعرف البعض، رحل أجدادي، وكانت أمي الطفلة الوحيدة، وشقيقاتي أصغر مني بعقدٍ من الزمن ولم أتمكن أبدًا من التواصل معهن وهُنَّ يعِشْن الآن في "تارتو"، هل لديكِ أشقاء؟

تمكنت من قول "لا" قبل أن يصل النبيذ، سكَبَت النادلة مشروباتنا وعلى وجهها تعبيرٌ وجدته مسليًا، كأنها تعلم أن "ديفيد ستال" لديه محفظةٌ منتفخةٌ وعددٌ هائلٌ من بطاقات الائتمان، إنه هجينٌ غنيٌّ يعيش على أموال دية القتل، يمكنني أن أسقط شوكةً وأطلب منه أن يحضر لي واحدةً من طاولةٍ قريبة،

سيكون ملزمًا بأن يفعل ذلك كي يتظاهر بأنه رجلٌ نبيل، وعندئذ ستُتاح لي بضع ثوانٍ لأدسَّ له الفطر السام في طبقهِ، بينما كانت النادلة تغادر أكملت:

– أنا طفلةٌ وحيدة، ماذا كنت تفعل في موسكو؟ كنت هناك الأسبوع الماضي وأنا على درايةٍ جيدةٍ بالمدينة.

– أنا مستشارٌ في أعمال البناء والتشييد، ولهذا السبب أسافر كثيرًا، ما رأيك في موسكو؟

دار بيننا حديثٌ قصيرٌ عن حانات ومتاحف موسكو حتَّى وصل الطعام، تصورت أن "ستال" سيأتي على ذكر سيدة الأعمال الفنلندية التي قُتلت رميًا بالرصاص في وسط موسكو الأسبوع الماضي، لكنه لم يلمِّح إلى ذلك، بدلًا من ذلك، فقد أمتعني بسرد قصصٍ عن حرَّاس الحانات وعن نساءٍ حاولن التودُّد إليه كما بذل جهدًا كي يثبت لي أنه لا يهتم بالبَغايا، تذكرت "باسكفيتش" ورفاقه وأظنُّ أنَّ موظفيه لديهم فرصةٌ للاستفادة من هذه المزايا الإضافية أيضًا.

قدمَت لنا النادلةُ شرائحَ اللحم بالفلفل مع مرق الفلفل الأخضر، والبطاطس بالثوم، وبعض الخضار، ولكن دون عَيْش الغُرَاب، اللعنة! فكرت ثانيةً في أنَّ شريحةً صغيرةً فقط من القبعة الشبكيةِ المميتةِ ستكون كافيةً لتدمير كبده وكليتيه، قررت الانتظارَ لبعض الوقت لأكتشف هدف "ستال"، لو لم يستأجره "باسكفيتش"، لأُعجبت به، كان مضحكًا دون أن يلجأ إلى نكاتٍ بلهاء، وأخذت أنصتُ إليه دون مقاطعة؛ فقد أشعرني بأنني إنسانة، كما أشعرتني شخصيتي التي أتقمصها بصفتي امرأة جذابة ومثيرة بالتحسن، سألته:

– ما الذي يدعوك للذهاب إلى موسكو كثيرًا؟

– مثلك تمامًا، العمل.. فأنا حارسٌ من نوعٍ ما، لكن دعينا لا نتحدث عن هذا الموضوع الآن؛ فأنا في إجازة.

نظرت إلى الطريقة التي يقطع بها شريحة لحم: إنه يتعامل مع السكين بثقة وكأنَّه جراح، هل هو من أطلق الرصاص على "أنيتا" ثم أعطى أغراضها لذاك المخمور الذي كان يحتضر من فرط تعاطي الكحول؟

- حارس؟ ما كنت لأخمِّن أن هذا عملك؟

- ولمَ لا؟

استشعرتُ نبرةً غاضبة في صوته جعلتني أفزع، فقلت:

- لا تسيء فهمي؛ علمتني والدتي أن المرأةَ قادرةٌ على أن تفعل أيَّ شيءٍ، وتعلمت ذلك بنفسي لكن مرورًا بالطريق الشاق، أنت فقط.. لا تبدو كـ.. لا تبدو كشخصٍ يريد فرض سيطرته على الآخرين.

- هل هذه مجاملة؟

أجبرت نفسي على الابتسامِ، لكنَّ الغضب أخذ يملأُ داخلي، اللعنة عليه! سوف يدفع ثمن التقليلِ من قَدري، بالطبع سيبذل قصارى جهده لزعزعةِ ثقتي بنفسي، فكرت فيما وضعته في حقيبتي: المسدس وقارورة الفطر المميت؟ هل حان الوقت لطلب الشوكة؟

أكلنا في صمتٍ لفترةٍ من الوقت، وقعت عيني على لوحةٍ معلقةٍ فوق البار تُجسِّد صورة نسر بالحجم الطبيعي، النسر أبيض الذيل ويبلغ طول جناحيه مترين تقريبًا، ومخالبه معقوفة استعدادًا لمهاجمة فريسته، كدت أسمع حفيف أجنحته، يمكن لهذا الطائر أن يفترس سَمَكة "كرَاكِي" يبلغ وزنها كيلوجرامان تقريبًا، ولن تكون ندًّا له.

تُجسِّد بقيةُ اللوحات على جدران الغرفة مشاهدَ لغاباتٍ أو أشجار مورقة، كانت أقلَّ عدوانيةٍ من لوحة النسر، والمدهش أن كل واحدةٍ منها رُسمت بأسلوبٍ يختلف عن الأخرى، بدأ "ديفيد" يضحك على الأغنية التي كانت تُذاع على الراديو لـ"لوردي"، فرقة "الهيفي ميتال" الفنلندية، التي فازت في مسابقة الأغنية الأوروبية، ولكي نغيِّر

الموضوع؛ بدأنا ندردش عن الموسيقى، أحبَّ ديفيد موسيقى "الهيفي ميتال"، لكنه استمتع أيضًا بموسيقى "الروك" المتحررة، مثل موسيقى الفرقة الأمريكية "سيستم أوف آ داون" System of a Down، وهي فرقةٌ لم أسمع عنها من قبل مما دفعني إلى الإنصات إلى محاضرةٍ مستفيضةٍ حول أعمالهم الموسيقية، أوشكَت محاضرة "ديفيد" على الانتهاء بالتزامن مع انتهائنا من العشاء، عندما كان يصف الموسيقى برقت عيناه، وهو ما يعني بوضوحٍ أن الموضوع قريبٌ لقلبه، قال:

– هل تريدين سماع موسيقاهم؟ لدي ألبومان في مشغل "الإم بي 3" بغرفتي.

– لماذا ينبغي أن أحب نوع الموسيقى نفسه الذي تحبه؟

خرجت هذه الكلمات من فمي مثل خرخرةٍ غاضبة، وضاقت عيناي مثل عيني "الوَشَق".

– حسنًا، لست مضطرة لذلك، لكنِّي أريدكِ أن تسمعيها.

مسح بقية المرق بطرف قطعة بطاطس بالثوم ورفع الشوكةَ ببطءٍ إلى شفتيه، مستمتعًا باللقمةِ الأخيرة، ثم قال:

– موسيقى فرقة "سيستم أوف آ داون" أفضل من شريحةِ اللحم هذه وهي أقرب إلى "بينك فلويد"، أنت تعرفين من هم "بينك فلويد"، أليس كذلك؟

كانت النادلة تراقبنا ثم رفعت أطباقَنا عن المائدةِ حتَّى قبل أن أدرك أنني ضيَّعت فرصتي كي أسمِّمَ طعامَ "ديفيد"، سألتنا النادلة عمَّا إذا كنا نريد الحلوى، قررنا تناول القهوة، وشراب الـ"كالفادو"، وكعكةَ التفاح، كانت زجاجةَ النبيذ الأحمر فارغة لأكثرَ من النصف، لذلك سكبت النادلة الباقي في كأسينا، تبدو رائحة النبيذ ذكورية وتحمل في طيَّاتها أطيافًا من عرقِهم وجلدهم، قال:

– آسف، لكن هل لي أن أسألكِ ماذا تقصدين بما قلتِ إن والدك ميتٌ بالنسبة لكِ؟

نظر إليَّ "ديفيد" من فوق كأسه، فرفعت كأسي إلى شفتيَّ وشربت، قررت أن أروي له القصَّة؛ عندئذ سيعرف أنني لم أكن أليفةً تمامًا.

– آخر مرةٍ رأيت فيها والدي كنت في الرابعةِ من عمري تقريبًا، أي قبل ثلاثين عامًا، كنا نعيش في "لابينرانتا" في ذلك الوقت بالقرب من ملاعب "كيمبنين" الرياضية، لا أتذكر الكثير عن المدينة سوى أنَّ بها بحيرةٌ ضخمةٌ، وأن والدتي كانت تدفعني في عربة أطفال في ظلِّ أشجار الزان العملاقة، تزوج والدايَ في سنٍّ صغيرة، في العشرين، التقيا في حفلٍ راقصٍ صيفيٍّ بينما كانت تدرس في "يونسو" لتصبح معلمةً والتحق هو بالجيش في "رسالا"، بعد انتهاء فترة خدمته، انتقلا إلى "لابينرانتا" حيث عمل كهربائيًا، أعتقد أن أمي ظنَّت أنها ستنهي دراستها لكن ذلك لم يحدث.

شعرت بهذه الذكريات الُمصوَّرة تملأ عقلي الآن، لكن فيما بعد لم أستطع أن أتذكَّر كيف وصفتها لـ"ديفيد" بالضبط، فقد جاشت ذكرياتي، ثمةَ صراخٍ يتكرر كثيرًا، كنت أنا وأمي وحدنا، تُغني لي أغنية "إنه أبي من يعرف أين"، وأظن أنها سئمت من انتظاره لأن جارتنا تولَّت رعايتي كثيرًا، لا أعلم ما هي الحقيقة، أكانت أمي على علاقةٍ برجلٍ آخر أم أن أبي تصوَّر ذلك فقط؟ لكني أتذكر ما حدث عندما عدت أنا وهي إلى البيتِ في ذلك اليوم.

كان البهو مظلمًا، وشممت رائحةً حلوة، ثم رأيت أبي يُقبل نحونا وهو يترنَّح، مزيدٌ من الصراخ والشتائم: "عاهرة، عاهرة، عاهرة"، أبعدَني عنها وهو يصرخ، "لا تؤذي طفلتي، أنتِ عاهرة ستنالين العقاب الذي تستحقينه"، أنا على الأرضية واللون الأحمر يسيل في كلِّ مكانٍ، لم تعد أمي تصرخ، كانت هناك مستلقيةً على الأرضية، ثم أخذ يقترب مني فزحفت بعيدًا عنه لأني نسيت كيف أمشي، لم تعد أمي ترتدي الخاتمَ المرصع بحجرٍ ثمين، لم تعد ترتديه لأنه لم يعد لديها إصبعٌ في يدها، فقد قطع إصبعَها، أصبحت جثة هامدة، هز أبي كتلة

اللحم الحمراء في حجره وهو يبكي طلبًا للمغفرة، اختبأتُ تحت سريري، وتبوَّلت في سروالي بالرغم من مرورِ سنواتٍ على آخرِ مرةٍ ارتديت فيها حفاضات، ورأيت بقعةً حمراء كبيرةً لزجةً تغطي ذراعي، ثم خَبَطَ الجيران على الباب، ودخل رجل يرتدي معطف أزرق غامق بأزرارٍ لامعة، وفي الصباح رأيتُ كفنًا أبيضَ على السرير وجدتي تجلس بجواره تبكي وتصرخ بالتناوب حتَّى انهارت فنقلوها إلى مستشفى، قلت:

– طُعنَت أمي بخمسٍ وثلاثين طعنةً وحُكم على أبي بالسجن مدى الحياة، وبما أني شاهدت كلَّ شيءٍ، فقد توفرت قرائنَ كافيةً لتوجيه تهمة القتل العمد مع سبقِ الإصرارِ والترصُّد.

لم ألحظ في أيِّ جزءٍ من القصة قدَّمت لنا النادلة الحلوى، أعتقد أن رائحةَ الدم ما زالت عالقةً في أنفي، رغم رائحة القهوةِ النفَّاذة المزوجة برائحةِ صلصة الفانيليا، عادت النادلة إلى مكانها خلف البار، لكن أظنُّ أنها كانت تُنصت لما أقوله، إنها كبيرةٌ في السن بما يكفي كي تتذكر مذبحة "كيمبنين"، لم يكن هناك سوى صحيفةٍ شعبيةٍ واحدةٍ فقط في ذاك الوقت من عام 1980، حيث عمل بها مراسلٌ لحوادثِ القتل يدعى "هانوس ماركولا"، أو "القاتل – ماركولا" كما أسماه قراؤه، قام "ماركولا" بتوثيق كلِّ تفاصيلِ الحادث، حتَّى أنه حوَّل القضية إلى كتابٍ أسماه "جريمة قتل فنلندية"، وكان موضوع كتابه جرائمَ قتل إما شنيعة أو قُيِّدت ضدَّ مجهول، ولم أتمكن مطلقًا من الاطِّلاعِ عليه.

كانت يدي اليسرى مستلقيةً على الطاولة فأمسك بها "ديفيد" وقال:

– يا لها من قصةٍ مروِّعة.

– إن دمه يجري في عروقي، وبالتالي قد أفعل ما فعله.

لم أسحب يدي من يده، بل ضغطت بقوةٍ تكفي لإحداثِ ألمٍ، قال:

- أن تقتلي؟

- يمكن لأيِّ شخص أن يقتل، إذا توفرت الظروف المناسبة.

ضغطت على يدِه بشدةٍ أكثر، والآن استجاب هو أيضًا وضغط على يدي، يمكنه كسر عظامها، لم يصدر عني أيُّ صوتٍ، قال:

- تقصدين من أجل المال؟

- في بعض الأحيان، أو لحماية شخصٍ ما، بعض الأمهات زعمن أنهن مستعداتٌ لارتكاب جريمة قتلٍ إذا لزم الأمر لحماية أطفالهن.

ترك "ديفيد" يدي فسحبتها بعيدًا، لم يكن يرتدي خواتم، حسب التراث السويدي الفنلندي لأمِّه، لا بدَّ أنه لوثريًا، لذلك كان عليه أن يرتدي خاتم خطوبةٍ أو زفافٍ في يده اليسرى، فكَّرت في إصبع أمي المقطوع وارتجفت، صرخت وأنا تحت التنويم المغناطيسي بصوتٍ عالٍ حتَّى أن المعالج اضطُر إلى أن يعيدني لوعيي، وأخبرني أنني لست جاهزة تمامًا لذلك، لم يحِن الوقتُ بعد للتخلُّص من الصور التي عذبتني، وأوصى بإخضاعي للعلاج النفسي، لكني لم أفعل، قمت بتدوير ملعقتي في صلصةِ الفانيليا وأكلتُ قليلًا من كعكة التفاح التي بجوارها، طَردت رائحةُ التفاح رائحةَ الدم من أنفي، بدا "ديفيد" وكأنه فقد شهيَّتَه، بالتأكيد لن تخيف قصتي هذه قاتلًا مأجورًا من أتباع "باسكفيتش"؟ لا بد أنهم سمعوا عن حوادث أسوأ، بل ولعلهم ارتكبوها بأنفسهم.

تناولت رشفةً من شراب الـ"كالفادو" وكانت نكهة التفاح الناعمة به تبعثُ على الاطمئنان، قال:

- ألا يزال والدكِ في السجن؟

– الحقيقة لا أدري، كما قلت.. يمكن لأيِّ شخصٍ أن يقتل، إذا توفرت الظروف المناسبة، أنا أقدِّر حريتي بما يكفي لأحافظ على الحدود بيني وبينه، قد لا أتعرف عليه إذا رأيته في الشارع، هل سبق لكَ أن دخلت السجن؟

اندهش "ديفيد" بشكلٍ واضحٍ من السؤال، ثم همَّ بالإجابةِ، ولكنه عاد وأغلق فمه، كان الراديو يبث الآن اللحنَ الرئيسي لسيمفونية "روميو وجولييت" من توزيع "نانو روتا"، وكدت أنفجر في الضَّحك بسبب التناقض بين قصتي المروعة وتلك الرومانسية التي دارت أحداثها في "فيرونا "منذ زمنٍ بعيد، وأخيرًا سألني:

– هل تظنين أنني ربما أعرف والدك؟

لم تخطر هذه الفكرة ببالي، لكن بمجرَّد أن أمعنت التفكير قليلًا بدت لي كأنها احتمال، ربما دفع طرفان لــ"ديفيد" ليقتفي أثري، قلت:

– أنا لا أفكر في والدي أبدًا، قلتُ لك إنَّه ميتٌ بالنسبة لي.

كان لونُ حشوةَ الكعكة بالكراميل مختلفًا قليلًا عن ظلِّ لون القبعتين الشبكتين المميتتين القابعتين في حقيبتي، ولاحظت أن التفاح المطبوخ كان طريًّا مثل شرائح الفطر التي أحرقتها لأدسَّها في الفاكهةِ دون أن يلاحظ أحدٌ.

شعرت بحاجةٍ ماسةٍ للذهاب إلى دورة المياه، ولكن كيف يمكنني أن أتركه بمفرده؟ من مكانه حجب "ديفيد" النادلة عني، لذا يمكنه بسهولةٍ أن يدسَّ شيئًا في طعامي أو شرابي ليفقدني وعيي، لم يكن أمامي أيُّ خيار آخر سوى أن أحبس بولي في مثانتي حتَّى أنتهي من كلِّ شيءٍ، نفد النبيذ الفوار ولكن لا يزالُ هناك بعض النبيذ الأحمر، وبقايا شراب الــ"كالفادو" الذي طلبته، والقهوة، أخذت جرعةً كبيرةً من النبيذ، ثم تناولت القهوة كشرابٍ مُثَبِّط، على أمل أن يخفف آثار الكحول قليلًا، قال:

– بخصوص سؤالكِ، أنا لم أذهب إلى السجن أبدًا، إلَّا إذا اعتبرتِ إقامتي القصيرة في زنزانةٍ بـ"بيترسبيرج" سجنًا، كان سوء تفاهمٍ وقد سمحوا لي بالخروج بعد ليلةٍ واحدةٍ بائسة، أنا أقدر حريتي مثلك تمامًا، إن الجيش الفنلندي أقوى أو أبرعَ من أن أتفوَّق عليه، لكنني لا أحب أن يُملِي عَلَيَّ أحدٌ أوامرَه، أظن أنه هناك خيارات أسوأ من مشاةِ البحرية في "دراجسفيورد"، فعلى الأقلِّ كنت أتمتع بمنظرِ المحيط هناك.

– أحببتُ حياةَ الجيش.

– هل التحقتِ بالجيش؟

– نعم.

شربتُ المزيد من القهوة، على الرغم من أن مثانتي كانت على وشك الانفجار، قلت:

– تلقيت بالجيش تدريبًا جيدًا كي أصبحَ حارسةً شخصيةً، وكما قلت لكَ فقد استمتعت بحياةِ الجيش، أنا ملازمٌ ثانٍ.

ابتسم "ديفيد" وتجرع كأس الـ "كالفادو"، فناولته كأسي، فقال:

– أنتِ لا تحبِّين خمورَ التفاح، أليس كذلك؟

– بل أحبها، لكني سأعود إلى المنزل بالدرَّاجة، ولا أود أن أفيق لأجد نفسي في حفرة.

شرب "ديفيد "من الزجاجة التي لطَّخ فوهتها أحمرُ الشفاه الذي أضعه ثم قال:

– هل من الضروري أن تعودي للبيت بالدراجة؟ هناك سريران بغرفتي، لماذا لا تبقي الليلة؟

رأيت بقعةً صغيرةً من أحمر الشفاه على شفتيه، لو أنِّي من قبلته، لتركت بقعًا منه على وجهه، على ذقنه، على رقبته.. كنت أتوه أكثر وأكثر في دوري المغازل، أكمل:

– بصفتك محترفة في مجال الأمن، يجب أن تفكري في أيِّ مخاطرَ محتملةٍ قد تتعرضين لها، لكنني أعتقد أنك قادرة على الاعتناء بنفسك.

– حصلت على حزامٍ أسودَ في الجودو، من بين إنجازاتٍ أخرى، حتَّى "بوتين" نفسه لن يكون منافسًا كفئًا لي.

- حتَّى أثناء تبادلٍ لإطلاق النار؟
- ولا حتَّى ذلك، لقد تعلمتُ كيف أستخدم المسدس.

حدَّق "ديفيد" في عيني، كان خالي "جاري" يسمي التواصلَ البليغ بالعيون بـ"قلي السمك"، ولا أدري لماذا قفزت تلك الذكرى في رأسي في هذه اللحظة، حدقت مرةً أخرى في "ديفيد"، تركته يمسك بيدي ويُربِّت على ظهر كفِّي برفق، كما تركته يلف شعري حول أصابعه، ربما يجب أن أقبَل عرضه، لن تكون المرة الأولى التي يثرثر فيها رجلٌ فظٌّ بشأن خططه إذا شاركته الفراش، ومع ذلك.. فإن المشكلة أنني كنت أرغب بالفعل في أن أشارك هذا الرجل الفراش، وسأكون الشخص الذي سيفشي الأسرار، كان لا بد أن أغادر الآن، سحبتُ يدي من يده وقلت:

- حسنًا، يجب أن أذهب، لَدَيَّ عملٌ غدًا.

- بالطبع، أنا لا أقصد أن أضغط عليكِ، أنا أتفهم لماذا لا تريدين قضاء ليلةٍ في غرفة شخصٍ غريب.

أطلقت ابتسامةُ "ديفيد" فراشاتِ ملوَّنة في قلبي، واستشعرت توهُّجًا في وجنتي، واضطُررتُ إلى أن أديرَ وجهي بعيدًا عنه حتَّى لا يرى ذاك البريق في عيني، قال:

- لست مرتاحًا لفكرةِ أن أقلكِ بسيارتي للكابينة بعد كل هذا الكحول الذي شربته اللَّيلة، ربما لا تقوم الشرطة بدورياتٍ هنا، لكن هذا سيكون تصرُّفًا غير مسؤولٍ مني، فهل تسمحين أن أطلب لكِ سيارة أجرة؟

- لا داعيَ لذلك، قد يستغرق وصولها ساعاتٍ، سوف أتدبر أمري بدراجتي.
- ولكن أمامك طريقٌ طويلٌ، هل ستسلكين طريقَ "هانكو" أم الطريق المختَصر عبر الغابة؟ أفضِّل أن آتِ معكِ كي أتأكدَ من وصولكِ الكابينةَ بأمانٍ.

- المسافة ليست بعيدة، ولن أضطر للمرور عبر الغابة، كابينتي في "ستافو".

- "ستافو"؟ ظننت أنها في..

كاد لسانُه أن يزَل، لكنه أغلق فمَه في الوقت المناسب، أكمل:

- عندما رأيتكِ تركبين الدراجة في طريق "توروباكا"، ظننتُ أنكِ تعيشين في مكانٍ قريب، أظن أنني كنتُ مخطئًا.

أدار كأسَه ثم تناوله جرعةً واحدةً سريعةً، إنَّ الرجلَ تناول جرعتينِ ونصفٍ من الـ"كالفادو" ونصفَ زجاجةِ نبيذٍ أحمرَ، فما نفعه في الفراشِ بعد كلِّ ذلك؟

جاءتنا النادلةُ لتسأل عما إذا كنَّا بحاجةٍ إلى أيِّ شيءٍ آخرَ، شكرتها على الطعام وطلب "ديفيد" أن تُضيف الفاتورةَ إلى حسابِ غرفته، عندما تحدث باللغة الإنجليزية بدا أكثرَ جدِّيةٍ وأكثرَ ثقةٍ مما كان عليه عندما تحدث بلغته الأم، ومجدَّدًا لاحظتُ كيف تتغيرُ شخصيتي حسبَ اللُّغةِ التي أستخدمها، عندما تحدثت مع "ديفيد" بالسويديَّة، كنت لَمَّاحةً وأهِرُّ مثل القط؛ بينما كنت أكثرَ أنوثةٍ وأنا أتحدث معه بالفنلندية أو الروسيَّة الركيكة.

شكرت "ديفيد" ونهضتُ، لا بد أن النادلةَ كانت تنتظر أن نغادر لتذهب إلى النوم، مشى "ديفيد" معي نحو الباب، حمل سترتي، ووجدَ تسليةً في مراقبتي وأنا أستبدل حذائي العالي بحذاءٍ رياضي، قال:

- حسنًا، يبدو أنك ستدبرين أمورِكِ بمفردكِ، هل لي برقمِ هاتفكِ؟ قد أتَّصلُ بكِ في وقتٍ ما، ليتكِ تخبريني كلما جئتِ إلى كابينتكِ لقضاءِ عطلةِ نهايةِ الأسبوع.

وجدت بطاقةَ النزل في الردهة وكتبتُ خلفها رقمَ هاتفي بخطٍّ أقربَ إلى الشخبطة، لا يهم.. سأحصلُ على رقمٍ آخرَ غدًا، فتح "ديفيد" الباب المؤدي إلى ساحةٍ تهبُّ بها الريحُ، خرجنا وبمجرَّدِ أن لفَّنا الظلامُ قبَّلني.

لم أقاوم؛ فقد شعرت برغبةٍ في تقبيلِهِ معظمَ المساء، وعلى ما يبدو استمرت القبلةُ دقائقَ، وشعرت بتأثيرِها يسري في جسدي، أردت ذلك ليتني كنت "وَشَقًا" يتصرَّف حسب غريزتِه فقط، لا إنسانًا يتحسبُ العواقبَ، بذلت كل جهدي كي أسحب نفسي بعيدًا عنه، قفزت على دراجتي ولم أنظر خلفي في الظلام وأنا أقوم بالتبديلِ، في طريق عودتي كان المخلوقُ الوحيد الذي رأيته هو الثعلب؛ أخذ يركض بمحاذاةِ درَّاجتي قبل أن يقفزَ عند الكوبري مبتعدًا عن الطريقِ باتِّجاهِ الشاطئ، توقفت عند الرصيف في "توروباكا" كي أغطس في مياه المحيط الباردة في سبتمبر، وحتى ذلك لم يطفئ شعوري.

10

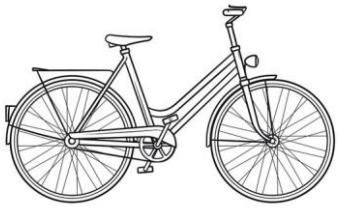

تركت دراجتي صباح الجمعة في مستودعَ بالقرب من محطةِ الحافلات، وقبل الفجر.. أعدت خَزْنة "أنيتا" إلى مخبئها القديم ونثرت نشا الذرةِ فوق كلِّ الأرضياتِ ودرجات سلم الكابينة كي أميِّز آثار أقدامِ أيِّ دخيلٍ، استغرقَت الحافلةُ السريعة خمس عشرة دقيقة فقط حتَّى "كيركونومي"، نزلت من الحافلة وسلكت طريق "هانكو" إلى مركز المدينة، حيث اشتريت هاتفًا محمولًا جديدًا، وخطَّينِ مسبقي الدفع، كما غيرت رقمَ هاتفي أيضًا؛ ولن أعطه لأحدٍ هذه المرة، إلَّا لأولئك الذين أثق بهم، لم أكن أعرف، لسوء الحظ، ما إذا كانت هذه الشريحة تشمل رفيقتي بالسكن أم لا؛ فلن يستغرق استجوابهما حتَّى تدليان برقمِ هاتفي وقتًا طويلًا، ربما كنت بحاجةٍ لتغيير شقتي أو على الأقل التخلي عن الكابينة في "تالودن" وتأجير مكانٍ آخرَ من الباطن.

عندما انتهيت من متجرِ الهواتف المحمولة، ذهبتُ إلى المكتبة؛ سبق أن سجَّلت اسمي لاستخدام جهاز الكمبيوتر لوقتٍ معين، كانت المكتبة هادئة، لم أرَ بها سوى قلَّةٍ من المتقاعدين يطالعون الصحفَ، وصبيٍّ "هيبي" يتنقل عبر الأقراص المدمجة، فتحت بريدي الإلكتروني لأقرأ أيَّ رسائلَ جديدةٍ وصلتني، فوجدت أغلبه رسائلَ غيرَ مرغوبٍ فيها باستثناء البريد الإلكتروني الجماعي الذي أرسله

صديقٌ لي من أيام "نيويورك"، وهو زميل دراسةٍ يُدعى "جيم بارسلي"، يعلمنا فيه أنه عُيِّن رئيسًا للأمنِ في بنكٍ كبيرٍ براتبٍ شهريٍّ يساوي إجمالي دخلي في عامين، ووجدت بريدًا إلكترونيًّا من رئيس الشرطة "لايتيو" يطلب فيه أن أتَّصل به على الفور، إما عن طريقِ الهاتفِ أو البريدِ الإلكتروني أو مقابلته شخصيًّا، حذفتُ رسالته، فهو آخر شخص يمكن أن أسمح له بأن يُزعجني.

تجوَّلت في المواقع الروسيَّة الإلكترونية بحثًا عن مزيدٍ من التفاصيل حول قضية "أنيتا"، فلم أعثر على أيِّ جديدٍ، تساءلت عن عدد الذين دفع لهم "باسكفيتش" رشاويَ لإبعاد وسائلَ الإعلام عن قضيته وإقناع الناس بقصة المُتشرِّد واعتباره الجاني وهو تفسيرٌ بدا للعامَّة معقولًا، إذا لم يصدق الناس نظريةَ أن القاتل مدمنُ كحول، فقد يحاولون بعد ذلك تلفيق التهمة لي، وإلا لماذا ترك أحدهم وشاح "أنيتا" معي، ولعل ذلك يفسِّر لماذا خدَّروني، فلم يكن الهدف من تخديري هو ألَّا أتمكن من إيقاف قاتلِ "أنيتا"، حتَّى لو لم أترك "أنيتا" بمفردها، فما زلتُ مسؤولة جزئيًّا عن قتلِها وأُحاسَب عليه، وحتَّى لو أُغلقت القضية.. فهم قادرون دائمًا على إعادة فتحها مرةً أخرى فور أن يطلبَ ذلك أحدُ الَّذين يتمتَّعون بالسلطةِ والصلاحية، ربَّما لا يتمتَّع "لايتيو" بالسلطةِ الكافية، ولا حتَّى رئيس الوزراء الفنلندي نفسه، لكن لا بد وأن أفترض أنني ربما ما زلت من المشتبه بهم.

أنجزتُ واجبي الخاص باجتماعي القادم مع "هيلينا ليموسفو" التي احتفظت بمقعدٍ في البرلمان يمثِّل الحزب الأخضر لفترةٍ طويلةٍ، منذ عامِ 1995، وتبلغُ من العُمرِ اثنين وأربعين عامًا، ولديها ابنٌ عمره عشرين عامًا، من زواجٍ من زميل دراسةٍ بالكلية لم يدُم طويلًا، انضمَّت "هيلينا ليموسفو" إلى الحزب الأخضر وهي ما زالت في الكلية، حيث تخصَّصَت في الاقتصادِ، كانت زعيمةً لجبهتها في البرلمان، ونائبة رئيس الحزب الأخضر، إلَّا أنها لم تصبح وزيرةً حتَّى الآن، كانت قد انتقلَت من "إسبو" إلى "كيركونومى" في وقتٍ سابقٍ من هذا العام، وكثيرًا ما أثارت تصريحاتُها

غضبَ العديدِ من المديرين التنفيذيين في مجالِ الأعمال، بالإضافةِ إلى خبراء السياسةِ الفنلنديِّين الذين صبُّوا تركيزَهم على علاقةِ البلاد بروسيا، ولم توضِّح مقالاتُ الجريدةِ ما إذا كانت متزوِّجةً حاليًا أم لا، ولم تُدرَج هذه المعلومة في صفحةِ ملفِّ التعريفِ بها على صفحةِ البرلمانِ، بل وجدت ملفًا يحتوي على عددٍ هائلٍ من الأعمدةِ والخُطبِ والمقالاتِ التي كتبَتها، وكانت أُطروحتها لنَيلِ درجةِ الدكتوراة حولَ آثار انهيار الاتِّحادِ السوفييتيِّ على الاقتصادِ الفنلنديِّ، وهو ما كانت تُدافعُ عنه قبلَ بضعِ سنواتٍ من عملِها كنائبة، وركَّز مقالُها الأخيرُ على التَّغيُّراتِ التي طَرَأت على ملكيَّةِ العقارات في فنلندا؛ بسببِ تزايُدِ عدد المُشتَرين لها من الرُّوس، أجرت "هيلينا" مقابلةً مع "أنيتا" في أحدِ مقالاتها قبلَ أن أبدأ العملَ لحسابِ الأخيرة.

بعد ذلك أجريتُ بحثًا عن "ديفيد ستال" وجدتُ حوالي 26,500 نتيجة، فاسمه شائع، على ما يبدو.. بدأت في التصفُّحِ لأكتشفَ أنَّ الرجلَ الذي قابلته بالأمسِ ليس له وجودٌ وفقًا للإنترنت، وهو ما توقعته، قال "ستال" إنه كان مستشارًا في أعمال البناء، وقد يحمل ذلك دلالةً ما، لم أطلب منه إبرازَ بطاقةِ هويَّته أو جوازَ سفرِه، ولو فعلتُ لبدا ذلك الأمرُ غريبًا بعض الشيء في ذلك السِّياق، وكونه غير مرئِيٍّ على صفحات الإنترنت لا يُثبت أيَّ شيءٍ في الواقع، ولا حتَّى أنه ربما قدَّم نفسه لي باسمٍ مزيفٍ.

تصفحتُ المزيدَ من المواقعِ الإلكترونية، ثُمَّ حاولتُ استخدامَ اللُّغةِ الفنلنديَّة، وكذلك مُحركات البحثِ باللُّغتينِ السويديَّة والإستونيَّة، واستعرضتُ الصورَ أيضًا، لكنني لم أجد شيئًا، بصراحةٍ.. من الصَّعب العثورُ على أيِّ شيءٍ يخصُّني أنا أيضًا عبر الإنترنت، فأنا لا أملكُ موقعًا على شبكة الويب، ولم أقم مُطلقًا بإنشاء حسابٍ على "ماي سبيس" أو "الفيسبوك"، أو على أيٍّ من المواقع الأُخرى التي يستخدمها النَّاس، وبرغم أنَّ وحدات المعلومات الرقمية التي يُسمونها "بايتس" لم تحتفظ ببياناتي، فإنني شعرتُ بأنني حية وذات أهمية.

ارتكبت غلطةً عندما بحثت عن اسمٍ آخر، وهو "كيو سورلواته"، هذه المرة.. ظهرت قائمةٌ طويلةٌ؛ فالجرائم الخطيرة تثير فضول المحققين في مقاعدهم الوثيرة، لم يُظهر البحثُ عن اسمِ "كيو كوركيماكي" أيَّ نتائج، مما يعني أنَّ الناس لم يكونوا مهتمِّين بهويَّتِهِ الحالية، وشعرتُ بارتياحٍ عندما قرأتُ أنَّ "سورلواته كوركيماكي" لم يحصل على عفوٍ من عقوبة السجنِ المؤبَّدِ، التي بدأت في ربيعِ عامِ 1981.

حملَت أمي اسمَ "كارتونين" قبل الزواج، لم يكن لها أشقَّاءُ غير خالي "جاري"، مات والدهما قبل ولادتي، وبحسب خالي.. ماتت أمهم من شدَّةِ الحُزن بعد ثلاثة أشهرٍ من قتلِ والدي لوالدتي، كانا جدايَ لوالدي على قيدِ الحياةِ عندما ارتَكب ابنهما جريمةَ القتل، لكنَّهما لم يرغبا في أن يتولَّيَا تربيَتي، بعد المذبحة.. عبَّر جدِّي عن شكوكِه فيما إذا كنتُ ابنة "كيو" حقًّا، أشعرَتني فكرةُ أن أكونَ ابنةً لشخصٍ آخر بالسَّعادة والثِّقةِ بالنَّفسِ، ولكن للأسف! عندما نظرتُ إلى صورة "كيو سورلواته"، شعرتُ وكأنَّ وجهي يحدِّق بي.

كان خالي "جاري" أبًا لي أفضلَ من عشرين أبٍ من أمثال "كيو سورلواته"، لم أذهب أبدًا لزيارةِ أبي في السجن ولم يطلب مِني ذلك قط، أعتقدُ أنَّه كان يشكُّ في أنني ابنته حقًّا، تمامًا مثلما فعل أبوه، لكن أمه تذكَّرَتني في وصيَّتِها، وأظنُّ أنها أرادت بطريقةٍ ما أن تعوِّضني.

كان لأبي أشقَّاء، ومِن ثَم لا بُدَّ وأن يكون لي هنا حشدٌ من أبناء عمومةٍ مجهولين يروحونَ ويجيئون من حولي دون أن أعرفهم، لكنَّ التعرف عليهم لا يهمني، قد يستنتج أحدُهم صلةَ القرابةِ عند قراءةِ اسمي؛ لأنَّه اسمٌ غير معتادٍ بالنسبةِ لأبناء جيلي، وإذا استدلُّوا عليه فلستُ بحاجةٍ إلى التواصل مع أيِّ أحدٍ منهم.

ذهبت إلى مطعمٍ لتناول بيتزا نباتية قبل أن أسير لمسافةِ كيلومترٍ من الحيِّ التُّجاريِّ بـ"كيركونومي" إلى منزل "ليموسفو" في مسقطِ رأسها، اتَّخذَت الشمسَ شكلًا تندر رؤيتُه، وألقت بأشعتِها على براعمَ أوراقِ شجرةِ "البَتُولا" التي تميل إلى الاصفرار، وتفتَّحت زهراتُ "الفاوانيا" الأرجوانيَّة في حديقةِ منزلِها الأماميَّة، لكنني لاحظتُ أنَّ حديقةَ "ليموسفو" الصَّغيرة مُهملة، فلم تتخلص من زهراتِ "الفاوانيا" الذابلة، وهناك نبتةُ "روزماري" جافَّة تقف في أصِّيص بجوار باب المدخل.

قرعت الجرس.. بدت السيدةُ التي فتحت البابَ أصغرَ بكثيرٍ مما بدت عليه في الصورِ، فشعرها بنيٌّ قصير، وبه خطوطٌ أرجوانيَّة داكنة؛ ليتماشى مع ظلِّ لون الكاكاو في عينيها البنِّيَّتين، كانت ترتدي سترةً أرجوانيَّة وبنطالًا رماديًّا غامقًا، وبلا مجوهرات أو مكياج، كان وجهها شاحبًا، كأنها لم تنم منذ أيامٍ، دعتني للدخول..

بدا المنزلُ الريفيُّ خاليًا بشكلٍ غريبٍ، كأنَّ "ليموسفو" لم تنتقل بعد بشكلٍ كاملٍ، لم تكن هناك ستائرُ تُغطي نوافذَ غرفةِ المعيشةِ، بل ستائر معدنيَّة متحركةً فقط، وفاضت أكوامُ الكتبِ والأوراقِ من كلِّ الزوايا، بدا هذا المظهرُ المؤقَّت للمنزلِ مألوفًا لي أيضًا؛ فهو يشبه شقَّتي في طريق "أونتامو"، وهي مجرَّد مكانٍ مؤقتٍ لتخزينِ الأغراضِ، سألتني "ليموسفو" عمَّا إذا كنت أرغبُ في القهوةِ أو الشاي، ولأنني كنتُ عطشى بعد تناول البيتزا؛ طلبت الأخير، سمعتها تعبثُ بالأشياء في المطبخ، وكي أقتلَ الوقتَ؛ ذهبت لأُلقي نظرةً على أكوامِ الكتبِ التي انتشرت على أرضية غرفة المعيشة، التي كانت أيضًا موطنًا لكومةٍ من خشب رفِّ كتبٍ ينتظر التركيبَ، وبجوارها مفتاحٌ سداسيٌّ ومطرقةٌ لتركيب الرفوف، رأيتُ أنَّ بعض الكتبِ باللغة الروسيَّة؛ ومن أغلفتِهم تعرَّفت على أسماءَ مثل: "أخماتوفا" و"دوستويفسكي".

قالت "ليموسفو" وهي عائدة من المطبخ:

– آسفة، المكان لا يزال في حالةِ فوضى عارمة! لقد انتقلتُ إلى هنا في الربيع، وهو وقتٌ مزدحمٌ بالعمل للغاية في البرلمان، ثم أخذت إجازةً لمدة شهرين في الصيف لأتجوَّلَ بالدرَّاجة في أنحاء إيطاليا وفرنسا، لذا فقد هربت نوعًا ما من العمل على ترتيب المكان، استولى زوجي السابق على بيتِنا وعلى معظم الأثاث، ولم يكن لَدَيَّ طاقةٌ للدخول معه في نزاعٍ، خاصةً مع تهديداته باللجوءِ إلى وسائلِ الإعلامِ ونشر قصصٍ جنونيَّةٍ عني إذا لم أُنفِّذ ما قاله.

ورغم أنني لم أكن متأكدةً من أنها ستسمع تعليقي فقد قلت:

– يا له من رفيقٍ لطيف!

عادت إلى غرفة المعيشة وهي تحمل صينيَّةً عليها بَرَّادُ شايٍ، وعسلٌ طبيعيٌّ وكوبان وبعض الفطائر، قالت:

– هذه فطائرُ تفاحٍ مصنوعةٌ من الحنطةِ وجبن "التوفو" العُضوي، تفضَّلي واحدة، مساعدتي "سارا" قرَّرت اعتمادَ نظامٍ غذائيٍّ، ومن دونها لن يكون لديَّ وقتٌ لأعيش حياةً أكثرَ صحَّة.

لاحظتُ أنَّ ملامح "ليموسفو" دقيقةً وصغيرة، لكنَّ عيونها تبدو واسعةً جدًّا بما لا يتناسبُ مع هذا الوجهِ الدقيق الملامح، بدت في الصور في صحَّةٍ جيِّدةٍ، ولكن عن قربٍ.. يمكن رؤيةُ الهالات السوداء تحت عينيها، يفشي وجهُها عن أنها امرأةٌ معذَّبة، جلسنا على الأريكةِ معًا فليس هناك كراسي أخرى حولنا، كدَّست "ليموسفو" كومةً من الكتبِ في طبقاتٍ لتكون بمثابة طاولتها ودفعت طاولةَ قهوةٍ صغيرةٍ باتجاهي. قالت:

– أنتِ إذن حارسة "أنيتا نيوتينين" الشخصية، هل وظفتكِ لأنها اعتقدت أن حياتها في خطر؟

– لم تشعر بأنها آمنةٌ في السفر إلى روسيا بمفردها.

- إذن هناك من كان يهدِّدها قبل مقتلها.

لم أفهم بأيِّ حقٍّ تستجوبني "ليموسفو"، حاولتُ أن أتذكَّر ما إذا سبق لـ"أنيتا" أن ذكَرتها لي في يومٍ من الأيام، تبنَّت "أنيتا"سياساتٍ تختلف تمامًا عن تلك التي تتبناها "ليموسفو"، وأظنُّ أنَّ الشيءَ الوحيد المشترك بين السيِّدتين هو مصالحهما مع روسيا والروس، قلت:

- كان لديها أعداء.

- كوني نائبةً يعرضني لتهديداتٍ بالقتل وانتهاكٍ لحياتي الشخصية، لكنني اعتدت على ذلك، أنا دائمًا أبلغ رئيسَ أمنِ البرلمانِ والشرطةِ بشأن أيِّ تهديدٍ أشعر بأنَّه تهديدٌ جادٌّ، نحن عادةً ما نلتزم الصمتَ حيال تلك التهديدات، خشيةَ أن يقرِّر بعضُ المعتوهين أن يقلِّدوهم، أزعجَ الخطابُ الذي ألقيته في الربيع الماضي في اجتماع غرفة التجارة الفنلندية الروسية البعضَ؛ لأنني لم أدن فيه الطريقة التي غزا بها الروس سوقَ العقارات الفنلندية، غضب البعضُ في حزبي لأنني لم أوجِّه انتقادًا كافيًا، ومرةً أخرى.. اتُّهمت بتبني خطابَ كراهيةٍ تجاهَ الروس، وأغرب ما في الأمر أن كلَّ تلك الاتهاماتِ من الفنلنديين.

أخذت "ليموسفو" قطعةً من فطيرتها وأكلتها، صببت لنفسي المزيدَ من الشاي، تذكَّرتُ ما قاله لي خالي "جاري" يومًا عن أنَّ السياسيَّ في نظر الجمهور هو من يتَّبع قواعدَ اللعبة، إذا لم تعجبك اللعبة.. فلا ينبغي أن تترشح لأيِّ منصبٍ، لا أحد مضطرٌّ إلى الانضمام إلى البرلمان، ولم يكن الوحيد الذي يعتقد ذلك، قالت:

- معظم الأشخاص الذين اتَّهموني عبر الإنترنت بكراهيةِ الروس كتبوا رسائلهم من خادم الإنترنت نفسه، هذا لا يُثبت شيئًا حقًّا، لكن بعد مقتل "أنيتا نيوتينين"، بدأتُ أتلقَّى هذه الرسائل مرةً أخرى، وهو ما أجده غريبًا! إذا قام

مُتشرِّدٌ مخمورٌ بقتل "أنيتا"، فلماذا أتلقى تهديداتٍ الآن من هؤلاء الذين كانوا مهتمِّين بأعمالِها العقاريةِ في "كوتكا"؟

قلت:

- "كوتكا"؟ ماذا تقصدين؟!

ذكر لي "لايتيو" شيئًا عن حرب المزايدات التي اندلعت بين "أنيتا" و"باسكفيتش". ذهبتُ إلى "كوتكا" مرةً واحدةً مع "أنيتا"، وقد كدت أختنق بالشاي؛ فقد أخبرني "ديفيد ستال" أيضًا أنه ذهب إلى هناك مع رئيسه منذ أسابيعَ قليلة، على الأرجح كان مرافقًا لصديقنا المشترك، "فالنتين بي". قالت:

- أتمنى لو كنت أملك إجابةً، كل ما أعرفه هو أن ورثة السيدة "يولينين" عرضوا عزبَتها التي تبلغُ مساحتُها سبعةً وسبعين فدانًا تطلُّ على المحيطِ للبيعِ، ويدَّعي سمسارُ العقارات أنهم تلقوا عروضًا متعدِّدة.

- على حدٍّ علمي، كان عرض "أنيتا" واحدًا منهم، وهو لم يعد بالطبع صالحًا الآن، وليس لديَّ أيُّ فكرةٍ عمَّا سيحدث لتركَتها العقارية؛ ابنتها لن تعود إلى فنلندا قبل الأسبوع المقبل، ولم نتفق على موعدٍ للقاءٍ بعد.

- لست متأكدةً تمامًا من أن الأمر يتعلَّق بوضعِ يدِ أحدهم على ممتلكاتٍ تطل على شاطئ المحيط فحسب، بل لا بد أنَّ هناك شيئًا آخر، أنا لم أُخطر الشرطةَ بهذه التهديداتِ الجديدة حتَّى الآن؛ لأنني بصراحةٍ لا أعرف بمن أثق.

- حسنًا، وأنا أيضًا لم أخبر الشرطة بالتهديدِ الذي تلقيته بعد مقتل "أنيتا"، تلقيت رسالةً باللغة الإنجليزية بعد أن عدت إلى فنلندا، ومن المفترض أنهم وجدوا الفاعل.

حملَقت بي "ليموسفو" بعينيها الواسعتين، فبدت كعينَيْ غزالٍ يواجه ضوءَ مصابيحَ السيارةِ الأماميَّة.

– لكن لماذا تخبريني بهذا الآن؟ هل ينبغي أن أثق بكِ؟ وإذا كان الأمر كذلك.. فسؤالي التالي هو، هل دفعوا لك رشوةً كي تتركي "أنيتا نيوتينين" بمفردها؟ لماذا لم تَكُني برفقتها عندما قُتلت؟

حدقتُ فيها قبل أن أنهض ثم قلت:

– هذا هو سبب دعوتكِ لي هنا، هه؟ أنت تتخطين الشرطةَ كي تُجري تحقيقًا بسيطًا بمعرفتكِ، وبمجرد أن تحصل الصحفُ على ملف قصتكِ؛ ستعتبرك الجماهير بطلة، فلتعلمي أنني لست طرفًا في هذه اللعبة.

– اهدئي، لا تستسلمي لمجرد أن الأمورَ تزداد تعقيدًا بعضَ الشيء.

اختفت النظرة الوديعة من عيني "ليموسفو"، وأصبح صوتُها صارمًا بما يكفي لإقناع الخصم بتغيير تصويته الانتخابي، ثم أكملت:

– أريد أن أعرف فقط على أيِّ جانبٍ تقفين، فأنا أعتقد أن جريمة قتل "أنيتا نيوتينين" لا علاقة لها بسرقةٍ ارتكبَها مُتشرِّدٌ ثمِل، وأنا متحمسةٌ جدًّا للاطلاع على ما لديكِ من معلوماتٍ، سأدفع لكِ مقابل أيِّ معلومات، ولكي أكون صادقة.. يمكنني الاستعانة بشخصٍ الآن كي يجري تحقيقاتٍ لا يمكنني القيام بها.

– هل سبق وتحدثت مع قائد الشرطة "لايتيو"؟

– نعم، هو أيضًا لا يصدق استنتاجات ميليشيا موسكو.

– هل أخبركِ أن أحدهم اشترى ولائي؟

قالت "ليموسفو" وهي تبتسم:

– على عكس "لايتيو"، فأنا في الواقع أصدق قصةَ معطف "الوَشَق" تلك.

– أخبرك "لايتيو" بها إذن؟

– محاضر الشرطة تصبح معلوماتٍ عامة بمجرد إغلاق التحقيق، هيَّا تعالِ، اجلسي واستمتعي بتناول فطيرةً أخرى.

حدقتُ خارج النافذة، استطعت أن أرى من خلال الستائر المعدنية المتحركة ساحةً بها عشبٌ كثيف، وهناك شجرةُ تفاحٍ وحيدة، بعض ثمارها اليانعة سقطَت بالفعل على الأرض، والطلاءُ تقشَّرَ من على عوارض السِّياج، حيث يستريح سربُ طيورٍ صغيرة منشغلٌ بتدريبٍ غنائيٍّ "كورالي"، لن يحتلَّ مقرُّ إقامةِ "هيلينا ليموسفو" في أيِّ وقتٍ قريبٍ مكانًا بارزًا في أيِّ مجلةٍ للتَّصميم المعماري، ما الذي تريده "ليموسفو" مني على أيِّ حال؟ ارتميتُ على الأريكة وأخذت أشرب الشايَ، قد أظل في مكاني هكذا منتظرةً أن أسمع منها المزيد، سألتني "هيلينا":

– هل تصدقين أن مُتشرّدًا مخمورًا لم يعلنوا عن هويته بعد هو من قتل "أنيتا نيوتينين"؟

– لم أعد أدري ماذا أصدِّق، والمعلومات التي أدليتِ بها الآن تعقد الأمر أكثر، ما علاقتكِ بصفقات "أنيتا" العقارية؟

– أنا مهتمةٌ فقط بمعرفةِ سبب رواج هذه الممتلكات بالذات، لقد كونتُ وجهةَ نظرٍ حول هذا الموضوع، ويمكننا العمل معًا لإثباتِها.

– أيُّ وجهة نظر؟

– سأخبركِ في الوقت المناسب، لم يكن هذا هو السببُ الوحيدُ وراء رغبتي في أن أقابلكِ، أتمنى أن تساعديني في عمليَّةِ حمايتي، أتذكَّر كم كنتِ رائعةً في تأمين "مونيكا" بمطعم "شي مونيك".

– هل تريدينني أن أحميكِ؟ أعطني بعض التفاصيل وسأرى ما يمكنني عمله.

اتكأتُ على الأريكة، قالت:

– قلت لك إنني حصلت على الطلاق مؤخرًا، وعمليةُ الطلاقِ برمَّتها لم تكن سهلة، لقد سئمت ببساطةٍ من تدليله، وخلقَ هذا فوضى عارمَة، شيءٌ مضحكٌ أن تنظر إليك الجماهيرُ باعتبارك مصدرًا للحماية، بينما في الحقيقة أنتِ ظهركِ مكشوف، أجرى "تيكو ألتونين" –زوجي السابق– بعض المقابلاتِ القذرة وقد نُشرت في صحفٍ صفراء، لا أعتقد أن الناخبين يهتمون حقًّا بما يشيعه عني، لكن هذا قد يشجِّع بعض المعتوهين على اتِّخاذ إجراءٍ ضدي، هناك من يتتبَّعني، أريدكِ أن تعرفي من هو.

– يتتبعكِ؟ كيف عرفتِ؟

– حسنًا، إن الأمر ليس مجرد تتبعٍ فحسب، فهناك بعض الأشياء الغريبة الأخرى التي تحدث، منها أنه من المعتاد أن يُترك البريدنا والصحف في صناديقنا البريدية، ولأن هناك فتحة في الباب الأمامي تركها المالك السابق؛ فقد أخذ شخصٌ ما الصحف الصباحية من صندوق البريد الخاص بي ومرَّرها عبر فتحة البريد القديمة، وكذلك يواصل شخصٌ ما تحريكَ نبتة "الروزماري" وسرقةَ تفاحي، وذات مرةٍ وجدت أرنبًا ميتًا في الفناء الخلفي، وعندما أخذته للطبيب البيطري.. اتضح أنه مات مسمومًا، وهناك مجهولٌ يتجوَّل في الفناء الخلفي لمنزلي ولا أعلم كيف يدخل هؤلاء، ربما يتسلقون السياج؟

نهضتُ مرةً أخرى وفتحتُ باب الفناءِ الخلفيِّ الصغير، وجدت سياجًا يمتد حول ساحاتِ المنازلِ السكنيَّةِ يبلغ ارتفاعُ ألواحِهِ الخشبيَّة حوالي مترين تقريبًا، ولأن الألواح كانت متباعدةً بشكلٍ غيرِ منتظم، فمن السهل الوصول إلى الفناءِ المجاور، ذكَّرني المشهدُ بمنطقةِ التدريب في أكاديمية "كوينز" للأمن حيث الجدار المبني من الطوب ويبلغ ارتفاعُه مترين ونصفٍ تقريبًا ويصعُب تسلُّقه، وفي بعض الأحيان كان يعلوه شظايا من الزجاج، وأحيانًا أسلاكٌ شائكةٌ أو سلكٌ مُكَهْرَبٌ بثمانين فولت،

وأحيانًا يطلقون كلبين من سلالة "دوبرمان" على الجانب الآخر من الجدار، ومع ذلك.. كنت دائمًا أنجو منهما دون أن يُلحقا بي أيَّ أذى، سألتها:

- ماذا وراء السياج؟

- وراءَه صفٌّ مماثلٌ من المنازل السكنية، وذهبتُ إلى هناك وسألت ما إذا كان أيُّ أحدٍ كان قد رأى غرباءَ في المنطقة، فلم أجد.

- يمكنكِ دائمًا أن تدفعي لأيِّ أحدٍ مقابل النظر في الاتجاهِ الآخر، ألم تُفكري في الحصول على أمرٍ بعدم التعرُّضِ لحبيبكِ السابق؟

- حتَّى الآن، لا، خشيت أن يجعله ذلك أكثرَ حماسًا للتحدث على الملأ، أنا أحترم القانون -بل وشاركت في صياغته- لكن في بعضِ الأحيانِ أشعر أنَّه مجرَّد كلامٍ على ورق، الناس يتعرضون للتهديد أو القتل رغم الأحكام القضائيةِ وحتَّى الشرطة لا يمكنها إيقافُ كل المجانين، آسفة، أعتقد أنه لا ينبغي أن أقول هذا الكلام، ولكن هذا ما أشعر به، إنه وضعٌ ميؤوسٌ منه.

نهضت "ليموسفو" وتوجَّهت إلى النافذة ورفعت الستائرَ المتحركة. قلت:

- هل "ألتونين" هذا من النوع الغيور؟ أنا أسأل لأنني فكَّرت للتوِّ في شخصٍ أفضلَ مني لهذه الوظيفة، إنه رجل.

هزت "ليموسفو" رأسها بالنفي وقالت:

- أنا لا أريد أيَّ رجالٍ في منزلي، أريد أن أعيش بطريقتي الخاصة، وأنا بحاجةٍ إلى شيءٍ من العزلة بعد الساعات الطويلة التي أقضيها في العمل.

- حسنًا، لن يكون رجلًا عاديًا بالمعنى المعروف.

– حتَّى لو كان مثليَّ الجنس، فلن يغير ذلك شيئًا، سيظل رجلًا، حسنًا، "تيكو" غيورٌ ويحبُّ التملُّك، لذا فإن حارسًا شخصيًّا ذكرًا قد يكون له التأثير نفسه الذي يسببه التلويح بالراية الحمراء أمام ثورٍ هائج، لأكون صادقة، لقد كان ينشر شائعاتٍ بأنني تركته لأنني أميل أكثر إلى النساء، لكن الأخبارَ من هذا القبيل لم تعد تؤثر في أحدٍ اليوم.

– أنا لا أتحدث عن رجلٍ عاديٍّ، أنا أتحدث عن "ريسكا"، "ريسكا راسانين".

– مَن "ريسكا"؟

لم يكن معي أيٌّ من أدواتٍ خاصة بـ"ريسكا"، ومع ذلك، فقد بذلت قصارى جهدي كي أجسد طريقةَ وقوف "ريسكا" وتعبيرات وجهه، وصوته المنخفض، واستخدمتُ لهجةَ مدينة "كافي"، ثم مشيت نحو "ليموسفو"، وقلت أنا أنظر في عينيها:

– أهلًا، أنا "ريسكا راسانين"، عاملٌ ماهرٌ من "كافي"، طاب يومكِ يا سيدتي، أنا أبحث عن وظيفةٍ، ولكن لا شيءَ متاحًا، ومن المؤكد أنه يمكنكِ استخدام شخصٍ يتمتع بمهاراتٍ يدويةٍ هنا، سياجك يحتاج إلى الطلاء، ولن يستغرق الأمر سوى بضعةِ أيامٍ بلا مطرٍ كي أطليه لكِ بطبقةٍ جديدة! إذا عقدنا صفقة.. فسوف أقوم بجزِّ العشب أثناء عملية الطلاء، نائبةُ الشعب يجب أن يكون لديها فناءٌ أنيقٌ ومرتَّبٌ؛ ماذا سيظن الناس بكِ وأنتِ تعيشين في هذه الفوضى؟

حدَّقت بي "ليموسفو" في ذهولٍ، فوضعتُ يدي بين وركي وهرَشتُ خصيتيَّ الافتراضيتين، ونظرت إلى جسد "ليموسفو" من أعلى لأسفل وقلت:

– لست امرأةً قبيحةً على الإطلاق، رغم أن جسدك الهزيل قد لا يعجبني، ولا يعنيني الحزب الذي تمثليه، فأبي كان مزارعًا، ولا شيء ينمو في "كافي" دون سماد، وإلى جانب

الزراعة أضطرُّ إلى الخروج للصيد كي نجد طعامًا على المائدة، وعندما التهمَ "الوَشَق" كلَّ الدجاج من العُشَّة؛ اضطر أبي أن يحبس كل الحيوانات في أقفاص.

انفجرت "هيلينا" في الضحك، كانت ضحكتها جميلة، قالت:

- من هذا الشاب؟

- أنا "ريسكا" فحسب، "ريسكا" الطيب، أنا فنلنديٌّ خالصٌ وطوعُ يديك، صحيحٌ أنا متدينٌ لكن لا أمانع شرب القليل من الخمر.

- من أين أتيتِ به؟

عدت إلى شخصية "هيلجا"، وقلت:

- ألم تفكري يومًا في قدر المتعة التي يمكن أن تشعري بها عندما تتقمصين شخصية رجل؟ إنه شيءٌ مفيد، يمكنك أن تصبحي غير مرئية وتأخذين الوقت الذي يلزمك في مواقفَ قد تجذب فيها المرأة انتباهًا غير مرغوبٍ فيه، أعني.. لا أحد يعرف من الوهلة الأولى أبدًا ما إذا كان صغير "الوَشَق" ذكرًا أم أنثى، في حديقة حيوانات "أهتاري" للحيوانات البرية، أطلقوا على صغير "الوَشَق" اسم "إينس"، ولكن بعد ذلك اتضح أنه ذكر، والآن يُطلق عليه "ماتيكينين"، أنا، أي "ريسكا"، شيءٌ ما من هذا القبيل أيضًا، وأنا أتفق مع "ريسكا" في أن هذا المكان بحاجةٍ لبعض التجميل! ألا تظنين أنه يمكنكِ منحه وظيفةَ مُبَيِّضُ طلاء؟ كم عدد الغرف بالطابق العلوي؟

- غرفتي نومٍ وحمام ساونا كهربائي لا أستخدمه، إذا بقيت هنا بشكلٍ دائمٍ، سأقوم بهدمه وأحوله لصالةِ ألعابٍ رياضيَّة.

- هناك متسعٌ كبيرٌ إذن لـ"ريسكا"، أو، إذا لزم الأمر يمكن لـ"ريسكا" أن ينقلب إلى "هيلجا" في بعض الأحيان، هل يتردد ضيوفٌ على المنزل كثيرًا؟

- ابني "آبو" فقط، من حينٍ إلى آخر، يدرس الهندسة المعمارية في "أوتانييمي".

- هل تثقين به؟

- جدًّا! إنه في قمة السعادة لأنني تركت "تيكو".

- دعينا نعقد صفقةً إذن، سوف تقومين بتوظيف "ريسكا" وستقومين بتحويلِ أجرهِ إلى حسابه المصرفي مباشرةً.

- هل يدفع "ريسكا" الضرائب؟ لا أستطيع أن أدفع له من تحت الطاولة!

يمكن لـ"هيلجا" الاحتفاظ بإعانات البطالة الخاصة بها إذا كان "ريسكا" هو من سيعمل.

فكَّرت بسرعةٍ في مختلف السيناريوهات الضريبية الممكنة، لكن حدسي أخبرني أنه ينبغي أن أتصرَّف بنزاهةٍ، فقلت:

- ربما من الأفضل أن تعقدي اتفاقًا معي بدلًا من "ريسكا" الذي سيقوم بعمل الإصلاحات؛ وهذا ما يفسر للآخرين لماذا سيبقى هنا لبضعةِ أيام؟ سأخبر جيرانكِ أنكِ استأجرتِ عاملًا بارعًا من "سافوني" وسيبقى معكِ لبعض الوقت، لن يتلصَّصَ مسؤولو الضرائب عبر النافذة، سأعود غدًا إذا كان الموعد مناسبًا لكِ.

- مساء الأحد مناسبٌ، سوف أسافر إلى "توركو" لحضور اجتماعٍ صباح الغد، تعمل الحكومة بأكملها على إستراتيجية بناء منتجعٍ صحيٍّ بحريٍّ بـ"رويسالو" تمهيدًا للانتخابات القادمة، أشكُّ في أن أيَّ شخصٍ مهما كان يمكنه أن يتتبعني هناك.

تنهدت ثم نظرت في عينيها البنيتين المتعبتين وقلت:

- اسمعي يا "هيلينا"، أنت لا تبالغين في اهتمامكِ بأمنكِ وسلامتكِ، ورغم أنكِ قد تظنين أن "تيكو" هو التهديدُ الأكثرَ احتماليَّةً بالنسبة لكِ، لكن لا يمكنك أن تتجاهلي أيَّ أعداءٍ محتملين آخرين، فكري في الأمر، كثيرٌ من الحوادث يمكن أن تقع في المنتجع الصحيِّ البحريِّ: قد يغرق الناس، قد ينزلقون على الصابون وترتطم رؤوسُهم بالأرض، أو يتعرَّضون للصعق بالكهرباء بسبب

المعدات التي لا تتم صيانتها بشكلٍ دوريٍّ، إذا كنتِ ستعملين معي، عليكِ أن تتذكري التالي: لا توجد أماكنٌ آمنة، هذا ما تعلمته لكن بعد مشقة.

حاولت "هيلينا" أن تبتسم، لكن شفتيها ارتجفتا، وتلك علامةٌ جيدة؛ هذا يعني أنها قدَّرت مدى الخطر، لن أسمح لــ"لهيلينا" بأن تلقى مصير "أنيتا"، حتَّى لو اضطررتُ إلى المخاطرةِ بحياتي فداءً لها.

11

في كلِّ مرةٍ أتولى فيها قضيةً جديدة، أقضي وقتًا طويلًا في دراسة أبعادها وخلفياتها وأسعدني إجراءُ بعضها بالفعل فيما يخص "هيلينا ليموسفو"، فهي واحدةٌ من مجموعةٍ محدودةِ العدد من المسؤولين الحكوميين الذين يمكنكَ التعرف عليهم لو قابلتهم في الشارع، لم تكن السياسةُ أبدًا ضمن اهتماماتي؛ ولم أكن أذهب للاقتراع إلا إذا سَمح لي جدولي بالقيام بذلك، إنَّ "هيلينا" وظفتني، لكنني لن أتورَّطَ في منظومتها الأخلاقية، أن تصبح صديقًا للعميل فذلك ينطوي على مخاطرَ جمة، هكذا قالت لي "مونيكا"، تركتُ "هيلينا" تصبُّ المزيدَ من الشايِ قبل أن أبدأ في طرح أسئلتي الجوهريَّة، سألتها:

– هل تعودين دائمًا من عملكِ لقضاءِ الليلِ هنا، أم لديكِ مكانٌ آخر في هلسنكي تقيمين به؟

– لديَّ غرفةٌ في شقةٍ مكونةٍ من غرفتَي نوم، والغرفةُ الثانية تسكناها امرأتان، واحدةٌ عضوةٌ في رابطتنا من مدينة "أولو" والأخرى عضوةٌ في حزب الشعب السويديِّ من إقليم "أوستروبوثنيا"، وقد ورثت بعضَ المال ودفعته ثمنًا للشقة، لم نتطرق إلى ذلك على الملأ؛ لأنَّ ناخبِيها محافظين جدًّا وسوف يقلقهم أن تتعرض نزاهتها للخطر إذا علموا أنها تعيش مع عضوتين من الحزب الأخضر.

ضحكت "هيلينا"، ثم قالت لي أن شقتها في" تولو" مؤقتةً وتقع في مبنى تم تجديده حديثًا، وبابه الأمامي موصدٌ دائمًا، كما أن باب الشقة به عينٌ سحريَّة، ومزلاجٌ، وقفلُ أمان، قد اشتُبه في رفيقة "هيلينا" التي من "أوستروبوثنيا"، ومع ذلك.. قررت التحققَ من وجود اتصالٍ محتملٍ بين رفيقتي سكن "هيلينا" و"باسكفيتش" قلت:

– أودُّ أن ألقيَ نظرةً على مسكنكِ في هلسنكي أيضًا، ولكن دعينا نركز الآن على هذا المنزل الريفي، عندما أتقمَّص شخصيةَ "ريسكا"، سوف أقوم بتثبيت نظام أمانٍ، بما في ذلك أجهزة الكشف عن الحركة وكاميرات المراقبة.

سألتها:

– ماذا عن الفناء الخلفي؟ هل به مصابيح إضاءة؟

– لا، هل تعتقدين أن كل هذه الأجهزة ضروريَّة حقًّا؟ هل تستهلك الكثير من الطاقة؟

– يمكنني بالتأكيد النظر في المزيد من الخيارات الموفرةِ للطاقة، ولكن يجب أن تفكري في مقدار الطاقة التي تنفقينها على القلق بشأن أمنكِ وسلامتكِ وهو ما لم نتفق على سعرهِ بعد.

فكرت "هيلينا" في الأمر لثانيةٍ وهي تعبث في كُمّ سترتها بطريقةٍ لم تكن لتبدو لائقةً لو كانت على شاشة التليفزيون، ثم قالت:

– سأتركُ لكِ أمر تركيب المعدات، لكنني أرفض المصابيح الخارجية الساطعة، سيتعين علينا الاكتفاء بكاميرات المراقبة ومصابيح الشوارع، أعني.. أنني عارضت في البرلمان أيَّ تشريعٍ من تشريعات الأخ الأكبر وها أنا الآن أسمح بها في فنائي الخاص!

تركتُ "هيلينا" تنفث عن توتُّرها للحظةٍ، فمن السهل الاعتراض على نظام كاميرات المراقبة عندما لا يكون لديك ما يدعو للقلق، قلت:

– أخبريني بالمزيد عن زوجكِ السابق، متى تعارفتما؟ أين يعمل؟

قابلت "هيلينا" زوجها السابق "تيكو كونتو هينريكي ألتونين" قبل أربع سنواتٍ في حملةٍ انتخابية، نشر "ألتونين" مجموعةً من القصائد عن البيئة على مواقع الويب، وعرضت عليه بيعها لصالح فعاليات الحملة الخاصة بحزب مدينة "إبسو" الأخضر ولم ينجح الأمر، لكن "هيلينا" أُعجبت بالقصائد واشترت منه خمسين كتيِّبَ شعرٍ لإطلاقها في مناسباتٍ مختلفة، مما دفع "تيكو" لكتابة قصائد عنها، قالت:

– كم كنت حمقاء! كلُّ الرجال الذين واعدتهم من قبل كانوا إما اقتصاديين أو سياسيين، والدُ ابني الذي درس الاقتصاد، هو الآن واحدٌ من كبار المسؤولين في مجموعة بنك "نورديا"، إنما "تيكو" يختلفُ تمامًا عن هؤلاء الرجال، في البداية اعتقدت أن استخدام راتبي لتبني شاعرًا موهوبًا فشل في العثور على ناشرٍ لأعماله شيءٌ طيب، كما لو كنت أفهم أيَّ شيءٍ في الأدب على الإطلاق، كنت سأريكِ بعض أعماله لو لم أتبرع بكلِّ شيءٍ أعطاني إيَّاه للمكتبة؛ لا أريد كتبَه على رفِّ مكتبتي بعد الآن.

أنا أيضًا لا أفهم في الشِّعر، فقد اقتنى خالي "جاري" كتبَ شعرٍ قليلةٍ على رفِّ مكتبته، من بينها الأعمال الكاملة لكنزنا القومي الكاتب "ألكسيس كيفي"، اعتاد "خالي" إلقاء قصيدةٍ من قصائده وهو يتلعثم كلما احتسى الكثيرَ من الخمر، كانت عن سنجابٍ ينام مرتاح البالِ في عشه على الشجرة، كانت تلك هي القصيدة الوحيدة

التي حفظتها عن ظهر قلب، حسنًا، حفظتُ معظمها فقط، هذا إذا لم نعتبر كلمات أغاني "الروك" شعرًا، على أيِّ حالٍ، لم أعرف شيئًا عن أعمال "تيكو ألتونين" ذاك.

عندما بدأت "هيلينا" و"تيكو" في المواعدة الغرامية، كان "آبو" ابن "هيلينا" يبلغ ستة عشر عامًا، ولم ينسجم مع "تيكو" على الإطلاق؛ وهو أحد أسباب اضطرارها إلى الانتقال إلى مسكنٍ آخر، اشترت "هيلينا" للأسرة شقةً مكونةً من ثلاث غرف نومٍ في "ماتنكالا"، وعلى الرغم من أنها كانت على بعد بضع بنايات من شقتهم القديمة، كان "آبو" غير سعيد لا بالانتقال ولا بضمِّ فردٍ جديدٍ للعائلة، ومن ثم اعتزلهما ولزم غرفته، ونادرًا ما انضم إلى "هيلينا" و"تيكو" لتناول الغداء أو العشاء حتَّى بعد أن أعادت "هيلينا" ترتيب جدولَ أعمالها المُلِحّ؛ كي تتواجد في مواعيد تناول الوجبات الأساسية، والتي اعتبرتها أوقاتًا عائليةً مقدسَّةً، حتَّى ذلك الحين.. كان "آبو" واثقًا من رغبته في الانضمام إلى الخدمة المدنية بدلًا من الجيش، لكن بعدما اكتشف أن "تيكو" أدى الخدمة المدنية أيضًا، بدأ يتحدث عن الانضمام إلى الجيش، ظلت "هيلينا" عالقةً بين رجلين يتصرف كلٌّ منهما بطريقةٍ صبيانية، بدأ "آبو" يُلمِّح أيضًا إلى أن "تيكو" عاطلٌ عن العمل، ولا يفعل أيَّ شيءٍ سوى التسكعِ في الحانات ليدون شعره في دفتره، رغم أنه لم يجد أيَّ شخصٍ ينشره أعماله، قالت:

– كان يصرخ في "تيكو" ويقول إنه يستغلني كمجرد "أم متصابية" تنفق على عشيقٍ عاطلٍ يصغرها؛ كان رد "تيكو" أن "آبو" يفعل الشيءَ نفسه، فهو لا يعمل حتَّى في الصيف كما يفعل أقرانه من المراهقين لأن "يارمو"، والد "آبو"، يغدق عليه دائمًا الكثيرَ من المال، وكان هذا صحيحًا، وظننت أن الأمور سوف تهدأ عندما يتعرف "آبو" على "تيكو" بشكلٍ أفضل، عاش ابني معنا حتَّى نهاية الخريف الماضي، ولكن بعد أن سجَّل اسمَه في قائمة الانتظار لشقة الطلاب، حصل على غرفةٍ مع خمسة أولادٍ آخرين في "أوتانييمي"، وهذا يُظهر مدى كرهه لـ"تيكو"؛ فقد فضَّل تقاسمَ شقةٍ مع طلابٍ على الإقامة في منزلٍ يتكون من ثلاثِ غرفِ نومٍ مع أسرته.

قالت "هيلينا" إنها لم تدرك إلا فيما بعد فقط أنها نجحت في أن تجعل من "تيكو" شخصًا أفضل مما كان عليه، وذلك يرجع جزئيًّا إلى أنها لا تريد أن تكون مثل هؤلاء الضعفاء الذين يسمحون لأطفالهم بأن يحددوا لهم الطريقة التي يعيشون بها حياتهم، ولم تبدأ في النظر إلى "تيكو" من منظور "آبو" وأصدقائها إلا بعد رحيل ابنها، عرفتني "مونيكا" بـ"تيكو" مرةً واحدةً فقط، وأتذكَّر بوضوحٍ أنها تعجبت من السبب الذي يجعل امرأةً من نوع "هيلينا" تقع في غرام فنانٍ محتالٍ مثله، وبرغم أنني رأيت "هيلينا" في مطعم "شي مونيك" عدةَ مراتٍ، فأنا لا أتذكر أنني رأيتها بصحبة أحد، سألتها:

- هل لديكِ صورة لـ"تيكو"؟

- لدي صور له على أقراص مدمجة هنا في مكانٍ ما، التُقطَت له منذ عامين في الصيف، عندما ذهبنا في رحلةٍ لجمع زهور "الأوركيد" في جزيرة "ساريما"، ستجدين الأقراص المدمجة مصنَّفة حسب الاسم، هل تمانعين في إلقاء نظرةٍ عليها؟ سأشغل لكِ جهازي المحمول.

- سوف أتحقق من الأقراصِ المدمَجة بعد أن تخبريني عن سببِ انفصالِكما، أتوقَّع أن تكوني أنتِ من طلبتيه؟

- بل هناك أسبابٌ كثيرةٌ لكن أظن أن السبب الجوهريَّ هو أنني شعرت بأنني مستغَلة، لقد عاش "تيكو" على أموالي خلال أربع سنواتٍ قضيناها معًا، إنها عملية احتيالٍ كلاسيكيَّةٍ بالفعل، مثلًا ونحن جالسان في أحد المطاعم أجده يدَّعي كم أنه في حاجةٍ ماسة للخروج وفجأةً يقول: "تخيلي، لقد نسيت بطاقتي الائتمانية في المنزل"، كم أشعر بالخجل وأنا أخبركِ بذلك، كم كنت ساذجةً عندما اشترينا تلك الشقة في "آبيلينكويا"، فقد سدد كل منا نصف ثمنها لكننا

حصلنا على قرضٍ مشتركٍ لسداد الفرق بين سعر مسكني القديم والجديد، ولكِ أن تتخيلي مقدار الأموال التي أنفقها "تيكو" على مدفوعات الرهن العقاري؟

وردًا عليها استخدمت إصبعي السبابة والإبهام لتشكيل الرقم صفر؛ فأومأت "هيلينا" برأسها، كان القانون في صف "تيكو"؛ فنصف المسكن قانونًا ملكه رغم أن "هيلينا" دفعت جميع المستحقات، حاول "تيكو" نشر قصائده وفي كلِّ مناسبةٍ عابرة، يأتي على ذكر أنه تزوج النائبة "هيلينا ليموسفو" زواجًا عرفيًّا، وأن المرأة صاحبة العيون الواسعة الجميلة، المحبة لزهور "الأوركيد" في قصائده هي "هيلينا"، ظنَّ أن ذلك سيثير اهتمام المجلات النسائية ويحقِّق نسبَ مبيعاتٍ لشِعره، حتمًا كانت قصائده شنيعة. قالت:

- بدأ "تيكو" في الضغط عَلَيَّ للاتصال بالناشرين، على الرغم من أنني لا أملك رأيًا مطلقًا فيما يقررون طباعته ونشره، فهم لم ينشروا لي سوى كتابين فقط من كتبي السياسية، وهنا كان لا بد من أرسم الخطَّ الفاصل بيني وبينه، فأبلغته أنه ينبغي أن يعتمد على نفسه في هذا الأمر، فبكى وتوسل إليَّ قائلًا إنه تعب من أنني أسيءُ فهمَه باستمرار.

بينما كانت "هيلينا" تروي قصتها، نهضتُ من على الأريكة كي ألقي نظرةً على أكوام السجلات والكتب الخاصة بها، وضعت أقراصها المدمجة في أكوامٍ بالقرب من باب الردهة، لم يكن ذوقها في الموسيقى مفاجئًا لي بشكلٍ خاص: "بوب ديلان" و"ليونارد كوهين" والكثير من موسيقى الجاز الكلاسيكية التي لم تكن لتعجب "ريسكا" فهو من محبي الأغاني الفنلندية القديمة الأصيلة من قبيل أغاني فرقتي "إليجالايست" و"بوبيدا"، وجدت أقراص الصور تحت كلِّ أقراص الموسيقى. قالت "هيلينا":

– ثم أخيرًا وببساطةٍ اشتريت حريَّتي، فأبلغت "تيكو" أنني سأتركه وأنَّ بوسعه البقاء في الشقَّة إن رغب في ذلك، إذا لم يرغب.. فسوف نبيعها وسيحصل كلٌّ مِنَّا على نصف ثمنها، استشاط "تيكو" غضبًا؛ فهو لا يملك مالًا ليشتري حصَّتي، وأنا على وشك أن أطرده من أفضل بيتٍ لديه وأكثره إلهامًا له من الناحيةِ الفنيَّة.

لمحت قرصًا مدمجًا باسم "ساريما" بتاريخ شهر مايو من العام الماضي، كما أنني لاحظت وجود أجزاءٍ من رفِّ الأقراص المدمجة تستند إلى الحائط، سوف يستغرق تركيبُ الأرفف ثلاثين دقيقةً على أقصى تقدير، فلماذا لم تكلف "هيلينا" نفسها عناء تركيبها؟ وإن كانت بالتأكيد تعرف كيف تتحدث مثل أيِّ سياسيٍّ حقيقيٍّ. أكملَتْ:

– ثم ارتكبتُ فعلةً أعتبرها أكثر شيءٍ مخزٍ قمت به في حياتي، أقنعت المصرفي الذي منحني القرض بإعطاء قرضٍ آخر لـ"تيكو" يمكنه استخدامه لسداد حصتي من الشقة، تم تسليم بقيَّة أموال الرهن العقاري لـ"تيكو"، ولم يكن يحتكم على مليمٍ واحدٍ كدخل! إنه من نوع القروض نفسه التي جعلت البنوك تنهار قبل عقدين من الزمن، وها أنا الأمينة على المجتمع، أفعل الشيء نفسه بالضبط، كان المصرفي واثقًا من أنَّ سعرَ الشقةِ كافيًا لضمان سداد القرضِ وهو المال الذي لن يحصلَ عليه أبدًا.

احمرَّت وجنتَي "هيلينا" بشدةٍ ولم تَقْوَ على النظر في عيني، بدأت في تركيب رفوف الأقراص المدمجة وأنا أنصتُ إليها وهي تتشدق بهذا الكلام المعسول. أكملَتْ:

– هذه هي الطريقة التي خلَّصتني من "تيكو"، وكل ما تبقى لي الآن بعض الصور والذكريات المضحكةِ، حصيلةُ أربع سنواتٍ كانت جحيمًا، سألني "آبو" لماذا لا أقاضي هذا الرجل؛ فهو يظنُّ أنه لا بد من وجود قانونٍ ما يمكنني الاستناد إليه كي أقاضيه، ولأن المبالغة في الثقة كانت خطئي، فلم أرغب في أن يُفتضح هذا الأمرُ في وسائل الاعلام، الشيءُ المطمئن أن "تيكو" لم يتمتع بالذكاءِ الكافي؛ حتَّى أنه ظن أن الصحف ستهتم حقيقةً بادعاءاته الغريبة من قبيل أنني على علاقةٍ بامرأةٍ

أخرى، بل إن أسوأ كاتب عمود إشاعات بأسوأ جريدة لن يصدق ادعاءاته، إذا عرف "تيكو" مدى الفوضى التي تمر بها أحوالي الماليَّة وسرَّب ذلك إلى صحفي في الشؤون السياسية له مآرب أو مصلحةٌ شخصية، لكانت نهايتي.

قمنا بتشغيل كمبيوتر "هيلينا" المحمول فوجدت الصورة التي على سطح مكتبها لجزيرةٍ صخريَّةٍ تنبت من بين صخورها شجرة صنوبر هزيلة وقف على غصنٍ من أغصانها نسرٌ، حملت الجهاز، ووضعته في حجري بعدما جلست على أرضية الغرفة، وأدخلت القرص المدمج، وجدت نحو مئتَي صورة، فنقرت عليها وأخذت أتصفَّحها بسرعةٍ، لم أحب زهور "الأوركيد"، رأيتُ صورة لـ"هيلينا" وهي تقف على دراجةٍ، وتتباهى بعضلات ساقيها النحيلتين بشكلٍ ملحوظ، وفي صورةٍ أخرى تقف على شاطئٍ أمواجه متلاطمةٌ وتلف ذراعَها حول رجلٍ نحيلٍ يبدو ماكرًا، امتد شعر "تيكو ألتونين" المجعد المائل للَّون الأسود تقريبًا حتَّى طال زِنديه، أمَّا المنديل الأحمر حول رأسه والقميص الأزرق والبنطال القصير بلونيه الأزرق والأبيض؛ فقد جعلوه يبدو وكأنه "جوني ديب" الصعلوك وهو يلعب دَور القرصان "جاك سبارو"، إلَّا أنَّ "تيكو" لم يكن يتمتَّع بسحرِ "ديب" الشيطانيِّ، كان أطول بقليلٍ من "هيلينا"، يبلغ مترًا ونصفًا على الأكثر، ويبدو أنحفَ منها، إذا لم يكن يمارس فنونًا قتاليَّةً للدفاع عن النفس أو يشارك في سباق الماراثون، فلن يكون ندًّا لي في قتالٍ وجهًا لوجه.

ألقيت نظرةً خاطفةً على قليلٍ من الصور الأخرى حيث اختفى "جوني ديب" تمامًا، لو كنت مكان "تيكو"، لاستخدمتُ صورةَ القرصان هذه في إعلان مواعدةٍ على الإنترنت، فهناك نساءٌ تهتم على وجهِ الخصوص بالرجال الذين واعدوا مشاهيرَ.

هتفت "هيلينا" وهي تضعُ أكوابَ الشايِ في غسَّالة الأطباق:

– هلا تسدين لي معروفًا؟ احذفي كلَّ الصور التي يظهر فيها "تيكو"، مهما كانت جيِّدة، أريد أن أنسى ذلك الجزءَ من حياتي تمامًا.

بدا الأمر وكأنني أصبحت رجلًا حقيقيًّا يعيش بمنزل "هيلينا"، فعلتُ ما طلبَته مني وحذفت الصُّور، لحسنِ الحظِّ، فإن معظم الصور التُقطت وسط الزهورِ والمناظرِ الطبيعيَّةِ، لم يثر أيُّ شيءٍ اهتمامي حتَّى وقعَ بصري على الصورةِ قبلَ الأخيرة؛ بدا المشهدُ لأوَّلِ وهلةٍ وكأنه يشبه منطقةَ براري عند الغسق، لكن عندما أمعنت النظر، رأيت "وَشَقًا" يركض في الخلفيَّةِ، حاولت تكبير الصورة، لكنَّ الحيوان اختفى بعد أن تحوَّلَ إلى نقاطِ "بيكسل" كبيرة، نقرتُ على الصورة التالية لكنني رأيت الطيورَ فقط. سألتها:

- هل رأيتِ "وشقًا" أثناء رحلتكِ في "ساريما"؟

- ركض أحدُهم عند الغسقِ عندما خرجنا في نزهةٍ مسائيَّة، لم يصدق "تيكو" عندما أخبرته؛ قال لا بدَّ وأنَّ الذي رأيته كان كلبًا أو ثعلبًا كبيرًا، وأنتِ أيضًا تعتقدين أنَّ هذا الذي بخلفيةِ الصورةِ "وَشَق"، أليس كذلك؟

- أنا أعرف "وَشَقي" إنما هذا يشبه "وشقَ" الثعلب.

استبدَّ بي الشوق لحظةً وشعرت بأنَّ "فريدا" موجودةٌ معنا في الغرفة. قلتُ:

- حسنًا، لقد حذفت جميع صور "تيكو"، دعينا نتعامل مع الأوراق الآن، هل تسمحين لي بذلك؟ أولًا.. نحن بحاجةٍ إلى عملِ عقدٍ يمكن أن نحتكم إليه في حال واجهنا أيَّ خلافاتٍ شائكة، لكنني لا أظنُّ أننا سنفعل، ثم أودُّ الحصولَ على قائمةٍ مفصَّلةٍ عن أين ومتى وكيف تعرضتِ للمضايقات، هل سجلتِ ملاحظات؟

انفجرت "هيلينا" في الضحكِ لبرهةٍ، لكن هذه المرَّة لم تكن ضحكتها جميلة جدًّا، فقد كان صوت ضحكها أشبهَ بالشخيرِ، أجابت:

- كنت عضوًا في مجلس إدارة منظمةٍ وطنيةٍ تعمل ضد العنف المنزلي منذ سنواتٍ، ولكن بمجرد أن وجدت نفسي في موقفِ الضحيَّة.. حسنًا، لم يكن من

السهل أن أفعل ما أعلمُ أنه ينبغي عَلَيَّ أن أفعلَه، انتظري لحظة، سألقي نظرةً على جدول أعمالي، سيساعدني ذلك على التذكُّر.

سحبتُ جهاز الكمبيوتر المحمولَ الخاص بي من حقيبتي وكنت قد أنشأت مجلدًا باسم "ليموسفو" في اليوم السابق، وبدأت الآن في تدوين الملاحظات، قد يعتقد شخصٌ أقلُّ خبرةٍ مني بأَنَّ مخاوفَ "ليموسفو" محضَ أوهامٍ، لكنني دوَّنتُ التالي: "قد تكون الرِّياح هي التي طرحت نبتةَ "الروزماري" أرضًا، وربما لاحظَت إحدى الجارات أنَّ صحفَ "هيلينا" سوف يُبلِّلها المطرُ؛ لذا أسقطتها في فتحةِ البريد التي بالباب، إلخ.. لكن كل هذه الأحداث التي بدت غير متصلةٍ ولا علاقةً تربط بينها تُعتبر أدلَّة، لذا حذَّرت "هيلينا" من أنها قد تكون تحتَ المراقبةِ، تذكرتُ كيف كان "ديفيد ستال" يتسلَّلُ ورائي في "ديجيربي" في منتصفِ اللَّيل، أعتبر انتباهي له ضربةُ حظٍّ خالصة.

أعطيت "ليموسفو" رقمًا تقديريًّا لأجري عن كلٍّ من خدماتي كحارسةٍ، وتركيب معدات المراقبة، سأبدأ في التخطيط لإجراءِ الإصلاحات قبل أيِّ شيءٍ ليلةَ الأحد، قلت:

– سيكون من الأسهل لي تحديد الأماكن المناسبة للكاميرات؛ هذا إذا لم تكن هناك كراكيب مبعثرة على الأرض، سأرتِّب رفوف الكتب والأقراص المدمجة، إذا لم يكن لديكِ مانع، أنا لم أرَ الطابق العلويَّ بعد، ينبغي أن يستكشفَ "ريسكا" مسكنَه المستقبلي، أليس كذلك؟

– كيف أتيتِ بهذا الاسم؟ هل هو لقب من "ريو".

– هذا صحيح، اسمه الكامل هو "ريو يوهاني راسانين"، إنَّه اسمٌ فنلنديٌّ أصيلٌ وغيرُ معقدٍ، ولا يمكن لأحدٍ أن يحصي عدد كل من يحمل اسم "راسانين" في "كافي"؛ إنه اسمٌ شائع.

صعدت إلى الطابق العلويِّ، كان الرواقُ الضيِّقُ خاليًا، ما عدا البهو الكبير، وهناك خريطةٌ للعالم معلَّقةٌ على الحائط فوق الدرج، لا يوجد شيءٌ بغرفة النومِ المطلةِ على الشارع إلا سريرٌ بسيطٌ فقط عليهِ وسادةٌ ومرتبةٌ ولكن دونَ ملاءةٍ أو بطانيَّة، سيكون ذلك جيدًا بالنسبة لـ"ريسكا"، الذي يمكنه دائمًا الذهاب إلى مركزِ إعادةِ التَّدويرِ للحصولِ على الموادِ اللازمة كي يصنعَ مكتبًا، تواجهُ غرفةُ نوم "هيلينا" الفناءَ الخلفيَّ وبها سريرٌ عرضه مترٌ ونصفٌ تقريبًا؛ لقد أعدته على عجلٍ، لم أبحث في خزائنِها، ربما فيما بعد، تذكرتُ كيف انتقدَتها الصحفُ الشعبيةُ؛ بسبب ارتدائِها الفستان الأسود نفسه لستِّ سنواتٍ متتالية، حتَّى التنصيب الرئاسي في يوم الاستقلال؛ وكانت قد اشترته من متجرٍ للملابس المستعملة، على ما يبدو.. علَّقت المقالات بحدةٍ أن "ليموسفو" لا ترغب في دعم مصمِّمي الأزياء الفنلنديين.

إذا وقف شخصٌ يبلغ طوله ما يقرب من مترين فوق السياج بالفناء الخلفي؛ سيتمكن بسهولةٍ من الوصول إلى نافذةِ غرفة نوم "هيلينا"، وإذا كان مُطَارِدها قد قام بما عليه فعله وحدَّدَ مكان سريرها، فسيصبحُ من السهل عليه إطلاق النَّار عليها، أو إلقاء عبوَّةً ناسفةً في غرفة النوم، يا له من جهلٍ ألا يستوعب الناس أن التخلُّصَ من أيِّ شخصٍ ليس عملًا صعبًا على الإطلاق! فقد تموت في أيِّ لحظةٍ، دون سابق إنذار، وذلك لا يستلزم سوى أن ترتطمَ بأُيِّل على الطريق، أو أن يصدمك سائقُ محراثٍ مخمور، أو أن تتزوج من الشريك الخطأ، أو أن تذهب إلى المدرسة مع شخصٍ لا شيءَ يهمه سوى رخصةِ سلاحه، بِتُّ أتفهم لماذا يبالغ الناسُ في الاحتفاء بأعياد ميلادهم، فأن تعيشَ حتَّى تبلغ الخمسين يعدُّ إنجازًا ضخمًا، ناهيك عن الأعمار التي دون ذلك، فأمي ماتت في السادسةِ والعشرين من عمرها وها أنا على قيد الحياة وقد تجاوزت عمرها بثمانِ سنوات.

كان لا بد من القيام بشيءٍ حيال وضع السرير، إنَّ استبدال زجاج النافذة بزجاجٍ مضادٍ للرصاص سيكون باهظ الثمن للغاية، لكن لو افترضت أنَّ مخاوف

"هيلينا ليموسفو" بأنَّ حياتها معرضةٌ للخطر في محلِّها، فلا بد وأنْ أغيِّر الزجاج، الخيار الآخر هو تحريك السرير من مكانه، تتمتع المباني السكنية العالية بميزةٍ، خاصةً إذا كانت المباني المجاورة لها تحتوي على طوابقَ أقلَّ من طابقك، لطالما اختارت "أنيتا" دائمًا الإقامة بالفنادق؛ حيث ستكون خارج نطاق الرمي بالرصاص، هذا إن لم يكن القاتلُ رشيقًا مثل "سبايدر مان" أو إن لم يستخدم طائرةَ "هليكوبتر"، التي تسبِّب صخبًا شديدًا، لذلك فإن أيَّ شخصٍ في كامل قواهِ العقليَّة لا بد وأن يضمنَ وقتًا كافيًا للاحتماء قبل أن تقترب "الهليكوبتر" منه.

يتكوَّن حمامُ الساونا في بيت "ليموسفو" من غرفتين: غرفةُ بخارٍ والأخرى حمامٌ صغيرٌ به مرحاضٌ ومغسلةٌ ودش وغسَّالة، وجدتُ حبلَ الغسيل مشدودًا عبر الغرفة وقد ارتطم وجهي به عندما دخلت إلى الحمام، ونُشرت عليه مفروشات كتانيَّة مبلَّلة، بدا لي الحمام مجرَّد كشكٍ يسع شخصين، وزَعْمُ "هيلينا" بأنها لا تستخدمه على الإطلاقِ بدا صحيحًا؛ فقد تكدَّست فوق مقاعده حافظاتٌ منتفخةٌ بالملفَّات، وفوق موقد الساونا علقت سلكًا شبكيًّا، يُستخدم لتجفيفِ الأعشاب، وعلى الأرضية توجد صناديقُ كرتون قليلة، امتلأَت عن آخرِها بالأطباق.

عدتُ إلى الطابق السفلي، وراجعتُ معها أسماءَ الأشخاص الذين زاروا "ليموسفو" في الفترةِ الأخيرة، لم تسعفها ذاكرتها كثيرًا وقالت أنَّ مَن زارها كان "آبو" وفنِّيٌّ أتى لتثبيتِ الإنترنت واسعَ النطاق، وشخصٌ دقَّ بابَها كي يبيع لها بطاطس،، لكن "ليموسفو" اعتادت على تناولِ معظمَ وجباتها في عملها، وكانت مشتركةً في نظام الزراعة المدعومة من المجتمع أو "السي إس أي" ومن خلاله اعتادت أن تطلبَ احتياجاتها القليلة من البقالة وتخزِّنها، قابلت "ليموسفو" بعض جيرانها فقط؛ ومثلها مثل المشاهير الآخرين الذين قمتُ بحراستِهم من قبل؛ تتحفَّظ "ليموسفو" قليلًا عندما تتواصلُ مع الأشخاص

"العاديين"، وفي الواقع لا يمكنك أبدًا معرفةُ سبب محاولتهم الوصول إليها، إذا كانوا يعلمون أن كاميرات الهواتف المحمولة ومسجلات الصوت في كلِّ مكان.

قلت لها ونحن نوقِّع العقدَ:

- أنتِ لم تتحقَّقي من هويتي؛ لقد سمحتِ لي بالدخول وحسب.

احمرَّ وجهُها خجلًا، وقالت إنها تذكر أنها قابلتني في "شي مونيك"، ومع هذا، قلت لها ألا تكرِّر ذلك ثانيةً.

- يمكن لأيِّ شخصٍ أن يدَّعي أنه مراسلٌ ويطلب مقابلةً قصيرةً في مكانٍ غير متوقَّع، حانةً مثلًا، حيث لا يوجد كاشفُ معادن مثل ذلك الذي بمبنى البرلمان الذي تعملين به.

أخبرتني "هيلينا" أنها ستذهب إلى ندوةِ الحزب الأخضر بـ"أويسيما" في عطلة نهاية الأسبوع التالية، والتي ستُقام بفندق "كوبارنس"، وتساءلتُ عمَّا إذا كان "ديفيد ستال" لا يزالُ يتسكَّع هناكَ أم غادر، شعرتُ بالإثارة؛ لأنني وجدتُ فكرةَ مقابلته مرةً أخرى مغريةً أكثر من اللازم، وكان عَلَيَّ أن أفكِّر في شيءٍ آخرَ كي أوقف النبضات التي شعرتُ بها بين فخذيَّ.

تحدثت مع بعض الجيران بمجرَّدِ عودتي إلى منزل "هيلينا" وأنا أرتدي ملابسَ شخصية "ريسكا"، فمن المستحسَن أن يبدو العامل فضوليًّا بعض الشيء ووحيدًا في الوقت نفسه، ربما يخرج الرجال من المسكن المجاور ليحتسوا معه البيرة، ها هي خططي تتَّضح معالمُها، سألت "هيلينا" بعض الأسئلة الأخرى وأنا أقوم بتركيبِ أرفف الكتب، طلبَت مني أن أضعَ كلَّ شيءٍ حسب الترتيب الأبجديَّ؛ حتَّى يسهل عليها أن تجد ما تبحث عنه، ثم أعطتني مفتاحًا احتياطيًّا، وعدتها أن أظهر في شخصية "ريسكا" مساءَ الأحد، في مقابل المفتاح، أعطيتها رقم هاتفي وعنواني في شارع "أنتامو"، قلت:

– هناك شيءٌ آخر، "سيسيليا نيوتينين كيكي" ابنة "أنيتا"، ستصلُ فنلندا الأسبوع المقبل، لا أعرف بعد تاريخَ وصولها بالتَّحديد، وقد أخبرتها أنني سألتقي بها، هل تمانعين ذلك؟

– بالطبع لا، هل هي المسؤولةُ عن ترتيب الجنازة؟

– فيما يبدو.

كانت آخر مرةٍ حضرت فيها جنازةً هي عندما تُوفي خالي "جاري"، أُقيمت المراسمُ في الكنيسة في "كافي "، والتأبينُ في قاعةِ الكنيسة، وجدت عددَ المعزِّين في جنازته أكثر مما توقَّعت؛ ولما نفدت القهوةُ والكعكُ أسرعت "مايا هاكاراينن" واشترت المزيد، أصابتني فكرةُ جنازة "أنيتا" بالقشعريرة، لكنني لا أعتقد أيضًا أنَّ عدم حضورِها خيارًا.

بعد ترتيبِ أقراصَ "هيلينا" أبجديًّا وتناولِ فطيرةً أخرى، اتخذتُ طريق العودة، بينما كنت أمشي إلى محطة قطار "كيركونومي"، شعرت بصداعٍ غريب، أشبه بدوارٍ، فكرت في أنني نجحتُ في العثور على وظيفةٍ، على الأقلِّ لفترةٍ من الوقت، بالإضافة إلى أنني تخلَّصت من "ديفيد ستال"، سيكون من السهل الاختباءُ في مسكنِ "هيلينا ليموسفو" باعتباري "ريسكا"، أثناء تثبيت نظام الأمان بمنزلها.. قمت ببعض الإصلاحات في المنزل وببعض التحريات، بصراحةٍ.. كنت على يقينٍ من أنَّ "هيلينا ليموسفو" لم تخبرني إلا بنصفِ قصتها فقط، بل وربما ثلثها، لكنني سوف أستخرج منها الحقيقة كاملةً قريبًا.

12

عندما وصلتُ الشقَّةَ الكائنةَ في شارع "أنتامو" مساء الجمعة وجدتها خاليةً، وبقيت على هذا النحو طوال عطلة نهاية الأسبوع، وصباحُ يوم السبت اشتريت بعض الأدوات التي سيحتاج إليها "ريسكا" للعمل في شقَّةِ "هيلينا"، وفي فترةٍ ما بعد الظهيرة، قرعتُ جرس باب السيدة "فوتيلاينن"، ومن رائحة اللوز بالكراميل؛ خمَّنت أنها تخبز كعكة "توسكا" السويدية، فأنفي لا يخدعني، عندما دخلت.. وجدت السيدة "فوتيلاينن" تسحبها من الفرن، وأعدَّت القهوةَ المخمَّرةَ لتتماشى معها، سألتها عمَّا إذا كانت قد رأت أيَّ بائعين جائلين آخرين مؤخَّرًا، بائعي لوحاتٍ مثلًا أو غير ذلك، أخبرتني أنَّه لا أحد دقَّ بابَها سوى بعضٍ من شهود "يهوه"، ثم أرتني آخرَ إصدارٍ من مجلتهم الدينية المصوَّرة "واتش تاور"، قالت:

– أنا لا أخشى من حديثِهم عن الجحيم، إنَّهم أحرارٌ في تصديقِ ما يريدون، ما يهمني هو أنهم فقراءٌ يبذلون قصارى جهدهم، أخذت مجلتهم وأعطيتهم بعضًا من فطيرة التوت كي تمنحَهم القوَّةَ كي يقوموا بجولاتهم.

– لم ترِ الرسَّامَ "يوري" مرةً أخرى، أليس كذلك؟

– بلى، هل ما زلتِ تبحثين عن لوحاتِه؟ يمكنكِ الحصول على لوحتِي إن أردتِ.

– شكرًا على عرضكِ، لكنني لن أكون بالمنزلِ الأسبوعين المقبلين؛ وبالتالي لن يكون لديَّ وقتٌ لأتمتَّعَ بها، لكن إذا جاء "ترانكوف" مرةً أخرى كي يبيع لكِ المزيد، هل يمكنكِ إخباره أنَّني أودُّ حقًّا شراءَ إحدى لوحاتِ "الوَشَق" هذه أيضًا؟

– أتسعين وراءَ وظيفةٍ جديدة؟ هل ستسافرين إلى مكانٍ ما؟

– منطقة "أوستروبوثنيا"، تتلقى مزارعُ الثعالب بعضَ التهديدات، وقد وعدتُ بالتحقُّقِ من الأمر، لا يمكن للمالكِ قضاء كلَّ وقته في حراسة الثعالب.

زلَّ لساني بهذه الأكذوبة بسهولةٍ وصدقتها السيدة "فوتيلاينن" بلا أدنى شكٍّ.

– ثمة أناسٌ لديهم من الوقاحةِ ما يكفي كي تواتيهم الجرأةُ على تهديدِ هؤلاء المزارعين المجتهدين، الذين يحاولون كسب عيشهم بعرق جبينهم فقط، بمجرد أن يكبر وينضج هذا النوع من النشطاء، سيجرِّبون بأنفسهم مدى سهولة البقاء على قيد الحياة في شتاءٍ جليديٍّ باردٍ دون فَرْوَةِ ثعلبٍ جيدة كما يدَّعون، تفضلي، تناولي المزيدَ من الكعكِ، كما ضاعفت طبقةَ الزِّينةِ العلويَّة كان زوجي الراحل "ياكو"، يشتكي دائمًا من أنَّ هذه الكعكةَ تنقصها المزيدُ من الإضافات.

استقرت طبقةٌ سميكةٌ من اللوز والزبدة في معدتي، لذلك توجَّهت لاحقًا إلى صالةِ الألعابِ الرياضيَّة كي أساعد عمليَّةَ هضمها، بحلولِ مساء الأحد، لم تحضر رفيقتايَ بالسكنِ، لذلك شعرتُ بالأمان وأنا أتحوَّل إلى "ريسكا" في غرفتي، وتعجَّبتُ قليلًا من عدم تركِ أيٍّ منهما رسالةً لي، ولكن مرةً أخرى، متى أخبرتهما بما أفعله؟ حاولتُ ألا أقلقَ بشأنِ ذلك، السّيدة "فوتيلاينن" كانت ستبلِّغني إذا لاحظَت شيئًا غريبًا يحدثُ في شقَّتِنا، خطرَ ببالي أنَّ عصابةَ "باسكفيتش" قد اختطَفت "ريكا" و"جيني" في محاولةٍ لاكتشافِ مكاني، ماذا لو لم يكن "ديفيد ستال" يزورُ منزل طفولتِه في "تميساري"، ويقومُ بدلًا من ذلك بتعذيبِ رفيقتيَّ في السكنِ في مكانٍ حيث لا يستطيعُ أحدٌ أن يسمعَ

صرخاتِهما؟ كان عَلَيَّ الاتصالُ بـ"جيني"، ذهبَت المكالمةُ مباشرةً إلى البريد الصوتي فتركتُ لها رسالةً، كان وضعُ "ريكا" مقلقًا أكثر: كرَّرَ هاتفها الرسالةَ التالية: "الشخصُ الذي تحاول الوصول إليهِ غير متاحٍ حاليًا"، قد يكونُ هاتفها هو أيضًا في قاع البحر مع جثَّتها.

دونتُ لهما ملاحظةً وتركتها في المطبخ تفيدُ بأنَّني سأرحلُ لمدة أسبوعٍ على الأقلِّ، فكَّرت في إبلاغِهما برقم هاتفي الجديد أيضًا، لكن قرَّرتُ أنه من الأفضلِ لهما ألا يعرفا بأنَّني حصلتُ على رقمٍ جديدٍ ولم أعد أستخدم الرقم القديم.

اكتمل التحوُّلُ إلى شخصيةِ "ريسكا" بمجرَّد أن انتهيت من ارتداءِ الشاربَ، لم أصادف أيَّ شخصٍ أعرفه في بئر السلم، ولم يحدِّق بي أحدٌ في الترام، ركبَ "ريسكا" حافلةً إلى "كيركونومي" تمرُّ بطريقٍ بالقرب من منزل "هيلينا"، في الطريق.. استمع "ريسكا" إلى فرقةِ "إليجالايست" ودندن بصوتٍ عالٍ الأغنيةَ الرئيسيَّة "بلاك دوج" لـ"لد زبلين"، سوف يَصدر ألبومهم الجديد الأسبوعَ المُقبل، وسيكون أوَّل من يندفعُ إلى سوق "بريزما" بـ"كيركونومي" لشرائِه، شعرتُ بالارتياحِ لأنَّني تقمَّصتُ شخصيةَ "ريسكا" اللطيف الذي لا يثقلُ كاهلَه مسؤوليتهُ عن مقتلِ شخصٍ ما؛ بل إنه يستمتعُ بالحياة، خاصةً الآن بعد أن وجد عملًا يشغله.

تمنَّيت أن تنسى "هيلينا ليموسفو" أو تتناسى أنَّ هناك امرأةً تختبئُ خلف شارب "ريسكا"، إذا لزم الأمر.. سأنام بكاملِ هيئة "ريسكا"، حتَّى لو وخزني الشارب، وتعرَّقَ جلدي من المكياج، بل إنني فكَّرت في أن أجعلَ نصف رأسي صلعاء، مثل رأس "ريسكا"، لكنني اكتفيتُ بقصِّ شعري ليكون قصيرًا وبذلك يسهلُ ارتداءُ الشعر المستعار فوقَه، مثل قبَّعة السباحة.

لم ينزل أحدٌ في محطة مسكن "هيلينا"، حمل "ريسكا" حقيبةَ هوكي الجليد كبيرةً بما يكفي لتناسب امرأةً بحجم "هيلينا"، وقد قدَّرت وزنها بنحو أربعين كيلو جرامًا، لذلك سيكون من السَّهلِ حملها من منزلها في هذه الحقيبة، إذا لزم الأمر.

لم يكن هناك أشخاصٌ في الشارع عندما دقَّ "ريسكا" جرسَ بابِ منزل "هيلينا"، إلا أن بصيصًا من نورٍ ومضَ خلف ستائرَ نوافذ جارها؛ كشف لي أنَّ هناك من يتجسَّسُ على "هيلينا" ليرى زائِرَها، استطعتُ سماع خُطى "هيلينا" تقتربُ من الباب، وما هي إلَّا لحظاتٍ حتَّى فتحته، على ما يبدو، كانت "هيلينا" فطِنةً لدرجةٍ جعلتها تستخدم عين الباب السحرية، ستكون مهمَّة "ريسكا" الأولى هي تثبيت قفلٍ بسلسلةٍ على الباب.

عندما فتحت "هيلينا "الباب أخيرًا، تمكنتُ من رؤية عينيها، مرةً أخرى تبدوان مثل عينَي الغزال، لكنَّ هذه المرة كانتا تخفيان ابتسامةً، قلت:

- أهلًا، أنا "ريسكا راسانين"، وأنا هنا من أجل إجراء الإصلاحات.

تقدَّمَ خطوةً للداخل دون أن يترك لها فرصةً كي تدعوه ليدخلَ، ولكي يظهرَ سوءُ سلوكه، لم يخلع حذاءَه قبل دخول البهو، كانت أكوام الكتبِ لا تزال على الأرضية، وتراكمَ الغبارُ فوق الرفوف الفارغةِ في الأيام القليلة التي غبت فيها.

قالت:

- أهلًا!

ولأنَّ "هيلينا" لم تعرف ماذا يمكن أن تقول، سألَته:

- هل واجهتَ أيَّ صعوبةٍ للوصول إلى هنا؟

- أنا أعرف اتجاهاتي جيدًا، أين أضع حقيبتي؟

- أظنُّ أنَّ بوسعكَ البقاءُ في غرفةِ الضيوف بالطابقِ العلويِّ، الغرفةُ التي تواجه الشارع، المكان هادئٌ جدًّا هنا.

– أوه، سوف أنام في أيِّ مكانٍ، أظن أنني لا أستطيع التدخينَ داخل المنزل، أليس كذلك؟ أم لا بأسَ من أن أنفثَ الدخانَ من نافذةِ غرفةِ النوم؟

– هل تدخِّن؟

– لكي آخذ استراحةً قصيرةً مع كل هذا العمل، يمكنني الخروج إذا كنتِ لا تفضلين رائحةَ الدخان بالمنزل.

بذل "ريسكا" قصارى جهده للتحدُّث بشكلٍ أكثر رسميَّةٍ في حضور شخصيةٍ سياسية، أخذ حقائبَه للطابقِ العلويِّ وعاد إلى الطابق السفليِّ ومعه مثقابٌ ومفكٌّ وسلسلتَي أمان، وجد بالباب الأماميِّ قفلًا متينًا وسيمنع بالتأكيد أيَّ شخصٍ من اقتحامه، ولكن كما هو الحال في كثير من الأحيان، صُنع البابُ الخلفيُّ من أضعف الخامات، سيكون من السهل أيضًا اقتحام المنزل من النافذةِ الكبيرة؛ ما عليك سوى رميِها بحجرٍ لتكسرَ زجاجَها ثم تتسلقُ وتدخل، ولكن جهاز الإنذار ضدَّ السرقةِ على الأقلِّ سينبِّه الضحيَّة الغافلة إلى وجود دخيلٍ.

أخذ "ريسكا" يلفُّ ويدور بالمنزل لمدةِ ساعتين، قام أولًا بتركيبِ سلاسلَ الأمان، ثم ثبَّت أجهزةَ إنذارٍ ضد السرقة على كلِّ بابٍ ونافذة، بقيت "هيلينا" بالقرب من "ريسكا" تراقبه وقد انتابها الفضولُ لترى ما يقومُ به، لطالما اعتقدت أنَّ جميع أعضاء الحزب الأخضر كانوا من النسويات الثوريات، لذلك ما كان ينبغي لها أن تندهش لأنَّ امرأةً مثلي تعرف كيف تتعامل مع الأسلاك الكهربائيَّة، كانت واحدةً من المهام الأوَّليّة التي تعلمناها إجباريًّا في أكاديميةِ الأمن، علاوةً على أنني تعلمت الكثير من خالي "جاري"؛ فقد كنتُ مساعدتَه البارعة في طفولتي ومراهَقتي كلَّما سافرتُ معه لتمديدِ الأسلاكِ والكهرباءِ في مواقع البناء، لا توجد في "هيفونبرسينساري" وظائفُ للرجالِ وأخرى للنِّساء، فقد تقاسمنا أنا وخالي الأعمالَ المنزليَّة وبرع في حفظ عَيْش الغُرَاب وعنب الذئب البرِّي مثله مثل أيِّ ربة منزل.

في التاسعة، رنَّ هاتفي، وعندما كشفت عن الرقم وجدته رقم "جيني"، كنت أتحدث طوال المساء بصوت "ريسكا" الأجشَّ قليلًا، كأنني عدت مراهقًا من جديد، لذا عندما تحوَّلتُ إلى صوت "هيلجا"، فجفلت "هيلينا"، قلتُ:

– مرحبًا "جيني"، شكرًا لاتصالكِ، الشقةُ كانت خاليةً طوال عطلةِ نهاية الأسبوع مما جعلني أتساءل.

– كنت في رحلةٍ طلابيَّةٍ إلى "تالين"، لم أرد عندما اتصلتِ لأنني لم أتعرَّف على الرقم، اعتقدتُ أنكِ أحد مندوبي التسوق عبر الهاتف.

– اضطررت إلى تبديل رقم هاتفي لأنَّ هناك من يزعجني، ماذا عن "ريكا"؟

أخذت "جيني" تضحك، ومن الضوضاء التي سمعتها في الخلفيَّةِ بدا أن عبَّارةَ "تالين" تقترب من الحدود الفنلنديَّة، والناس يسارعون للدخول إلى المتاجر المعفاة من الضرائب قبل أن تغلق أبوابها، أجابت "جيني":

– لقد تعرفت على شابٍّ! إنه من طلاب كلية التكنولوجيا، ويعيش مع أبيه في "كرونيكا"، حتَّى أن "ريكا" اشترت بعضَ أدوات النظافة لتتولى المسؤوليَّة هناك، وقد تعرفا على بعضهما من أسبوعٍ واحدٍ فقط، قد نحتاج إلى البحث عن رفيقِ سكنٍ جديدٍ قريبًا.

– سأبقى في "أوستروبوثنيا" لفترةٍ من الوقت.

من الأفضل أن أقول الأكذوبة نفسها للجميع، ثم أضفتُ قائلةً:

– لكن من فضلكِ لا تعطِ هذا الرقم لأيِّ شخصٍ فيما عدا "ريكا"، أنا أحافظ على سرِّيته في الوقت الحالي.

– حسنا، سأحتفظ لكِ ببعض هذه الشوكولاتة، إنها برخصِ التُّراب هنا.

استنتجت أن هذا المنزل الصغير يعزلُ الصوتَ جيدًا؛ لأنني لم أسمع دَبِيْبَ النَّمْل في البيت المجاور، مما يضمنُ إجراءَ أيِّ محادثةٍ دون أيِّ تنصت، ويمكنني استعادة صوت "هيلجا" إذا اضطُررت لذلك، غير أنني عُدت لشخصيةِ "ريسكا"

مرةً أخرى فور أن أنهيت المكالمة، نأمل أن يكون صديق "ريكا" الجديد رجلًا عاديًّا، وليس أحد أتباع "باسكفيتش" المأجورين، أيُّ شخصٍ قد يمثِّلُ تهديدًا.

مرت الليلةُ الأولى في "كيركونومي" دون حوادث تذكر، استيقظتُ عدَّةَ مرات، مرةً على صوت زمجرةٍ صاخبةٍ لدراجةٍ ناريَّةٍ، ولم يخطر ببالِ السائقِ على ما يبدو أن هناك أناسًا يحاولون النوم. بعدها استيقظت على صوت صليلِ الفتحة المعدنية للبريد في بابِ البيت، نمتُ أنا و"هيلينا" خلف أبوابٍ موصَدة، ولم أتمكن من مراقبتها وعدِّ أنفاسها، كان الصباح ممطرًا، لذلك انشغل "ريسكا" بالعمل داخلَ المنزل.

استنتجتُ، أنا و"ريسكا"، أن هناك حاجةً لتثبيت جهاز تتبعٍ في "هيلينا"، لو حدث واختفَت، سيمكنني العثورُ عليها عن طريقهِ، سيتعين علينا اكتشاف طريقةٍ لإخفاء الجهاز في مكانٍ بها بحيث لا يتمكَّن الشرِّيرُ من العثور عليه، استبعدنا المجوهرات أو الساعة، ثقبَت "هيلينا" أذنيها، لكنها تُغير أقراطَها حسب حالتها المزاجيَّة، يمكن وضعُ جهازٍ داخل ضرسٍ من ضروسها، لكن هذا يتطلَّب رحلةً إلى طبيبِ الأسنان، قرَّرنا أخيرًا وضع جهاز التعقب في الشعر الزغبي بمؤخرةِ عنق "هيلينا" حيث كان أكثرَ كثافةً، أخبرتني أنها تذهب إلى مصفِّفِ الشَّعرِ كلَّ ثلاثةِ أشهرٍ، وفيما بين هذه الزيارات، تشذب أطرافَه بنفسها لتوفِّر الوقت، هذا عظيم، خيطت الجهاز في شعرها ولأنَّه مصنوع من البلاستيك؛ فلن يجعل صافرة جهاز الكشف عن المعادن في مبنى البرلمان تدوي، ولن يتضرَّر من الماء، سيحدد لي مكان "هيلينا" بدقةٍ بنسبةِ خطأٍ في حدود عشرةِ أمتارٍ تقريبًا.

قالت "هيلينا" وهي ترسم ابتسامةً على وجهها لم تنعكس في عينيها تمامًا:
– أن أسمح لكِ بحراستي بهذه الطريقة فهذا يعني أنني أثقُ بكِ.
قبل مغادرتها لحضور اجتماعاتها تأكدتُ من أنَّ الجهازَ يعمل.

مرَّ "ريسكا" بأسبوعٍ هادئٍ إلا أنه انشغل بالكثير من الأعمال حتَّى يوم الجمعة، لا أحد يتسلَّل للفناء الخلفي أو يحرك نبتة "الروزماري"، كان يخرج من المنزل عدةَ مراتٍ في اليوم؛ كي يدخن أو يعمل في الهواء الطلق وهو يدخن، يوم الثلاثاء جاءه من البيت المجاور متقاعدٌ فضوليٌّ ليدردش معه ويعرف من هو "ريسكا" وماذا يفعل، لا بد أنَّ رقم هاتف الدَرْدشةِ الموجود بمجلَّة "سيتسمان بايفا" الترفيهية مسجل بهاتفه من كثرة اتصاله به. قال:

– هذا ما أخبرت به زوجتي العجوز أيضًا؛ إنَّه ليس صديقها، إنه عاملٌ! فهو أصغر من النائبة "ليموسفو" بكثيرٍ، رغم أنك ترى كلَّ أنواع الأشياء هذه الأيام، أنا "بنتي هيرفونين"، لا بد أنكَ من مكانٍ ما في "سافونيا"، لهجتك مألوفة بالنسبة لي. قلت:

– من" كافي"، أنا "ريو راسانين"، لكن نادني بـ"ريسكا".

– أنا من "يوانكوسكي"، ليست ببعيدة عن هنا.

عندما هطل المطرُ يوم الخميس، دعا السيد "هيرفونين" "ريسكا" للتدخين وتناول القهوة. قال:

– ذهبت زوجتي إلى درس الرياضة المائيَّة في المسبح، حاولَت إقناعي كي أرافقَها، لكن لا يمكنني القفز في الماء وسأبدو كالأحمق، سأقوم بتشغيل المروحةِ حتَّى لا تكتشف أننا كنَّا ندخن.

من الواضح أن "آل هيرفونين" كانوا مُمتَعِضين وقلقين بشأنِ سكنٍ سياسيٍّ حقيقيٍّ بجوارِهم، فحزبها بالتأكيد ليس الحزب الأفضل؛ فقد صوَّت "آل هيرفونين" دائمًا لصالح الديمقراطيين الاشتراكيين، لكن على الأقل يمكنهم التباهي بأن جارتهم كانت ضمن المدعوين لحفلِ التَّنصيب الرئاسي في يوم الاستقلال، حسبما يرى السيد "هيرفونين"، فإن كلَّ أنواع "الأشخاص ذوي العيون الجاحظة" يتردَّدون على عتبة دار "ليموسفو" منذ أن انتقلت إلى هنا، لكنهم جميعًا يولُّون أدبارهم عندما فتح

"هيرفونين" باب بيته ويخرج لهم، سأله "ريسكا" سؤالًا حاول أن يبدو عابرًا عن سبب نقل الصحف من صندوق البريد وتمريرها عبر الفتحة الموجودة في الباب، لم أجد عند السيد "هيرفونين" إجابة. قال:

- بالطبع كنا قلقين بعضَ الشيء، ماذا عن الانتقادات التي توجِّهها "ليموسفو" لـ"بوتين" ولغيره من الشَّعب الروسيِّ، لا مانع بل ورائعًا أن تنتقد أمريكا هذا البلد، فنحن لا نقعُ في دائرةِ اهتمامهم بالمرَّة، بل ربما ليس لدى معظمهم أدنى فكرةٍ حتَّى عن أين يقع هذا البلد، أو عمَّا إذا كانت هذه دولةً موجودةً على أرض الواقع من الأصل! ولكنَّ الروس.. إنهم نوعٌ مختلفٌ تمامًا، ومن الأفضل أن نأمنَ جانبَهم، لقد جئتُ إلى هذا العالم بفضل ترك أبي الخدمةَ بالجيش، ورغم أنه فقد إحدى ساقَيه لكنه على الأقلِّ عاد منه حيًّا، أنت صغير السن جدًا ولم تعاصر الفترةَ التي قال فيها الرئيس "كِكونن": "نحن مرعوبون من أن يغضبَ الرُّوس منَّا ويشنُّون حربًا علينا، وطلب المساعدة من أمريكا أو السويد لن تفيدنا أبدًا، اسمع يا بُنَي.. قل لربَّةِ عملكَ أنها ينبغي عليها أن تغلق فمها عن أيِّ شيءٍ يمسُّ الرُّوس، لا نريد أن نجلب دبَّابَاتهم إلى حدودِنا، هي لا تريد أن تنضمَّ فنلندا إلى حلفِ "الناتو"، أليس كذلك؟ حسنًا، سيكون الانضمام ضربًا من الجنون.

أخبره "ريسكا" أن النائبةَ "ليموسفو" وظَّفَتهُ لإجراء إصلاحاتٍ بمنزلها، لا للانخراط معها في مناقشاتٍ سياسيَّة، كان مفيدًا أن أعلم، مع ذلك.. إن "بنتي هيرفونين" وزوجته "إيلا" يعتقدان أنَّ حياةَ "هيلينا" قد تكون معرَّضةً للخطر، وعلى أيِّ حالٍ فهما يراقبانها، ومن باب التأكيد، طلب "ريسكا" من "هيرفونين" الاتصالَ بالشرطة أو على الأقلِّ تنبيهَ "ليموسفو" إذا رأوا أيَّ مشبوهين يتسلَّلونَ في المنطقة.

يتكوَّن مجمَّع "تاون هاوس" من خمسِ شُققٍ، ويسكن الشقةَ الوُسطى "نورا أسيكاينن"، وهي أمٌّ عزباءُ في العشريناتِ من عمرها ومعها ابنتها

الصغيرة، لم تبذل أيَّ محاولةٍ لإخفاء إعجابها بـ"ريسكا" الذي اعتاد على ذلك، ورغم أنَّ لديه شاربٌ ويرتدي زيَّ المزارع، فإن النساء يتودَّدْن إليه باستمرارٍ، عادةً ما كان يغازلهنَّ قليلًا، وعلى أيِّ حالٍ، فإن "ريسكا" حرص على أن يكون رجلًا ودودًا دون أن يُعَشِّم فيه أيَّ واحدةٍ مِنهنَّ.

في ذلك الأسبوع، عادت "هيلينا" إلى المنزل في الحافلة مرتين مساءً، وأخبرت "ريسكا" مسبقًا عن الطريق الذي كانت تسلكهُ، انتظرَ في مكانٍ قريبٍ من محطَّةِ الحافلات متخفِّيًا عن الأنظار، كي يتحقَّقَ ممَّا إذا كان هناكَ من يتتبَّع "هيلينا" حتَّى منزلها، وفي يومِ الخميس عُقدَت الجَمْعِيَّة العُمُومِيَّة واستغرقت وقتًا أطولَ من المتوقَّع ومن ثمَّ اضطرَّت "هيلينا" إلى أن تستقلَّ قطار 11:12 الذي سيصلُ إلى "كيركونومي" قبل منتصف اللَّيل بقليل.

لم ترغب "هيلينا" في استخدام سيارةِ أجرة؛ لأن منزلها يبعد كيلو ونصفَ تقريبًا من محطَّةِ القطار، وقالت إنَّ المَشي يفيدها بعد يومِ عملٍ شاقٍّ وطويل، قرَّر "ريسكا" أن يذهب لمقابَلتها، بالطبع لا بد وأن يكون للنِّساء الحقُّ في السَّيرِ بمفردِهِنَّ في منتصف الليل وهُنَّ ثِملاتٍ تمامًا ويرتدين تنُّوراتٍ قصيرة، وإذا تعرَّضَت إحداهن لحادثٍ مؤسفٍ؛ يقع اللوم على المغتصب أو المعتدي، تلك هي فلسفة "مايك فيرتيو" الأساسيَّة، تليها كلمةُ "لكن" الممدودة: "لكن" ينبغي أن نعِي جميعَ المخاطرَ ونتوقَّعها ونمنعها بقدرِ المُستطاع.

غالبًا ما كنتُ أركبُ مترو الأنفاق بمفردي في منتصف اللَّيل، حيث قابلت عدَّةَ مراتٍ تاجر الكوكايين الذي يتَّبع "ماري" مالكةَ العقار الذي أقطنه، واحتفلتُ في أماكن لم أكن أعرف من الأصل أنها موجودة في أرض الواقع حتَّى ذهبت إلى "نيويورك"، ورغم ذلك لم يسبق أن تعرَّضت لشيءٍ سيِّئٍ على الإطلاق، لأنَّني أيقنتُ أنَّ العالمَ مليءٌ بأمثال

"سيبو هولوباينن" الذي لن يقبل الإجابة بكلمة "لا"، كان لا بد وأن أفكِّرَ مثل "سيبو هولوباينن" حتَّى أتنبَّأ بما قد يفعله منحطٌّ وضيعٌ مثله.

مرق "ريسكا" عبرَ منطقةِ المدخِّنين خارج الحانة في محطَّة الحافلات، حيث خطَّطَ لأن ينتظرَ حتَّى يحين موعدُ لقائه بـ"هيلينا" على رصيفِ القطار، كانت الحانة نفسها خاليةٌ تقريبًا، باستثناء بعض الزبائن الذين بدا أنهم دائمين بها، إذا دخلت "البار" بشخصيةِ "هيلجا" وهي ترتدي الكعبَ العالي الأحمرَ والبنطالَ الجلديَّ، سوف يضايقونني بنظراتِهم الشهوانيَّة لي لدرجة الملل، إنما يمكن لـ"ريسكا" أن يدخل مكانًا كهذا دونَ أن يلتفت له أحدٌ، أما المرأة الوحيدة الَّتي في منتصف العمر في الحانة كانت بالفعل بصحبةِ رجلٍ.

عادة ما يعتقد الناسُ أنَّ "ريسكا" في الخامسة والعشرين من عمره، وكان يتفاخرُ بتمتُّعِهِ بموفور الصحَّةِ إذا أخطأ شخصٌ ما في تقدير عمره، ولأننا كنا في العمر نفسه تقريبًا، أخذتُ أسرد قصصَ الجيش كما لو كانت قصصَه، انضمَّ إلى الجيش في الدفعة الأولى من التجنيد السنويِّ، لم يشكْ أحدٌ في رجولته بعدما سمع أنَّه ورفاقه كانوا يتلصَّصون على الحمَّام الذي تستخدمه ثلاث نساءٍ في كتيبتهم، وكانوا يسخرون من صاحبةِ الثديينِ الصغيرين، وبالفعل.. كنت أنا تلك الضحية، وأمثال هؤلاء الرجال في الجيش كُثُر، ومع ذلك لم يذكر "ريسكا" أبدًا أن هذه المرأة صاحبة الثديين الصغيرين قد لقَّنت هؤلاء الساخرين درسًا، لقد حملت على ظهرها أسوأ من في هذه المجموعة لمسافةٍ تتجاوز ثلاثة كيلومترات، بعد أن أصيبت ساقُه أثناء التَّخْييمِ في الغابةِ، ولم يكن هناك طريقةٌ أخرى لإعادته إلى القاعدة.

لأنَّ "ريسكا" لم يتعرض للمضايقةِ من أيِّ أحدٍ في الحانة؛ أخذ يستمع إلى الموسيقى، قبل أن يخرج لوجهته، ارتدى قميصًا يحملُ شعارَ تكريمِ قدامى المحاربين الفنلنديين، كُتب عليه: "شكرًا لمحاربي 1939-1945"، وزُيِّن

القميصُ بشعار الأسد، عندما اشتريته لـ"ريسكا" من سوقٍ في هلسنكي، بدت علامات الاشمئزاز على وجه "ريكا" وقالت بقرف:

- أوف، يا لكِ من محاربة!

شرب "ريسكا" زجاجةَ البيرة الطويلة ببطءٍ، طلب زجاجَتي بيرة أثناء ساعات العمل ليست فكرةً جيدةً، ولكن طلب بيرةٍ منخفضةِ الكحول يعتبر بالنسبة لرجلٍ نوعٌ من التعذيب، ارتكب "ريسكا" هذا الخطأ ذات مرةٍ؛ فسمع رجالًا يصفونه بالمخنَّثِ، حتَّى وهو في طريقه للخروج من الحانة، هناك مباراةُ كرةِ قدمٍ على شاشة التليفزيون ولم يكن "ريسكا" يشجِّعُ فريقًا بعينه، لكنَّه كرهَ هؤلاء السويديين الملاعين، أيْ نادي "ماريهامن".

كانت الطاولة بجانبه تستضيفُ نقاشًا ساخنًا حول السياسة المحلِّيَّة، قرَّر "ريسكا" ألَّا يقولَ الآن بأنَّ "توني هالم" لم يعد عضوًا في البرلمان، اللعنة! لقد خيَّبَ الرجلُ ظنَّ الجميع، كان الجدل يتصاعد لحدٍ جعل النادلَ يحوِّل عينيه عن شاشةِ التليفزيون، لم يتدخل "ريسكا"، لكنَّه لم يهرب أيضًا، فالهروب لم يكن أسلوبه، استعدَّ عقليًّا لاتِّخاذِ وضعَ الاحتماءِ في حالِ اضطُرَّ إلى تفادي كأسًا يطيرُ في الهواء به نصف لترٍ من البيرة، في موقفٍ آخر.. منع "ريسكا" امرأتين من أن تنشب كلٌّ منهما أظافرها في الأخرى، وكان قادرًا على التحكم في صوته ليحملَ لهجةَ آمرةٍ كنتُ قد تعلمتها في أكاديمية الأمن.

شعرت أنا و"ريسكا" بالارتياح عندما اقتربَ منتصفُ الليلِ، وحان وقت الخروج، كانت محطَّة قطار "كيركونومي" على بُعد عدَّةِ بناياتٍ فقط، انتظر "ريسكا" "هيلينا "خلف المحطَّةِ، مشت في طريقها إلى المنزل، وتمكن "ريسكا" من أن يكشف بسهولةٍ إذا كان أيُّ شخصٍ يَتبعها، كان الطريقُ إلى المنزل مضاءً جيدًا بالمصابيح باستثناءِ الجزء الأخير، شدَّد "ريسكا" على "هيلينا" كي

تتظاهر بأنها لا تلاحظه، مؤكِّدًا أهميةَ ذلك إلا إذا تصادف وقابلَت أحدَ الجيران في القطار أو الحافلة، بدا ذلك من غير المرجَّح؛ لأن "ريسكا" لم يرَ سوى "آل هيرفونين" و" نورا أسيكاينن".

مشيت "هيلينا" بخفة، ومالت حقيبتها الثقيلة بكتفها إلى اليسار، لا بد وأنها تعاني من مشاكل في الرقبة، لم يكن بالشارع سوى "ريسكا" و"هيلينا" فقط، باستثناء سيارتين مرَّتَا بسرعةٍ بجوارهما، تُعتبر "هيلينا "هدفًا سهلًا لقاتلٍ يستقلُّ إحداهما.

انعطفت "هيلينا" إلى شارعِها دون وقوعِ حوادث تذكر، هروَل "ريسكا" قليلًا حتَّى لا يغفل عنها لفترةٍ طويلة، عندما دار حول المُنعطف الأخير.. رأى "هيلينا" تتوقف عند صندوقِ بريدِها وأخذت تبحث به وقد بدا عليها الذُّعر، لا عجب، فهناك رجلٌ يقف تحت المظلَّةِ عند بابها الأماميّ.

أخفى "ريسكا" نفسَه في ثنايا الظِلال، لقد تعرَّف على الرجل على الفور، حتَّى وهو لا يرتدي زيَّ القرصان، إنه "تيكو ألتونين" الذي قال:

- عزيزتي "هيلينا"، كم أنا سعيدٌ برؤيتكِ!

لأنَّ كلام "تيكو" يخرج من أنفِه فكان صوتُه مزعجًا.

قالت ساخرةً باللهجة نفسها التي كانت تستخدمها عندما يقول أحدُ خصومها السياسيِّين شيئًا تراه تافهًا:

- ماذا تفعل هنا؟

- حسنًا، أنتِ لا تردِّين على رسائلي أو مكالماتي، أنا في ورطة فعليًا، يا "هيلينا"، فلتساعديني هذه المرة فقط، من فضلك، أنا على وشك توقيع عقد نشرٍ مع دار نشرٍ مستقلَّةٍ جديدة، لديهم خطَّةُ تسويقٍ رائعة، واتصالاتٌ بالمجلات، سأحصل على فرصتي الذهبيَّة وبعد ذلك يمكنني أن أردَّ لكِ مقابل كلِّ شيء.

نظرًا لأن "ألتونين" بدا وكأنه متسوِّلٌ دنيءٌ أكثر منه مُطَارِدٌ خطِر، قرر "ريسكا" أن يغتنم الفرصة؛ أحضر معه جهازَ التحكُّم عن بُعد، الذي يتحكم في جميع أجهزةِ الإنذار ضدَّ السَّرِقة، لذلك أدخلَ الكودَ لإيقاف تشغيلِ أجهزة الإنذار، وسار حول البناية، وذهب إلى فناءِ الجار الملاصق لمنزل "هيلينا"، كان السكان نائمين بالفعل، ولم يكن هناك سوى قطةٍ غلبها النوم على سطح الطاولة في الخارج، لكنها انطلقت تركض عندما ظهر "ريسكا" الذي لم يجد مشكلةً في تسلُّقِ السياج القائم بين الأفنية، ولكن بدلًا من أن يقفز للأسفل، أنزل نفسه ببطء حتَّى لا يصدر أي ضوضاء، سمع صوت "هيلينا" المتوتر قادمًا من الفناء الأمامي، قالت:

- اخرج من هنا، لا شأن لي بكَ!

- حبيبتي، أنا كتبتُ لكِ كتابًا كاملًا من قصائد الشعر، كم اشتقتُ إليكِ، سأسمِّيه: "هيلينا، بعيدة المنال".

عندما انفجرَت "هيلينا "في الضَّحكِ فجأةً؛ فتح "ريسكا" البابَ الخلفيَّ، كان هناك ما يكفي من الضوء ليتسنَّى له المشي عبر غرفةِ المعيشةِ دون أن يتعثَّر، كان بابُ الردهة مفتوحًا، كان قد انتهى من تزييتِ مفصلاتِ هذه الأبواب؛ حتَّى لا تُصدر صريرًا، فتح الباب بشدَّةٍ بلغت قوتها أنْ ضرَبَ البابُ ظهرَ "تيكو ألتونين" فسقط على الأرض، قال "ريسكا":

- لماذا يضايقكِ هذا الرجل في منتصفِ الليل؟ هَيَّا يا "هيلينا"، ادخلي الآن!

لم يستطع "ريسكا" أن يجزم أيٌّ منهما بدا أكثرَ ذهولًا من الآخر، "هيلينا" أم "ألتونين"، عندما حاول "ألتونين" النُّهوض.. أمسك به "ريسكا" من كتفيه وشَدَّ ذراعيه خَلْفَ ظهره، الآن لا يبدو "تيكو" كقرصانٍ على الإطلاق؛ بل مجرَّد بحارٍ بائسٍ أجبرهُ القرصانُ على السَّيْرِ فوق حافَّةِ المركبِ حتَّى يسقط في البحر؛

لأنَّه غازل زوجةَ الكابتن أثناءَ إجازة على الشاطئ، أُضيئت الأنوارُ في مطبخ "هيرفونين"، أمرَ "ريسكا" "هيلينا" قائلًا:

- هيَّا ادخلي يا "هيلينا"! سوف أتعامل مع هذا الأحمق.

ثم جرَّ الرجلَ على امتدادِ بنايتين دون مقاومةٍ تُذكر منه، وهو يشرح لـ"ألتونين" بالتَّفصيل ما سيحدث له إذا عاد لإزعاجِ "هيلينا" مرةً أخرى، وأخذ "ريسكا" يُرَدِّد كالببَّغاءِ أفظع التهديداتِ التي علَّمها "مايك فيرتيو" لـ"هيلجا" من قبيل رميه في سجون فنلندا لمدةِ ستَّةِ أشهرٍ، لم يعتقد "ريسكا" أن "تيكو ألتونين" مطَّلعٌ على القوانين، قلت:

- حسنًا، اسمع يا من تظنُّ نفسك "تيمو كونتو"، إن كنت تعرف مصلحتكَ، عليك بالرَّكضِ من هنا بأسرعِ ما يمكن؛ لعلَّك تلحق آخر قطارٍ، أو يمكنك تجربة المشي لمسافاتٍ طويلةٍ إلى "إسبو"، ولكن احترس من السيارات المشبوهة!

ثم أفلت "ريسكا" "ألتونين" من يديه، فقال "ألتونين" وهو يحاول حفظَ ماء وجهه:

- من تكون بالضبط؟

- أنا الرجل الذي لن يدع المتسلِّقين من أمثالك أن يقتربوا من "هيلينا"، عليك أن تعرف ذلك، والآن انصرف، إذا كنت تريد أن تُبقي على فمكَ كي تأكلَ به، وأعضائك التناسلية كي تنجب بها أطفالًا.

تعمد "ريسكا" أن يفلت ضحكةً سخيفةً عندما أخذ "ألتونين" يركض ركضًا باتجاه وسطَ المدينة، تراجع "ريسكا" للخلف مختالًا بينما وقفت السيدة "هيرفونين" عند الباب متسائلةً عن سبب هذه الضَّجَّة، وعلى أيِّ حالٍ فإن "هيلينا" كانت فطنةً لدرجةٍ جعلتها تدخلُ المنزلَ بالفعل، قلت:

- لا داعي للقلق، سيدتي، تفضَّلي وعودي لنومك.

أوضح "ريسكا" لها بأدبٍ أن هذا الرجل لن يزعجَنا بعد الآن، بل ورفع لها قبَّعة البيسبول تحيةً لها، قالت:

- من هو؟

- إنه الزوجُ السابق للنائبة "ليموسفو"، لم يعد هناك شيءٌ يخصُّه هنا.

بالداخل.. سكبت "هيلينا" كأسًا من النبيذ الأحمر وسألت "ريسكا" عمَّا إذا كان يرغب في احتساءِ بعضًا منه، لم يرغب، أعاد "ريسكا" تشغيل أجهزة الإنذار وذهب إلى الحمَّام في الطابق العلويِّ؛ لأن البيرة التي تناولها في وقتٍ سابقٍ أثقلَت مثانته، بكلِّ صدقٍ كنت جاهزةً للتخلُّص من قناع "ريسكا" لبعضِ الوقت، كان المكياج الثقيل يتسبَّب في التهاب جلد وجهي، عدت إلى الطابقِ السفليِّ في شخصية "هيلجا"، سألت "هيلينا":

- هل شعرتِ بالخوف؟

بدا أنها تتجرَّع كأسها الثاني من النبيذ، فقد قررَت أن تعملَ من المنزل في اليوم التالي، وتكتبُ عرضًا تقديميًّا لمؤتمرٍ دولي، قالت:

- لا، إنه شعورٌ بالضِّيق أكثر منه خوف، على الأقل في البداية، ثم تساءلَت أين اختفيتِ.. أعني أين اختفى "ريسكا".

- أخذ "ريسكا" "تيكو" على حينِ غرةٍ، هذا الرجل إنسانٌ تافهٌ حقيقةً، من الجيد أننا عرفنا أنه يعاني من مشاكلَ ماليَّة، وهذا يدل على أنه ما من أحدٍ حاول شراءَه حتَّى الآن، أنا متأكدٌ من أنه سيبيعكِ دون أن يطرفَ له جفنٌ.

حدقت "هيلينا" في وجهي وسألت:

- لمن يبيعني؟

- إلى أيِّ شخصٍ لستِ مستعدةً بعد للحديثِ عنه معي.

عندما رَفَّت عينيها، أكملتُ:

– أعلم أنكِ تضعينني تحتَ الاختبار، لا بأس.. ولكن بمجرَّد أن أعرف من قتل "أنيتا" و.. أوه، اللعنة!

نادرًا ما أستخدم الشتائمَ، ولكن هذه المرة كان هناك ما يبرِّرُ ذلك، إن "سيسيليا نيوتينين كيكي" في فنلندا حاليًا، لمن يتذكر في أيِّ يومٍ نحن بالفعل، وربما حاولَت الاتصال بي، على رقم هاتفي القديم، كم أنا غبيَّة! لم أتحقق من رسائلي الإلكترونيةِ أيضًا، لأنني لم أكن أتطلَّع إلى تلقِّي أيَّ رسائلَ من "لايتيو" أو "ديفيد ستال"، وأنا مستلقيةً مستيقظَةً في الظلام كنتُ أفكر كثيرًا في "ستال"، ومن الصعب أن أمنعَ نفسي من الاتصالِ به، تساءلت عما إذا كان لا يزال متمسكًا بي بالقوَّةِ نفسها إذا ما تقابلنا مرةً أخرى. قلت:

– أنا ذاهبةٌ إلى الفراش، كلُّ شيءٍ على ما يرام.

بدت التجاعيدُ على وجهها الرفيع عميقةٌ للغاية بشكلٍ غير متوقع، هذا ما ستبدو عليه في غضون عشر سنوات.

ذهبت "هيلينا" للنَّوم في وقتٍ متأخر من صباح اليوم التالي، تركتُ جميعَ الستائرَ المعدنيَّة مُغلقة، لأنني أردتُ أن أتناول الإفطارَ وأنا في شخصيَّةِ "هيلجا"، لذلك لم أجرُؤ على التسلُّلِ إلى الخارج كي أحضرَ جريدةَ الصَّباح، لكنني قرأتُ بدلًا من ذلك نشرةً عمرها أسبوعًا لم أسمع بها من قبل، تحمل اسم "الخيط الأخضر"، لم يكن "ريسكا" جاهزًا لبدء العمل خارج المنزل حتَّى الحاديةَ عشرة، وبحلولِ ذلك الوقت كانت "هيلينا" تتناول إفطارها.

أطفأ جهاز الإنذار وبدأ في وضع طبقةِ طلاءٍ أخرى على السياج في الفناء الخلفي، بمجرد أن انتهى من ذلك.. قرر أن يطلي السور الصغير الذي يفصل الفناء الأمامي لمنزل "هيلينا" عن الرصيف، أخذ مُشغله "الإم بي 3" يصدحُ بأغنيةٍ من ألبوم "همبا يونايتد" لفرقة "إليجالايست" وأخذ يغني مع "أكاينن إلاكاينن"، رغم

أن صوته كان أجشَّ ونشازًا، ولأنه كان مستغرقًا في الغناء فلم يسمع "ريسكا" صوتَ الخُطى التي اقتربت منه، بمجرد أن اقتربَ الرجلُ.. سحب "ريسكا "قبَّعته لأسفلَ، بدت الأحذية القتالية التي يرتديها الرجلُ مألوفة، وكذلك الجينز الأسود، مرَّ الرجل بـ"ريسكا "ومضى، عندها فقط رفع "ريسكا" عينيه ونظر إليه.

لم يرَ سوى ظهر الرجل، لكن لم يشك فيمن يكون هذا الرجل الأصلع الطويل، إنه "ديفيد ستال" وهو يتجول بحي "هيلينا ليموسفو" السكني، عندما تجاوز "ستال" "ريسكا" ببضعةِ أمتار، توقَّفَ واستدار، لم يكن لدى "ريسكا" الوقت ليشيح ببصرِه، وحدَّق فيه "ستال" للحظةٍ.

كنتُ واثقة من أنه سيتعرف عَلَيَّ بغضِّ النظر عن التنكُّر، هز "ستال" كتفيهِ وابتسمَ واستمرَّ في المشي، لا أنا ولا "ريسكا" شعرنا أنَّ تعقبه ضروريًّا.

13

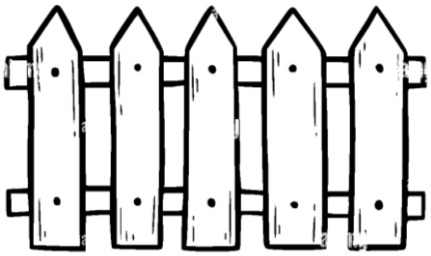

قلت لنفسي بعدما انتهيتُ من طلاء السياج: "اللعنة! ماذا لو أن "ستال" تعرف عَلَيَّ؟"، ستسافر "هيلينا" في نهاية الأسبوع لحضور ندوةٍ في نُزُل "كوبارنس" ولم نقرِّر بعد ما إذا كان عَلَيَّ مرافقتها أم لا.

ظلَّ هاتفي الجديد في جيب "ريسكا" يحثني على الاتصال بـ"ديفيد ستال"، فلا بد وأن أكتشف ما ينوي القيام به، ولأنَّني سأحتاجُ إلى التحدث إليه بصوت "هيلجا"، فلن أتمكن من إجراء المكالمة في الفناء خشيةَ أن يسمعني الجيران، إضافةً إلى أن "هيلينا" بالمنزل، فلن أتمكن كذلك من إجراء المكالمة بالداخل، لا أريد أن أخبرها بأيِّ شيءٍ عن "ستال" لأنني لا أعرف بعد من مِنَّا يتعقبْ.

عاد "ريسكا" إلى الداخل وأعطته "هيلينا" فكرةً موجزةً عما يجري قبل أن تعود للعمل على الكمبيوتر المحمول على طاولة المطبخ، صعد "ريسكا" إلى الطابق العلويِّ كي يحزمَ حقيبةَ ظهرٍ بها: مرآة، مزيل مكياج، زجاجة مياه، كرات قطن، منشفة، حذاءٌ وسترة "هيلجا"، مشى "ريسكا" إلى المنطقة المشجَّرة بالقرب من منزل "هيلينا" وبدأ في التحول إلى "هيلجا"، بعد أن علقت المرآة على غصن شجرة، أزلت شعر "ريسكا" المستعار، صبَبْت مزيلَ الماكياج فوق كرةٍ

قطنيَّةٍ وبدأت في إزالته، قمت بتمشيطِ شعري وتغيير ملابسي من حذاءٍ وسترة "ريسكا" لأحذيةٍ رياضيَّةٍ وسترةٍ جلديَّة، ويمكن لكلينا ارتداء الجينز نفسه، نظرتُ حولي مرةً أخرى؛ كي أتأكدَ من عدم وجود أحدٍ يراقبني، قبل أن أنسلخ من جلد "ريسكا" وأنزع الحشوة ذات الشعبتين التي بين وركيه؛ وهو ما جعلني أتخيَّل كيف تؤثر الأعضاء التناسلية للرجال على مشيتهم، وكيف يحمي الرجال هذه الأعضاء غريزيًّا إذا تعثروا أو دخلوا في عِراك.

في المرَّات القليلة التي قدت فيها السيارةَ بأقصى سرعة أقسم أنني شعرتُ بخصيتيَّ تبرزان تدريجيًّا وأنا أستمع إلى موسيقى "الهيفي ميتال"، كما شعرتُ بتهيُّج هرمون التستوستيرون الذكري داخلي، ذات مرةٍ.. وأنا على الطريق الألماني السريع، ظلَّ أحدُ العملاء يتوسَّلُ إليَّ كي أبطئَ سرعتي قبل أن أتسبب في مقتلِنا نحن الاثنينِ، ويبدو أنني لم أرغب في الإبطاء، فالسرعة تمنحني درجةَ "فائق".

قبل أن أتصل بـ"ستال"، خطرت على بالي قصةٌ أرويها له، حفظت رقمه على هاتفي الجديد ثم استخدمت بطاقةً مسبقة الدفع؛ لذا فهو لن يتعرف على رقمي، إذا لم يرد "ستال" على الفور، فلن أترك رسالة، حاولت أن أتنفس بانتظام وأنا أُنصت إلى دقَّات الهاتف وبعد ثالثِ دقَّة ردَّ، سأل "ستال" بالروسيَّة ثم بالسويديَّة:

- من معي؟

أجبته بالسويدية:

- أهلا يا "ديفيد"، أنا "هيلجا"، "هيلجا إلفسكيرو".

- "هيلجا"! يسعدني أن أسمع صوتكِ، لكن هذا ليس رقمك.

- سُرق هاتفي وأعطتني شركة التأمين هذا الهاتف المؤقَّت، لكنني أعرف من سرقه.

- من؟

- إنه مدمنٌ يعيش في البيت المجاور، كيف حالكَ؟ هل ما زلتَ قريبًا من هلسنكي، في "تميساري"؟

أطلق "ديفيد" ضحكةً قصيرة، حاولتُ تفسيرَ سببها، هل تعني: "أوه، يا عزيزتي، أنتِ لا تمسكين بطرفِ أيِّ خيط"، أم "أوه، رأيتكِ هذا الصباح"، أم "أنا سعيدٌ لأنكِ مهتمَّة بي؟".

أكمل قائلًا:

- في الواقع، عدتُ إلى "كوبارنس" أمس، حيث من المفترض أن يتحسن الطقسُ في الأيام القليلة المقبلة، ستُعقد ندوة ما بالنُزُل في نهاية هذا الأسبوع، ومع ذلك استطعت أن أحجز غرفتي القديمة، هل بوسعكِ أن تأتي للزيارةِ في نهاية هذا الأسبوع؟

عندما وضعتُ خطةً لي ولـ"هيلينا"، قررتُ أن أخاطرَ وأذهب إلى هناك لأنَّ عودة "ديفيد" إلى "كوبارنس" لم تكن على الأرجحِ مجرَّد مصادفة، قلت:

- أنتَ محظوظٌ، فأنا متفرغة في عطلةِ نهايةِ هذا الأسبوع.

- هل ستدعينني إلى كابينتكِ؟

- لا يمكنني لسوءِ الحظِّ، فصديقتي ستقضي عطلةَ نهاية الأسبوع بها، إنَّها على علاقةٍ برجلٍ متزوجٍ، وهما بحاجةٍ إلى مكانٍ ليلتقيا فيه.

- وهل تدعمين مثل هذا الفسوق؟

بوسعي أن أرى ابتسامةَ "ديفيد"، قلت:

- من أنا لأحكمَ على الناس؟ من منَّا ليس لديه قصة؟

- قد تكوني محقة، حسنًا، هل ستأتين؟ يمكننا أن نبحث عن عَيْش الغُرَاب الصالح للأكلِ في الغابة، وربَّما نصادف دبَّ "كوبارنس" الشهير، قالت صاحبة النُزُل إنها رأت "وَشَقًا" ليلة أمس.

- "وَشَق"؟

لا أحتاج إلى أكثرَ من ذلك كي أقتنع بالذهاب إلى هناك، بدأَت ندوةُ "هيلينا" في الصباح الباكر وسوف تُشارك صديقةً لها من "إسبو" السيارة، ويمكنني الركوب معهما معظمَ الطريقِ تقريبًا، ثم أدَّعي أن صديقًا لي أقلَّني من محطةِ الحافلات، قال "ديفيد":

- أحضري معكِ حقيبةً لليلة واحدة؛ لَدَيَّ غرفةٌ لكِ.

شعرت بذلك الخفقان المألوف في قلبي، بالطبع سأذهبُ إليه، تعتمد خطَّتي على وضع "ديفيد" في موقفٍ لا يستطيع فيه الدفاع عن نفسه، قلت له إنني سأصلُ إلى "كوبارنس" حوالي الساعة الحادية عشرة، ومن ثم سيُتاح لي وقتٌ كافٍ كي أتأكَّدَ من أنَّ كلَّ شيءٍ مستقرٌ في الكابينة وكي أحضر درَّاجتي، كل ما أحتاجه الآن هو أن أبرِّر لـ"هيلينا" سبب تواجدي في "كوبارنس"، أم ينبغي أن تعرف؟ لو حالفني الحظ سنقيم في مبنيين مختلفين، رغم أنَّ تناولَ الإفطارَ سيمثِّلُ مشكلةً.

اتصلتُ بـ"هيلينا" وأخبرتها أن لَدَيّ بعض الأعمال التي تخص "هيلجا"، لكنني سأعود في المساء، وطلبت منها أن تُشغِّل جميع أجهزة الإنذار ضدَّ السرقة، وأن تُعلِمني إذا غادرت البيت، لم أرغب في الإفراط في التحقُّقِ من جهاز التتبع المثبَّت في مؤخرةِ رأسها، اقترحت "هيلينا" أن نذهب للسِّباحةِ في المساء؛ فهي في حاجةٍ إلى الترويح عن نفسها، من السهل مراقبتها في المسبح حتَّى لو ذهبتُ هناك وأنا في صورة "ريسكا".

تمشيت لمسافةٍ طويلةٍ كي أرتِّبَ أفكاري، ليس منطقيًّا أن أخفي رحلتي إلى "كوبارنس" كليَّةً عن "هيلينا"، لم أخبرها عن كابينتي، لذلك لا يمكنني أن أحتجَّ بها كسببٍ لسفري، لكن كيف سأشرح لها من أين حصلتُ على الدرَّاجة؟ هل ينبغي أن أثقَ بها وأكشفَ لها الحقيقة؟

في النهاية قررت أن أروي لها القصة نفسها التي اختلقتها لـ"ديفيد": أن صديقتي لديها كابينةٌ بالقرب من "كوبارنس" وقد استعرتُ منها الدراجة،

ذهبت إلى المكتبة لأقرأ رسائل البريد الإلكتروني، فوجدتُ بريدًا من "سيسيليا نيوتينين كيكي" عبَّرَت فيه عن استيائها الشديد؛ لأنها لا تستطيع الوصول إليَّ، وأجبتها بأن هاتفي قد سُرق وعرضتُ أن ألتقيَ بها في هلسنكي يوم الإثنين، قضت "هيلينا" يومًا كاملًا في عقد الاجتماعات وسط أجواءٍ آمنة؛ لأنها محاطةٌ بجميع حرَّاس الأمن وأجهزة الكشف عن المعادن بمبنى البرلمان.

لقد تحولتُ إلى "ريسكا" قبل أن أعيدَ أغراضي إلى بيت "هيلينا"، ثم غادرت في شخصيةِ "ريسكا" وسرعان ما عدتُ في شخصية "هيلجا"، وسألتني "هيلينا" إذا كانت هذه التحولات المفاجئة مهمَّة حقًّا، فشرحت لها أن "آل هيرفونين"، وعلى الأرجح "نورا أسيكاينن" يراقبون "ريسكا"، عندما أكون "هيلجا" أبرز شيئًا من أنوثتي، خاصةً وأنا أمشي، بل وأضع الماكياج قبل أن أتوجَّه إلى المسبحِ، لم أتفاجأ عندما خرجَت السيدة "هيرفونين" إلى الفناءِ ونحن نهمُّ بالمغادرة، فقدمَتني إليها "هيلينا" على أنَّني صديقتها "هيلجا"، فحدَّقت المرأةُ في شعري المقصوص بشكلٍ مثيرٍ للريبة، قالت:

- صديقة، هه؟

ابتسمت ثم أطلقت ضحكةً بمجرَّد أن تجاوزنا زاويةَ الشارع، قلت:

- يبدو أن السيدة "هيرفونين" صنَّفتني كمثليَّةٍ!

كان رذاذ المطر يتساقطُ ويغلب اللون الأصفر على أوراقِ الشجر أكثرَ من الأخضر، وبالرغم من أنه كان وقتًا متأخرًا من المساءِ، فإن أصواتَ حركةِ البناء يتردَّدُ صداها من موقع "سيتي ماركت"، إنهم يبنون سوقًا بجانبِ سوقٍ آخرَ في أحد الحقول، ويتشدَّقون بكلمةِ التخطيط الحضري الفذ، يتكون مركزُ مدينة "كيركونومي" من عددٍ من الصناديق القبيحةِ التي تقف في صفٍّ واحد، والشيءُ الوحيدُ الذي يشذُّ عن هذا القبح هو الكنيسة والمكتبة، والبقيَّة الباقية عبارةٌ عن

مبانٍ منخفضةٍ؛ من الواضح أنها بُنيت على عجل، وهو موضوعٌ تناولته "هيلينا" في أحاديثِها مرارًا وتكرارًا، سألتني "هيلينا":

– حسنا، وهل أنتِ مثليَّة فعلًا؟ لا يعنيني ذلك في شيءٍ، ولكن يمكنكِ أن تخبريني بالمزيد عن نفسك.

– لستُ مثليَّة.

– يبدو أن قائد الشرطة "لايتيو" لا يتَّفق معكِ في هذا.

– لا تهتمي بما يقوله، وأنا كذلك لا أهتم به، فأنا لا أخطِّط لتكوين عائلة، لا مع رجلٍ ولا امرأة، أوه، بالمناسبة، أظنُّ الأفضلَ أن أذهب إلى "كوبارنس" أيضًا، من باب الاحتياط، أبلغتني صديقةٌ قديمةٌ أنها تُقيم هناك، ويمكنني المبيت عندها لو اضطررت، لكنني أفكِّر في زيارة صديقٍ آخر أولًا، لديه كابينةٌ في "ستافو"، بالقرب من هنا.

إذا احتجتَ في أيِّ وقتٍ أن تختلقَ قصة، فابدأ بشيءٍ بسيطٍ وقريبٍ من الحقيقة قدر الإمكان ثم التزم به، هذه نصيحةُ "مايك فيرتيو"، سألجأُ لكلِّ حيلِ المشعوذين كي أعرفَ ماذا ينوي "ديفيد ستال" أن يفعل، قالت "هيلينا":

– إنني أشاركُ "أوللا" في الغرفة، إنها الصديقة الذي ستقلُّني بسيارتها غدًا، لكن يمكننا أيضًا أن نطلب من صاحبة النُزُل إحضار سريرٍ إضافيٍّ إذا كنتِ بحاجةٍ إلى الإقامة معنا.

من الجيِّد أن أعرف أن لَدَيَّ خطةً احتياطيَّة إذا فشلت خطتي مع "ديفيد" الذي طلب مني مشاركته الغرفة، قالت "هيلينا" إن أعضاءَ الالحزب الأخضر سيتناولون العشاءَ في الساعة السابعة، وأنَّ بوسعِ من يرغب أن يذهب إلى حمام الساونا بعد ذلك، سيبدو الأمرُ غريبًا لو ابتعدت عن "هيلينا" الآن، لذلك أخبرتها أنني سأذهب إلى

"كوبارنس" ليس كحارسةٍ، ولكن باعتباري خبيرةً في مجالِ الأمن، ولأن جدول الندوة نُشر عبر شبكة الإنترنت، فمن يدري أيُّ نوعٍ من المجانين يمكن أن يظهر هناك.

ساعدتني السباحةُ على حرق شيءٍ من طاقتي، لكن حتَّى ذلك لم يقتل رغبتي المتزايدة في "ديفيد ستال"، ولأنني لا أعرف أيَّ لعبةٍ يلعبها هذا الرجل، فقد زاد هذا من شعوري بالإثارة، شعرت "هيلينا" بالتَّعب وذهبَت إلى السرير قبل العاشرة لتقرأ، بينما ظللتُ أحفظ قصتي عن ظهر قلبٍ وأنا أحزم حقائِبي، سيبقى "ريسكا" في "كيركونومي"؛ أما نهاية هذا الأسبوع فمن أجلِ "هيلجا" فقط.

في الصباح، أمطرت رذاذًا لكن الجو ظلَّ دافئًا، وبعدما وصلنا إلى "سيانتيو"، بدأت الغيومُ تنقشِع، حوَّلت محاريث المزارعين الحقولَ التي تميل إلى الاصفرار إلى أكوامٍ من التربة، تحلِّق فوقها أسرابُ الإوز، عند مفترقِ طرقِ "ديجيربي"، اختلست الشمسُ نظرةً من بين السماء والسُّحبِ على استحياءٍ، نزلتُ من السيارة وأخبرت "هيلينا" وصديقتها أنني سألتقي بهما في أقربِ وقتٍ ممكن، بمجرَّدِ اختفاءِ سيارة "أوللا"، أحضرتُ درَّاجتي من المستودع حيث أخفيتها.

بدت الكابينةُ على ما هي عليه ولم تُمس، ولم يزعج أحدٌ نشا الذرةِ الذي بعثرته على الأرضيات، كما أنني تأكدتُ من أن خَزْنةَ "أنيتا" آمنة، ولا تزال مخفيةً عن الأنظار، كانت الخبطات والنتوءات على الخَزْنة محرجةً للغاية، وتمنَّيت أن تستطيع "سيسيليا" إخباري بتوليفةِ أرقامِ فتح الخَزْنة.

كان الجو دافئًا بما يسمح بركوب دراجةٍ إلى "كوبارنس" بقميصٍ بلا أكمامٍ طويلة، رسمتُ عينيَّ بالكحلِ وارتديتُ قرطًا دائريًّا ضخمًا، رغم أنني عادةً لا أتزيَّنُ بهذه الطريقة، إن الاهتمامَ حتَّى بالتفاصيل البسيطة مثل الأقراط تفيد في تغيير مظهركَ، وأنا بحاجةٍ لشيءٍ يوازن شعري القصير للغاية، بدوت مثل "جريس جونز" ولكن بيضاء.

كان "ديفيد" ينتظرني في ساحة النُزُل، بدا الزيُّ المموَّهُ المألوف الذي يرتديه وأحذيته الثقيلةُ مثيرةٌ جنسيًّا، وأردت تقبيلَ شفتيه المبتسمتين، كنت متأكدةً من أنني أفرزُ الفيروموناتِ مثل أنثى الشمبانزي، اكتظَّت الساحةُ بالسيارات، وعُلِّقت رايةُ الحملةِ الخاصة بتحالف الالحزب الأخضر على باب المبنى الرئيسيِّ، عرَضَ "ديفيد" أن يأخذَ حقيبتي إلى الطابق العلويِّ، ولأنه من المستحيلِ أن أتركه بمفردِه مع أغراضي، فقد تبعته، بذلتُ جهدًا خارقًا كي أمنعَ نفسي من نزعِ ملابسي وملابسهُ، لم تكن غرفة "ديفيد" بالتأكيد فاخرة؛ فليس بها سوى سريرٍ مزدوجٍ مع طاولاتٍ صغيرةٍ على كلِّ جانب، وتسريحةٍ ومرآةٍ وكرسيٍّ، عكس تنجيد الأثاث مختلفَ ظلال اللون الأصفر، مما جعلني أشعر وكأنني في كوخٍ صيفيٍّ غريب الشكل، فاحت من الغرفة رائحة "ديفيد"، اضطررتُ إلى الخروج قبل أن يذهبَ عقلي تمامًا، حمل "ديفيد" حقيبةَ الظهر ولمحتُ بها ترمسًا، سأتناول بعضَ القهوةِ إذن.

كانت السيارة مجهزةً بالفعل بسلةِ عَيْش الغُرَاب؛ بل إنه أحضر سكينًا أيضًا، رميت عَيْش الغُرَاب السام الذي جمعته الأسبوع الماضي؛ سأجدُ المزيدَ في الغابة إن احتجت إليه، ترجَّلنا من السيارةِ وبدأنا السيرَ على طريقِ "ليري" تجاه الشاطئ، تركتُ "ديفيد" يتحدث، من المؤكد أنه ليس بحاجةٍ لأن أحثه على ذلك، لقد استمعت إليه لعلِّي أجدُ أيَّ أدلةٍ تشير إلى أنه تعرَّف عَليَّ وأنا أتقمَّص شخصيةَ "ريسكا"، لكنَّه لم يأتِ على ذكر رحلته الصغيرة إلى "كيركونومي" على الإطلاق، ولم أجرُؤ على السؤال، بدلًا من ذلك.. أخبرني عن زيارته إلى "تميساري" وأخذ يستعيد ذكرياتِ أيامه الأولى هناك، لقد قضى معظم طفولته وهو يلعب كرة القدم ويبحرُ حول شبه جزيرة "هانكو"، قال:

– هذا أكثرُ شيءٍ أفتقده في "تارتو"، كان لديَّ قاربٌ صغير، لكنني لم أتمكن من استخدامِه؛ لأن المدينة كانت بعيدة جدًا عن الماء، في ذلك اليوم.. استأجرتُ قاربًا في "تميساري" وتجوَّلتُ في أرجاء الجزر المألوفة لي، كم كانت جولةً رائعةً! هل تستطيعين الإبحار؟

- أجيد التجديف بشكلٍ أفضلَ.

انحنيتُ لقطف فطر اللبنِ الصوفيِّ، لم يبدُ أن "ديفيد" كان يبحث عن أيِّ فطرٍ، غير أنه لم يكن وفيرًا حيث كُنَّا، ولذلك كان علينا أن نتعمَّقَ أكثر في الغابة، وازدحم جانب الطريق بالسيارات المتوقفةِ في زوايا غريبة، كما لو كان يوم الغابةِ الوطنيِّ، سألته:

- لم أسألكَ عن هذا الأمر المرة الماضية، ولكن ماذا يعني أنكَ استشاريٌّ في مجال البناء؟

- يعني أنني أوفِّرُ للعملاء قطعَ الأرض التي يريدون شراءها، إما أن أبحث عن قطع الأرض التي تتناسبُ مع احتياجات العميل، أو أجد مهندسًا معماريًّا يمكنه إنشاء نوع البناء الذي يريده الزبون، الأمر يختلف من يومٍ إلى آخر.

- ما نوع التدريب الذي تلقيتَه؟

نظرتُ إلى "ستال" وقد ارتسم الفضولُ على وجهي، وقد تردَّدَ للحظةٍ كانت كافيةً بالنسبة لي، ثم لمسَ أذنَه، أيُّ شخصٍ درس سيكولوجية لغةِ الجسدِ سيعرفُ أن من أتحدثُ إليه.. كاذب، قال:

- أعتقد أنه يسمَّى بالسويدية "هندسة البناء".

- هل لديكَ عملٌ خاصٌّ بكَ أم أنك تعمل لحسابِ شخصٍ آخر؟

- بل لديَّ عملي الخاص.

- ما اسم شركتك؟ هل لديك موقعٌ على شبكة الإنترنت؟

قذفته بوابلٍ من الأسئلة كما لو كنت متيمةً به تمامًا وأريد معرفة كلَّ شيءٍ عنه، النساء لديهن شغفٌ بجمع المعلومات، يردنَ معرفة أسماء والدَي الرجل وإخوته، قصة حياته كلها، طعامه المفضل، صدمات طفولته، أيَّ نوعٍ من البيجامات يرتدي، أجاب:

– أفضِّل أن أسوِّق لنفسي شفهيًّا، خدماتي باهظة الثمن لأنني متمكنٌ مما أفعل، لكن لَدَيَّ الكثيرُ من العملاء، هل هذا الفطرُ صالحٌ للأكل؟

كان واضحًا أنه يحاول تغيير الموضوع، أشار إلى جانبِ الطريق حيث فطر اللبن الصوفي يستقيمُ بالكاد، فنصفه مغطًى بالحصى، أجبته:

– ما دمتَ تغليه مرَّتين لمدة خمسِ دقائقَ في المرةِ الواحدة، حسنًا، ما قلته معناه أننا نمارس العمل نفسه نوعًا ما، كلانا من روَّاد رجالِ الأعمال، هل تختار عملاءك دائمًا بناءً على من سيدفع منهم لك أكثر؟ هل بوسعكَ دائمًا تحديد سعركَ؟

– بالضبط، أعمل مع من يعرض أعلى سعر، أنا أعرفُ ما أستحقُّه.

بلغت الشمسُ ذروتها، تصبَّبت قطراتُ العرق على ظهري، واضطررتُ إلى فكِّ سحابِ سترتي الصوفيَّة وشمرت عن ساعديَّ، اقترحت أن نسلكَ طريقًا فوق المنحدرات ونمشي إلى حافَّةِ الماء، لم يكن هناك الكثير من عَيْش الغُرَاب على المنحدرات، لكنَّنا صادفنا بعضَ علماء الطيور على قمَّة الجُرف الأعلى، يراقبون الإوز وهجرة طيور "الْكُرْكِيّ"، تحدث رجلين اللغة السويديَّة، لذا انضمَّ إليهما "ديفيد"، تنصَّتُّ عن قربٍ ووجدتُ نفسي أتخيَّل "ديفيد" مجردًا من ملابسه، لم تدفع لي "هيلينا" مقابل مضاجعةِ حلفاءِ "باسكفيتش"، يمكنني القيام بذلك –مجانًا– في وقتي الخاص.

بدا المحيطُ هادئًا وانقشعت نُدْف السحب الأخيرة من السماء، اقترب قطيعٌ من الإوز من الشمال الشرقي؛ وهم يبدلون تشكيلاتهم، ويصدرون التعليمات لبعضهم، قدَّر أحدُ علماء الطيور عددهم بحوالي أربعمائة طائرًا، ثم أقبل قطيعٌ آخر من الشرق، لم تضل الطيورُ طريقها بعد، طالما استمرَّت في طقوسِ الطيران القديمةِ هذه، فهناك أملٌ ينتظر بقيتنا، بدا على ابتسامةِ "ديفيد" التساؤلُ ثم أمسك بيدي فغمرتني موجةٌ عارمةٌ من السعادة بشكلٍ غير متوقعٍ، ليس من المفترض أن أشعرَ بمثل هذا الشعور،

لكن في تلك اللحظة، ليس هناك مكانٌ آخر أُفضِّل أن أكون فيه غير هذا الجُرف المشمس، تحت هذه السماء الزرقاء الصافية المرقَّطة بالإوز، مع "ديفيد".

سلكنا الطريقَ إلى الشاطئِ الرمليِّ حيث تناولنا القهوة، تحدث "ديفيد" عن كرةِ القدم، اعتقد اعتقادًا راسخًا بأنَّ كرةَ القدم "لغة تواصلٍ مشتركة" أو "لينجوا فرانكا" كما أسماها:

- أينما ذهبتِ تجدي الكرةَ مستديرة، والجميعُ يركلُها بالطريقة نفسها.

لقد انضمَّ إلى ألعاب كرة القدم المفتوحة في المتنزهاتِ الباريسيَّةِ والبرازيليَّة، لم يتردد في شقِّ طريقَه إلى كرةِ القدم، وأحبَّ اللعب في خطِّ الدفاع، استمعتُ له دون أن أُنصت، وتركته يمرِّرُ أصابعه خلال شعري القصير، سأدعه يقبِّلني إذا كان لديه الشجاعة، أحضرَ مع القهوةِ بعض البسكويت الغريب؛ لا بدَّ أنه صُنعَ في روسيا، ولكن ليس هناك غلافٌ لأتحقَّقَ من ذلك، لأن "ديفيد" وضع الحلوى في علبةٍ بلاستيكيَّةٍ صغيرةٍ، مع مناديلَ ورقية، حتَّى لو دسَّ في قهوتي مشروبًا كحوليًّا، وحتى لو احتوى البسكويت على مخدِّرٍ، لن يتوصَّل "ديفيد" لمعرفةِ أيِّ شيءٍ آخرَ عني لا يعرفه بالفعل، فيما عدا أرقام هواتف "هيلينا" و"سيسيليا نيوتينين كيكي"، جلسنا على الشاطئ جنبًا إلى جنب، أردت أن أربِّت على رأس "ديفيد" الأصلع وأستكشفَ ما إذا كان بجسده أجزاءً أخرى بلا شعر.

مرت بنا أسرةٌ من أربعة أفرادٍ تتمشى على الشاطئ، تطاير شعر الابن الأكبر الداكن بقوةٍ في مهبِّ الريحِ، وامتلأت سلة الأم بالفطر الغجري، ظلَّ الصبي الصغير يغني ويلعب الجيتار الهوائيَّ، ورأيت أن مشية الابن الأكبر سنًّا تشبه والده، اضطرت الأمُّ، التي كانت أقصر بكثيرٍ من رجالِ أسرتها، أن تتقدم خطوتين لتواكبَ خطواتهم، تحدث الأب عن التوقف عند النُزُل بينما التقط الابنُ الأصغرَ حجرًا ورمى به وجعله يثب فوق سطح الماء، سأذكر هذه العائلة لبقيَّةِ

الحياة، لقد تطفَّلوا لفترةٍ وجيزةٍ على عالمي أنا و"ديفيد"، وبرغم أننا لم نلفت انتباهَهم، فقد استحوذوا على ذهني شديد التحفُّز بشدةٍ؛ باعتبارهم عائلةً مثاليةً لم يكن لي مثلها من قبل، ربَّما انضمَّ الصبيَّان إلى والديهما في هذه النزهة لأنهما مضطران فقط؛ ربما تم رشوتهما على وعدٍ بتناول الآيس كريم في النُزُل، فالأمُّ والأب لا يتفقان على أيِّ شيءٍ آخرَ، باستثناء أن عليهما اصطحاب الصبيَّينِ في رحلاتٍ عائلية، ربما كان الصبيُّ الأكبرَ يفتقد صديقته، وربَّما راود الابن الأصغر شعور بالأسى لأنه لم يواعد فتيات بعد، لم أكن على درايةٍ بكلِّ الأقنعة التي يرتديها الناس، هذه العائلةُ المكونةُ من أربعة أفرادٍ ربما كذبوا على بعضهم بشأن كلِّ شيءٍ تقريبًا، مثلنا أنا و"ديفيد"، ومع ذلك.. فإن الانجذابَ الذي شعرتُ به تجاهَ "ديفيد" كان شعورًا أصيلًا وحقيقيًّا.

نهضتُ وسرتُ حتَّى حافَّة الماء، ورميت حجرًا فوثب على السطح خمسَ مراتٍ، بدأنا المشي على طول الشاطئ نحو المخيَّمات، لَدَيَّ القليلُ من الفطر في سلَّتي؛ ثلاثةٌ من نوع اللبن الصوفي، وواحدٌ من النوع الحليبيِّ القبعة، وبعضٌ من فطر "الرسولا الدموية"، واعتبرت قطفهم بلاهةً لأنني لا أدري حتَّى أين يمكن أن نطبخهم؟ ظلَّ "ديفيد "يسأل عن صديقتي التي كان من المفترض أن تقيم في كابينتي، فخطر على بالي اسم "ريتا" التي التحقَت معي بالجيش، وكان لها صديقٌ يدعى "ماتي"، وكل ما أعرفه أنه أخبرَ زوجته أنَّه في رحلةِ صيد مع الرجال، كنت أقومُ باختلاقِ أكاذيبَ عن أشخاصٍ ليس لهم وجودٌ من الأصل، سألته:

- هل سبق لكَ الزواج؟
- لا، وليس لَدَيَّ أطفال أيضًا، على الرغم من وقوعي في موقفٍ نجوت منه بأعجوبة.
- ماذا تقصد؟

– منذ حوالي سبعِ سنوات، تعرفتُ على امرأةٍ تدعى "جينتير" من ليتوانيا لكنها تعيش في إستونيا، كانت غيورةً نوعًا ما، لكنها أعجبتني إلى أن اتضحَ لي أنها مدمنةُ مخدرات، فانهارت العلاقة، حاولت تركها أكثرَ من مرةٍ، لكن ظلَّ بها شيءٌ يثير شفقتي لدرجةِ أنني كنت أتراجعُ دائمًا عن قرار تركها وأبقى معها، كانت امرأةٌ رائعة، على الرغم من أن هذا ليس سببًا كافيًا بالطبع للبقاء مع شخصٍ ما.

اعتقد "ديفيد" إما أن "جينتير" استخدمت أظافرها وثقبت الواقي الذكري وهو يرتديه، أو لعله مجرد سوء حظٍّ، على أيِّ حالٍ، أخبرته "جينتير" أنها حامل، وتوسَّل إليها "ديفيد" كي تكف عن تعاطي المخدرات كي لا تؤذي الطفلَ، فهو طفله أيضًا على أيِّ حال، قالت "جينتير" ساخرة: "ما أدراك؟ كان بوسعي أن أضاجع أيَّ عددٍ من الرجال؛ فما أدراك أن الطفل ابنك؟". قال:

– كانت هذه هي المرة الوحيدة التي أوشكتُ فيها أن أضربَ امرأةً، ليس بسبب ما قالته عن الرجال الآخرين، ولكن بسبب الطفلِ، لم أرغب في البقاء مع "جينتير"، ولكنني رأيتُ أن فكرةَ إنجابِ طفلٍ فكرةً لطيفة، وستسعد أسرتي بذلك جدًّا؛ فكما أخبرتكِ من قبل، هناك الكثير من الزيجات المختلطة في أسرتي، وبالطبع كنت سأتزوَّجها.

بعد ثلاثة أشهرٍ، تلقى "ديفيد "مكالمة من المستشفى، أخبرته "جينتير" أن حملها أجهض، وعندما عبئت استمارة المستشفى، كتبت في خانة الأب: "مجهول"، قال:

– حزنت على ذلك الطفل لمدَّةِ عامين، بدأت "جينتير" في تعاطي مخدراتٍ أثقل، آخر مرةٍ رأيتها فيها كانت جالسةً في ملهى ليلي في فندق "فيريو"، في انتظار الرجلَّ التالي الذي سيموِّل إدمانَها، وجدتها ما زالت جميلة، لكن عينيها خاويتين.

كانت هذه لحظة مناسبة لأمسك بيد "ديفيد" وأضغط عليها؛ فهذا ينقل لـ"ديفيد" ما يقوله لسان حالي: "أنا في غايةِ الأسف"، تركت يدي في يده، ولم أسحبها حتَّى ونحن في طريقنا إلى النُزُل والقلق ينتابني من أن "هيلينا" قد ترانا، سألني:

– هل أنتِ جائعة؟ قالت صاحبةُ النُزُل إن بوسعنا تناولَ العشاء بمجرَّد أن تنتهي من بقيَّة النزلاء، في الثامنةِ تقريبًا، لَدَيَّ بعض الجبن والفواكه في الثَّلاجةِ، وزجاجةٌ من الويسكي لنشبع جوعنا قليلًا.

تبعت "ديفيد" إلى مبنى سقفه منخفضٌ، ولاحظت أن لديه جيرانٌ على جانبي غرفته، ربما كان عازل الأصوات في هذه المباني القديمة سيِّئًا، لذلك سعدت بخروج النزلاء الآخرين لتناول العشاء، خلعتُ سترَتي الصوفيَّة والحذاءَ وجلست على السرير، كانت الغرفة صغيرة جدًّا؛ وبدا أن "ديفيد" قد شغلها بحجمه تمامًا، هل سيرتطمُ رأسُه بالسقف وهو يفتح زجاجةَ الويسكي؟ لاحظت أن يدَي "ديفيد" كبيرتان وأصابعه رفيعة، وتساءلتُ كيف سأشعر عندما يتحسَّس بهما جسدي، أعطاني كأسًا وجلس على كرسيٍّ بجانب مرآة الزينة، ورغم أن أرجلنا اصطدمت ببعضها، فإنني قربتهما أكثر ثم أخذتُ رشفةً متمهلةً من كأس الويسكي، كنت بحاجةٍ لمعرفة ما يعرفه "ديفيد" عني وما قدره، وكيف ماتت "أنيتا نيوتينين"، لماذا لم يتَّخذ الخطوةَ الأولى، أم أنه كان يضايقني فحسب؟ أليس معروفًا أن المرأةَ لا تتَّبعُ رجلًا إلى غرفته بالفندق ما لم تكن متاحة، أليس كذلك؟ أم من المفترض أن أميل أنا عليه وأقبِّل شفتيه؟ وضعت كأسي على المنضدةِ ونظرتُ إليه ولسان حالي يقول: "ماذا تنتظر؟ قبِّلني".

أخيرًا قرأ أفكاري، وأمسك بكتفي، وجذبني إليه، كانت رائحته كما ينبغي أن تكون رائحة الرَّجُل، تركت يدي تتجول تحت قميص "ديفيد"، فشعرت بعضلات ظهره المشدودة والدافئة. أدركت أنني أغمض عيني، ففتحتهما. لم يطلب "ديفيد" الإذن، نهضَ من الكرسيِّ وألقى بي على السرير. تركته يعبث

بملابسي، أصبحت عيناه قريبتين جدًا حتى أنني لم أعد أستطيع تحديد لونهما. تجاوبت معه تمامًا. وارتفع صوتي، فلتسمع "هيلينا "أو أيًّا من كان، فالآن ليس الوقت المناسب للاهتمام بذلك فهذا الشعور هو كل أهتم به ولا شيء غيره. كنت سأعترف بأي شيء وكل شيء طالما "ديفيد"معي.

امتزجت رائحتي برائحتِه، وشعرت بثقل "ديفيد" فوقي، هذا الثقل الجميل. ظللت أضغط على "ديفيد" ولم أتركه يفلت ويغادرني. كان كل شيء واقعيًا، وواقعيًا، وواقعيًا.

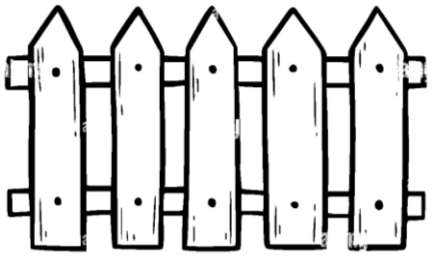

14

كان بإمكاني أن أنام بين ذراعَي "ديفيد"، لكنني كنت أتضوَّر جوعًا، لعقت الملحَ المترسِّب على جلده، لكنه لم يكن كافيًا، وما زال أمامنا ثلاث ساعاتٍ أخرى حتَّى موعد العشاء، قال "ديفيد":

- مرحبًا، أين الجبن والفاكهة؟ أعني.. اللذَين صعدتُ هنا من أجلهما.

- إذن الجبن والفاكهة مهمين جدًا؟ سأضطر إلى وضع ذلك في اعتباري.

قام من السرير وانحنى ليقبِّل خدِّي قبل أن يستدير لينظر إلى كومةِ الملابس الملقاة على الأرضية وترتسم على وجهه ابتسامةٌ لا تخلو من التَّصنُّع، ثم ارتدى بنطالَه المموَّه، اختفى للحظةٍ وعاد بصينية مغطاة بالبلاستيك الشفاف، الذي يكشف عن الجبن والمُكَسَّرات والفاكهة.

كان الجبن ما زال باردًا، لكنني لم أمانع، لفَفتُ نفسي ببطانيَّةٍ ولم يكلف "ديفيد" نفسه عناء ارتداءِ أيَّ شيءٍ آخر، التهمتُ شرائح جبنٍ "بري" البقري

والتفاح كأنني لم أرَ طعامًا من قبل، سألني "ديفيد" عمَّا إذا كنت أريد المزيد من الويسكي أو إذا كان يجب أن ينزل ويقنع صاحبة النُزُل بأن تبيعه زجاجةَ نبيذ أحمر ليحضرها إلى الغرفة، اكتفيت بالماء، لكنني استمتعتُ بمشاهدة "ديفيد" وهو يصبُّ لنفسه بعضًا من الويسكي الإسكُتْلَندي، وفيما وراءَ النافذة، تطايرت أوراق الشجر المتساقطة في مهبِّ الريح لترسمَ مشهدًا خلفيته زرقاءَ عميقة، وتجمعت طيور "الذعرات" فوق أشجار "البَتُولا"، وظلَّت تتفاوض بلغتها الخاصة حول موعدِ المغادرة إلى مناخٍ أكثر دفئًا وطعامٍ أكثر وفرة.

تخلَّينا عن سلَّةِ الفطرِ وتركناها على الأرضِ، الآن أبحثُ عن شيءٍ آخر، كان "ديفيد" يتسلَّى بتناولِ الجبن باطمئنانٍ، فسحبته إلى السرير وألقيتُ العنبَ في فمه، تناولتُ رشفةً من الويسكي ثم غمست أصابعي فيه وتركتُ "ديفيد" يلعقها، رأيتُ علامةَ عضَّةٍ على صدري الأيسر، أصبحتُ امرأة مَوسُومة، سألني:

- إذا لم يكن لديكِ شيءٌ في عطلةِ نهاية هذا الأسبوع، وليس هناك ما يستدعي ذهابك لأيِّ مكانٍ، فلم لا تقضين الليلَ معي؟

- سأفعل.

لم تتصل بي "هيلينا" بعد، لذا من الأفضلِ أن أطمئنَّ عليها، لا أعرفُ رقمَ غرفتها والسيناريو الأسوأ أن تكون بجوارِ غرفة "ديفيد"، لا شأن لها بحياتي الخاصَّة طالما أؤَدِّي عملي كما ينبغي، قمتُ بتشغيلِ جهاز التعقب، لكن كلُّ ما أظهره أن "هيلينا" ليست بعيدةً، سألني:

- من تحرسين هذه الأيام؟

حرَّك "ديفيد" إصبعه لأعلى ذراعي ثم لأسفلَ وهو يتسلَّى بتفقُّدِ عضلاتي، أكمل قائلًا:

- يا إلهي! يا لها من عضلات! يستحسن ألا أضايقك!

آمل ألا أحتاج لاستخدامِ مهاراتي في الجودو معه، توقَّعت أنه يعرف نوعًا من فنون الدفاع عن النفس أيضًا، أجبته:

– أحمي نائبةً في البرلمان، وأظنُّ أنها بخيرٍ ولن تحتاجَ لي بعد الآن، تعرضَت لمضايقاتٍ من زوجها السابق، ولكنني أريتَه كيف..

كنت سأكمل الجملة بالمصطلح الفنلندي: "يتبول الدجاج"، لكنني لم أعرف كيف أعبِّر عن الفكرة بالسويديَّة، لذلك أكملت قائلة:

– في أيِّ اتجاهٍ تهبُّ الريحُ الآن.

لا بد أن "ديفيد" قد فهم بعض الفنلندية، بعد أن قضى سنواته الأولى في فنلندا، إنهم يتحدثون السويدية في "تميساري" لكن من المؤكَّد أنه تعلَّم الفنلندية في المدرسة قبل أن ينتقل إلى "تارتو"، ما كان يجب أن أفترضَ أنه لا يعرفُ الفنلنديَّة مطلقًا، بل لعله يتظاهرُ بذلك فحسب، حتَّى لا يبدو خطرًا وهو يُنصت إلى محادثاتٍ ليس من المفترض أن يسمعها.

توقف "ديفيد" عن السؤال عن عملي، كان بإمكاني سماع الأطفال يلهون بالخارج، شخصٌ ما ينادي من الغابة: "كاريتا"، تعالَ إلى هنا! لقد وجدت بعض الزهور!"، جلستُ أمام المرآة ونظرت إلى نفسي، كيف تبدو عيناي ناعستان ومتلألئتان في الوقتِ نفسه؟ نثر "ديفيد" أدواتَه الشخصية ومستلزمات نظافته الشخصيَّة على الطاولة: الكولونيا ومزيل العرق، وكلاهما من العلامةِ التجارية نفسها، وفرشاة أسنانٍ كهربائيَّة، ومعجون أسنانٍ روسيٍّ.

مازحته بالفنلندية عندما رأيت علبة الواقي الذكري بجوار معجون الأسنان وقلت:

– إذن أنت من النوع الذي يحمل الواقي الذكري دائمًا من باب الاحتياط.

أجاب بالسويدية:

– لا أفهم ما تقصدين؟

أظن أنني لمحت ابتسامةً على شفتيه، فقلت:

– آسفة، هل كنت أتحدث بالفنلندية؟ قلتُ للتوِّ أنكَ معتادٌ على السفر ومعك الواقي الذكري.

– وهل هذا شيءٌ سيئٌ؟ وماذا لو أنني اشتريته لأنني وضعتكِ أنتِ تحديدًا في اعتباري، هه؟ هل تريدين أن تأكلي شيئًا آخر؟

– لا، شكرًا، عندما تأخذ الجبن إلى الثلاجة، هل يمكنك أن تضع الفطر أيضًا؟

عندما غادر "ديفيد"، قفزتُ سريعًا للبحثِ في دولابِ ملابسه، بنطالان من الجينز، بنطالٌ رسمي، سترةٌ من الجلد الأسود وقمصان وجوارب وملابس داخلية، لا مسدس ولا مناديل أطرافها مطرَّزة بالأحرف الأولى من اسمه، عندما سمعت خطاه، انسحبتُ عائدةً إلى السرير وسحبتُ البطانية فوقي، ربما يجب أن أرسله ليحضرَ النبيذ الأحمر، كنت مهتمةً بشكلٍ خاصٍّ بتفتيش محفظة جيبه، تأكدتُ من إخراج كل ما يتعلَّق بهوية "ريسكا" من أغراضي، كما تركتُ جدولَ أعمالي أيضًا في المنزل.

نزع "ديفيد" سرواله واستلقى بجواري تحت البطانيَّة، ها نحن نفعلها مرةً أخرى، وأنا لم أقاوم، كانت يداه تفتشني بشغفٍ؛ وتورَّمَت شفتي ببطءٍ من أثر عضَّاته، أستطيعُ أن أسمعَ أصواتًا في الردهة، ولحسن الحظِّ لم يكن من بينها صوت "هيلينا"، لكنني حاولتُ ألَّا أئن بصوتٍ عالٍ، رنَّ هاتف في مكان ما، ربما كان هاتف "ديفيد"، لكنني لم أدعه يتحرَّك وهو أيضًا لم يرد ذلك، سمعنا صريرَ السرير؛ فهو لم يصمَّم ليحتمل هذا الغرض.

تركته يفعل كل ما يريد، كانت مباراةً بين "هيلجا" مقابل "ديفيد"، ونتيجة النزال صفر إلى ستة، وقد استمتعتُ بكلِّ شيءٍ فيه، لم أطق الرجالَ الذين يعتذرون وهم يتحسَّسون جسدي، ولا يعرفون ما يريدون، متظاهرين أنَّ الشخصَ الذي يضاجعونه مهمًّا بطريقةٍ ما، بينما الحقيقة هي أنهم لا يهتمون بشيءٍ سوى

متعتهم الخاصَّة، أما متعة "ديفيد" فقد تنامت وهو يشاهدُ متعتي، لم أتراجع؛ ولم أخجل، بل كنت حرةً تمامًا، لم تظهر على هذا الرجل أيُّ علامات اكتئابٍ ما بعد الجماع، لم يهرب "ديفيد"، ولم يندفع إلى الحمَّام ليغتسلَ مثل آثم يحاول إزالة آثارَ إثمه، أخذت أشمه كالحيوان لأحفظ رائحته، خلال سنوات دراستي الأكاديمية، تعلمت كيف أتعرف على زملاء الدراسة من روائحهم الخاصة، وفي غرفةٍ مظلمة، يمكنني تمييز شخصٍ يقف بقربي من مجرد رائحته الخفيفة فقط.

رنَّ هاتف "ديفيد" مرةً أخرى، وهذه المرة مدَّ يديه والتقطَه ليعرف من المتصل، قال:

- آسف، لا بد أن أرد.

قفز من السرير محاولًا ارتداء بنطاله بيدٍ واحدة ثم غادر الغرفة، أستطيع أن أسمعه في الرواق وهو يتحدث باللغة الروسية، الآن لديَّ فرصةٌ لأفتِّش محفظته، لكن أين هي؟ لم تكن في جيب بنطاله، كنت سأشعر بها عندما ألمسه، كما أنها ليست على المنضدة أيضًا، لكنني وجدت بالجيب جواز سفرٍ فنلنديًا مزيَّنًا بنجوم الاتحاد الأوروبي.

فتحته، وحسب جواز السفر فإن اسمه: "ديفيد دانيال ستال"، مولودٌ بـ "تميساري" في 18 أكتوبر 1974، وهناك أختامُ دخولٍ وخروجٍ متعددة توضِّح رحلاته إلى روسيا، كما أنه ساري لعامين آخرين، ومع ذلك فكلُّ صفحاته ممتلئةً تقريبًا بالأختام.

بدا جوازُ السفر أصليًّا، ولكن مع العلاقات الصحيحة ليس من الصعب تزوير جواز سفر، كانت جوازات السفر الفنلندية سلعةً رائجة؛ لأن مسؤولي الجمارك يلقون عليها عادةً نظرةً عابرة دون تدقيق، لو أنني في مكان "ديفيد"، لتركت جواز السفر كي أعثر عليه، كدليلٍ يبرهن على قصته.

نظرت تحت السرير ووجدت حقيبةَ سفر، وعندما أوشكتُ على فتحها سمعت خطًى في الردهة، قفزت بسرعةٍ تحت الأغطية ودعوت ألا تُظهر الأرضية المغبرة قليلًا أيَّ علامات تدل على أن الحقيبة نُقلت من مكانها، قال:

- أغبياء! يتصلون في عطلة نهاية الأسبوع، إنه "بيرميان"، أحد أقطاب النفط؛ يريد فيلًّا صيفيَّة في فنلندا؛ مكونةً من خمسِ غرف نوم، وحمامين، وتطلُّ على المحيط، ويسهل الوصول إليها من طريق "سانت بيترسبرج" السريع، وهذه صفاتٌ لا يمكن توافرها بسهولةٍ، كما تعلمين.

- اشتغلَت ربَّةُ عملي السابقة أيضًا في مجال العقارات، وعملت مع الروس كثيرًا، ربما تكون قد قابلتها، إنها "أنيتا نيوتينين"؟

نجح تكتيكي المفاجئ لجزءٍ من الثانية، فقد بدا على "ديفيد" شيءٌ من الارتباك، ثم قال:

- "أنيتا نيوتينين".. أظن أنني سمعت بهذا الاسم من قبل، فعلًا أعرفه!

أحسن "ديفيد" التظاهر بأنه يتذكر التفاصيلَ ببطءٍ ثم أكمل:

- أهي سيدة الأعمال الفنلندية التي أُطلق عليها الرصاصُ في موسكو قبل أسبوعين؟ هل أنتِ.. هل هي ربةُ عملكِ؟

- لم تعد، استقلت قبل مقتلها بيومٍ.

- رائع، يا لها من مصادفة، لماذا استقلتِ؟ هل شعرَت "نيوتينين" أنها لم تعد بحاجة إليكِ لأنها آمنة؟

جلس "ديفيد" بجانبي وربَّت على خدي برفقٍ، لم يكن هذا استجواب، بل مجرَّد حديثِ مسامرةٍ بين عاشقين بعد المضاجعة حيث يخبر أحدهما الآخر عن أكبر خطأ احترافي اقترفه في حياته، وهذه علامةٌ من علامات الثقة، كررت قصة معطف فراء "الوَشَق" وذكرت أكبر قدرٍ ممكنٍ من التفاصيل، جلس "ديفيد" يستمع ووجهه

خالٍ من أيِّ تعبير، لكن أصابعه ظلَّت تتحركُ في أنحاء جسدي، وتحركَت ببطءٍ نحو رقبتي، يمكن لهاتين اليدين أن تنتقلا بسرعةٍ من المداعبة إلى الخنق، قال:

– هل أنتِ ضد الفراء لأنك تتبنين مبدأً ما؟ هل أنتِ واحدةٌ من هؤلاء.. ماذا يسميهم الفنلنديون؟ فتاة الثعلب؟

قال "ديفيد" العبارة الأخيرة بالفنلندية، أجبته:

– فتاة "الوَشَق"، أقرب للوصف.

حاولت أن أتصنَّع ابتسامةً، أستطيع أن أسمع صوت معدة "ديفيد"؛ كانت السابعة تقريبًا، يجب ألا أتركه إلَّا وهو سكران؛ لم تكن هناك طريقةٌ أخرى الآن، نهضت وذهبت إلى الحمام، عكست المرآة الوهج العميق الذي في عيني، كان الحمام شبيهًا بذلك الذي بالردهة، طلبت من "ديفيد" رداء حمام، لأنني لم أحضر واحدًا، وفاحت من قماشه الوَبَرِيِّ الأسودَ السميك رائحة "ديفيد"، مما جعلني أشعر وكأنني أسقط فيه، استحممت ولففت نفسي بمنشفةٍ رفيعة غطَّت بالكاد جسدي من الثدي إلى الوركين، ثم دلفت بسرعةٍ إلى الغرفة، حيث سكبت لنفسي جرعةً من الويسكي وصببت في كأس" ديفيد" أكثر مني قليلًا، ناولته كأسَه وشبه ابتسامةٍ تداعب شفتيَّ وقلت:

– كم أدفع لك ثمنًا كي ترتدي معطفًا من فراء "الوَشَق"؟

أخذ "ديفيد" الكأس، لكنه لم يرفعه إلى شفتيه، قال:

– مهما دفعتِ لي، فأنا لم أفعلها من قبل.

– ماذا لو كانت حياة شخصٍ ما على المحك؟

– يا لكِ من فيلسوفة! ما هذا، أهو جزء من امتحانٍ في الأخلاق؟

– لا، كنت أحاول أن أفهم فقط.

بدأت في ارتداء الملابس لتناول العشاء، ارتديت حمالة الصدر الوحيدة التي أملكها وتتماشى مع السروال البِيكِيني، ثم بنطالًا من الجلد وحذاءً بكعب عال، وأخيرًا.. قميصًا أسودَ ضيقًا أعطته لي "جيني" لأن مقاسه صغير جدًا بالنسبة لها، كان القميص قصيرًا جدًّا عليَّ لكن قطعة الجلد التي تظهر الآن بين القميص والسروال كانت مثالية بالنسبة للشكل الذي كنت أنشده، والسؤال الذي طرح نفسه هو؛ لم يعد مجديًا الاستمرار في محاولة إثارته جنسيًا، فهو قد نام معي بالفعل.

سألني "ديفيد" وأنا أرتدي ملابسي في صمت:

- هل أنتِ غاضبة مني؟

أمسك فخذي الأيمن بكلتا يديه، وضمه بقوةٍ إلى صدره ثم أكمل قائلًا:

- لم أقصد أن ألومكِ على أيِّ شيءٍ، وعلى أيِّ حالٍ فأنا أجريت بعض المكالمات الهاتفية الغبيَّة على مدارِ حياتي.

- ولكن هل مات أحد بسببها؟

- ليس على يدي، كما في حالة ربة عملك السابقة، ماذا كان اسمها مرة أخرى؟ أه، "نيوتينين".

نهض "ديفيد" وأدارني كي أواجهَه، وقبَّلني قبلة لطيفة مطمئنَّة، ثم قال:

- تذكري يا "هيلجا"، حتَّى لو كنتِ مع "نيوتينين" عندما أُطلق عليها الرصاص، ما كان بوسعك أن تنقذيها.

غمغمت ورأسي على كتفه:

- كان بإمكاني التعامل مع شخصٍ مخمورٍ مسلَّح بمسدس، و"أنيتا" لم تكن لتتجول أبدًا في وقت متأخر بمحطة مترو أنفاق لو كنت معها،

– ربما تمكنتِ من التعامل مع المخمور، وربما لا، وربما أرداكِ قتيلة بجانبها مباشرةً، ولما التقينا أبدًا، هيا لنذهب لتناول العشاء، يمكننا العودة إلى هنا لتناول الحلوى.

رفع حاجبيه بطريقةٍ موحية، ابتسمت وتمنيت لو أنه قال ذلك بجدِّيَّة، لقد وظَّفوه كي يحررني من الشعور بالذنبِ الذي أُعانيه بسبب وفاة "أنيتا"، حاولت أن أبدو ممتنَّة، كما لو أنني أصدقه بالفعل؛ في الممشى القصير المؤدِّي إلى المبنى الرئيسي، ألصقتُ جسدي بجسده بقوةٍ مثل فتاةٍ صغيرة، مرَّ أناسٌ بنا في طريقهم إلى حمام الساونا، لكنني لم أرَ "هيلينا" في هذا الجمع، إن صاحبة النُزُل تعرف رقم غرفة "هيلينا"، ولكن كيف لي أن أسألها دون أن يسمع "ديفيد" سؤالي؟

رن هاتف "ديفيد" في الوقتِ المناسب، قلت له ألا يتعجل وسألتقي به في المطعم بعد قليل، وجدت "هيلينا" تقف في البار تتحدث عن مشروع خط أنابيب غاز مع امرأةٍ ذات شعرٍ أشقرَ قصير، ناديت:

– "هيلينا"!

لا أدري كم استغرق ندائي عليها ثم أكملت:

– آسفة لمقاطعتك، لكن هل يمكنني التحدث معكِ لدقيقة؟

رافقتها إلى غرفةٍ صغيرةٍ بجوار البار، قلت لها:

– صديقي هذا.. لست متأكدةً إلى أيِّ مدى هو جديرٌ بثقتي، لعلَّ الأفضلَ ألا يرانا ونحن نتحدث معًا، هل كلُّ شيءٍ على ما يرام؟

– ولماذا لا يكون؟ لقد أمضيت نصفَ يومٍ في وسط هذا المشهد الرائع، والآن أنا مستعدةٌ للاسترخاء في الساونا ثمَّ النوم.

– ما رقم غرفتك؟

– غرفة (1) في مبنى "كوبر 1".

تنفست الصعداء، فأنا و"ديفيد" في "كوبر 3"، لحسن الحظ لم تسألني "هيلينا" أيَّ أسئلة، انتظرت حتَّى غادرَت أولًا، ثم جلستُ إلى الطاولة نفسها التي تناولنا عليها العشاء المرة السابقة، وُضعت طاولاتٌ بألوانٍ مختلفة؛ وعلى طاولتنا مفرشٌ أرجواني، ومناديلٌ وكؤوس، جاءت النادلةُ وسألت عمَّا إذا كنتُ أرغب في أن أشرب شيئًا ما، فقلت إنني سأنتظر صديقي، لم أسجِّل بياناتي في أيِّ نوعٍ من بطاقات التسجيل الخاصة بالنُزُل، وأظنُّ أنهم ليسوا بحاجةٍ إلى ذلك، كان الراديو يبثُّ أغنيةَ الفالس الدرامية لـ"جاري سيرانبا": "أنا هكذا، أفعل ما أريد، أكره وأحب، ولا أعانق شخصًا أبدًا، لمجرد أنه من واجبي أن أفعل".

وبرغم أنني لم أكن من المعجبين بموسيقى البوب الخفيفة الشائعة، فقد نفذَت هذه الأغنيةُ إلى قلبي الآن، فضحَت مشاعري وكشفتها لمن حولي، وعندما دخل "ديفيد" إلى الغرفة، سعدت بوجودي معه مرةً أخرى، هنا، الآن، قال "ديفيد":

- كانت هذه أختي "صوفيا"، إنها تبلغكِ تحياتها.

- ولماذا تُحييني؟

- أخبرتها أنني قابلتُ امرأةً فاتنة، وسأقضي بقيَّة حياتي معها، وأنَّها فنلندية، حتَّى لا تندثر تقاليدُ الأسرة، ما رأيكِ في بعضٍ من النبيذ الفوَّار بهذه المناسبة؟ ماذا على قائمةِ الطعام الليلة؟ نأمل في الكثير من البروتين.

اختار كلانا السلمون المدخن، مع قليلٍ من الشمبانيا كفاتحٍ للشهية، وزجاجةً من النبيذ الأبيض لتتماشى مع الأسماك، والآن.. لا بد وأن أتأكد من أن "ديفيد" شرب معظمها، ها هو يعود مرةً أخرى إلى كونه حكاءً جذَّاب الحديث، فتكلم مرارًا وتكرارًا عن طفولته، وعن الإبحار، وضياعه في الضباب، ولاحظت أنني كشفت له أيضًا عن المزيد من حياتي السابقة، بل وأكثر من المعتاد،

فأخبرته عن "هيفونبرسينساري" وأنها تُترجَم على أنها "جزيرة مؤخرة الحصان"، تمامًا مثلما قلتُ لزملائي في الأكاديميَّةِ ممَّا جعله يضحك، قال:

– يبدو أن خالك "جاري" كان رجلًا لطيفًا، إنكِ محظوظةٌ لأنكِ نشأتِ على يدِ شخصٍ مثله، من كان صديقك المفضَّل في صباكِ؟ ألا تحتفظُ الفتياتُ دائمًا بصديقٍ واحدٍ مقرب، في حين أن الأولاد يتجولون في مجموعات؟

– "فريدا"، "فريدا" هي صديقتي المفضلة.

– "فريدا"؟ إنه اسم سويدي، لم أكن أعرف أن السويديين الفنلنديين عاشوا في تلك المنطقة.

– لم يفعلوا، "فريدا" ليست إنسانًا، بل "وَشَق"، صغيرة "وَشَق" يتيمة، وجدها خالي "جاري" وأحضرها إلى المنزل.

– هل جعلتِ من "الوَشَق" حيوانًا أليفًا؟

– لم تكن حيوانًا أليفًا، كانت صديقتي، أختي.

سمعت هاتف "ديفيد" يئزُّ برسالةٍ نصيَّة، بينما كان يقرأُها، تجعَّد جبينه وتشنَّجت وجنتيه، قرأها مرةً أخرى وبدأ في كتابةِ الرَّد، تساءلتُ عمَّا إذا قام بتغيير الأبجديَّةِ على لوحةِ المفاتيح الخاصَّة به؛ ليكتب باللغة السيريلية، أو ما إذا ترجم أحرف الكلمات الروسية باستخدام الأبجدية الرومانية، ترك الهاتف يسقط بصوتٍ عالٍ على الطاولة، وبعد لحظةِ تردُّدٍ، أمسك بالجهاز مرةً أخرى وأطفأه، ثم قال:

– أنا آسف، ولكن هناك تغييرٌ في خطتي، سأغادرُ في التاسعة صباحًا، لسوء الحظ، لا يمكن لهذا النشاطِ التجاريّ أن ينتظر.

– هل تعمل أيام الأحد أيضًا؟

– إذا أصرَّ العميل، لكن دعينا لا نركِّز على ذلك، علينا أن نستمتع بالوقتِ الذي نقضيه معًا، أخبريني بالمزيد عن "فريدا".

إن الصورةَ الوحيدةَ التي حملتها في محفظتي كانت لـ"فريدا"، لم أُرها لكثيرٍ من الناس، أريتها مرةً واحدةً لمالكةِ العقار في شارع "مورتون" وهي تحت تأثير جرعةِ كوكايين، ومرةً لـ"مايك فيرتيو" وكان ذلك في لحظةِ ضعفٍ انتابتني عندما علمتُ أن خالي "جاري" توفي، وحتى "مونيكا" لم ترَ صورةَ "فريدا" أبدًا، على الرغم من معرفتها بها، والآن "ديفيد" هو الرقيبُ رقم ثلاثة على سرِّي، بالكاد كانت النافذة البلاستيكيَّة في محفظتي تناسبُ حجم الصورةِ التي أخفيتها تحتَ رخصةِ قيادتي، قلت:

– عمر "فريدا" في هذه الصورة عامين تقريبًا، قاد خالي "جاري" السيارةَ طوال الطريق الى "كوبيو" ليطبعَ هذه الصورة بعيدًا عن "كافي" أو "أوتوكمبو" لأنَّ الناس هناك سيبدؤون في طرح الأسئلة لو رأوا صورتها.

– يا لها من مخلوقةٍ جميلة! لا بد وأن نذهب معًا إلى "ساريما" يومًا ما، بلغ عددُ حيوانات "الوَشَق" هناك حوالي ستمائةٍ بسبب عدد الغزلان في المنطقة.

فكرت في صورةِ "هيلينا" التي كانت في "ساريما"، الجمع بين "ديفيد" و "الوَشَق" في صورةٍ واحدة بدا رائعًا، بالطبعِ سأذهب معه، تابع "ديفيد":

– أنا أحب الجزر: "ساريما"، "أولاند"، "كورسيكا"، أيسلندا، أيرلندا.. جميعها جزرٌ في غايةِ الرَّوعة.

– من هذه القائمة زرتُ جزرَ "أولاند" بضعَ مرات فقط من أجل العمل، لدى "مونيكا فون هيرتزين"، ربَّة عملي قبل "أنيتا نيوتينين"، أصدقاءٌ هناك، إنَّ أستاذي في أكاديمية "كوينز" للأمن، "مايك فيرتيو" كان أيرلنديًّا من ناحية الأم، يمكنكَ أن تتعرف على قيمة ذلك، أقصد.. القيمة الإيجابيَّة.

فجأةً تجسد أمامي بشعرهِ الأحمرَ وعينيه الخضراوين، وقد بَهُت النمشُ على وجهه بفعل السنين، وبرغم أن "مايك" كان يتحدث الإنجليزية باللهجة

الأمريكية، فإنك تجده يعود بعد بضعِ كلمات إلى لهجته الأيرلنديَّة الأصليَّة، كنت أجد صعوبةً في فهمه، قال "ديفيد":

- أعدكِ بأخذكِ إلى "كورسيكا" بمجرَّدِ أن تسمح لنا جداول أعمالنا.

تحدث "ديفيد" الإنجليزية كي يردَّ على النادلةِ التي جاءت لترفع الأطباقَ وقال:

- شكرًا لكِ؛ الطعامُ لذيذٌ، هل ترغبين في تناولِ الحلوى؟

إن الحلوى التي أردتُها ليست في علبةِ المخبوزات أو في الفريزر، ومن ثم كانَ عَلَيَّ أن أكتفي بالآيس كريم، أغلق "ديفيد" هاتفَه ولم يكن لَدَيَّ بالطبع أدنى فكرةٍ عن رمز الأمان الخاص به، أردت أن أعرف من اتصل به وماذا كتب في رسالته النَّصِّية، شعرتُ أن مشروعي لجمع المعلومات عن "ديفيد" ينهارُ برمَّته، كل ما اكتشفته حتَّى الآن هو أن "ديفيد ستال" يتمتَّع بشبقٍ جنسيٍّ قويٍّ.

أقبل الناسُ من حمام الساونا في حالةٍ من الانتعاش إلى المطعم كي يقضوا السهرةَ، بدا الأمر وكأنهم يديرون نقاشًا حول سياسةِ الطاقة، وجادل رجلٌ بشعرٍ أحمرَ لامعَ يكاد يصل إلى مؤخِّرته بصوتٍ عالٍ قائلًا: "إن خطط المحطة النووية السابعة قد وُضعت بالفعل وأن اتحاد الالحزب الأخضر بات عميلًا رغم أنفه للحكومة المؤيدة للطاقة النووية"، أصرَّ آخرون على أنَّ هذا غيرُ صحيح، لم يكن لي أيُّ رأيٍ في مسألةِ الطاقة النووية، لكن خالي "جاري" عارضَها بشدَّةٍ.

انحنى "ديفيد" ليقبِّلني بطريقةٍ تشير إلى أنَّه ينبغي علينا أن نغادرَ، مشينا إلى الخارجِ حيثُ منصَّة الرقصِ الصيفيِّ التي بُنيت على الجُرف، وقفنا هناك ننظر إلى النجومِ في السماء، وبمجرَّد أن عدنا إلى الغرفة، خلعنا ملابسنا على الفور، وكدنا نسقُط من السرير، لم أعرف من أين بدأنا وأين انتهينا، حاولت جاهدةً أن أوجِّه تركيزي ثانيةً إلى التحقيقِ الذي أجريه فقلت وأنا ألهثُ:

- إلى أين أنت ذاهبٌ غدًا؟

– لا يمكنني إخبارِكِ الآن، العملاءُ لا يثقون بمن يثرثرون، أنتِ تعرفين ذلك، يا "هيلجا".

كان هذا كلُّ ما قاله "ديفيد"، إنه لا يتحدَّث وهو يمارس الحب معي حيث لا مجالَ للكلمات، بل التَّنهدات والتأوُّهات فقط، قبَّل "ديفيد" فمي ولم يترك شفتيَّ حتَّى بلغ ذروةَ النشوة، لم يسبق لي أن بكَيت في حياتي من فرطِ النشوة إلا عندما أندمج في مشاهدةِ فيلمٍ عاطفيٍّ، لكن الآن بوسعي أن أبكي وقد شعرتُ بشيءٍ من الإحراج، سألني "ديفيد" في وقتٍ لاحقٍ:

– هل يمكنني إخبارك بقصةٍ خرافية؟
– قصةٌ خرافية؟

– نعم، كان يا ما كان في قديمِ الزمان أميرٌ وأميرة، ولما كبرا لم يجبرهما الملكات والملوك على الزواج أو تقبيل الضفادع، كانت الأميرةُ جميلةً بالطبع، لكن الأمير ينقصه الكثير: فهو كبيرُ الحجم وأصلع، لكن لأنهما كانا أميرًا وأميرةً، فهذا يعني أنهما لبعضهما بعضًا، كان الأميرُ يعلم أن الأميرةَ قادرةٌ على قتل التنانينَ بمفردها، إلا أنه لا يزال يريد حمايتها؛ لأن هذا هو حالُ الأمراء.

نهض "ديفيد" وضمَّ رأسي بشدةٍ إلى صدره، تردَّدَت أصداءُ الضحكاتِ وغلقِ الأبواب من الردهةِ، وسمعنا أحدهم يتمنى لآخرَ ليلةً سعيدة، عندما رفع "ديفيد" رأسه لمواصلةِ قصته، وجدت خديه مبلَّلَينِ بالدموع، أكملَ قائلًا:

– كان على الأميرِ أن يخوضَ معاركه، مثلما يفعلُ كلُّ الأمراء دومًا، أنتِ تعرفين كيف يتعيَّنُ على الأمراء حلُّ ثلاثة ألغاز، والمرور بثلاث محاولاتٍ قاسيةٍ قبل أن يفوزوا بالأميرة، عرفَ هذا الأميرُ أنَّ الأميرةَ لن تنتظرَه على قمَّةِ الجبل الزجاجيِّ، إنها تستطيعُ أن تأتيَ وتنقذَه، كما تنقذُ بعضُ الأميراتِ أشقائهنَّ الذين تحوَّلوا إلى غربان بفِعلِ اللَّعنة، أو أصدقائهن الذين أصابتهم ملكاتُ الثلج

بسحرِهنَّ، لكن الآن.. لا بد لهذا الأميرِ أن يخوض معركَته بمفردِهِ، على الأقلِّ لفترةٍ من الوقت، ولكن هل يحتاج مساعدةَ الأميرة، وهل ستأتي؟

رغم أنني لا أدري على ماذا سأوافقُ فقد أجبته:

- نعم، ستأتي.

- سيتخلَّيانِ إذن عن كلِّ شيءٍ، ويخلعان تيجانهما، ويذهبان إلى جزيرةٍ نائيةٍ معزولةٍ، أو إلى قريةٍ جبليَّةٍ في "كورسيكا" حيث لا داعيَ لأن يكونا أميرًا وأميرة؛ وينسيان ضغوطَ العرشِ ويعيشان في هناء، هذه نهاية القصصِ الخرافيَّة.

وقعتُ في حالةٍ تشبه الحلمَ وأنا أشعرُ بدفء "ديفيد" ورائحتِه يغمرانني، استيقظتُ كي أذهب إلى الحمَّام وأنظِّف أسناني، كان الجوُّ هادئًا، لا شيءَ سوى حفيف أشجار في مهبِّ الريح، تساءلت عما إذا كان ينبغي أن أعطي "ديفيد" رقم هاتفي الحقيقي، لقد أطلعته على صورة "فريدا"؛ فما الضررُ في إعطائه رقمي؟

بدأ الناس يتحركون في المبنى حوالي السابعة صباحًا، واستيقظتُ قبل "ديفيد"، رأيتُ ملامحَ وجهه مسترخيةً، مثل وجه صبِيٍّ صغير، أستطيع أن أتخيَّلَ بسهولةٍ كيف كان يبدو في المدرسةِ الابتدائيَّة، وهو يُبحر، وهو يلعبُ كرةَ القدم في "تميساري"، لا يزالُ لديَّ بعضَ الوقتِ لتفتيشِ أغراضَ "ديفيد"، أخبرَني أنَّه يجب أن يرحلَ في التاسعة، لكنني لم أره يضبط المنبَّهَ، عندما جلست على السرير بهدوءٍ قدر الإمكان، فتح "ديفيد" عينيه وابتسمَ لي وقال:

- "هيلجا"، كنت أخشى أن يكون هذا حلمًا.

لم أكن قد اكتفيت منه بعد؛ كان علينا أن نمارس الحب مرةً أخرى، هل سأكتفي منه؟ وبرغم أننا مارسنا الحب هذه المرة بسرعةٍ وبشيءٍ من الحزن، فقد ظلَّ حقيقيًّا، ذهبنا لتناول الإفطارَ معًا، وكان المطعمُ خاليًا بالفعل، أخبرتنا

صاحبةُ النُزُل أن مجموعةَ الالحزب الأخضر خرجت إلى منصةِ الرقص لإلقاء محاضرتها لأن الجوَّ دافئٌ بالخارج، كانت الشمس حامية كما لو كنا في ذروة الصيف، على الرغم من أن الوقت قد حان تقريبًا للاعتدال الخريفي، لم أتفاجأ من جنونِ تقلُّبات الفصول، فها هو عالمي أيضًا ينقلبُ ويهتزُّ من الصَّميم.

دفع "ديفيد" الفاتورةَ وطلب مني الاحتفاظَ بغرفته إذا أردت البقاء لبعضِ الوقت، لكنني ذهبت لأخذ أغراضي قبل أن أمشيَ معه إلى سيارته، كنت على وشكِ أن أقبِّله قبلةَ الوداع عندما رأيت "هيلينا" مع امرأتين في طريقهن إلى ساحة انتظار السيارات؛ لإحضار كومةٍ من الأوراق من سيارة "أوللا"، لم يرحبن بي، لكنني لم آخذ قبلةَ الوداع بسببهن، عانقني "ديفيد" بسرعةٍ، وركب سيارتَه، ورحل.

بينما بدأت "أوللا" وامرأةٌ أخرى في نقل الملفَّات نحو منصةِ الرقص الصيفي، بقيت "هيلينا" في الخلفِ وقالت:

– هل هذا هو صديقك الغامض الذي لستِ متأكِّدة إلى أيِّ مدى هو جديرٌ بثقتكِ؟

– نعم، هو.

– هل كان في أكاديميَّة الأمن في نيويورك أيضًا؟

– لا، لقد تعرفت عليه للتوِّ.

– الغريب أنه لم يتعرف عَلَيَّ، لقد تحدثتُ معه العام الماضي بسبب هذا المقال الذي كنتُ أكتبه، التقينا في "سانت بطرسبرج" بعدما جمعني به محققٌ أعرفه من شرطة الأمن، مؤكدٌ أنكِ تعرفين أن "ديفيد ستال" يعمل في وكالة "اليوروبول" لتطبيقِ القانون في أوروبا، فهو متخصِّصٌ في شؤون العلاقات بين الاتحاد الأوروبي وروسيا.

15

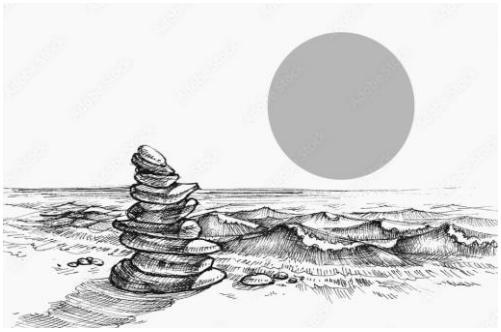

جعلت "هيلينا" تكرِّرُ لي قصتها مع "ديفيد" ثلاثَ مرات، أخبرتني أنها قابلته في "سانت بطرسبرج" وأنه يتمتَّع بخبرةٍ واسعةٍ في مجال الطاقة، وفي وقتٍ سابقٍ أجرى تحقيقاتٍ بشأن نفط السوق السوداء، وكيف تنتج الكهرباء من الطاقة النووية وتباع دون إيصالاتٍ ورقية، ومن بعدها حوَّل نشاطَه إلى مشروعِ خطِّ أنابيب الغاز الجديد "نورد ستريم" في خليج فنلندا، وقد أُعتبرت مهمته سريَّة للغاية، وكان على "هيلينا" أن تمر بعدَّةِ قنواتٍ كي تلتقي به في نهاية الأمر، ورغم أنها سياسية فنلندية، فإن "ستال" لم يثق بها على الفور، ندمت "هيلينا" لأنها أخبرتني بكل هذه التفاصيل؛ لأنها افترضت أنني أعرف ما يقوم به "ستال".

لحسن الحظ، جاء شخصٌ للتحدُّثِ معها، ووجدتُ بعضَ الوقت لأجد تفسيرًا لما سمعته، ما هذا الذي تخيلته بخصوص عالمي الذي ينقلب ويهتز من الصميم؟ الآن جرفت أمواج "تسونامي" كل ما تخيلته، ولم تترك وراءها سوى الرمالِ الناعمة، لم يعمل "ديفيد ستال" لصالح "باسكفيتش"؛ بل إنه في صفِّي.

ركضت إلى الشاطئ، وخلعت كلَّ ملابسي، وسبحت في الماء البارد، أريد أن أشعر أن جسدي عاد ينفِّذ أوامري مجدَّدًا، في الأربع والعشرين ساعةً الماضية، شعر جسدي بأنَّه محبوبٌ جدًا والآن تحولَ شعوره ليصبحَ امتنانًا، ارتديتُ ملابسي مرةً أخرى وسرت إلى النُزُل بخفةٍ ونشاط، أدَّيت بعض تمارين تقويةِ العضلاتِ، وتسلَّى أعضاء الحزب الأخضر بمشاهدتي وهم يهرولون لتناول الغداء، استخدمت الدش الذي بغرفة "أوللا" و"هيلينا"، لكن القميص الجاف الوحيد الذي تبقى هو ذاك الأسودَ اللامع من الليلة السابقة، والذي لا يزالُ يحمل رائحة "ديفيد"، "ديفيد" الذي لم يَبِعْ روحه لـ"باسكفيتش"، تجدَّدَت طاقتي، وأخذت على عجلٍ شطيرتين من بُوفِيه الغداء، وركبت الدراجة إلى كابينتي كي أحضر خَزْنةَ "أنيتا" التي استطعت أن أحشرها في حقيبتي ثم غادرتُ دون أن أتلفت حولي.

ستُختتم الندوةُ في الثانيةِ ظهرًا، وسيحين وقت العودة إلى "كيركونومي"، وجدت كلماتٍ من أغنيةٍ للملحن "إيسمو ألانكو" تتردَّدُ في عقلي: "أنا مفعمٌ بالحياة بشكلٍ وقح I'm rudely full of life" وشعرت أن لا شيءَ يمكنه إيقافي، وضعتُ درَّاجتي في مخبئها المعتاد بالمستودع، ووقفت على جانب الطريق أنتظرُ أن تقلني "أوللا" و"هيلينا"، وجدتُ شخصَين آخرين يجلسان بالمقعدِ الخلفيِّ هذه المرَّة فأصبحتُ الثالثة، لذلك حشرت نفسي بجوارِهما، كانت السيارةُ صغيرةً وموفرةً للطاقة – سيارة الحزب الأخضر حقيقةً – عندما وصلت إلى "كيركونومي" شعرت بشدٍّ عضليٍّ في ساقي، وحتَّى هذا لم يحبطني، بسطت ساقي لبضعِ دقائقَ، ثم بدأتُ في تنظيمِ رفِّ كتب "هيلينا"، لطالما أحببت تنظيمَ الكتبِ أبجديًّا، رغم أنني لم أمتلك أكثرَ من عشرين كتابًا، كشفت تشكيلةُ كتبها الكثيرَ عن شخصيَّتها، أما الذوق الموسيقي فيمكنني على الأقلِّ إخفاؤه داخل مشغل "الإم بي 3".

ذهبتُ أنا و"هيلينا" إلى الفراش مُبكِّرًا، فكرتُ في إرسالِ رسالةٍ نصِّيَّة لـ"ديفيد" إلا أنني غيَّرتُ رأيي؛ فهو لم يحصل على رقم هاتفي الجديد بعد، وكنت مقتنعةً تمامًا

بأنَّ رجلَ "اليوروبول" يمكنه العثور على رقمي لو أراد ذلك، حاولت تهدئةَ نفسي قليلًا بعدما ظل جسدي يتذكر كلَّ لمساته، ورغب في المزيد، إلى ما لا نهاية، وحلمت أنني تزاوجت مع "وشق"، ورأيته يعضُّ رقبتي وكان قضيبه السِنَّوريّ شائك.

ظلَّت حافلة الصباح تتعرَّج عبر طريق "هانكو" المزدحم وشوارع محليَّة أصغر، اطَّلعت "هيلينا" على مذكرةٍ حول التغييرات التي ستُجرى على تشريعاتِ مياه الصَّرف الصحيِّ؛ فعلى نائب الشعب أن يعمل لقاءَ راتبه، وكثيرًا ما سمعت "أنيتا" تسخر من السياسيين وتقول إنه لشيءٌ طيب أن يحصلوا على رواتب متدنِّية للغاية؛ حتَّى يصبح التأثير عليهم أسهل، وهذا التأثير ربَّما يأخذ شكل تمويلِ حملاتهم، قدَّمت "أنيتا" الدعمَ لنوَّاب "كيمي" وهي المنطقة التي تقع فيها "كوتكا"، بغض النظر عن ميولهم السياسية، بمعنى آخر.. قدَّمت الدعم لمرشحين من الأحزاب الثلاثة الرئيسيَّة.

تركتُ "هيلينا" في الحافلة، ونزلت في "هاناساري" ومشيت على طول الشاطئ إلى "ليهتساري"، لطالما ركضتُ على هذه الدروب المألوفة حول "كيلالاهتي" من قبل، أيًّا كانت ملابسي التي ما زالت بمنزل "أنيتا" فهي بالية وسأتخلَّصُ منها، فقد وفَّرت لي "أنيتا" الملاءات، بعد حصولي على الوظيفة لديها كان الشيءُ الشخصيُّ الوحيد الذي أحضرته معي إلى جانب ملابسي، هو قصاصةٌ من مجلةٍ تحمل صورة "وَشَق" علَّقتها فوق سريري، رأيتُ أنَّه ينبغي أن تعرف "أنيتا" مدى أهميّة "الوَشَق" بالنسبةِ لي، ولكن فيما بعد أدركتُ أنها لم تذهب إلى غرفتي ولم ترَ الصورةَ أبدًا، ولأنَّ التحقيق في جريمةِ قتلها أُغلق قبل أن يبدأ فعليًّا في فنلندا، لم تفتش الشرطةُ مطلقًا منزلها.

كانت "أنيتا" تعيش في شقَّةٍ بأحد المنازل حيث استأجر سكَّانه بُستاني، رأيته يجرف الآن باكورةَ الأوراق الَّتي تساقطت في حديقةِ المنزل، عندما تعرف عَلَيَّ..

اقترب مِنِّي ورمقني بنظرةٍ ساخرةٍ ليغيظني، ضغطت بسرعةٍ على جرس الباب كي أفلتَ منه، لا بد وراءه بعض الثرثرة المفرطة التي تدور حول شخصيتي.

لا بد أن "سيسيليا نيوتينين كيكي" كانت تنتظرني؛ نظرًا للسرعة التي فتحت بها الباب بعد دقِّ الجرس، لم تشبه والدتها كثيرًا؛ كانت نحيفةً للغاية، وصغيرة الحجم بشكلٍ عام، بدا شعرُها الأسود مصبوغًا على الأرجح مما كشف عن مدى شحوبها، كانت "سيسيليا" في الثلاثين من عمرها، أيْ أصغر مني بسنتين غير أنَّ وجهها منقوشٌ بالتجاعيد العميقة، وهي حاصلةٌ على ماجستير في الاقتصاد والأعمال، وعملت في شركة وساطةٍ دوليَّة نسيت اسمها، قالت:

- تفضَّلي بالدخول.

كانت الشقة مألوفةً وغير مألوفةٍ في آنٍ واحد، تعرفت على معظم الأثاث، بما في ذلك الأريكةِ الجلديَّة الضخمة، والكراسي التي اشترتهم "أنيتا" من "ميلانو" واللَّوحتين الفنِّيَّتينِ، وأطلقت عليهما "لوحاتٌ استثمارية"؛ كان من المفترض أن تبيعَهما فيما بعد بهدف الربح، وفي الوقت نفسه كانتا رائعتين على الحائط، رأيت جهاز كمبيوتر محمولٍ، وحقيبةَ ملفاتٍ مفتوحة على الطاولة الزجاجية في غرفة المعيشة، وتقوم الطابعة اللاسِلْكِيَّة بقذف الورق في منتصف الأرضية، لو رأت "أنيتا" كيف دمَّرت الطابعةُ تناسقَ الغرفة لغضبت.

بالرغم من أن "سيسيليا" قد لا تبدو مثل "أنيتا"، فإن حركتها تشبه أمها، فقد رأيتها تسيرُ بخطًى واسعةٍ تنمُّ عن عزمٍ، ولكنها متشنِّجة بشكلٍ غريب، لقد رأيت "أنيتا" وهي ترقص مرةً واحدة، ولاحظت أنها لا تتمتَّع بأيِّ نوعٍ من الإحساس بالإيقاعِ على الإطلاق، ولم تكن تستمع إلى الموسيقى إلا إذا اضطُرَّت إلى ذلك، رافقتها ذات مرةٍ مع عميلٍ روسيٍّ إلى الأوبرا، بينما ظلَّ الروسيُّ يضحك ويغني وهو يشاهد أوبرا "زواج فيجارو"، عانت "أنيتا" حَتمًا وهي تشاهدها، وصفَّقت في النهاية حتَّى

لا تهين رفيقها فقط، لكن معاناتها ذاك المساء أثمرَت، فقد باعت "أنيتا" للعميل منزلًا بجزيرة "تايبالساري"، حطَّم الرقمَ القياسيَّ لأعلى سعرٍ بالبلديَّة.

لم تكن "سيسيليا" متأكدةً من أين تبدأ حديثها، طلبَت مني في النهاية أن أخبرها ثانيةً عن سبب استقالتي؛ فهي ما زالت لا تصدِّق قصَّتي، عندما رنَّ الهاتف وردَّت دون أن تستأذنَ منِّي ذهبتُ إلى غرفتي القديمة، كانت عاملة التنظيف قد أزالت ملاءات السرير، ورتَّبت أشيائي ووضعَتها عند قدميه، لم أجد أيَّ أثرٍ لقصاصة "الوَشَق"، كما وجدتُ سلَّةَ المهملات فارغةً أيضًا؛ فرميت بها ملابسي الداخليَّة، كانت بيجاماتي من بقايا الشتاء السابق وثقيلة، ولا تصلحُ لأن أرتديها الآن، هناك ثقبٌ عند إبط أحد القمصان، ولكن يمكنني إصلاحه.

ظهرت "سيسيليا" عند الباب وقالت:

- أين ذهبتِ؟ اضطررتُ أن أردَّ على تلكَ المكالمة، هناك أزمةٌ ماليَّةٌ تحدث في الولايات المتَّحدة، وتؤثِّرُ على الجميع، حتَّى علينا نحن هنا، عزائي أنَّ أمي ليست مضطرةً لأن تشاهد قيمة استثماراتها وهي تنهار.

قلت:

- هل سترثين أصولها؟

- لا أعرف حتَّى الآن، هل تعرفين أنتِ أيَّ شيءٍ؟ كتبت أمي وصيَّةً؛ أنتِ تعرفين توجهاتها نحو المالِ على وجهِ الخصوص، يا إلهي، ليس لديَّ الوقت حقًا لتنظيم هذه الجنازة، لكنها ستقامُ في كنيسة "تيمبليوكيو" بعد ظهر يوم الجمعة، فهذا هو الوقتُ الوحيد المتاح، سيُنشر نعيُها في الصحف غدًا، وسيقام حفلُ التأبين هنا بالمنزل؛ لأنَّ به متسعٌ كبيرٌ لهذه المناسبة، سيكون هناك بالطبع متعهدٌ لتولِّي أمر الطعام والضيافة، لكن ليس لَدَيَّ أيُّ فكرةٍ عن عدد الأشخاص الذين سيحضرون، ستأتين، أليس كذلك؟

سألتني بطريقةٍ أشبه بالأمر أكثرَ منها طلب، قلت:

- إذا كنتُ محلَّ ترحيبٍ.

فكرت في "لايتيو"، ففي الكتب والأفلام، عندما يُقتل شخصٌ فإن الشرطة دائمًا ما تحضر جنازته، لكن هذه هي الحياة الواقعية، علَّمتني أكاديميةُ الأمن أنَّ الواقعَ أكثر رعبًا من أيِّ شيءٍ يُمكن أن يتخيلَه أيُّ قَصَّاص؛ فالواقع يتسلَّلُ إليك مرارًا وتكرارًا حاملًا مفاجآتٍ غير سارَّة. أشرتُ إلى الملابس التي لم أحزمها بعد وقلت:

- بالمناسبة، هذه ملابسي.

- هذا ما اعتقدته أنا و "فيليسيا "؛ فهي ليست في مقاس أمي.

"فيليسيا" هي عاملةُ التنظيف عند "أنيتا"، وهي عروسٌ طُلبَت بالبريد الإلكتروني من الفلبِّين، وعندما سئمَت من البقاء في ريف "كيسالاهتي" لا تجد ما تفعله، طلَّقت زوجها وانتقلت إلى "هلسنكي" لتجد عملًا، فهناك ستجد على الأقل فلبينيِّين آخرين يمكنها التحدث معهم بلغتها الأم، وحسب نظرةِ "أنيتا" للعالم، اعتبرت "فيليسيا" من فئةٍ أدنى منها، وبذلت "أنيتا" قصارى جهدها لمنعنا من أن نصبح أصدقاءً، أعتقد أنها خشيت أن نتَّحد ضدَّها، كنت بحاجةٍ لأن أُدردِش مع "فيليسيا"؛ فهي تعمل لدى "أنيتا" منذ ثلاث سنواتٍ، أيْ عاصرت علاقة "أنيتا" و"فالنتين باسكفيتش" الغراميَّة، سألتها:

- هل تعرفين من كان يديرُ أموالَ والدتك؟ على حدِّ علمي، كان لديها صندوقُ ودائعَ، لكنني لم أعرف في أيِّ بنك.

وزَّعت "أنيتا" أموالها على عددٍ من البنوك لدرجةِ أن الخيارات كانت كثيرةً للغاية، وها هي خَزْنتها تُثقِل حقيبتي، لكنني لم أرغب في إخبار "سيسيليا" عنها حتَّى الآن، قالت "سيسيليا":

– استخدمتُ مكتب محاماة "ميكالسيون وإيناسويا"، وكان "جون ميكالسيون" مسؤولًا عن شؤونها الشخصيَّة، تحدثتُ معه بالفعل وأخبَرَني أنَّ وصيتها لديهم بالمكتب، ويبدو أنَّه مرفقٌ بها قائمة ضخمة من الممتلكات.

تركت "سيسيليا" وجهها يسترخي للحظةٍ، لكن التعبير الذي رُسم عليه أبعد ما يكون عن اعتباره ابتسامةً، أكملَت قائلة:

– حدَّدنا يوم السبت لقراءةِ الوصية، اليوم التالي للجنازة مباشرةً؛ فأنا بحاجة إلى العودة إلى "هونج كونج" بأسرع ما يمكن.

استنتجت أن "ميكالسيون" يعرف بأمر صندوق الأمانات، ولكن سيُعتبر الأمر تسرُّعًا مني أن أذكره قبل فتحِ الوصيَّة وقراءتها، ربما الآن هو أنسب وقتٍ لإظهار ما في حقيبتي لـ"سيسيليا"، لكنني قرَّرتُ ألا أفعل، عدنا إلى غرفةِ المعيشة حيث ما زالت الطابعةُ تقذفُ بالأوراقِ، وأمامها كومةُ أوراقٍ يبلغُ سمكُها بوصةً واحدة، امتلأت بأرقامٍ لا معنى لها بالنسبة لي. قالت "سيسيليا":

– لم ترِد أمي أن أقترب من مواردها الماليَّة، رغم أنني مستشارة استثماريَّة، إنه لشيءٌ محبطٌ أن أنتظر هنا مكتوفةَ اليدين، وأنا أعرف أن قيمة ممتلكاتها قد تنخفض بشكلٍ خطير في حال انهيار البورصة.

– هل تخشين أن يذهب ميراثك مع الريح في غمضةِ عينٍ؟

فوجئت "سيسيليا" بنبرةِ صوتي فقالت:

– يا إلهي، إن كلامك لاذعٌ، فأنا حتَّى لا أدري ما إذا كانت قد تركت لي أيَّ ميراثٍ أم لا، من يدري.. فقد يكون هذا المنزل مملوكًا بالفعل لأحد البنوك، كلُّ شيءٍ فيه وصولًا إلى مقابض الأبواب، كانت أمي تخاطر دائمًا، وها هي النتيجة، بالمناسبة.. هناك سيدةٌ من السياسيين الفنلنديين قالت إنَّها لا تصدق قصةَ

ميليشيا موسكو عن الرجلِ المُتشرِّدِ الذي قتل أمي، كما تعلمين، لا أتابع السياسةَ الفنلندية متابعةً كافيةً؛ ولذا لا أتذكر اسمها، أعتقد أنها كانت في حزب التحالف.

- إنها "هيلينا ليموسفو"، من الحزب الأخضر، ربَّةُ عملي الحالية.

رفعت "سيسيليا" حاجبيها بسرعةٍ كبيرةٍ؛ حتَّى أنَّني ظننتُ أنهما سيضيعان إلى الأبد في مُقدِّمةِ شعرِ رأسها، ثم قالت:

- حسنًا، أنتِ لم تُضعي وقتكِ إذن! لديكِ بالفعلِ ربَّةُ عملٍ جديدة؟

تنهَّدَت "سيسيليا" ثم قالت:

- أيًّا كان، اسمحي لي أن أسألكِ سؤالًا، من قتل أمي، في رأيكِ؟

كي أتجنَّب الإجابة عن السؤال قلت:

- حسنًا، لقد عثروا على ذلك المُتشرِّد المخمور.

- حتَّى الشرطة الفنلندية لا تصدِّق ذلك! لقد تحدثتُ مع رئيس الشرطة "لا.." ما اسمه؟ شيءٌ مثل "لايهو"؟

- "لايتيو".

- نعم، "لايتيو"، إنه مُصِرٌ على أنَّ الميليشيا في موسكو تلقَّت رشوةً كي تُغلق القضية، لكنَّ الشرطة الفنلندية وقفت مكتوفةَ اليدين. لأن هؤلاء الذين بقمَّةِ الهرم، والمسؤولون عن السلسلة الغذائيَّة بالحكومة، لا يريدون العبَث بتوازن القارب، وذلك بالنَّظرِ إلى الفتور الذي يسود علاقتنا بروسيا، وأنا في "هونج كونج"، ظننتُ أننا لم نتوقف عن التعامل مع الشرق أخيرًا؛ لأننا دولة تتمتَّع بعضويةِ الاتحاد الأوروبي وبكلِّ شيءٍ آخر، أشعر بالخجل لأنني فنلندية! أنا أعرف أن لـ"فالنتين" أصدقاء من السياسيين الذين تموِّلهم نخبةُ "الأولجاركية" الأثرياء، لكن ما لا أصدقه أن يُترك العنان لمثل هذه الفوضى الوضيعة في روسيا إلى هذا الحد، والمفترض، بحسب "بوتين"، أنه يبذل قصارى جهده لبناء دولةٍ حديثة، قد أتفهم الأمر نوعًا ما لو أن الضحية كانت مواطنًا روسيًّا، لأنني ظننتُ أنهم ما زالوا يهتمُّون بالأجانب الذين

يُقتَلون في بلادهم، أعلم أنَّه عالمُ صراعاتٍ مريرةٍ يأكل فيه القويُّ الضعيفَ، ولكن لماذا بحقِّ السماءِ لدينا شرطةٌ ونظامُ عدالةٍ إذا كانا بلا جدوى؟

سحبت "سيسيليا" صندوقًا فضيًّا صغيرًا من جيبها وفتحته ووضعت قطعةً من العلكة في فمها ثم قالت:

– لقد أقلعتُ عن التدخين منذ عام، لكنني وجدتُ نفسي أشتهي السجائرَ مرةً أخرى منذ وفاة أمي، شكرًا لك يا ربي على علكة النيكوتين.

رن هاتف "سيسيليا" مرةً أخرى، يبدو أنه صديقٌ أو أحدُ أقارب "أنيتا" يسأل عن الجنازة، انتظرتها حتَّى تنتهي، كلما طالت مدةُ المكالمة، اتضح لي أكثر أنها لا تريد أن تسرع في إنهائها من أجلي، فأنا من تسبَّبَ بشكلٍ غير مباشرٍ في وفاة أمها، لم يكن بوسعي تفتيش أغراض "أنيتا" مع بقاء "سيسيليا" واقفةً هنا، كما أنها طلبت مني إعادة مجموعة مفاتيح المنزل التي أحتفظ بها.

سأختصر وصف حديثي مع "سيسيليا" في كلمةٍ واحدة: "مخيِّبٌ للآمال"، كانت "سيسيليا" قد رحلت من فنلندا وعاشت بالخارج فترةً طويلة، وظلت لا تدري شيئًا عن أعمال والدتها، لقد تحدثتا عبر "السكايب" وتبادلتا رسائل البريد الإلكتروني، لكن "أنيتا" لم تكشف لابنتها عن طبيعةِ أعمالها، وحسبما ترى "سيسيليا"، فإن الأحمقَ فقط هو من يتحدث في هذه الأمور عبر وسائل اتِّصال غير آمنة، قالت:

– لكن ينبغي أن أخبركِ بأن أمي قد أذلَّت "فالنتين" إذلالًا شديدًا، وهو ليس بالشخص الذي يسمح بأن يمرَّ ذلك دون انتقام، وعلى أيِّ حالٍ تُعتبر ممتلكاته العقارية مجرَّد جزءٍ صغير من إمبراطوريته، ومن المؤكد أنه سيعتبر فقده لملايين الروبلات تهديدًا لمصالحه، حدث أن تعرفت بالصُّدفة على أحد المصرفيِّين الذين يعملون لحساب "فالنتين"، وقال لي إنه إذا أخطأ في يومٍ من الأيام في حسابات "فالنتين"، فإنه يُفضِّل أن يقتلَ نفسه قبل أن يقع في أيدي رجاله.

قالت "سيسيليا" ذلك كأنَّه حقيقةٌ من حقائق الحياة، تُعتبر أكاديمية الأمن في "كوينز" مدرسةً دولية، لذلك تعلمنا فيها كيفيَّةَ التعامل مع التهديدات الأمنية في مختلف البلدان: الروس، المافيا، "مافيا كامورا" في "نابولي"، أباطرَة المخدرات الكولومبيين، وكم كنت ساذجةً عندما ظننت أنهم لن يتسلَّلوا إلى فنلندا أبدًا، قالت "سيسيليا":

– شيءٌ محزنٌ أنكِ حصلتِ على وظيفةٍ بالفعل؛ لأنني أردت توظيفكِ للعمل في قضية قتل أمي.

– لكنني أحمي الناس فقط، أنا لستُ مخبرًا خاصًّا، إلى جانب ذلك، أعتقد أنك تلومينني على موتِها.

– أوه، نعم، ألومكِ.

الآن رأيت ابتسامةً تتشكَّل وترتسم على وجه "سيسيليا"، أكملت قائلة:

– لهذا السبب أظنُّ أنك ستمنحينني خصمًا، ربما يجب أن أتفاوض مع السيدة "ليموسفو" هذه، فأنا أستطيعُ بالتأكيد أن أدفعَ لكِ أكثر منها، كما أنني أدفع ضرائبي في "هونج كونج"، أو بالأحرى.. أنا لا أدفع لهؤلاء.

ذكّرتني النظرةُ التي في عينَي "سيسيليا" بنظرةِ "أنيتا" عندما ظلَّت تمسِّد معطف "الوَشَق" في متجر الفراء، فشعرت برغبةٍ شديدةٍ في أن أترك "سيسيليا" وأغادر على الفور، لكن ينبغي أولًا أن أكتشف علامَ يحتوي صندوق أمانات "أنيتا" وما علاقة "ديفيد ستال" بكلِّ هذا، أجبتها في إطار التفاوض:

– يمكننا التفاوض مع "هيلينا"، فهي وظَّفتني لإنشاء وتثبيتِ نظامًا أمنيًّا خاصًّا بها، وهذا ما أفعله الآن، وتمكنت من القضاء على أبرز تهديدٍ لها.

ابتسمتُ عندما تذكرت "تيكو ألتونين"، وعدتُ "سيسيليا" أن أكون في الجنازة يوم الجمعة أثناء حضور "هيلينا" اجتماع الحزب، ذهبتُ إلى الشقة

الواقعة على طريق "أونتامو" كي أتحوَّل إلى "ريسكا"، وفي طريقي إلى هناك مررت بشقةِ السيدة "فوتيلاينن" وضربتُ الجرس لكنها لم تجب، ووجدت رفيقتَي السكن بالخارج، كما وجدت مغلَّفَين بالبريد: بطاقة اقتراعٍ للانتخابات المقبلة وإعلانٌ عن سيارة، يالها من أشياءٍ مثيرةً للاهتمام حقًّا!

سار كل شيء بسلاسةٍ حتَّى يوم الثلاثاء، انتهيت من تقمُّص شخصية "ريسكا"، لم تتلقَّ "هيلينا" أيَّ مكالماتٍ أو رسائلَ تهديدٍ، ورغم أنني لم أخبرها بعرضِ "سيسيليا"، إلا أنَّني بدأتُ أشعر بأنني أضيِّع وقتي في العمل هناك، جاء يوم الثلاثاء بحادثٍ جعل فنلندا تغلي، وهو أن مسلحًا قتل تسعةَ طلابٍ وموظفًا كان يعمل عضوًا في كليةٍ تقنيَّة في "كاوهايوكي"؛ ولذلك ظلَّت "هيلينا" تحضر اجتماعاتٍ طارئةٍ لعدة أيامٍ، بينما ظللتُ أتسكَّع في مكتبها بملحقِ مبنى البرلمان، وقد تدبَّرتُ أمر حصولي على بطاقةٍ مؤقتةٍ لفتح الأبواب، كم عارض خالي "جاري" إنفاقَ أموال الشعب على مكاتبَ فاخرة، وعلى شراء المساحات السكنيَّة، لكن عندما رأيتُ أكوام الأوراق في مكتب "هيلينا" الصغير، أدركتُ سبب حاجتها لمساحةٍ أكبر.

ونحن في السيارة في طريقنا إلى المنزل مساءَ يوم الخميس، ومعنا رفيقتها في السكن وزميلٌ آخر، أدارت "هيلينا" رأسها نحوي من المقعد الأمامي وسألتني:

- هل سبق لكِ أن امتلكتِ سلاحًا؟ لقد أمضينا اليوم كلَّه في مناقشةِ ما ينبغي اتخاذه من إجراءاتٍ بشأن قوانين السلاح.

كان زميلها يقود سيارته فوق الحدِّ الأقصى للسرعة، على الأرجح يعتقدون أن قوانين السير لا تنطبق على السياسيين، أجبتها:

- نعم، ومرخَّص.

- أين تحتفظين به؟

- في حقيبةٍ مغلقة، ومفرَّغ من خرطوش الرصاص تمامًا كما ينصُّ القانون.

ما قلته يعتبر جزئيًّا مجرَّد كذبة؛ فقد تركت مسدسي في منزل "هيلينا" في صندوقٍ مغلقٍ، ووضعت الرصاص كذلك في صندوقٍ آخرَ مغلق أيضًا، كان لَدَيَّ صوان سلاحٍ في كابينتي وصوانٌ مماثلٌ في شقة طريق "أونتامو"؛ والصوانُ يشبه الخَزْنةَ التي تثبَّت على الحائط، ولكن يمكن لأيِّ لصٍّ متمكن أن يفتحها عنوةً، ومن المؤسف أنني كنت غالبًا أنسى المسدس في حقيبةِ ظهري أو في الجراب، وعندما يحدث ذلك لا أرفع عينَيَّ عنه، بدأ زميل "هيلينا" في استطلاع رأيي حول قانون السلاح، لكن لم يكن لَدَيَّ ما أقوله، فبعض الناس يحتاجون إلى أسلحةٍ من أجل وظائفهم، هكذا تسير الأمور، ويُعتبر المسدس مجرد تدبيرٍ أمنيٍّ إضافيٍّ لا أكثر؛ فأنا لا أرغب بالطبع في اللجوء إلى استخدامه، لكن إذا اضطررتُ إلى ذلك، سأفعل.

قبل مغادرتي لحضور جنازة "أنيتا" يوم الجمعة وضعت مسدسي في جرابه تحت إبطي، ووضعت مقطعين كاملين من مُشط الخَرطوشة في حقيبتي، وبالخارج وجدت الأوراقَ الصفراء على الأشجار تتناقضُ تناقضًا حادًّا مع السماء الزرقاء الصافية، حتَّى المحيط يتلألأُ بلونٍ أزرقَ هادئ؛ وكان شبه متموِّج، مشيت مع "هيلينا" إلى مبنى البرلمان ثم توجهتُ إلى الكنيسة القريبة، وعند درجات السلم تردَّدْتُ وسألت نفسي: "ماذا أفعل في جنازة "أنيتا"؟ هل دفعني شيءٌ من الإكراه الغريب كي أعاقبَ نفسي بالحضور؟".

وجدتُ كلمات "مايك فيرتيو" يتردَّدُ صداها في عقلي، وترفض أن تتلاشى: "كلُّ واحدٍ منكم سيرتكب أخطاءً عبر حياته المهنية، وستبلغ درجةَ سوء التقدير الجسيم، قد يضطر الكثيرُ منكم إلى خرق القوانين، لكن من فضلكم.. حاولوا على الأقلِّ اتِّباع قوانين أيِّ بلدٍ تكونون به، عندما ترتكب خطأً لا يمكن التراجع عنه، ربما تندم، وتعالجه، لكن لا تشرع في الجدال، ينبغي أن تكون مستعدًّا لتحليلِ أسباب ارتكابكَ لهذا الخطأ، وبعد ذلك استمر قدمًا، ثم حاول ألا ترتكب الخطأ نفسه مرةً أخرى، لا تخف من الفشل؛ فالخوف سوف يشلُّ حركتك فحسب".

لم أستطع تفادي الدخول إلى الكنيسة، رغم أنني لا أريد سماعَ قرقرة موسيقى آلة الأرغن الرتيبة تحديدًا، والتي كرهتها دومًا؛ لأنها مجرَّد مزيجٍ من الأصوات يخلو تمامًا من أيِّ تناغمٍ، ولو حدث وسمعت لحنًا واضحًا، لوجدته مأخوذًا حتمًا من ترنيمةٍ للترهيب، تحمل رسالةً مفادها أن الإنسان خاطئ، ومجرَّد بيدقٍ بائسٍ في يد الشيطان، ودودةٌ وضيعةٌ مهيَّئةٌ للعودة إلى التراب.

اتَّصل بي القسُّ المحلي في نيويورك؛ ليسألني عن الترانيم التي ينبغي أن تُغنى في جنازة خالي "جاري"، لكن الترانيم الوحيدة التي تذكرتها هي "سوفيفيرسي"، أيْ ترنيمة الصيف التي كنَّا نغنِّيها للاحتفاءِ بحلول الصَّيف، وبعضًا من تراتيل عيد الميلاد، لعلِّي أتمكن من إيجاد شخصٍ ما في نيويورك لديه كتابُ ترانيمٍ فنلندية، لكنني لم أكلِّف نفسي عناءَ البحث، لذلك قلت للقسِّ أن يختار الترانيمَ التي يراها مناسبةً، ولا أتذكَّر ما اختاره؛ لم أتذكر حتَّى ماذا قال القسُّ في الجنازة، لم يكن خالي "جاري" رجلًا متدينًا بالمرَّة، وظلَّ عضوًا في الكنيسة فقط من باب الاحترام لوالديه.

بعد جنازة خالي وحفل التأبين جلستُ وحدي في منزلنا في "هيفونبرسينساري"، وشربت زجاجةً كاملةً تقريبًا من الويسكي الأمريكي، اشتريتها من السوق الحرَّة في طريقي إلى فنلندا، واستمعت إلى أغنية "ما زلت أتذكر صيفنا الأخير" I Can Still Recall Our Last Summer لفرقة "ABBA"، هذه هي ترنيمتي لجنازة خالي "جاري".

اعتبرت شراء الزهور من أجل "أنيتا" نفاقًا، جلست في نهاية كنيسةٍ شبه فارغة، رأيتُ "سيسيليا نيوتينين كيكي" تجلس بالصفِّ الأماميِّ مع زوجها "جويل كيكي" وترتدي قبعةً واسعةَ الحواف؛ جعلَتها تشبهُ عَيْش غُرَابٍ أبيضَ لم يعد يانعًا، أفسح الأرغن الطريق للكمان، مما سبَّبَ وجعًا في أذنايَ، دققتُ النظر في ظهورِ النَّاس التي تجلس أمامي بحثًا عن شخصٍ يبدو مألوفًا، ليتني

جلستُ في الطابق العلويِّ حتَّى أتمكن من مراقبة هذا الحشد على نحوٍ أفضل، وتذكرت أنني لست هنا لحماية "أنيتا"، فلم يعد هناك مَن أحميه، إنَّها في التابوت، وسيتمُّ نقل جثمانها إلى "هايتنيمي" ليُحرَق هناك، قال القسُّ:

– إنَّ للربِّ طريقةً غامضةً لتنفيذ عجائِبِهِ دون أن يعرف البشر أين منتهاهم.
عندئذٍ نهضَت "سيسيليا" لتضعَ أزهارها على النَّعش، ازدادت شبهًا بعَيْشِ الغُرَاب، أوشكَت أن تسقطَ تحت ثقل إكليلِها، لولا أن "جويل" أمسك بذراعها كي تستعيدَ توازنها، ومن بين أوَّل من وضعوا الزهور على التابوت كان زوج "أنيتا" السابق، والد "سيسيليا" والذي قالت "أنيتا" عن طلاقِهما أنه تمَّ بطريقةٍ متحضِّرة، أو هكذا ادَّعت، فقد علمَت "مونيكا" من جانبٍ آخر أن "بافو نيوتينين" كان على علاقةٍ بامرأةٍ أصغر سنًّا وأكثرَ جمالًا من "أنيتا"، التي خرجت من هذا الطلاق بمكاسبَ جيدة.

أقبل الناس كي يمرُّون على نعش "أنيتا" ويعبِّرون عن احترامهم لها ومنهم: شركاء عمل، أصدقاء، ومنهم حتَّى وزيرٌ سابقٌ لم أكن أعرف أنه من معارف "أنيتا"، كان في ذروةِ سلطته السياسية أثناء دراستي في الولايات المتحدة، وهو من بين السياسيين الذين احتقرَهم خالي "جاري"، لم أتذكر اسمه، لكنني لم أنسَ وجهه أبدًا؛ لأنني أتذكر أن خالي "جاري" في صيفٍ ما جعل من صورةٍ لوجهه مرمى للسهام، فقد أثار هذا الوزيرُ سخط الناس؛ بسبب قراره الخاص بالإعانات الزراعية في الاتحاد الأوروبي، والذي مرَّره قسريًّا في البرلمان، ولسببٍ مجهول.. باعت "أنيتا" هذا الوزير السابق قطعةَ أرضٍ تبلغ مساحتها أربعةً وعشرين فدانًا في غابة "إيماترا"، بالقرب من الحدود الروسية بسعرٍ بخسٍ يدعو للسخرية، وحينها كانت وسائل الإعلام تُولي اهتمامًا كبيرًا لخطط تنمية الأراضي، حيث كانت هناك نيَّةٌ لبناء مركز تسوُّقٍ آخر يقع بعيدًا عن البلدة، في مكانٍ يقع بجوار الطريق السريع المؤدي إلى روسيا؛ لجذب السيَّاح الروس، وإذا كان ما أتذكره صحيحًا.. فإن هذا الوزير السابق دافعَ عن الخطة قائلًا: "إنها ستساعد في نهوض الاقتصاد المتعثِّر لفنلندا الشرقية الفقيرة".

كان طابور حاملي الزهور طويلًا، بعضهم يتحدث الروسية، لكنني لم أرَ أيَّ شخصٍ يشبه رجال "باسكفيتش"، كانت "فيليسيا" خادمة "أنيتا" هي الأكثرَ تأثرًا؛ فقد ظلت تبكي بكاءً حارًّا وهو ما أثار دهشتي بالنظر إلى مدى سوءِ معاملة "أنيتا" لها، بدأ الأرغن مرةً أخرى في عزف ترنيمةٍ مألوفة: "امكث معنا يا يسوع فقد حان المساء ومال النهار"، كانت الترنيمة نفسها التي سمعتها في أول جنازةٍ حضرتها في حياتي، وباءت كلُّ محاولاتي لنسيانها بالفشل، تلك الجنازة التي ارتديتُ فيها جوارب بيضاءَ سميكة، وأحذيةً سوداء فاخرةً من الجلد اللامع بها أبازيمَ ذهبية، لكنَّ جدتي أخبرتني أنه من الأفضل ألا أتبخترَ بهما؛ لأنه حذاءٌ مخصَّصٌ للحداد فقط، كانت تنورتي السوداء ملساء تشبه الفستان الذي كانت أمي ترتديه في آخر مرةٍ كنت بصحبتها، الفستانُ المزركشُ بالورود الحمراء التي ربما تفتَّحت أوراقها بعدما تركها أبي مستلقيةً على الأرض، امتلأت الكنيسةُ بالزهور، وبرائحتِها النفَّاذة، وارتدت جدتي غطاء رأسٍ أسودَ رأيته مثيرًا؛ فأردتُ واحدًا غير أنهم لم يصنعوها من أجل الأطفال، ضفرَت جدتي شعري، وكانت هذه المرة الأولى التي أضفِّر فيها شعري بشرائطَ سوداء، وتمنيت لو كانت الشرائط ملوَّنة.

حاول خالي "جاري" إقناع جدتي بأنه لا داعيَ لأن ترتديَ طفلةٌ ملابس حدادٍ كاملة، لكنها أدرى، فهي على أيِّ حالٍ والدتها.

وضعوا أمي في تابوتٍ يشبه نوعًا ما كبسولةَ فضاءٍ ستحملها إلى الجنة، أما الرجل المضحك بعباءته السوداء الطويلة، والمريلة البيضاء، فتحدث معي عن الجنَّة قائلًا: "صليبكَ ينيرُ دربي يا ربي، سِرْتُ فِي وَادِي ظِلِّ الْمَوْتِ لاَ أَخَافُ شَرًّا"، كان للكنيسةِ ممرًّا واسعًا فاستطعت أن أقفز عليه صعودًا وهبوطًا دون أن أزاحم أحدًا، رأيت زهورًا ورديةً فوق كبسولة أمي الفضائيَّة؛ وفكَّرت في أن آخذ منها واحدةً لجدتي حتَّى لا تظل حزينةً جدًّا هكذا، قال لي خالي "جاري":

- هذا احتفالٌ، نحن نحتفل بدخولِ والدتكِ الجنَّةَ الآن.

لم يحضر أبي حفلَ التأبين لأنَّه رجلٌ شريرٌ حقيقةً، ولم يُسمح له برؤيتي مرةً أخرى، عندما قال القس: "في الحياة وفي الموت امكُث معي يا سيدي"، نهضَت جدتي وخالي "جاري" الذي أمسكَ بيدي، ومشى بي في الممرِّ الذي وجدتهُ طويلًا، لم أرد أن ترحلَ أمي، أردتُ أن أذهبَ معها إلى الجنة.

جلست في جنازة "أنيتا نيوتينين" وبكيتُ مثل طفلةٍ صغيرة.

16

غادرتُ حفل التأبين وتوجَّهت إلى مطعمٍ في شارع "رونبارج" وطلبُت زجاجةَ بيرة من نوع "تشيماي"، وبعدها زجاجةً أخرى، إنني بلا أدنى شكٍّ في حاجةٍ إلى التخلُّصِ من هذه الذكريات الأليمة، لعلَّ الخيار الأفضل من البيرة أن أذهب إلى الصالة الرياضيَّة، أو أن أجريَ لمسافةِ عشرة أميالٍ، أو أن أخوض مباراةَ جودو ضد "فلاديمير بوتين"، قد تفصلني "هيلينا" لأنَّني غير منتبهةٍ لعملي الآن، وحينها سأضطرُّ إلى العودة إلى مكتب البَطالة، تخيَّلت نفسي بالفعل أتسكَّع في مراكز التسوُّق مع حارسٍ شبه نازيٍّ، أقضي نصفَ وقتي في منعهِ من ضرب الأطفال الذين يحتسون البيرة، وأقضي النصف الثاني في جرِّ السكارى الذين أساؤوا إلى أنفسهم، وشَذُّوا عن معشر المحترمين، حتَّى يظهر رجالُ الشرطةِ ويقبضون عليهم، يا لها من آفاقٍ مشرقةٍ تنتظرني!

حاولتُ أن أختار بين زجاجة بيرةٍ ثالثةٍ ونوعٍ آخرَ من بَلْسَمٍ للجراح، وجدت نفسي أستظهرُ رقم "ديفيد ستال" بسهولةٍ، كما أنني حفظته بهاتفي، كان

الطقس في الخارج في منتهى الروعة، لذلك بعد رحلةٍ إلى دورةِ المياه، شرعت في السير عائدةً إلى شاطئ "هايتنيمي".

لم أستوعب مفهومَ الموت وأنا في الرابعةِ من عمري، ونظرًا لأنهم نقلوا أبي في عربةٍ مثلما فعلوا مع جثةِ أمي في الوقت نفسه؛ فقد ظننت أنه أيضًا استقلَّ كبسولةَ الفضاء نفسها إلى الجنة، رغم أنه ما من أحدٍ أخبرني بذلك، كان ينبغي إعطاء جدتي علاجًا مكثفًا حتَّى تتمكن من حضور الجنازة، وبعدها مباشرةً اضطُرَّت إلى دخول المستشفى مرةً أخرى، وتركتني أنا وخالي "جاري" بمفردِنا، في البدايةِ عشنا في مبنى سكنيٍّ في "توسنيامي"، لكن ذلك استمر شهرين فقط، وبالكاد أتذكَّر أيَّ شيءٍ عن الوقت الذي أمضيته هناك، ثم انتقلنا إلى كابينتنا الصغيرة بالغابة، وأصبحت "هيفونبرسينساري" منزلنا، غيَّر خالي "جاري" لقبي ومنحني لقبي الغريب؛ لم يرغب في أن يربط الناسُ بين لقبي واسم قاتلٍ ارتكب جرمًا مشينًا بأيِّ شكلٍ من الأشكال، اعتقد خالي أنَّه من الأفضل أن نحمل اللقبَ نفسه، حاول أبي فيما بعد أن يحصل على حضانةٍ مشتركة، ولحُسنِ حظِّي قوبلَ طلبه بالرفض، لم يكن لـ"كيو كوركيماكي" أيُّ تواجدٍ في حياتي؛ ففي أكاديمية "كوينز" للأمن، أخبرت الناس أن أبي مات في حادث سيارةٍ وأنا صغيرة، ومعظم الغرباء الذين صادفتهم وسألوني عن حياتي الماضية سمعوا القصَّةَ نفسها، وهو ما سمعَته مني "أنيتا" أيضًا، فكونكَ ابنًا أو ابنةً لقاتلٍ ليس بالشيءِ الذي تتباهى به في سيرتكَ الذاتيَّة.

مشيت عبر المقبرة إلى الشاطئ، ظلت أوراق شجرة القَيْقَب الحمراء والصفراء تبرق بقوةٍ، وعكس المحيط بريقَها الزاهي؛ لدرجةٍ جعلتني أخرج نظارتي الشمسية وأرتديها، جلستُ على مقعدٍ حيث أقبلَ عَلَيَّ البط لكي أطعمه، فَتْفَتُّ جزءًا من قالبِ غذاء الطاقة ونثرته لهم، فجذبَت بذورُه سنجابًا لم يعبأ بالبط، وأظهر خبرةً في تجنب مناقيرهم أثناء الغوص كي يلتقط البذور، لم أتصل بـ"ديفيد" إلا بعدما تأكدت من أنه لا أحدَ يسمع صوتي المعبَّأ بالدموع.

وبعد الرَنَّة الثامنة سمعت بريده الصوتي باللغة السويدية يقول: "إن هذا جهاز الرد الآلي لـ"ديفيد ستال"، للأسف أنا مشغولٌ في الوقت الحالي، لكن من فضلك اترك رسالة"، ثم كرَّر الرسالةَ باللغتين الإنجليزية والروسية، صوته المألوف جعل القشعريرة تدبُّ في جسدي.

لن يتمكن من رؤية رقمي على هاتفه، فهل أخاطرُ وأترك له رسالةً؟ ردت البيرة التي بداخلي وقالت: "نعم"؛ لحسن الحظ، لم أتناول أكثر من زجاجتين، قلت:

- مرحبًا "ديفيد"، أنا "هيلجا"، أين أنت؟ سأحاول الوصول إليكَ لاحقًا، ستسعدني رؤيتكَ مرةً أخرى.

قلتُ الرسالةَ باللغة الفنلنديَّة عن قصدٍ؛ فما زلت لا أصدقُ أنه لا يفهم على الأقلِّ أساسيات لغتِنا، وإذا لم يفهمني.. فعلى الأقل سيتعرف على صوتي واسمي.

شعرت بالتَّعاسة، وفكرت في أنني قد أجدُ علاجي في بعض الصُّحبة، لن تفرغ "هيلينا" من عملها قبل السادسة، وبعد ذلك سأرافقها حسب خطتي إلى الاستوديو لتسجيل برنامجٍ تلفزيونيٍّ في "باسيلا"، حيث ستشارك في حلقة نقاشٍ حول تغير المناخ، هل لديهم جهاز كشف المعادن في الاستوديو؟

كرهتُ عدمَ تحمُّلي البقاءَ وحدي، أردت أن أتحصَّن ضدَّ الجروح، ولطالما وجدت صحبةً في الحانات، لكن في الوقت الحالي لا أريد أن أبقى مع الغرباء، ماذا عن رفيقتيَّ بالسكن، بوسعي دائمًا الدردشة معهما، أليس كذلك؟ أو مع السيدة "فوتلاينن" العجوز، بالشقَّة المجاورة، قررت الاستمرارَ في الاتصال بالناس، كانت الساعة الرابعة بعد الظهر في موزمبيق مثلما هي بفنلندا، اتصلت بـ"مونيكا"، رغم أنني لا أظنُّ أنها ستجيب، بعد الرَنَّة العاشرة أغلقت المكالمة، لكنها اتصلت بي مرةً أخرى في غضون بضعِ دقائق وقالت:

- "هيلجا"، كيف حالك؟

- حضرتُ جنازة "أنيتا" اليوم.

اللعنة، كدتُ أنفجر في البكاء ثانيةً، لماذا كانت "مونيكا" على بعد آلافِ الأميال؟ لماذا يتبخَّر كلُّ الأشخاص المهمين في حياتي في الهواء؟ أمي، خالي "جاري"، "فريدا"، "مونيكا"، "ديفيد"؟ في حالتي هذه كنت على استعدادٍ لأن أدردش مع أيِّ أحدٍ حتَّى لو كان "مايك فيرتيو"، سألتني:

- كيف كانت؟

- جنازة عادية، لكن الموضوع يا "مونيكا"، هو أنني أتذكر الجنازة الأخرى، جنازة أمي، ظلَّ خالي "جاري" يقول إنه لا فائدةً من استدعاء هذه الذكريات، أبي قتل أمي، أمام عيني، أحاول ألَّا أتذكر، ولكنني أسترجعُ كلَّ شيءٍ الآن.

- إنه همٌّ ثقيلٌ يا "هيلجا"، أنا آسفة جدًا، لماذا لم تخبريني من قبل؟

- لم أرغب في ذلك، فقد أصبحَ كلُّ هذا من الماضي، وأتمنى لو تتلاشى تلك الذكريات أيضًا.

- أوه، أتمنى لو تأتين إلى هنا يا "هيلجا"؛ الابتعادُ عن كلِّ شيءٍ لفترةٍ من الوقت سيفيدكِ.

- لا أستطيع؛ تعاقدت مع "هيلينا"، والآن أنا في استراحةٍ في منتصف يوم عملي، أشرب البيرة كي أتخلَّص من أفكاري وذكرياتي، ربما تفصلني "هيلينا" من العمل.

تمكنتُ عبر الهاتفِ من أن أسمع رنين أجراسٍ في الخلفية، يا له من وقتٍ غريب للذهاب إلى الكنيسة بعد الظهر، أم أنها أجراسُ أبقار؟ لم أستطع تخيُّل الظروف التي تعيش فيها "مونيكا"، فعلى ما يبدو أن منزلها في "هيفونبرسينساري" يعدُّ فاخرًا مقارنةً بمنزلها الحالي، سمعت شخصًا في الخلفيَّة يتحدث بفرنسيةٍ ركيكة فضحكت "مونيكا"، فقالت:

– يقول "جوردي" إنني أتقاعسُ عن العمل، وأتحدث على الهاتف ثلاث مراتٍ يوميًّا، أخبرته أن الفنلنديين يأخذون هواتفَهم إلى حماماتِ الساونا، وأن الكهنةَ يذكِّرون المصلِّين بإغلاقِ هواتفهم قبل أن يبدؤوا في إلقاء مَوعِظَتهم، ولن يصدِّقَ "جوردي" أن حتَّى الأطفال الصغار في فنلندا في أيديهم هواتف محمولة.

– من هو "جوردي"؟

بدت الغيرةُ واضحةً في نبرة صوتي حتَّى لي، قالت:

– شابٌ في العشرينيَّات، أعلِّمه الطبخَ ويتمتَّع بحواسٍ جيدةٍ جدًّا،

– حواس؟ ماذا؟

– أوه، أقصد حاسَّة تذوُّق! هششش، قريبًا سأنسى الفنلندية والسويدية؛ فأنا هنا لا أتحدث سوى الفرنسية، أظنُّ إذن أنكِ وصلتِ إلى طريقٍ مسدودٍ في التحقيق حول من قتل "أنيتا"؟

– نعم، فيما عدا أن..

فكرت في إخبار "مونيكا" عن "ديفيد"، ولكنني قررتُ أن ألتزمَ الصمت، فوجودُ رجلٍ من وكالة "اليوروبول" في حياتي لم يكن بالشيء الذي أتفاخر به، تركت "مونيكا" تتحدث عمَّا تفعله، أخبرَتني عن جذور "اليام" وعُشْبَةِ "المَنْهوط" والمكونات الأخرى التي ماهي إلا مسميات بالنسبة لي، أشعرني الاستماعُ إليها بالسكينةِ أكثرَ بكثيرٍ من أيِّ كحول، تذكرت أوقاتَنا التي كنا نمضيها معًا بعدما يُغلق مطعم "شي مونيك" أبوابه مساءً؛ فأقوم برفع آخر الأطباق وأنقلها إلى المطبخ، وأجمع مفارش الموائدَ المتَّسِّخة وأحشوها في كيس الغسالة؛ فيتغير وجه المطعم من مكانٍ عام إلى منزلٍ، على الأقل لبعض الوقت، فتشرب" مونيكا" كأسًا من النبيذ وأشربُ أنا زجاجةَ بيرة، خاصةً لو كان يومنا عصيبًا، كم كانت أوقاتًا سعيدًة، إلا أنني لا أستطيع العودة إلى هناك.

سمعت رنين هاتفي، ليس من المفترض أن تتصل "هيلينا" الآن؛ فالاجتماع لن ينتهي قبل ساعتين، قلت لــ "مونيكا":

- أنا بحاجةٍ إلى الذهاب الآن، ربَّةُ عملي تتصل.

- أبلغي "هيلينا" تحياتي.

عندما أجبتُ، بدا صوت" هيلينا" متوترًا، قالت:

- هل أنتِ متاحة الآن، يا "هيلجا"؟

- نعم.

- حسنًا، لقد أخبرت موظف الاستقبال بمبنى البرلمان أنكِ ستأتين اليوم، انزلقَت "سارة" على الدَرَج هناك وكُسرت ساقُها، إنني في حاجةٍ ماسةٍ إلى الانتهاء من بعض الأوراق، استعنتُ بمساعدة "أويتي"، لكن اليوم هو مساء الجمعة وعليها الذهابُ لاصطحاب أطفالها من مركز الرعاية النهاريَّة، هل يمكنكِ المجيءُ إلى مكتبي بأقصى سرعة؟ استقلِّي سيارةَ أجرةٍ أينما كنتِ.

إنني متاحَة بالفعل، **ولكن** ماذا عن هذا المسدس "الجلوك" الذي لا يزالُ في جرابه تحت إبطي، لا أريد أن تعرف "هيلينا" أنني أحملُ مسدسًا بانتظامٍ، أعتقد أن ذلك لن يروق لها، اتصلتُ بسيارةِ أجرةٍ، وطلبت من السائق أن يقلني إلى محطةِ القطار وينتظرني هناك، اشتريتُ جريدتين من الكشك بمجرَّد أن وصلت، كانت ساعة الذروة والناس يهرولون في أرجاء المحطة، وجدت أن جميع الخزائنَ تقع بالطابقِ السفليِّ، وهو ما يسمح لأيِّ شخصٍ أن يرى من يستخدمها، ينبغي أن أذهب إلى الحمام لأخلعَ مسدسي، وبعد أن دفعت الرسوم الباهظة مقابل استخدام دورة المياه، والتي تبلغ ثلاثة يوروهات، دخلت مرحاضًا، وحاولت إحداث ضوضاءَ بقدر الإمكان؛ حتَّى لا يتبين لأحدٍ أنني أخلع مسدسي وجرابي، ثم وضعتهما في الجريدة.

كنت على يقينٍ من أن دورات المياه بها كاميرات مراقبة، رغم أن القانون يحظر أيَّ نوعٍ من التسجيلات في الحمامات، من المفترض أن الكاميرات كانت لملاحقةِ مدمنيِ المخدرات وتجَّارها، لكنني قابلتُ عددًا لا بأس به من الناس الذين عملوا في شركات الأمن والمراقبة، وعرفت أن المنحرفين الحقيقيين هم فعليًا من يعملون في تلك الوظائف، إنهم يستمتعون بمشاهدة النساء في المراحيض، وقد أسموا ذلك عملًا، حاولت ألا أُلفت الانتباه قدر الإمكان، وكان حارسُ الأمن مغفلًا حقيقيًّا؛ لأنه لم يلحظ ما تسحبه هذه المرأة من تحت إبطها.

استغرق الأمر بعض الوقت كي أجدَ خزانةً متوفرة، دفعت عشرين يورو ثمنًا للجريدتين كي أستخدمهما في إجراء بعضِ التغييرات، تعلمت في نيويورك أنه ينبغي أن تكون مستعدًّا دائمًا لإجراء التغيرات، وبأدواتٍ في متناول يدك، وإلا ستقع في ورطة، أراهن أن الكاميرات الأمنية تستهدف الخزائن أيضًا، تخيَّلت بالفعل خبرَ الفضيحةِ في الصحف الصفراء: "حارسةٌ شخصيةٌ لأحد السياسيين مِثلية، ووفقًا للشرطة قُبض عليها وهي تضع مسدسًا في خزانةٍ بمحطة قطار "هلسنكي"، سحبتُ مقطعَي مُشط الخَرطوشة من حقيبتي، ووضعتهما بجانب المسدس، وشعرت بوخزةٍ في قلبي وأنا أغلق عليه الباب، وأتخلى عن المصدر الذي يمدني بالحماية، أحضرت مسدس "الجلوك" 9 ملم من الولايات المتحدة بشكلٍ قانونيٍّ تمامًا، وقد انبهرتُ بالشريط الأحمر المصاحب له، كان موديل المسدس هو نفسه الذي تستخدمه الشرطة ودوريات الحدود الفنلنديَّة، وبصفتي حارسة شخصية، ربما يمكنني الحصول على مسدسٍ آخر، وبغضِّ النظر عن مدى تشدُّدِ قوانين حيازة السلاح، فأنا لم أرغب في التخلي عن رفيقي الذي أثق به، والذي لم ألجأ إليه حتَّى الآن إلا كأداةٍ للردع فقط، يمثِّل مسدس "الجلوك" بالنسبة لي ما تمثله الهواتف المحمولة، أو المطارق المفضلة بالنسبة للآخرين، فكرت في طريقةٍ تعيدني إلى فترةِ الخدمة لممارسة الرماية وشحذ مهاراتي.

اقتربت من سائق سيارة الأجرة الذي كان يدخن ونظر إليَّ بضيقٍ عندما قاطعته، قلت له أن وجهتي هي ملحق البرلمان، وبدا أن العنوان لم يعجبه فقال:

– ألا يمكنكِ أن تقطعي مثل هذه المسافة القصيرة سيرًا؟ أم لديكِ بعضٌ من قسائم الصرف التي دفعنا ثمنها نحن دافعو الضرائب؟ يا ربي، يمكنكِ بالتأكيد توفير المال من أجلِ قسائم الصرف، ومن أجل كلِّ مهاجرٍ ملعون، ولكن عندما يحاول صاحبُ عملٍ متواضعٍ مثلي الحصول على إعفاءٍ ضريبي فكل ما أسمعه منكم هو: "لا يمكننا، انظر إلى حجم الديون التي تتحملها الحكومة"، كما أن سعر الغاز غير مستقر، وفي نهاية اليوم لا يتبقى شيءٌ من راتبي، ويتم التحكم في الأجرة التي أطلبها من الزبائن، كما هو الحال في بعض الدول الاشتراكية الملعونة، بينما يقود الروس والصوماليون سياراتَ الأجرة غير المرخصة ويربحون ثلاثة أضعاف المبلغ الذي أكسبه؛ لأنهم لا يدفعون الضرائب.

لقد تعاملت مع كلِّ أنواع سائقي سيارات الأجرة في مدينة نيويورك، لكن هذا الرجل كان عنصريًّا بامتياز، لسوء الحظ، اضطرَّ السائقُ أن يسلك طريقًا أطول حتَّى يصل إلى مبنى البرلمان، لكن لحسن الحظ أنني أتمتَّع بالقدرة على ضبط الحمقى من أمثاله، لو ألفتُ كتابًا لأسميته: "الزنادقة وفنُّ التعامل مع البلداء وطرق تعديل سلوكهم".

لم أترك له أيَّ بقشيش، لكنني طلبت إيصالًا كتبتُ عليه الملحوظة التالية: "علمًا بأن الرحلة كانت من "هايتنيمي" إلى مبنى البرلمان، لا داعي لأن أذكر أنني توقفت في محطة القطار، إذا تساءلت "هيلينا" لماذا كانت سيارة الأجرة باهظة الثمن، سأدَّعي أنني نسيت القفازات الخاصة بي في المقبرة؛ واضطررت إلى العودة لأحضرهما، أو أيُّ شيءٍ من هذا القبيل، وجدت "هيلينا" تنتظرني في ردهة الملحق خلف جهاز الكشف عن المعادن، قالت:

- تأخرتِ!

- إنها ساعة الذروة، ماذا بوسعي أن أفعل؟

- ستكتبين بعض الخطابات على الآلة الكاتبة، وعليكِ أن تتأكدي من أنَّ العناوين صحيحة.

- أكتب؟ ماذا حدث للبريد الإلكتروني؟

- من الأفضل توصيل بعض الأخبار بالبريد العادي، هيا اتبعيني.

السبب الوحيد الذي جعل مكتب "هيلينا" في حالٍ جيدة هو مساعدتها "سارا هيرفيلا"، البارعةُ في إبقاء أكوام الأوراق تحت السيطرة، أليس من المثير للاهتمام أن ممثل حزبٍ سياسيٍّ يركز على البيئة يكون غارقًا في الأوراق بهذه الطريقة، أم هل يقع اللوم على البرلمان الذي لا يتخلى عن الأوراق؟ هل عجز رئيسُ مجلس النواب عن إقناع النواب بأن يقلِّلوا من المخلَّفات الورقية؟

عملت "هيلينا" على بيانها الافتتاحي لجلسة المداولة المسائية، وردَّت على رسائل البريد الإلكتروني، ستكون بأمانٍ في الاستوديو التلفزيوني؛ لا يمكن أن يتسلل الناس إليه دون أن يلاحظهم أحد، لذلك قررت أن أحضر مسدسي و"هيلينا" على الهواء.

أنهيت كتابةَ الرسائل وطلبَت مني "هيلينا" أن أسلمهم إلى الحارس، استغرقتُ بعض الوقت حتَّى عثرت عليه، لاحظتُ أنهم يفحصون تصريح دخولي المؤقت عند كلِّ زاوية، لذلك ليس هناك أيُّ شيءٍ يدعو للقلق، ستكون "هيلينا" آمنةً طالما ظلَّت داخل هذا العملاق الجرانيتي لمبنى البرلمان أو في هذا الملحق، سألني الحارس:

- أهذا أمر تشغيل المهمات للنائبة "ليموسفو"؟ حسنًا، هناك رسالةٌ لها، سجلي هنا من فضلكِ.

حدقتُ في الرسالة، إنها بالبريد السريع، من موسكو مباشرةً، لم أستطع فتحها في طريق العودة إلى مكتب "هيلينا" لأنني لم أكن وحدي بالمصعد.

عندما عدت، سلمتها المغلف وقلت:

– هذا من أجلكِ يا "هيلينا"، إنها بالبريد السريع، هل تعرفين المرسِل؟

– دعيني أرى.. "أناستازيا بوتيرسكايا"؟ نعم، أعرف خط "ناستيا"، إنها صديقةٌ قديمة، طلبتُ منها أن ترسل لي مجموعةً من المقالات التي يتم تداولها سرًّا لأنها تنتقد سياسات الطاقة التي تتبناها الحكومة الروسية، أتمنى أن تكون هذه المجموعة هي ما أبحث عنه وأنها مرَّت بأمانٍ عبر الحدود.

كنت قد سمعتُ عن الرقابة خلال زمن الحكم السوفييتي، لكنني لم أعتقد أنها ما زالت تعمل وتكيل الضربات للنظام، لعلَّ حفنة العمال الذين التقيتُ بهم ذات ليلةٍ بحانةٍ في "كوينز" كانوا على حقٍّ عندما قالوا: "في الوقت الذي يتغير فيه النظام السياسي، فإن رياح التغيير لم تهبّ على روسيا، فهي ما زالت على حالها؛ إمبراطورية شرِّيرة وعلى الأمريكيين محاربتها بترسانةِ أسلحة قوية".

وما قالوه كان مجرَّد عيِّنة، قبل السابعة بقليلٍ قفزنا في ترام متجهٌ إلى محطة تليفزيون "باسيلا"، وعندما مررنا بحلبة الهوكي الجليدي، تلقت "هيلينا" رسالةً نصيَّة، قالت:

– إنها من "سارا"، حصلت على إجازةٍ مرَضية لخمسةِ أسابيع، هُراء! الآن ونحن في معمعةِ الانتخابات وغيره، من المستحيل العثورُ على مساعدٍ جديدٍ في الوقت الحالي، وخاصةً شخصٌ يعرف كيف ينجز هذا النوع من العمل، فالجميع منشغلون بالفعل في الانتخابات، اللعنة!

استدارت السيارةُ باتجاه غرب "باسيلا" ثم توقفت فجأةً عندما كاد أحدُ المخمورين أن يصطدم بها، أوشك ذقن "هيلينا" أن يرتطم بمقعدٍ أمامها، لولا أنني مددت ذراعي بسرعةٍ وهو ما حال دون ذلك، لم ألحظ من قبل إلى أيِّ مدى كان رد فعلها بطيئًا، رغم أنها تتمتَّع بقدرةٍ كبيرةٍ على الخطابة، نزلنا من

السيارة قبل أن تنعطف باتجاه شرق "باسيلا" ومشينا مرورًا بمركز الشرطة حتَّى شارع "راديو"، نظرَت إليَّ "هيلينا" وقالت:

- اسمعي، لماذا أحتارُ هكذا بينما الجواب الصحيح إلى جواري هنا؟ يمكنكِ أن تصبحي مساعدتي في البرلمان مؤقَّتًا! فأنا لم أسمع حسًّا لـ"تيكو" ولم يأتِني منه أيُّ خبرٍ منذ أن طلب منه "ريسكا" أن يذهب ليتنزَّه، وكلٌّ من يلاحقونني دعوني وشأني أيضًا، ما رأيكِ؟ دعينا نصطاد عصفورين بحجرٍ واحد.

- العصفور الثاني هو أنكِ لن تضطري في هذه الحالة أن تدفعي راتبًا لي؛ لأنني سأُدرجُ على كشف رواتب مجلس النواب، شكرًا لدافعي الضرائب، لا أظنُّ أن بوسعكِ خصم أجر الحارس الشخصي من ضرائبكِ، أليس كذلك؟ ألا يُعتبر أجري جزءًا من إجمالي النفقات المنزليَّة العامة؟

ضحكت "هيلينا" وقالت:

- الحمد لله، إنه لا يُعتبر نفقاتٍ منزليَّةٍ حتَّى الآن، دعينا نتحدث بجديَّةٍ يا "هيلجا"، هل تقبلين؟

- كم ستدفعين؟

وعندما حددت "هيلينا" مبلغًا أقلَّ بكثيرٍ مما أتقاضاه عادةً، ترددتُ، ثم مرةً أخرى، وجدت الوظيفةَ أفضل في كلِّ الأحوال من البطالة ومن معاناة تلك الزيارات المُهينة لمكتب البطالة، قلت:

- لكنني لا أعرف شيئًا عن السياسة! إن "فانهانين" هو رئيس الوزراء و"نينيشته" هو رئيس مجلس النواب، و"فارونين" هو نائبٌ في البرلمان، هذا كل ما أعرفه، ولا شيئًا آخر.

- يمكنكِ التواصل مع "سارا" عبر الهاتف وعبر البريد الإلكتروني، وسوف يسعدها مساعدتكِ، يمكنكِ الذهاب لمقابلتها في المستشفى غدًا إذا رغبتِ.

تتمتع "هيلينا" بقدرةٍ جيدةٍ على إقناع الناس، وحصولها على الكثير من الأصوات في انتخابات مجلس النواب الأخيرة ليس مستغربًا، بالطبع كان اقتراحها منطقيًّا، لقد اعتدنا بالفعل على بعضنا بعضًا، وربما حتَّى أحببنا بعضنا، كما أنني أقدِّر أيضًا تدفق الأموال المستمرَّ إلى حسابي المصرفيِّ.

بينما كانت "هيلينا" تناقش سياسات البيئة والطاقة مساء الجمعة على الهواء مباشرةً، ذهبتُ لإحضار مسدسي، ما بين العرض التليفزيوني والوقت الذي ستمضيه على كرسي المكياج، ستنشغلُ "هيلينا" لمدةِ ساعتين ونصفٍ تقريبًا، لذلك لم أكن في عجلةٍ من أمري كي أعود إلى "باسيلا"، علِقت في محيط محطة القطار من شدَّة الزحام، وبعدها جلست على مقعدٍ نافذته مفتوحة في بارٍ صغير وأخذتُ أتأمَّل حركةَ الناس، رأيت كلَّ أنواع البشر: أناسٌ جاؤوا لقضاء عطلة نهاية الأسبوع في المدينة الكبيرة، وأناسٌ يركضون بلا هدفٍ، وعشَّاق، هل ينبغي أن أحاول الاتصال بـ"ديفيد" مرةً أخرى؟

وقبل أن أرد على نفسي رأيته، إنه شابٌّ أسمر يحمل حقيبةَ فنان، تعرفت عليه على الفور من الصورة التي رسمتها له السيدة "فوتيلاينن".

إنه "يوري ترانكوف"، تركتُ مشروب الطاقة وركضت وراءه، كان يسير بتمهُّلٍ على درجات سلم محطة القطار إلى ساحةِ السوق، ولا يبدو أنه في عجلةٍ من أمره، استدار نحو المسرح القومي وتوقف عند زاويةٍ بالمحطة كي يشعل سيجارة، فقررتُ أن أغتنم الفرصة، فاقتربت منه وقلت:

- مساء الخير.

حاولت حشد أكبر قدرٍ ممكنٍ من التعبيرات التي تبديها امرأةٌ تهتم بالجنس الآخر، قلت:

- هل لي بسيجارة؟

نظر "ترانكوف" في وجهي وقال:

- أنا لا أتحدث الفنلنديَّة.

- هل تتحدث الإنجليزية؟ هل يمكن أن تعطيني سيجارةً من فضلك؟ سأدفع يورو واحد.

تنهَّد "ترانكوف" وأخرج علبةَ السجائر، ها هو الحظ يحالفني، تحمل السيجارةُ علامةً تجاريةً غربية، وليست من تلك الأنواع الروسية الرخيصة، أشعل لي سيجارةً ولوَّح بيده بالرفض عندما عرضتُ عليه اليورو، سألته:

- ماذا تحمل في الحقيبة؟

ثم أكملت بالإنجليزية:

- أنت فنان؟

- نوعًا ما.

- ماذا ترسم؟ حسنًا، هل تحتاج موديلًا؟

أشرق وجهي بابتسامةٍ في غاية الخلاعة، وجاهدت لأمنع شعوري بالغثيان من شدَّة الاشمئزاز مما أفعل، قاطعني "ترانكوف" قائلًا:

- أنا لا أرسم الناس.

- ماذا ترسم إذن؟ بعضًا من تلك المربعات المملة التي تشاهدها في متحف الفن الحديث؟

كانت المعارض الفنية منتشرةً في كل مكان في نيويورك، لكنني لم أشاهد العديد من الأعمال الفنية التي تستحق أن أعلقها على الحائط، باستثناء لوحة "ساعي البريد" بلحيته المنقسمة التي شاهدتها في متحف الفن الحديث، لقد ذكرَتني بخالي "جاري"، قال:

- الحيوانات فقط، فالناس يحبون رسم لوحاتٍ لحيواناتهم الأليفة.

بدأ "ترانكوف" الآن يتلفت حوله على أملِ أن يمرَّ شخصٌ ما وينقذه من هذه المرأة الخليعة، قلت:

- حيوانات! هذا مثير! هل تعرضُ أعمالَك في أيِّ مكان؟ أنا مهتمة برسم لوحةٍ لحيوان "الوَشَق".

خفضت من صوتي وأنا أنطق الجملة الأخيرة، قال:

- "وَشَق"؟

لم يظهر أيُّ انزعاجٍ على "ترانكوف" وأكمل قائلًا:

- لا أعتقد أن فنلنداً تجيزُ لكِ تربية "وَشَق" كحيوانٍ أليف.

- ستكون شيءٌ أشبهَ بتذكار، كي أتذكر صديقًا لديه معطفٌ مصنوعٌ من فراء "الوَشَق"، إن جارتي على طريق "أونتامو" في "كابيلا" اشترت لوحةً لـ"وَشَق" من رسام روسي، هل هي لوحتك؟

- ربَّما.

رمى "ترانكوف" سيجارته وداسها بقدمه وأكمل قائلًا:

- عليكِ أن تتركي أصدقاءك الذين يرتدون فراء "وَشَق" يرقدون في سلام، أنا لا أرسم الموتى، لا النساء ولا الحيوانات، فالحيُّ أبقى من الميت، أليس كذلك يا آنسة "إلفسكيرو"؟ "دا سيدانيا" Da svidaniya.

هكذا قال "ترانكوف" عبارة "مع السلامة" بالروسية، ثم استدار وعبر الشارع وتسلق سلالمَ المسرح القومي، واختفى بداخله، عندما وصلت إلى هناك، وجدتُ باحةَ المسرح خاليةً، واندفع مسؤول التذاكر ليخبرني أنهم لن يبيعوا أيَّ تذاكر أخرى لهذه الليلة. هذا غير معقول، إنه يوم جنازة "أنيتا"، أيْ أنه أنسب يوم لإطلاق بعض التهديدات الجديدة، ولعب لعبة "العباءة والخنجر cloak and dagger"، ولكن هذه ليست لعبة إثارةٍ وتجسس، صحيحٌ أنني التهمتُ رجالًا مثل "تيكو ألتونين" على الإفطار، فأنا و"فالنتين" لن نتبادل أبدًا بطاقات على شكل قلب؛ بل رصاص في القلب.

17

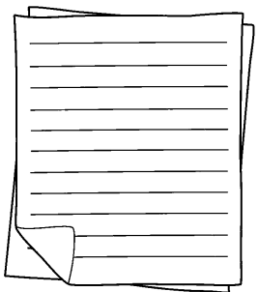

مر الشهر التالي بسرعة البرق، وظللت أقوم بمهامٍ رتيبةٍ للغاية في مجلس النواب.

قابلت خادمة "أنيتا"، "فيليسيا كارهونين"، بمقهى في "كامبي"، ووجدتها لا تعرف أيَّ شيءٍ عن أعمال "أنيتا"، جربت التلميح إلى أنني لا أمانع أن آتي إلى منزل "أنيتا" لاستعادة الذكريات، لكن "فيليسيا" لم تعد تملك المفاتيح، فقد طُرحت الشقة للبيع، كنت على درايةٍ تامةٍ بنظام الأمان؛ ومن ثَمَّ يمكنني اقتحامه، وهي الحقيقة التي استدعيتها في موقفٍ يحمل ذكرى مريرةً مع "أنيتا"، في الوقت نفسه سمعت صدى صوتها يتردَّد في رأسي مشيرًا نحوي بإصبعِ الاتهام، لذا لم أجرُؤ على أن أفعل ذلك، وإذا قبضوا عَلَيَّ هناك، فإن ذلك سيثير المزيد من شكوك "لايتيو" حولي.

توقفت "سيسيليا نيوتينين كيكي" عن الاتصال بي، كما أنني لا أظن وصية "أنيتا" ليس بها أيُّ شيءٍ يخصني، لم أتوقع منها شكرًا سخيًّا بصفتي تابعًا مخلصًا لها، إلا أنني تمنيتُ أن تمدنا وصيتُها ببعض الأدلة التي تشير إلى قاتلها، قد يكون الأمر مجرَّد رغبةٍ من "باسكفيتش" في الانتقام، ولكن حتَّى هو لم يتمكن من شراء الممتلكات محلَّ الصراع، المطلةُ على المحيط في "كوتكا"، وحسبما ذكرت الصحف فإن

من اشتراها هو رجل أعمالٍ اسمه "أوسكو سوريانين"، وحفظت وجهه عن ظهر قلبٍ من الصور المصاحبة للخبر، وسوف يستغل الأرض في بناء نادٍ ريفيٍّ مُسَوَّر، من أجل نخبةٍ من الأعضاء المختارين بعنايةٍ فائقة، قال "سوريانين":

– فنلندا ليس بها أندية خاصة من هذا الطراز، حيث لا داعي لأن يقلق العميل بشأن الصحفيين وكاميرات الهواتف المحمولة، أنا أدرى بذلك من خلال تجربتي على المستوى الدولي.

اتَّضح من المقابلة أن رجل الأعمال هذا يحمل ميلًا إلى جنس النساء من نفس فئة "باسكفيتش"، قال "سوريانين":

– إن لم نجد ما يكفي من العملاء في فنلندا؛ فمن مصلحتنا بالتأكيد التوجه عبر الحدود إلى الشرق.

تنهدت "هيلينا" عندما أخبرتها بهذه الأنباء وقالت:

– يبدو هذا النادي وكأنه بيت دعارةٍ باهظ الثمن، رجالُ الأعمال الأذكياء يجدون دائمًا طريقةً للتَّحايلِ على القانون.

وجدت في مجلس النواب عالمًا غريبًا، وكان عَلَيَّ أن أجتهد كي أفهم ولو نصف ما يجري داخله، أتممت تركيبَ بقية نظام الأمان في منزل "هيلينا" في عطلة نهاية الأسبوع بعد جنازة "أنيتا"، وبما أنه لم ترِد إلينا أيُّ تهديداتٍ جديدةٍ حتَّى الآن، فقد أصبحت كذلك مساعدتها بدوامٍ كامل، يبدو أن "تيكو ألتونين" هو الشخص الوحيد الذي كان يطارد "هيلينا"، فقد اقتنع "تيكو" بتركها وشأنها بعد الدرس القاسي الذي لقَّنه "ريسكا" إياه، تنقلت مع "هيلينا" من فاعليةٍ انتخابيةٍ إلى أخرى، وتوليت أمر مراسلاتها وتنظيم جداول أعمالها، وعلى اعتبار أنها وظيفة مؤقتة فإن كلَّ شيءٍ على ما يرام، لكنني أعلم أنها لن تجذب اهتمامي لفترةٍ طويلة، فخمسة أسابيع تعتبر لا شيء على أيِّ حالٍ، وبعدها أستعدُّ لقضاء الكثير من الوقت في العمل كمربيةٍ أو حتَّى كمحققٍ في حوادث السرقات بأحد المتاجر.

أُثيرت ضجةٌ كبيرةٌ حول الطريقة التي يتصرف بها بعض الرجال في مجلس النواب خلال الربيع الماضي، لذلك افترضتُ أنهم تعلموا الدرس بالفعل، ولكنهم لم يتعلموا، فها هي موظفةٌ جديدةٌ تثير اهتمام بعض الرجال؛ ولا سيَّما الرجال الذين لا تتعدى نظراتهم مستوى الثديين عندما أرتدي حذاءً يبلغ طول كعبه 10 سم تقريبًا، تعجبت "هيلينا" كيف يمكن لأيِّ شخصٍ أن يسير بحذاءٍ بهذا الارتفاع، لا بد أن أقول إنني نفسي قد فوجئت؛ فقد اعتدت على الأحذية الرياضية أو أحذية المشي لمسافاتٍ طويلة، وبالتالي فإن مساعدة "ليموسفو" هذه والتي ترتدي الكعب العالي ويبدو طولها في الأفق 190 سم، لا بد وأن تلفت الانتباه، عندما يكون طولي أقصر ولا أضع أيَّ مكياج، أبدو شخصًا مختلفًا تمامًا، اشتريت تنورتين لا يتجاوز طولهما 15 سم، فإذا فشل هؤلاء الرجال في مساعدة أنفسهم، فعلى من غيري سيلقون اللوم، خلق بنطالي الجلدي أيضًا جوًّا مثيرًا للاهتمام في المصعد.

نظرًا لجهلي التام بالتسلسل الهرمي في مجلس النواب أو باتحاداته، كنت أجلس بجوار أيِّ شخصٍ في الكافتيريا، واندهشت للانزعاج الذي بدا على رجلٍ أشقر عندما جلست بجواره؛ فهل تخيل أنني كنت أحاول أن أتودَّد إليه؟ وبعدها بيومين اكتشفتُ أنه وزيرُ الدفاع، لطالما بذلت قصارى جهدي كي أحفظ الأسماء وأربطها بالوجوه، لكنني لم أكلف نفسي عناءَ ذلك في الوظيفة المؤقتة، وباعتراف الجميع، وجدنا أن تحديق مجموعاتٍ من الزوار في وجهي على اعتباري شخصية مهمة شيئًا مسليًا.

لم أنسَ "ديفيد"، لذلك سعدت عندما تلقيت دون سابق إنذارٍ خطابًا منه على الطراز القديم، مختومًا بختم "كوتكا"، وجدت الخطاب في انتظاري عندما عدت إلى شقتي بعد يومٍ مضطربٍ آخر في العمل، بدأت رسالته بالعبارة السويدية: "شارا هيلجا" Kära Hilja أي "عزيزتي هيلجا".

تضايقت لأنه خاطبني بهذه الطريقة الرسمية، رغم أنني أعلم أن السويديين ينادون أيَّ شخصٍ بكلمة "شارا"، قال "ديفيد" في رسالته إنه حاول الوصول إليَّ عبر الهاتف والبريد الإلكتروني دون جدوى، وبعد ذلك لجأ إلى استخدام خدمة رقم الهاتف لتحديد موقعي، وأنني لم أتصل به، فهل أنا غاضبةٌ منه؟ اعتذرَ لأنه اضطُر إلى المغادرة على عجلٍ ودون سابق إنذار، لكنه لم يملك خيارًا آخر؛ فالأمر تعلق بمسألةٍ مهمةٍ تمس العمل ولا تحتمل الانتظار، بعد ذلك وجد نفسه في مدريد، وأحضر لي بالفعل شيئًا من هناك، هل يمكن أن نلتقي؟ قال إنه قادمٌ إلى "هلسنكي" في الأسبوع الذي يبدأ في 25 أكتوبر وسيقيم في فندق "تورني".

إنه الأسبوع الذي يسبق الانتخابات البلدية مباشرةً، ومن ثم انشغلت "هيلينا" في الإلقاء بالكثير من الأحاديث في "هلسنكي" وما حولها وكان من المفترض أن أرافقها، ذهبت مساء الأربعاء إلى كابينةٍ حيث سيتجمع أعضاء الحزب الأخضر للعمل على استراتيجيةِ اللحظات الأخيرة، لذلك سأكون بلا عملٍ ومتفرغةً لبضع ساعات، لم يترك لي "ديفيد" عنوان بريده الإلكتروني، لذلك اتصلت به، قلت:

- مرحبًا، أنا "هيلجا"، آسفة لأنني لم أتصل بكَ مؤخرًا، سقط هاتفي في بركةِ ماءٍ، كما أن شريحة الهاتف تلفت أيضًا.

من المؤكد أن "ديفيد" أدرك أن ما قلته كذبة فجَّة، لكنني لم أهتم، قال:

- كم هو رائع أن أسمع صوتكِ! كيف حالك؟

هزني صوته من الداخل كالزلزال، كنت على استعدادٍ للذهاب إلى أيِّ مكانٍ يطلبه، اتفقنا على أن نتقابل، بعد المكالمةِ استلقيت على مرتبتي وحاولت أن أهدأ، إن الرجل الذي يثير ردَّ فعلٍ كهذا داخلي رجلٌ خطير، ومع ذلك.. ظللت فعليًّا أعد الساعات حتَّى يحين موعد لقائنا الثاني، عبر الحائط سمعت صوت موسيقى تشغلها "ريكا"، إنها أغنية "الحيوانات المفضلة" لـ"فوكو هوفاته" تقول:

"أرى الصَقْرَ الحَوَّام يهبط كالسهم
عبر سحب محمية "ساكسلانهاريو"
يا أنتْ، أرى "وَشَقًا" ينعكس في عينيك".

بذلت قصارى جهدي كيلا أعلق في الانتخابات، ولكنني علقت، كانت "هيلينا" ملاكًا، تنصت إلى الناس وهم يشكون كيف أن حزبها إما من بنات أفكار "ستالين"، أو أنه يُدار على يدِ مجموعةٍ من الفوضويين البيئيين، أو أنه يَدين بالفضل للبرجوازيَّة، وعندما أسمع الشتائم واللعنات تتخلَّل هذه التعليقات؛ أتقدم خطوةً إلى الأمام باعتباري حارستها.

في اليوم السابق لموعدي مع "ديفيد"، ظللت أتصفحُ بريد "هيلينا" كالمعتاد، وانتابني الفضول بخصوص رسالةٍ واردةٍ من "كوتكا"، ولأن "كوتكا" تذكرني الآن بـ"ديفيد" و"أنيتا"، فتحت المغلف وقرأت الرسالة، عادةً ما أضع خطابات المُتَّزنين في كومةٍ كي تقرأها "هيلينا"؛ أما خطابات المجانين فأرسل بها مباشرةً إلى سلةِ إعادة تدوير المهملات، ستكون حماقةً من "هيلينا" لو قرأت كل تلك التفاهات المستفزة، قد تكون بعض الرسائل التي تلقتها تستحق إبلاغ الشرطة عنها.

وجدت داخل المغلف الوارد من "كوتكا" خريطةً، لم يرفق بها رسالةً تعريفيةً ولا تحتوي على عنوان المُرْسِل، إنها ليست خريطة تضاريس عاديَّة أو خارطة طريق؛ بل بدت وكأنها خريطةُ ترسيمٍ لحدودِ قطعة أرض، وكلما دققت فيها النظر، كلما بدت لي مألوفةً أكثر، تصور الخريطةُ لسانًا بحريًّا يمتد داخل المحيط، منفصلًا عن حدود الأراضي الأخرى، إنه اللسان البحريُّ نفسه الذي حلمت "أنيتا" بشرائه؛ والذي اشتراه بالفعل "أوسكو سوريانين"، لماذا يرسل أيُّ شخصٍ خريطةً كهذه إلى "هيلينا"؟ هل هي بلاغٌ عن صفقةٍ تجاريةٍ مشبوهةٍ تشمل هذه القطعة من الأرض؟

كنت أعرف أن "هيلينا" لم تخبرني بكلِّ شيءٍ بعد، ويمكنني أن ألعب معها اللعبة نفسها، فقمتُ بتصوير الخريطةِ، وتركت النسخة الأصلية في كومة المراسلات العامة، سنذهب مباشرةً إلى "كوركيماكي" لليلةٍ واحدةٍ بعد حضور فعاليةٍ انتخابيةٍ في "سيونتيو"، لذلك لن أجد وقتًا كافيًا لإلقاء نظرةٍ على الخريطة بدقةٍ الليلة؛ بالإضافة إلى أن هناك بالفعل أشياءً أخرى تشغل بالي، مثل لقائي القادم مع "ديفيد".

فحصت المغلف بعناية بحثًا عن بصمات أصابعَ، أو شعرٍ، أو أيِّ أدلةٍ تشير إلى هوية المُرْسِل، إلا أنني لم أعثر على أيِّ شيءٍ كما أن العنوان الموجود على الظرف مكتوبًا بالطابعة وكان الطابع باهتًا.

استيقظت صباح الأربعاء في السادسة، رأيت النجومَ تشق طريقها بتمهلٍ وهي تغادر السماء المظلمة، بَيْدَ أنَّ الجماهير المتوجهة إلى "هلسنكي" كانت بالفعل على الطريق السريع، شعرت باهتياجٍ جنسيٍّ وكان عَلَيَّ أن أجري لأحرق بعضًا من هذه الطاقة الفائضة، إذا لم أنشغل بالعمل في وقتٍ لاحق لمررتُ بأوقاتٍ أصعب هذا الصباح، من المفترض أن تُلقي "هيلينا" خطابًا بالسويدية في "تميساري" يوم الانتخابات، وقد وعدت بمراجعته لأنها لم تكن واثقةً من القواعد اللغوية، ورغم أنني لا أجيد اللغة السويدية إجادةً تامةً أيضًا، فإن أربع عيونٍ أفضل من اثنتين.

تُرك البابُ بين مكتبينا مفتوحًا بينما كانت "هيلينا" تجري لقاءً بالصحفية الروسية، "مارينا ميهايلوفا"، وهي امرأةٌ هزيلةٌ في الستينيات من عمرها، وهي محررةٌ لمدونةٍ اعتادت على تغيير خوادم الوسائط وعناوين الويب التي تستخدمها باستمرارٍ؛ بسبب انتقاداتها للكرملين.

تحدثت "هيلينا" والمرأة باللغة الروسية، إلا أنني فهمتُ كلماتٍ قليلةً من هنا وهناك، تحدثتا عن خطِّ أنابيب غاز سيمر تحت خليج فنلندا، وتناولتا موضوع حريةِ الرأيِ في روسيا، وأقسمُ أنهما جاءتا على ذكر اسم "كوتكا"، هل "ميهايلوفا"

هي من أرسل الخريطةَ إلى "هيلينا"؟ عندما نطقت "ميهايلوفا" اسم "نيوتينين" حسب اللكنة الروسية بـ"نوتينيان" بدأت أنتبه أكثر، سألت "هيلينا":

- "بوتشميو"؟

أي لماذا؟

قالت "ميهايلوفا":

- إنها تعلم ما سيفعلونه بالمكان، والمسألة لم تكن..

لم أستطع أن أفهم بقية جملة "ميهايلوفا"، لكنها ذكرت اسم "فالنتين فيودوروفيتش"، صحيحٌ أن هناك الآلاف في روسيا يحملون الاسم نفسه، لكنني أعرف أن "باسكفيتش" استخدم اسم "فيودوروفيتش" كاسم شهرة، سألت "هيلينا" عما إذا كانت "ميهايلوفا" متأكدةً من معلوماتها، فقالت "ميهايلوفا" إنها معلوماتٌ قاطعةٌ بلا أدنى شك، رن هاتف "هيلينا" واضطررتُ للرد عليه لأنها تركته في مكتبي، وطلبت مني ألا أقاطع اجتماعها مع "ميهايلوفا" إلا للضرورة القصوى، كانت المكالمة من صحفيٍّ يسأل عن توقعات "هيلينا" الخاصة بسير الانتخابات، قلت له وأنا أسمع "ميهايلوفا" تودعها أن "هيلينا" ليست متاحة الآن، قالت "هيلينا":

- إلى اللقاء يا "مارينا أندريفينا".

ثم قبلت المرأة من خديها، كان طول "مارينا أندريفينا ميهايلوفا" يبلغ بالكاد 150 سم، وعندما وقفت "هيلينا" ذات البنية الهشة بجوارها بدت مثل المضرب، بينما شعرت أنني عملاقة، قالت "مارينا":

- وداعا يا "هيلينا"، في رعاية الرب!

ورغم أن "هيلينا" كانت ملحدةً على حدٍّ علمي إلا أنها قالت:

- وليرعاكِ أنتِ أيضًا، ستصحبكِ "هيلجا" إلى الطابق السفلي، سيغادر قطاركِ في وقتٍ قصيرٍ.

ستعود "ميهايلوفا" إلى موسكو، كم أفتقد كنائسَ موسكو بقبابها البصليةِ الشكل اللَّامعة، كانت "ميهايلوفا" ترتدي تنورةً صوفيةً سميكةً وأحذيةً متينة، ولا يمكن أن تفرق بينها وبين مئاتٍ من النساء العجائز، اللاتي يشبهن دمية "بابوشكا" Babushkaاللاتي يبعن المناديل في محطة القطار، ومع ذلك فهي معارضةٌ خطيرة، عندما قلنا وداعًا، شددتُ على يدها الصغيرة بقوةٍ، راقبتها وهي تمشي ببطءٍ عبر الميدان أمام المبنى، فبدا أن كلَّ خطوةٍ تخطوها تؤلمها، يبدو أن لا أحد يتبعها، لكنني ظللت أراقبها حتَّى اختفت فيما بين متحف "كياسما" للفنِّ المعاصر، ومركز "سانوماتالو" للأعمال التجارية، بعد أن عدتُ إلى مكتبها قالت "هيلينا":

– آمل أن أقابل "مارينا أندريفينا" مرةً أخرى.

– لماذا؟

– إنها مصابةٌ بورمٍ سرطاني، وتلاحقها القوات الخاصة لشرطة الأمن الروسي، ولا أعرف أيهما أسوأ من الآخر، "مارينا" تعرف أنها لن تعيش طويلًا، وهذا أحد أسبابِ أنها لا تخشى أن تعبِّر عن رأيها.

– بشأن ماذا؟

– بشأن الكثير من القضايا، بما في ذلك سياسات الطاقة الروسية، تلك القضايا التي تؤثِّر على فنلندا أيضًا، فكري في كلِّ خطوط أنابيب الغاز والنفايات النوَوِية، فنحن نعتمدُ على كل هذه الطاقة التي ينتجها الروس، فلماذا في رأيكِ يلتزم معظم زملائي الصمتَ تجاه الأحداث التي تجري عبر الحدود؟ صحيحٌ لا داعي لأن نقلق بشأن فكرةِ أن نُحتلَّ، إنما إذا قررَت روسيا إغلاق صمامات الغاز والطاقة النووية، ستقتلُ اقتصادَنا.

ذهبنا لتناول غداءٍ نباتيٍّ في كافتيريا الموظفين، الملحق مع بعضٍ من أصدقاء "هيلينا" من الديمقراطيين الاشتراكيين المناهضين للطاقة النووية، سينتهي

عقدي خلال أسبوع، وبدأ الموظفون بالفعل يمتدحون خبز "سارا هيرفيلا" المصنوع من دقيق الحنطة بدلًا من القمح، ويقولون إنهم يفتقدون فطائرها المصنوعة من الفطر الريشيِّ، ربما لن تحتاج "هيلينا" إلى حارسٍ شخصيٍّ بعد الآن، وأعترف أن الفكرة جعلتني حزينةً بعض الشيء.

ولأنَّ بعض المُتشرِّدين ممن لا مأوى لهم حطَّموا الكابينة التي يستخدمها طاقم الانتخابات في وقتٍ سابق، ومثلما تفعل الخادمة الهمامة؛ شَمَّرتُ عن ساعديَّ وبدأت في تنظيفِ آثار التَّحطيم، عندما بدأ الناسُ يتوافدون على الكابينة.. غادرت ولم تسألني "هيلينا" أين سأذهب، كان فندق "تورني" على بعد بضعِ بناياتٍ فقط من ميدان "كامبي"، لكنني شعرت أنني كنت أخطو إلى عالمٍ آخر، اتصلت بـ"ديفيد" لأخبره أنني وصلت.

لطالما أحببت مقابلةَ عُشَّاقي في الفنادق باعتبارها أماكن انتقالية؛ وحيث لا يعترض طريقكَ تفاصيلُ الحياةِ اليوميَّةِ لأيِّ أحدٍ، عندما دعاني أحدٌ من الرجال إلى منزله، رفضتُ دائمًا، حتَّى لو امتلكَ شقةً فاخرةً أعلى أحد البنايات مع إطلالةٍ على "سنترال بارك"، أو حتَّى فيلا على جزيرةٍ بالقرب من مجموعة جزر "هايتي"، لم أرغب في رؤيةِ ألعاب أطفالهم ولا ارتداء نعال زوجاتهم، أو أن أفكر فيمن غسل الملاءات والمناشف التي استخدمتها، في الفندق.. تصبح كل هذه الأشياء ملكي، ولو بشكلٍ مؤقت.

نزل "ديفيد" من المصعد وعندما رأيته اضطررت أن أكتم صرخة: كان لديه شعر! من الواضح أن تلك الفوضى من الشعر الأسود المجعد التي تملأ رأسه هي شعر مستعار، لكن لماذا يرتديها عندما يقابلني؟ الحيرة التي بدت عَلَيَّ جعلته يبتسم بينما وهو يقودني إلى المصعد، قلت:

– هل هذه هي الهديةُ التي أحضرتها لي من إسبانيا؟ هل سلختَ رأس "السنيور خوسيه" في حلبة مصارعة الثيران وارتديتها؟

قال "ديفيد" ببرود:

– لماذا يُسمح للنساء فقط بارتداء الشعر المستعار؟ يمكن للرجال أن يلهوا به أيضًا، أليس كذلك؟

تذكرت مرةً أخرى كيف مرَّ بي "ديفيد" في شارع "هيلينا" وأنا أرتدي ملابسَ "ريسكا"، من المؤكد أنه عرفَني، ولكن إذا كان "ديفيد" يعمل لحساب وكالة "اليوروبول"، فلا بد أنه يرتدي الشعر المستعار لسببٍ ما، كما أن لون عينيه غريبٌ أيضًا، من قبل.. كان لونهما رماديًّا مائلًا للزرقة؛ الآن أرى لونهما أزرقًا داكنًا مع نقاطٍ بُنيةٍ صغيرة، تساءلتُ أيُّ اسمٍ يا ترى استخدمَ عندما سجَّلَ دخولَه إلى الفندق، عندما توقفنا بالطابق الرابع، لم يكن "ديفيد" قد اتَّخذ أيَّ خطوةٍ ليلمسني بعد، كنت أقف بجانب شخصٍ مختلفٍ تمامًا عن ذاك الذي كتب لي من "كوتكا" واتصلتُ به لترتيب لقاءٍ، تحوَّل حماسي إلى خيبةِ أمل، فتوَتَّرتُ، ربما كان مجيئي إلى هنا خطأً فادحًا، قادني "ديفيد" إلى نهاية الردهة، إلى الغرفة رقم 411، كانت الغرفة مظلمةً؛ كلُّ الستائرَ المعدنية المتحركة منسدلة، ولم يكن هناك سوى مصباحٌ صغيرٌ واحدٌ مضاء، بمجرد أن أغلق الباب، نزع الشعر المستعار ومرةً أخرى بدا مثل الرجل الذي أحببته قبل شهرٍ، قال:

– الجوُّ حارٌّ جدًّا، إنه يشبه ارتداءَ قبعةٍ من فراء "الرَاكُون"! هل سبق أن ارتديتِ شعرًا مستعارًا؟

لم ينتظر "ديفيد" ردي، فقد أغلق فمي بفمه، سمعته يغلق الباب خلفه، استجبتُ لقبلته، وأمسكت برأسه الأصلعَ الرطب، لم يكن هناك أيُّ لَبْسٍ حول سبب وجودي بغرفته، خلع "ديفيد" بالفعل ملابسه وساعدني في خلع ملابسي،

دفع الوسائدَ بعيدًا، وألقى بي على السرير، ظلَّ يعض ثديي ويدفع نفسه داخلي، لم أفكر في شيءٍ في تلك اللحظة غير نشوتي بالتأكيد، ابتسامةُ "ديفيد"، وفمُ "ديفيد" في فمي، فتركته يأخذني، واستجبت له، وكفى.

فيما بعد استلقينا جنبًا إلى جنبٍ، قريبين جدًّا.. لدرجة أنني لم أرَ من وجهه سوى بعض التفاصيل: بضعة بثورٍ، حاجبان شبه متَّصلين تقريبًا، رموشٌ سوداء تلائم عينيه الداكنتين والشعر المستعار، هل صبغهم؟

سألته:

- لماذا الشعر المستعار ودليل الاتصالات؟

لكن "ديفيد" لم يرد، بدلًا من ذلك، سحب دليل الاتصالات ثم قال:

- لا بأس.

وألقى به بإهمالٍ على الطاولة التي بجوار السرير، قال:

- اعتبريه مجرَّد نفايات.

أصبحت عيناه مألوفتين مرةً أخرى، لكنه تجنَّبَ النظر في عينيَّ، قال:

- أوه، صحيح، هديتكِ.

نهض "ديفيد" ورأيت كيف حَفَرت أظافري أثارًا في ظهره، التقطتُ وسادةً ووضعتها خلف رأسي بينما يحضر "ديفيد" الهدية من خزانته، ثم عاد بلَفَّةٍ تبدو وكأنها كتاب، قال:

- رأيت هذا في محلٍّ لبيع الكتب وفكرت بكِ، أو..

نظر إليَّ نظرةً بها شيءٌ من الذنب ثمَّ أكمل قائلًا:

- الحقيقة أنني لم أره مصادفةً، بل ذهبت إلى قسمٍ معينٍ على وجه التحديد؛ لمعرفة ما إذا كان هناك أيُّ كتبٍ حول هذا الموضوع، هيا، افتحيه!

كان ورق التغليف سميكًا، مزقته وكشفت عن ملفٍ رقيقٍ له غلافٌ ورقيٌّ بني، الغلاف يصور الوشق بعيونه الحزينة، قرأت بصوتٍ عالٍ بالإسبانية:

supervivencia" "Una batalla por la ، El lince ibérico

ثم حاولت ترجمة العنوان فقلت:

- "الوَشَق" الأيبيري.. انتظر.. معركةٌ من أجل البقاء، شكرا لك!

- تعرفين الإسبانية؟

- قليلًا.

لقد تعلمتُ الأساسيات في أكاديمية "كوينز" من معلمنا "فرناندو"، لكنني تقريبًا نسيت كلَّ شيءٍ، تصفحت الكتاب الذي طُبع باللغة الإسبانية وليس به أيُّ مساحاتٍ بيضاء، كانت هناك هوامش في كلِّ مكان، لذلك فهو يعتبر وثيقةً علميةً جادة، احتوى الكتاب أيضًا على خرائطَ بالنسبة للحيوانات التي يصطادها حيوان "الوَشَق"، وهززت رأسي وأنا أقرأ المعلومات التي أمام عيني: لم يُشاهد "الوَشَق" الأيبيري إلا في منطقتين جبليَّتين صغيرتين بجنوب إسبانيا، في حين أنه قبل مائةِ عامٍ.. كان هذا الحيوان يطوف في جميع أنحاء شبه جزيرة "أيبيريا" جنوب إسبانيا، باستثناء السهول، كانت هناك أيضًا صورًا لـ"وَشَق" في ملجأٍ بريٍّ وهو يستريح ويلعب، وكذلك صورًا للأرانب؛ غذاؤهم الرئيسي، صغار "وَشَق" بآذانٍ مرفوعةٍ تختلس نظراتٍ متلصصةً من جذع الشجرة، كانت "فريدا" تفضل الاختباء في جزع شجرة الصنوبر فقام خالي "جاري" بتفريغه من أجلها، أرادت أن تختبئَ هناك وتداعبنا بأن تهجمَ علينا إذا مررنا من أمام مخبئها، غضبت "فريدا" عندما وجدت نفسها عاجزةً عن الزحف داخل الجذع بعد أن اكتمل نموها وكبر حجمها، قلت:

- شكرًا لكِ! أنا أفهم ما يكفي من الإسبانية لأعرف أنَّ من كتب هذا الكتاب أناسٌ يعملون على حماية "الوَشَق"، لم يتبقَّ منهم أكثر من بضعِ مئات، ولم يعد من السهل كذلك رؤية أحدهم في البرية، لماذا كنت في مدريد؟

– قضيتُ يومين هناك، لكنني بقيت بشكلٍ أساسيٍّ في مدينة "مالجا"، فالأزمة الاقتصادية أدت إلى انخفاض أسعار العقارات المطلةِ على المحيط هناك، الآن هو الوقت الأنسب للشراء إذا كان أربابُ عملي يملكون المال، تفاوضتُ مع هذا الروسي في مدريد، لأنه يخطِّطُ للاستثمار في إسبانيا.

– وهذا الروسي؟ ما اسمه؟

– لماذا تريدين أن تعرفيه؟ لا بأس، إذا كان يهمكِ، فاسمه "فاسيليف".

لم يكن "باسكفيتش" إذن، من المحتمل أن تتزامن الأحداث، نزلت من السرير ومشيتُ على السجادة السميكة إلى الحمام، رأيت حوضًا للاستحمام وأربعَ مناشف، هل ستحتاجني "هيلينا" في المساء؟ يمكنني قضاء الليل معه؛ فالسرير كبيرٌ ويكفي لاستيعاب شخصين.

غسلت يدي بسائل الاستحمام برائحة عنب الثور البرِّي، ولكنني سأترك رائحة "ديفيد" تعلقُ بجسدي أطول وقتٍ ممكن، سينتهي عقدي بدايةً من الأسبوع القادم، ويمكنني أن أتبع أيَّ شخصٍ لأيِّ مكان، يمكنني أن أذهب إلى إسبانيا لإنقاذ كلَّ حيوانات "الوَشَق" في شبه جزيرة "أيبيريا"، أو يمكنني الانضمامُ لوكالة "اليوروبول"، عندما عدت إلى الغرفة، كان "ديفيد" جالسًا على الأريكة عاريًا، وبجانبه ردائَي حمام، قال:

– الرداءان على حساب المحل بلا مقابلٍ، ماذا عن جدول أعمالكِ؟

– ربة عملي مشغولةٌ حتَّى الثامنة.

– أوه، نعم، "هيلينا ليموسفو"، وجدت اسمكِ بموقع مجلس النواب الفنلندي، من أنتِ يا "هيلجا كانيرفا إلفسكيرو"؟

لم أتمكن من تفسير النظرة التي رأيتها في عينيه، هل تعبر عن حزنٍ، أم تسليةٍ، أم فضول؟ أجبته:

– قلت لك، أنا ابنة قاتلٍ، وفي خدمتكَ إن دفعت لي ما يكفي من المال، هذه المعمعة التي أنا فيها مؤقتةٌ، ولو فكرت في الأمر ستجد أنني أيضًا لا أعرف من أنتَ، لكن هل هذا مهم؟ نحن معًا الآن.

جلست في حجره وجهًا لوجه، وظللت أمر بشفتيَّ على طول زندَيه، ما زلت لا أشعر بالاكتفاء منه.

رن هاتف "ديفيد"، كنت آمل ألا يمسك به، لكنه وقف وهو يمسك بي بقوةٍ حتَّى لا أسقط، أظهرت شاشة الهاتف رقمًا، من دون اسمٍ، وفي جزءٍ من الثانية لمحت الرقم، ولكنني لم أتعرف على رمز البلد، قال:

– "ستال"، في "هلسنكي".

هذه المرة كانت المكالمة باللغة الإنجليزية وتدور حول السيارات، بدا أن "ديفيد" يشتري سيارة "جاجوار"، أو أنه يستخدم الاسم كشفرةٍ تخص "اليوروبول"، تخيلت "ديفيد" مثل "جيمس بوند"، برغم أنني أعرف كم كانت وظيفةُ عميلٍ مملة في الواقع، حتَّى لو تعرضوا للمخاطر في بعض الأحيان، وحتَّى لو كان بغرفة نومه امرأةٌ شقراء، تمامًا مثل "بوند"، كل ما يحتاجه "ديفيد" هو "مارتيني" دون خمر الـ"فيرموث" المعطر، مرجوجٌ، بلا تقليبٍ، أثناء المكالمة، ألقيت نظرةً خاطفةً على "الميني بار"، لكن لم يكن لديهم أيُّ "جن"، ناهيك عن نبيذ "الفيرموث"، فتحت زجاجةً من المياه المعدنيةِ وشربت مباشرةً من الزجاجة وأنا أختلس النظر من بين الستائر، استطعت رؤية حركة المرور في شارع "كاليفا"، قال "ديفيد" بعد أن أغلق الخط أخيرًا:

– هل أنت عطشانة؟ إنه سمسارٌ من "أمستردام".

– سيارة؟

أومأ "ديفيد"، قلت:

- "جاجوار"؟
- نعم.
- حمراء؟

أدركت أن "ديفيد" قد لا يكون ملمًّا بالثقافة الشعبيَّة الفنلندية، ولا بـ"جيري كوتون" بطل روايات الجريمة، ولا بمطلع الأغنية التي تغنوا بها لأجله: "من ذاك الرجل الذي يقود جاجوار حمراء" Who's the man driving a red Jaguar؟ قال:

- في الحقيقة، سوداء.

لفَّ "ديفيد" ذراعيه حولي من الخلف؛ وشعرت به يضغط على ظهري بشيءٍ من القسوة، لا يهمني الآن سوى هذه اللمسات، فليكن ما يكون وليكذب كما يشاء، فالعالم الخارجي غير حاضرٍ الآن، ها أنا ذا أكرر الأخطاء نفسها التي حذرني منها "مايك فيرتيو".

بالطبع، لم أتصل بـ"هيلينا" لأطلب منها منحي إجازةً لليلةٍ واحدةٍ، أو تغيير جدول أعمالي، تركت "ديفيد" قبل الثامنة، أفضل أن أتركه لا أن يتركني وأنا محاطةٌ برائحته التي أحبها، أرى أحمر الشفاه على حواف كؤوس الشراب، يراودني أملٌ في أن أجد شخصًا آخر أشاركه السرير الكبير، استسلمتُ وأعطيت "ديفيد" رقم هاتفي قبل أن أغادر، يجب أن يعود إلى إسبانيا في الصباح الباكر، لكنه سيعود قريبًا، وسيكون من مصلحة موظفي مكتب البطالة إذا سافرت معه إلى "مالجا"، إذا كان "ديفيد" يستطيع تحمل تكلفة سيارة "جاجوار"، فمن المؤكد أن بمقدوره أن يتكفَّل بعشيقةٍ ليومٍ أو يومين.

قرب نهاية الأسبوع، تصاعدت وتيرة الانتخابات وشعرت بالسأم من كلِّ شيءٍ، وفوق ذلك.. تحتم عَلَيَّ حضور معرض الكتاب مع "هيلينا"؛ لأنها وافقت

أن تشارك في حلقةٍ نقاشيةٍ هناك، تعلمت في نيويورك كيفية التعامل مع صرير قطارات الأنفاق والشوارع المكتظة بالناس، لكن معرض الكتاب مكتظٌّ عن آخره بالناس والأصوات المتنافرة؛ كان عَلَيَّ أن أستخدم عضلاتي كي أفسح الطريق لــ"هيلينا" عبر الحشود، حتَّى وصلت إلى حلقة النقاش حيث استمع إليها الناس كما لو كانت مرشدتهم، إنها تجيد فنَّ الحديث إلى الجماهير الغفيرة، بعد ذلك.. علقت "هيلينا" في المعرض لساعاتٍ قضتها في توقيع الأوتوجرافات، والابتسام عند التقاط الصور، أردت تحذيرها من السماح للناس بالاقتراب منها أكثر من اللازم، وخصوصًا أنه لا أحد يفحص المحافظ أو الحقائب عند المدخل، وأيُّ شخصٍ يقف معها ربما يحمل سكينًا، وأنا لست مخولةً بتفتيش أيِّ شخصٍ.

في الليلة التي سبقت الانتخابات، نامت "هيلينا" في شقتها في "هلسنكي"، وكانتا رفيقتيها في السكن هناك أيضًا، ومن ثم تركتها مع بَخَّاخ فلفلٍ للدفاع عن النفس، وركبت الترام إلى البيت في "كابيلا"، سعدت بالتخلُّصِ من كعبي العالي، والعودة إلى بنطالي المُموَّه الذي لم أتمكن من ارتدائه منذ أسابيع، لم أجد رفيقتيَّ بالسكن، إن الوحدة حلوة المذاق لو كانت على سبيل التغيير، أرسلتُ إلى "ديفيد" رسالةً نصيةً مثيرةً، ثم بدأت في التدقيق في الخريطة التي نسختها في مكتب "هيلينا" قبل عدةِ أيامٍ.

لقد بحثت عن الإحداثيات الجغرافية على "جوجل إيرث"، وتأكدت أنني محقة، إنها المنطقة نفسها التي من أجلها خاضت "أنيتا" معركةً مع "باسكفيتش"، اللعنة عليك يا "هيلينا"! إنها تعرف عن صفقات "أنيتا" أكثر مما تدَّعي، لماذا لم تثق بي؟

وجدت بالجزء السفلي من الخريطة شِفرَةً تتألف من ثمانية أرقام:

1 3 91 11 77 6 3 46

إنه ليس رقم تسجيل الخريطة، ولا رقم هاتف، فقد قضيت مؤخرًا وقتًا طويلًا في تخمين توليفاتِ أرقامٍ وأنا أحاول فتح خزانة "أنيتا"، لا يمكن أن تكون تلكَ الشفرة هي توليفة الأرقام التي أبحث عنها، أم أنها كذلك؟

حاولت ألا أتحمس كثيرًا، كانت الخزانة في الدولاب نفسه الذي أحتفظ فيه بمسدسي وذخيرتي، فتحت خزانة السلاح وأخرجت الخزانة، لبضع دقائق، حاولت منع يدي من الارتعاش، بدأت في إدخال الأرقام.

عندما أدخلت الرقم الأخير، لم أصدق نفسي: طَقْطَقَ القفل بشدةٍ، وفتحت خَزْنة "أنيتا" الآن.

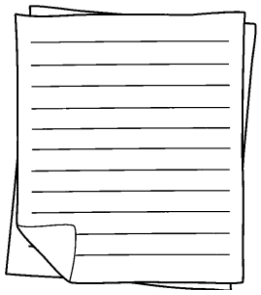

18

اندهشت، لم أتوقع بتاتًا أن تفلح هذه المحاولة المجنونة في فتح خَزْنة "أنيتا"، خفق قلبي بشدةٍ عندما أدخلت يدي بالخَزْنةِ وسحبت محتوياتها، لم يكن بها الكثير، لا شيء سوى عدة مغلفات، قرأت على أحدهم: "أنيتا نيوتينين"، وصيتي الأخيرة، فتحت المغلف، لم أجد أيَّ مفاجآت، فقد ورثت "سيسيليا" كلَّ شيءٍ، كما قدمت "أنيتا" تبرعاتٍ ضخمةً إلى الصليب الأحمر الفنلندي وبنك النساء، ومؤسسة "مونيكا" الخيرية في موزمبيق، يرجع تاريخ الوصية إلى مارس من العام الفائت، وأنا مازلت أعمل لدى "أنيتا".

بدا المغلف الثاني وكأنه يحتوي على مجموعةٍ من الأوراق، ومختومٌ، لا شي مكتوبٌ عليه، سلمتني "أنيتا" الخَزْنة لأنها كانت على يقينٍ من أنني سأتَّخذ الإجراء الصحيح بشأنها، حتَّى لو أصبحت "أنيتا" في تعداد الموتى، ولأن "سيسيليا" أو من يمثلها لم يطلبوا مني تسليم الخَزْنة؛ افترضت أنني الشخص الوحيد الذي يعرف بأمرها.

فتحت المغلف وأفرغته فوجدت به حوالي عشر ورقات، أول ورقةٍ كانت خريطة لـ"هيدينييمي" في "كوتكا" والمألوفة للغاية بالنسبة لي، وبه أيضًا مقالاتٌ باللغة الروسية، ومطبوعاتٌ من شبكة الإنترنت، ورسالتان: واحدةٌ تحمل توقيع "أنيتا"؛ والأخرى موقعةً من قِبل شخصٍ يُدعى "بوريس فاسيليفيتش فاسيليف".

أمضيت بقية المساء وحتَّى وقتٍ متأخرٍ من الليل في ترجمة ما هو مكتوبٌ في الأوراق، لقد استخدمت موقع "بابل فيش Babelfish" للترجمة كي يساعدني في فهم ما ورد في الرسائل، إلا إنه شوَّش فهمي أكثر، وأدركت أنني أحتاج إلى أخذ الرسائل إلى شخصٍ يتحدث الروسية بطلاقةٍ، الشرطة لديها مترجم، ومن المحتمل أن أجد واحدًا في مجلس النواب أيضًا، هذا ما لم أرغب في تسليم هذه الأوراق إلى "هيلينا".

اكتشفتُ أن "فاسيليف" هذا قد تقرب من "أنيتا" وطلب منها أن تعمل وسيطةً لصفقة "هيدينييمي"، أي يمكنها شراء المكان باسمها، بينما سيكون "فاسيليف" في الواقع هو المالك، رفضت "أنيتا" عرضه، كانت رسالتها إلى "فاسيليف" قاطعة، وتخلو من أيٍّ من المجاملات الروسية المعتادة، أما القصاصات والمطبوعات فكانت من صحف الفضائح الشعبية التي تستهدف المشاهير، في إحدى القصاصات ظهر الرجل الذي قد يكون "بوريس فاسيليف" وهو يدخل ملهًى ليلي، وصورةٌ أخرى له وهو يغادر في وقتٍ لاحقٍ وهو يصطحب امرأتين مثيرتين بشكلٍ لافتٍ للنظر، وجدت نسخةً مطبوعةً من المدونة التي حررَتها "مارينا أندريفينا ميهايلوفا"، صديقة "هيلينا"، التي زعمت فيها أن "فاسيليف" كان على صلةٍ بالمتمردين الشيشان والإرهابيين، المطبوعة الثانية احتوت على صورةٍ "فاسيليف" وهو يقف حاملًا بندقيةً على كتفه وتحت قدميه دبٌّ ميِّت، ويقف بجواره رجلٌ يعرفه أيُّ شخصٍ، إنه الرئيس الروسي، "فلاديمير بوتين"، الورقةُ الثالثة تحتوي على صورةٍ مشوَّشةٍ تُظهر "فاسيليف" في صورةٍ جانبية، وتعرفت على الرجل الذي يحدق مباشرةً في الكاميرا، إنه "أوسكو سوريانين".

يُعتبر اسم "فاسيليف" اسمًا شائعًا، لكنني ما زلت منزعجةً؛ لأن "ديفيد" ذكر شريكه التجاري في إسبانيا بالاسم نفسه، بالطبع، يمكن أن تكون مصادفةً، لكن لماذا احتفظت "أنيتا" بكلِّ هذه الأوراق في خَزْنةٍ مغلقة؟ هل كان "فاسيليف" هذا يهددها أيضًا؟ لماذا أخبرتني "أنيتا" بأمر "باسكفيتش" وأتباعه القتلة المأجورين، ولم تخبرني شيئًا عن هذا الرجل؟ هل كان "باسكفيتش" متواطئًا مع "فاسيليف"؟ على حدِّ علمي، كان الكرملين يحمي "باسكفيتش" على طول الخط، ولم تذكر "أنيتا" على الإطلاق أيَّ صلاتٍ له بالمتمردين، ولعل "أوسكو سوريانين" هذا يدفع بسخاءٍ للسياسيين؛ للمساعدة في المضيِّ قدمًا في مشروع البناء الخاص به دون تعقيدات، لكنني أشك في أن أيَّ رجل أعمال فنلندي قد يموِّل الإرهابيين الروس؛ لأن ذلك يُعد انتحارًا تجاريًّا، فبمجرَّد أن يتسرب الخبر، ستتحول كل تلك المراكز التجارية والمتنزهات الترفيهية التي شيدها "سوريانين" على الفور إلى مدنٍ خاويةٍ تسكنها الأشباح؛ بعدما يتوقف الفنلنديون عن إنفاق أموالهم فيها.

هل تطلب مني "أنيتا" في هذه الرسالة التوقف عن القلق بشأن "باسكفيتش" وتحويل انتباهي إلى "بوريس فاسيليف"، أيًّا من كان هذا الرجل؟ أم من المفترض أن أقدِّم مستندات "هيدينييمي" هذه إلى "فاسيليف" نفسه؟ بدت فكرةُ الاصطدام بالسفَّاحين المأجورين التابعين لـ"باسكفيتش" خطيرةً للغاية، لكن إذا كنت أواجه رئيسًا إرهابيًّا حقًّا، فأنا في مأزقٍ حرج؛ لست على درايةٍ كافيةٍ بالسياسة حتَّى أعرف من هم الإرهابيون الحقيقيون، ومن وُجهت لهم هذه التهمة، يبدو أن الأمر يتوقف على منِ الشخص الذي يتحملُ المسئولية، رغم أن "مارينا أندريفينا" صديقةً لـ"هيلينا"، فإن المعلومات المنشورةُ في مدونتها قد تكون غير دقيقةٍ.

ضبطت هاتفي المحمول على وضع الصامت، والآن أراه يومض، إنه "ديفيد"، قال:

– مرحبًا "هيلجا"، ما زلتِ مستيقظةً رغم أنها الثانية صباحًا تقريبًا! في إسبانيا، يظلُّ الناس مستيقظين حتَّى وقتٍ متأخرٍ، خاصةً ليلة السبت.

بدا "ديفيد" وكأن لديه الكثير مما يريد أن يقوله، فقلت:

– نعم، إنها ليلةُ السبت وأنا وحدي في شقتي، أعمل، هل يعني اسم "بوريس فاسيليف" أيُّ شيءٍ لكَ؟

أخبرني صوت أنفاسه الذي يمكن سماعها بالكاد على الطرف الآخر أن سؤالي كان مفاجأةً له، لكن لا بد وأن أغتنم هذه الفرصة، أريد أن أعرف ما إذا كان وزن رجلٍ مثل "فاسيليف" ثقيلًا بما يكفي لجذب انتباه وكالة "اليوروبول"، أو ما إذا كان مجرَّد رجلٍ قويٍّ داخل الحدود الروسية، سألني:

– أين التقيتِ به؟

لم يبذل "ديفيد" أيَّ جهدٍ يُذكر كي يخفي معرفته بـ"فاسيليف"، قلت:

– ذُكر اسمه في بعض الأوراق التي تركتها "أنيتا نيوتينين" وراءها، طلب منها "فاسيليف" أن تلعب دور الوسيط.

– وسيط بشكلٍ عام، أم لصفقةٍ بعينها؟

– بصراحةٍ، أنا لا أفهم هذه الأوراق، لكن يبدو أنك تعرفه إذن.

– أعرف "بوريس فاسيليف"، لكن أن أعرف هويته الحقيقية، فهذه قضيةٌ مختلفةٌ تمامًا، لقد ظهر من العدم قبل بضع سنوات.

– هل قابلته خلال عملكَ؟

ظلَّ "ديفيد" صامتًا للحظةٍ، كان بإمكاني سماع أصواتٍ في الخلفية، لكنني لم أستطع تحديد اللغة التي يتحدثون بها، قال:

– أوه، "هيلجا"، لقد أصبح موضوع "فاسيليف" هذا مملًا

– حسنًا، كيف حال الطقس عندكَ؟

– اليوم باردٌ أكثر قليلًا، حوالي 16 درجة مئوية، والطقس عاصفٌ، لم أستطع تناول العشاء بالخارج، هل تعجبكِ المأكولات البحرية؟ لديهم إستاكوزا لذيذة هنا.

تحولت محادثتنا إلى دَرْدشةٍ عامةٍ تدور حول الطعام والمناظر الطبيعية، ومن الواضح أن هذا ما أراده "ديفيد"، اشتقتُ له بشدةٍ، سيعود إلى فنلندا في وقتٍ أبكر مما توقَّع، يوم الثلاثاء، أيْ بعد ثلاث ليالٍ فقط من الآن، بعدما أنهينا المكالمة أخيرًا ظللت أحدق في الهاتف مثل "الوَشَق"، كان صدى صوته لا يزال يتردَّد في أذناي، كيف يمكن أن أقع في حبِّ رجلٍ يكذب عَلَيَّ باستمرار؟ هل أتبع خُطى أمي عندما اختارت رجلًا لا يمكن التنبؤ بأفعاله، وهو القرار الذي قد يكلفني حياتي؟

رفض خالي "جاري" مناقشة موضوع "كيو سورلواته" معي، وهو ما يكشف عن مدى كراهيته له، وهو الشعور الذي مرَّرَه لي، أما جارنا "سيبو هولوباينن"، الذي كان زميلًا لأمي وخالي في المدرسة، فهو الوحيد الذي ألمح إلى أنَّ أمي ربما كانت امرأةً لعوبًا نوعًا ما، مما منح أبي أسبابًا جعلت الغيرةَ تتملكه، لا أتذكر أين كنا أنا وأمي في مساء يوم مقتلها، كل ما قيل لي هو أن أمي قررت أن تهجر "سورلواته" وتأخذني معها، ولهذا قتلها، بسببي.

لقد تحققت من جهاز تتبع "هيلينا" للتأكد من أنها لم تذهب إلى أيِّ مكان، ما زالت نائمةً في شقتها، نهضتُ وصببت لنفسي كوبًا من شوكولاتة "جيني" الساخنة، سأحضر لها المزيد من مسحوق الشوكولاتة عندما تسنح لي الفرصة، هنا، عادت "جيني" إلى المنزل، منتشيةً قليلًا، وروت لي حكايةً مُفَصَّلةً طويلةً عن رجلٍ مملٍّ اسمه "تيرو" حاول ضربها.

لم أستغرق في النوم قبل الساعة الرابعة صباحًا، واستيقظت عند الظهيرة، راجعت جهاز التعقُّبِ مرةً أخرى، وجدت "هيلينا" في كابينة الحزب الأخضر الآن يخططون لآخر مراحل حملة الانتخابات، غمرت المدينة عاصفةٌ ممطرة؛ لذلك لم

أخرج للرَّكض الصباحيِّ المعتاد، واخترت القيام بسلسلةٍ سريعةٍ من التمارين مارستها على أرضيةِ غرفتي: مائةٌ وخمسون تمرينَ ضغطٍ لأعلى، ومائة تمرين ضغطٍ للأمام، ومائة تمرين جلوسٍ في وضع الامتداد، لقد وعدت "هيلينا" بأنني سأذهب إلى حفل الحزب الأخضر الانتخابي، لقد رأيته على شاشة التليفزيون من قبل، وكان يبدو لي دائمًا كنوعٍ من الهوس، ولهذا السبب أردت أن أجرِّب هذه المرة وأحضره على أرض الواقع، شعرت بأنني مجبرةٌ على خوضِ مهمةَ التصويت المزعجة، لذلك أدليت بصوتي، أخذت وقتي في المفاضلةِ بين العم "بطوط" والمحتالة "موديستي بلايز"، ولكن في النهاية قررت أن أمنح صوتي للمرشح الذي عاملني باعتباري ندًّا له طوال الوقت الذي عملت فيه في الكابينة، السيدة "فوتيلاينن" كانت تدلي بصوتها في الوقت نفسه، لذلك عدنا معًا إلى شقتنا أثناء العاصفة، صنعت كعكة القهوة والفراولة احتفالًا بالانتخابات.

في المساء جلست أمام الكمبيوتر أتصفَّح مواقع الإنترنت بحثًا عن "بوريس فاسيليف"، لا توجد الكثير من المعلومات حول مدى شهرة الرجل، على الأقل وفقًا لما قاله "ديفيد"، من الواضح أن هذا الرجل أراد أن يظلَّ متواريًا عن الأنظار، اتصلت بي "هيلينا"، وقالت إنها ستذهب إلى "كيركونومي" لتغيير ملابسها، وسنلتقي في الملهى الليلي "تافاستيا"، حيث سيترقَّب الحزب الأخضر من إعلان نتائج الانتخابات.

لم يكن لديَّ أيُّ فكرةٍ عن نوع الملابس التي يجب ارتداؤها في مناسبةٍ كهذه، لذلك ارتديت بنطالي المعتاد، وحذائي القتالي، وقميصي ذا الأكمام الطويلة ومطبوعٌ عليه صورة رأس "الوَشَق"، وجدته في متجرٍ في قرية "جرينتش" ودفعت ثروةً مقابله، لا أريده أن يبلى، بل يدوم إلى الأبد، لذلك نادرًا ما ارتديته.

ارتبط "تافاستيا" عندي بموسيقى الروك الصاخبة، وبالسكارى الذين يترنَّحون ويتعثرون، وبالأرضية اللَّزِجة بسبب البيرة التي انسكبت عليها، وبدخان

السجائر، فرض الملهى حظرًا على التدخين، وبدلًا من أن يجلس الناس لمشاهدة الفرقة الموسيقية الليلية، ظلوا يحدقون بشاشة التليفزيون، منتظرين على أحرِّ من الجمر نتائجَ التصويت فور إعلانها، بالنسبة لي لا تتجاوز الإثارة في هذا المشهد تلك التي أجدها وأنا أنتظر الطلاء أن يجفَّ، لم تحضر "هيلينا" بعد، ولأنني لست في مواعيد العمل الرسمية، طلبت شراب "الجن" مع عصير "الجريب فروت" وبعض الثلج، ظللت أتبادل أطراف الحديث مع بعض المساعدين بالبرلمان لفترةٍ من الوقت، أنا لا أنتمي لهذا الحشد، غير أنَّ مراقبة سلوك الناس في مواقف جديدةٍ يضيف لخبرات أيِّ حارسٍ شخصي، إنه لأمرٌ مدهشٌ ألا ينتبه الناس إلى سلامتهم وهم يحدقون في الشاشة، رغم تأكد الحراس في "تافاستيا" من أن الجميع تركوا ستراتهم في غرفة المعاطف، إلا أن أيَّ امرأة يمكنها تهريب مسدسٍ في محفظتها، مع خرطوش طلقات الرصاص، إذا أراد أحدهم أن يتخلص من غالبية الحزب الأخضر بضربةٍ واحدةٍ فهذه فرصتهم، وسيجد الأمر سهلًا، آمن الناس بالطبيعة الخيرة للآخرين، ثم صُدموا عندما قرأوا عن إطلاق النار في المدارس، وقتل آباء وأمهات لأسرهم بأكملها، لا بد أنهم أدركوا أن أيَّ شخصٍ يمكنه أن يفعل أيَّ شيءٍ.

وفي فنلندا، تجد رئيسة الجمهورية تتجول في المدينة دون أن تُلقي بالًا للعالم من حولها، لقد لمحتها ذات مرةٍ في حمام مسرح سينما "تنيسبالاستي" وهي ترتدي بدلةً رياضيةً وقبعةَ بيسبول، كنَّا بمفردنا عند الأحواض، ومن الممكن أن أفعل معها أيَّ شيءٍ، تظاهرت بأنني لم أتعرف عليها وتخيلت كم سيفزع "مايك فيرتيو" إذا أخبرته بذلك، فهو لا يخلع سترة "كيفلر" الواقية من الرصاص حتَّى عندما يذهب للسباحة، وهناك إشاعةٌ تقول إنه كان يرتديها أثناء النوم أيضًا، ولأن "مايك" لم يكن من النوع الذي ينام في المكان نفسه مع طُلابه، فلم نتمكن أبدًا من إثبات الأخيرة، ولكننا شاهدنا صورًا له في "لونج آيلاند" وفي شاطئ "برايتون" وهو يسبح مرتديًا سترته.

ارتديت سترتي الواقية عدة مراتٍ في روسيا، رفضت "أنيتا" أن ترتدي واحدةً؛ لأنها اعتقدت أنها كانت غير مريحةٍ، وتجعلها تبدو سمينة، لم أرتدِ خوذةَ مكافحة الشغب منذ أيامِ التدريب في الأكاديمية، ومع ذلك فقد خضنا معاركَ وهميةٍ مع أعداءٍ وهميِّين، واقتحمنا المباني، ومنعنا مثيري الشغب من الدخول.

توالت نتائج الفائزين المتوقعين على الشاشة، وتذمَّر الحشودُ قائلين إن الأصوات ستصبح أفضلَ بمجرَّد إعلان عدد الأصوات في "هلسنكي"، طلبت من فتاةٍ ترتدي سترةً صوفيةً أن تراقب مشروبي حتَّى أعود من دورة المياه، وهناك حاولت الاتصال بـ"هيلينا" لكنها لم تجب، ربما كانت في القطار ولم تكن الشبكة جيدةً بالأنفاق، لو كنت أعرف أيَّ قطارٍ استقلت؛ لذهبتُ لمقابلتها، على الرغم من أن فكرة الوقوف تحت الأمطار الغزيرة لم تكن فكرةً لطيفة، اتَّسم المزاج العام في الحفل بالتفاؤل، على الرغم من ضعف الأصوات التي حصل عليها الحزب الأخضر.

لم تتصل بي "هيلينا" حتَّى الساعة التاسعة ولم ترد على هاتفها، وبدأت أشعرُ بالقلق، عدت إلى غرفة الاستراحة، وحبستُ نفسي في الحمام، ثم أخرجتُ جهاز التعقب، وجدت "هيلينا" على الفور في موقعٍ بين "كاريا" و"تميساري"، ظلت النقطة الخضراء على الشاشة تتحركُ ببطءٍ باتجاه الشرق إلى "هانجونتيه"، حاولت الاتصال بها مرةً أخرى، لكن الرسالة الآلية أخبرتني بأن الرقم الذي اتصلت به لا يمكن الوصول إليه الآن، بحثت عن رقم "تيكو ألتونين" واتصلت به، قال:

– ماذا؟ لستُ مهتمًّا بالأمر.

بدا من صوته أنه مصابٌ بإنفلونزا، ولا توجد أصواتُ سيارات في الخلفية، خفضت صوتي إلى أقصى حدٍّ ممكنٍ وقلت:

– مرحبًا، معك "ريسكا راسانين" هل نسيت محادثتنا الصغيرة؟

– من؟

- التقينا مؤخرًا في "كيركونومي"، في منزل "هيلينا"، ألم تتلقن درسكَ بعد؟
- عن ماذا تتحدث؟
- أين أنت يا "تيكو"؟ متى يمكنني رؤيتكَ؟
سمعت أحدهم يدخل الحمام، اللعنة، لن أستطيع تغيير صوتي مرةً أخرى الآن، قال:

- أنا بالمنزل في "ماتنكالا" أشاهد برنامج "نجم فنلندا"، اسمع يا رجل، هل أذيتها؟ أم هل تجرب حظك؟ الانتخابات اليوم، ومن المحتمل أن تكون "هيلينا" في حفل حزبها، لم تردكَ هناك، أليس كذلك؟

أغلقت الخط في وجهه، يمكنني التحقق مما إذا كان "تيكو" يقول الحقيقة أم لا بالتوجه إلى حيث يوجد، لكن جهاز تتبع "هيلينا" لم يشر إلى وجودها في أيِّ مكانٍ بالقرب من "ماتنكالا"، وها هي وصلت "تميساري"، لم أستطع التأكد من أن الجهاز لا يزال مثبتًا في رقبة "هيلينا"، لكنني أعرف أنه لا خيارَ أمامي سوى افتراضِ أنه موجود، ارتكبت خطأً سخيفًا آخر عندما تركت "هيلينا" تذهب وحدها إلى "كيركونومي"، لماذا غادرَت وحدها؟ هل لتشاهد تغطيةَ الانتخابات مع شخصٍ ما في "تميساري" حقًا؟

سألتُ المساعدَ الذي كنت أدردش معه عندما عدتُ إلى البار:
- ألم يظل أحدٌ هنا من "تميساري"؟
- أعتقد أن لديهم احتفالهم الخاص، لماذا تسألين؟ انظري، انظري! ها هو عدد أصواتنا يرتفع! ألم نتوقع ذلك؟

لم أكن مهتمةً بمؤشرات التصويت، لكنني لم أرغب أيضًا في أن يعلن عن نبأِ اختفاء "هيلينا" على شاشة التليفزيون الوطني، وتحت أعين الصحفيين المتيقظة التي لا تفوتها شاردةٌ ولا واردة؛ منتظرةً بفارغ الصبر رصدَ أيِّ رد فعلٍ يصدر عن السياسيين، عندما أخذ زعيم الحزب استراحةً من المقابلات،

شققت طريقي إليه عبر الحشود لأخبره أن "هيلينا" أصابتها جرثومةُ معدة من نوعٍ ما وأنها عالقة بمنزلها، همست له قائلة:

– أخبرتها ألا تأكل السمك المدخن الذي مضى عليه يومين، لكنها لم ترغب في إهدار الطعام و.. من فضلك لا تخبر أحدًا، لأنها تشعر بحرجٍ شديد.

– سوف أطمئن عليها بنفسي، مسكينة!

عاد زعيم الحزب لمتابعة الأرقام التي تتوالى على شاشة التليفزيون، لذلك تمكنت من مغادرة "تافاستيا" دون أن ألفت الانتباه، اتجهت "هيلينا" شمالًا من "هانجونتيه"، استوقفت سيارةَ أجرةٍ بالقرب من الفندق، اضطررت إلى الذهاب إلى شقتي كي أستعيد مسدسي والسترة الواقية من الرصاص، وحقيبة ظهر، وأبدل ملابسي، سأحتاج سيارة، سألت سائقَ سيارةِ الأجرة إذا كان يعرف مكانًا لتأجير السيارات يفتح أبوابه على مدار الأربع والعشرين ساعة، قال السائق إن بوسعه اصطحابي إلى أيِّ مكانٍ طالما سأدفع ثمن المِشْوَار، لكنني أردت الذهاب بمفردي، بدا سائقُ سيارة الأجرة في الستين من عمره ولم يكن يشبه بطل "الأكشن" الذي قد يفيدني في هذا الموقف، قال إنه سيبحث عن مكانٍ لتأجير السيارات، وهو في انتظارِ عودتي، قال إنه متأكدٌ من أنه سيجد بالمطار مكانًا ما زال مفتوحًا.

وجدت "جيني" و"ريكا" يشاهدان تغطيةَ ليلة الانتخابات، وظهر على الشاشة زعيم حزب الفنلنديين الحقيقيين "تيمو سويني" وبدا مطمئِنُ البال، انشغلتا رفيقتايَ في السكن بمتابعة الانتخابات، ومن ثَم أحضرتُ مسدسي، وحزمت ثلاثة أمشاطٍ من الذخيرة دون إثارة الشكوك، لقمت مسدسي الذي يأخذ خمس عشرة طلقة؛ ثم وضعته في جرابي تحت إبطي، لم أرتدِ السترة الواقية من الرصاص حتَّى الآن، حزمت كذلك معدات وأدوات "ريسكا" معي في حال احتجتُ إلى تنكرٍ، طلبت من "ريكا" استخدام طابعتها فنسختُ خريطةَ "هيدنييمي"، رغم أنني ليس لَدَيَّ أيُّ فكرةٍ عما إذا كانت لها أيُّ صلةٍ باختفاء "هيلينا" أم لا، وضعتُ جواز سفري في

كيسٍ مضادٍ للماء، حيث احتفظت أيضًا برخصتَي قيادة، واحدةً لي والأخرى لــ"ريسكا"، وأخذت أيضًا كمبيوتري المحمول وجهاز "دونجل" لاستخدامه في الاتصال بالويب في أيِّ مكان، بالإضافة إلى بطاريةٍ احتياطيةٍ لهاتفي المحمول، وبضعة قوالب من مكملات الغذاء، وزجاجة مياهٍ ومناديل معقِّمة، وملابس داخلية ثقيلة، وهكذا أصبحت على أتمِّ استعدادٍ للتحرك، ارتديت معطف التخييم لأن المطر لا يريد أن يتوقف. قال لي سائق سيارة الأجرة:

– يجب أن تذهبي إلى المطار؛ لديهم الكثير من خيارات استئجار السيارات هناك، إلى أين أنتِ ذاهبة في هذا الطقس السيئ على أيِّ حال يا عزيزتي؟ هل المِشْوَار بعيد؟

– لست واثقةً؛ قد يكون بعيدًا،

– هل تلاحقين حبيبكِ؟

أبدى السائق تعاطفًا معي، لكنني لم أملك الطاقةَ الكافية لابتكار قصةٍ مفصلةٍ، فقلت له إنها رحلة عمل، اكتشفتُ أن استئجار سيارةً ليس بالأمر الصعب، قلت لهم إنني لا أعرف بعد متى سأعود، ولأن رصيدي ببطاقةِ الائتمان كافيًا فليس هناك داعٍ لأن يقلقوا، عندما قدت سيارة "الأوبل" وخرجت من المطار، كان المطر ينهمر بغزارةٍ لدرجة أن مساحات الزجاج الأمامي واجهت صعوبةً في الاستمرار، أخذت الطريق الدائري رقم 3 غربًا وتمنيت أن تكون الرياح مواتية، يعتبر الطريقُ الدائريُّ أسرع طريقٍ للوصول إلى طريق "هانكو"، ولحسن الحظ كان معظمه مُضاءً جيدًا، ظللت أزيد من سرعتي، وصلت إلى سبعين ميلًا في الساعة، بينما الحد الأقصى أربعين، أشقُّ طريقي بسرعةٍ عبر الأضواء الصفراء، لو تواجد رجال الشرطة بالخارج في هذا الطقس، لنُفذت الأمرَّينِ في محاولة إقناعهم بعدم مصادرة رخصتي على الفور، عندما مررتُ بمجموعة سياراتٍ روسيةٍ ضخمةٍ انزلَقت السيارة "الأوبل" على الطريقِ الزلقِ بفعل المطر للحظةٍ، لكنني سرعان ما استعدت السيطرةَ عليها مرةً أخرى، وضعت جهاز التتبع بجواري وأنا أقود، وظللتُ أتابع النقطةَ الخضراء التي تتحرك على

شاشته بطرف عينِي، منذ أن غادرت المطار، رأيت النقطةَ تتحرك ببطءٍ، وبوتيرةٍ توازي سرعة المشي العادية تقريبًا، حاولت الاتصال بـ"هيلينا" مرةً أخرى لكنها لم ترد، خمنت أن هاتف "هيلينا" لم يعد معها، وربما لا تعرف حتَّى مكانه.

عند "إسبو"، انعطفتُ ودخلتُ محطةَ وقود "فينو رود" لشراء قهوةٍ وتفقد مكان "هيلينا"، أدخلت الكود، وفور أن ومضت الشاشة وظهرت المعلومات، شتمتُ بكل اللغات التي أعرفها: لقد أظهر جهاز التعقب أنها في "تيفيرجايكين"، ثم "برومارف"، ثم "دوراك"، يا لغبائي! كان ينبغي أن أدركَ ذلك.

إن "هيلينا" في فيلا "فالنتين باسكفيتش" المطلة على المحيط في "برومارف"، أنا من ترك "هيلينا" تذهب بمفردها إلى "كيركونومي"، فخطفها "باسكفيتش"، ها هي ربةُ عملٍ أخرى على وشكِ مقابلة خالقها على يد "باسكفيتش".

دفعت ثمن قهوتي وشربتها في جرعتين، ثم ركضت إلى السيارة، تقع "برومارف" على بعد ستين ميلًا تقريبًا، ولحسن الحظ إنني أتذكر الطريق المؤدي إلى فيلا "باسكفيتش"، انطلقت على الطريق الدائري، قبل أن يندمجا المساران في مسارٍ واحدٍ، تمكنت من اجتياز سيارة "تويوتا كورولا" بطيئةَ الحركة، تترنح من جانبٍ إلى آخر ويبدو أن من يجلس خلف عجلة القيادة مخمورٌ تمامًا، كنت أقود السيارة الآن بسرعة خمسة وسبعين ميلًا، وأتمنى ألا يصادفني أيلٌ على الطريق وإلا اصطدمت به،

هل ينبغي أن أستدعي الشرطة؟ إذا اقترب "باسكفيتش" من "هيلينا"، لاتصلت بي، كما أنني أخبرتها أن تبلغني بأيِّ تغييراتٍ تُجريها في جدولها، يُعتبر اختطاف نائبةٍ أمرًا خطيرًا، وجريمةً لا يمكن إخفاؤها عن وسائل الإعلام فور تدخل الشرطة، إلى جانب ذلك، لم يمض على اختفاء "هيلينا" وقتٌ طويلٌ يسمح بإدراجها في عداد المفقودين، لا، كان من الأفضل العمل بمفردي، ورغم أنني لا أعرف ما الذي ينتظرني في "برومارف" لكن إذا قتل "باسكفيتش" "هيلينا" أيضًا، فلن أدع ذلك النذل يعيش.

19

انطلقتُ على طريق "هانكو" المطير وكأن حياتي متوقفةً على إنقاذ "هيلينا"، مررت بسرعة البرق على "كيركونومي"، و"سيونتيو"، و"إنكو"، و"كاريا"، ظللت أحاول الاتصال بـ"هيلينا" على هاتفها دون جدوى، أعلم أنه لا ينبغي أن أفترض أن جهاز تتبع "هيلينا" ما زال مثبتًا خلف رقبتها؛ لعلَّهم رصدوا الجهاز ويستخدمونه الآن لاستدراجي.

رأيت حادثًا على مسافةٍ بعيدة، بعد مخرج "كاريا" الفرعي، انزلقت سيارةُ "أودي" حمراء صغيرة وهي تنعطف إلى طريق "هانكو"؛ وصلت الشرطة لموقع الحادث قبل أيِّ أحد، لم تكن هناك أيُّ سياراتٍ على الطريق، لكن حركة المرور كانت متعثرةً ومتباطئةً لأنها تحولت إلى حارةٍ واحدة، أخرجوا من يقود السيارة للتوِّ من بين المعدن المهشم ووضعوه على نقَّالةٍ، ولمحت امرأةً تنزف.

عندما وصلت أخيرًا إلى "تميساري"، نظرت إلى الخريطة ثم حولت اتجاهي شمالًا على بعد ميلين من وسط المدينة، تغيَّر الحد الأقصى للسرعة من أربعين إلى

خمسين، كان الطريق خاليًا لأن الجميع بالمنازل في انتظار نتائج الانتخابات النهائية على شاشة التليفزيون، رأيت عينين تومضان في الظلام، كانتا لقطةٍ بيضاء تتحدى المطر الغزير وظلَّت تحدق بي كما لو أنها لا تجدُ من يُقلها.

أصبح الطريق متعرجًا ويقود إلى دربٍ غير ممهدٍ، أخذ يضيق أكثر فأكثر، لقد جرف المطر ما يكفي من التربة حتَّى أن القلق ساورني خشيةَ أن يحدث انهيارٌ طيني؛ لم أرغب في أن ينتهي الأمر بسيارتي وهي تسقط في حفرةٍ موحلة، قدت سيارتي عبر البرك الواسعة التي غطت الطريق والتي أجهل مدى عمقها ثم علقت في الطين في منعطف على الطريق، واستغرق الأمر بعض الوقت كي أجرَّ السيارة وأمضي قدمًا مرةً أخرى، كان الطريق المؤدي إلى فيلا "باسكفيتش" ضيقًا جدًا، لحدِّ أنني قد لا أتمكن من اجتيازِ راكب دراجةٍ يسبقني، انتبهتُ لعملية توسيعٍ في جزءٍ من الطريق لإنشاء منعطف، أوقفت سيارتي في مواجهة الاتجاه المعاكس حتَّى يمكنني الخروج من هناك بسرعةٍ إذا لزم الأمر، وفقًا لحساباتي، كان مخبأُ "باسكفيتش" على بعد ثلاثمائة مترٍ تقريبًا، تركت حقيبة الظهر في السيارة، وارتديت كلَّ أدواتي، ولم آخذ إلا الضروريات فقط؛ كل ما يمكن وضعه في جيبي وفي كيسٍ صغيرٍ علقته في رقبتي.

لا أدري أيَّ نوعٍ من نظام الأمان كان "باسكفيتش" يستخدم في فيلته التي من الصعب الوصول إليها بسبب الطرق المتعرجة، إن الاقتراب من الملكيات الخاصة المطلَّة على المحيط عن طريق البحر يُعتبر أسهل بكثيرٍ، لم ألقِ نظرةً على صورة القمر الاصطناعي الفضائية للمبني، لذا لم أعرف ما إذا كان هناك سياجٌ حول هذه الأرض التي تشمل فيلا مساحتها 3700 قدمًا مربعًا، وحمام ساونا بحري وكوخًا للضيوف ومرآب، إذا انتهى السياج الأمني للممتلكات عند الواجهة البحرية، فهذا يعني أنني بحاجةٍ إلى سرقة قاربٍ كي أدخلها، لعل "باسكفيتش" ثبت جهاز كاشف الحركة في محيط ممتلكاته، وقد تستقبلني الكلاب البوليسية الشرسة والحراسُ المسلحون بحفلةِ ترحيب، لا بد وأن أضللهم إذا أردت أن أعثر على "هيلينا"، انتابني القلقُ من أن يبلِّل

المطر شاشة جهاز التتبع فيتوقف عن العمل، لذلك توقفتُ للتحقق من ذلك، فيما يبدو أن "هيلينا" داخل الفيلا.

ضرب المطر وجهي جرَّاء هَبَّة ريح؛ شعرت بالمياه تتسرب وتسيل على جلدي، خطوت داخل بركةٍ عميقةٍ وشعرت بالماء يملأُ حذائي، لطالما تجولت وأنا طفلة، لكن هذا النوع من الظلام الدامس ليس مألوفًا بالنسبة لي، باستثناء تلك المرة التي انقطعَت فيها الكهرباء في مترو الأنفاق في نيويورك، واستغرق الأمر بضعَ دقائق حتَّى تمكن الناس من استخدام الوَلَّاعات وهواتفهم المحمولة، تسبب شَرَر الوَلَّاعات الوامض في حالةٍ من الذعر بين بعض الركاب؛ فلو اندلع حريقٌ في مساحةٍ مغلقةٍ من هذا النوع، فربما يودي إلى كارثةٍ، هذه المرَّة وجدت نفسي وحيدةً في هذا الظلام الدامس.

سرعان ما بدأت الأضواءُ الكهربائية تومض في الظلام من حولي وأنا أقترب من الفناء والنوافذ الخلفيَّة، لكنني لم أرَ أيَّ سياجٍ في أيِّ مكان، توقفت مرةً أخرى كي أدقق في الأضواء؛ فقد يكون بها أجهزة كشف الحركة، وكي أحدد كيف أمر دون أن تطلق صفيرها، ورغم أنني انتظرت سماع نباح كلاب، لم أرَ أيَّ بيوتٍ للكلاب ولا أطواق.

يبدو أن لا أحد رصدني وأنا أحوم حول الفيلا، رأيت خلف النوافذ ذات الستائر أطياف أجسامٍ بشريةٍ ضبابيةً للغاية، فتعذر عَلَيَّ معرفة من هم، مشيت تحت جنح الظلام إلى كوخِ الضيوف، وقفزت متراجعةً إلى الوراء عندما سقط عَلَيَّ شعاعُ ضوءٍ، يبدو أن أجهزة كشف الحركة كانت تعمل، وانتشر الضوء على طول الطريق إلى الشاطئ وحمام الساونا حيث يخرج دخانٌ من المدخنة، كانت أبواب الجَراج مغلقة، اتصلت بـ"هيلينا" مرةً أخرى دون جدوى، إنني مستعدةٌ للتضحية بأيِّ شيءٍ مقابل سماع صوتها والتأكد من أنها على قيد الحياة.

تسللتُ إلى الجزء الخلفي من الفيلا مرةً أخرى، وتوصلت إلى خطةٍ للدخول، كان يجب أن أرتدي زيَّ "ريسكا"؛ لأن التنكر قد يخدع "باسكفيتش" ورجاله لفترةٍ، فهم

على الأرجح سيتعرفون على شخصية "هيلجا"، لقد تتبعوا "أنيتا" أولًا ومن بعدها "هيلينا"، وفي المرتين اختاروا اللحظةَ المثالية، عندما انشغلَت الحارسةُ الشخصيةُ وغفلت عنها ثم ارتبكت وقَصَّرَت في عملها، فبأيِّ حقٍّ أحمي نفسي هنا؟ لا بد وأن أدخل وأدَّعي أن إطار سيارتي قد ثُقب، أو أنني ضللت طريقي تمامًا بسبب المطر والظلام.

كنتُ متوترةً للغاية لدرجةِ أنني شعرتُ برغبةٍ في التبول، تعمقت في الغابة قليلًا وفتحت سحاب بنطالي، فغمر المطر مؤخرتي على الفور وباءت محاولتي لإيقافِ تدفق القطرات إليها بالفشل، تناولت جرعةً من مشروب الطاقة، وألقيت بالعُلبَة في الغابة ثم توسلت إلى أرواح الغابة أن يمنحوني المغفرة، أنا الآن مستعدةٌ لاقتحام عرين الأسد، مشيت في الفناء غَيْرُ عابئةٍ بالمخاطر، هناك بضع درجاتٍ تؤدي إلى الباب الأمامي، ولكن الجانب الغربي من الفيلا به باب آخر، لعله مخصَّص للخدم، عندما توجهت نحو ذلك المدخل فجأةً سقط عَلَيَّ شعاعُ ضوءٍ قوي، فُتح الباب الجانبي بعنفٍ وسُلِّط ضوءُ كشافٍ قويٍّ ساطعٌ صوب عيني مباشرةً فأعماني، سمعت صوت ذكرٍ غاضبٍ يقول بلغةٍ فنلندية يصعب تحديد لهجتها المحلية:

– وصلتِ أخيرًا! انتظرناكِ لثلاثين دقيقةٍ كاملة، لا تبدئي في اختلاق الأعذار، تأخرتِ كثيرًا عن موعدكِ، ادخلي!

مرر شعاع الضوء على جسدي إلا أنني ظللتُ غير قادرةٍ على الرؤية بسبب شدة الضوء، أكمل قائلًا:

– هل أنت صماء، أم أنكِ لا تتحدثين الفنلندية؟ طلبنا فتاةً فنلندية تحديدًا؛ وهو هدف هذه الصفقة! تحركي، هيا، تأخرنا بالفعل بما فيه الكفاية.

امتثلتُ لأمره كي أتخلص من المطر فقط، ولأن الخيارات الأخرى القابلة للتطبيق هي: إما الوقوع في الغابة المظلمة، أو المخاطرة بالتعرض للرمي بالرصاص، أو الاضطرار إلى إطلاق النار على الآخرين، وهذا ليس بالشيء الرائع أيضًا، كان الرجل

الذي أشار إليَّ كي أدخل من ذاك النوع الذي قضى نصف حياته في صالات الألعاب الرياضية، قصَّ شعرَه الأحمر قصةً قصيرةً ولديه وشمٌ على رقبته لا يتناسب بالمرةِ مع نمش جلده، عندما دخلت، كان لا يزال يحدق بي، قال:

– واو، أيُّ ملابسَ تلك التي.. لا بأس، أظن أنه لا يمكنك الخروج تحت المطر وأنتِ ترتدين شيئًا قصيرًا وضيقًا، ما ترتدينه ليس مثيرًا بالمرَّة، لنرَى ما إذا كانت الملابس التي لدينا ستناسب مقاسك أم لا، أنت طويلةٌ جدًا، أليس من المفترض أن يكون مقاسك أربعة؟ اخلعي هذه القبعة.

جذبت القبعةَ من على شعري.

– شعرك قصير.. لا بد وأن لدينا هنا شعرًا مستعارًا في مكانٍ ما، وكذلك ماكياج يفعل العجائب، أين تركتِ سيارتكِ؟

– أحدهم أقلني إلى هنا.

– ماذا؟ لكننا اتفقنا على السريَّة التامة، أليس كذلك يا "ساريتا"؟ من أحضركِ؟

– صديقي.. صديقي "بيت"، أخبرته أنني ذاهبة إلى كوخ صديقٍ للمساعدة في تنظيفه استعدادًا لفصل الشتاء، إنه بالفعل لا يدري شيئًا عن سبب وجودي هنا.

– "بيت"، هه؟ حسنًا، هذا أفضل، اتبعيني؛ سأريكِ غرفتكِ وملابسكِ، لا بد أن ينال "فالنتين" هديةَ عيد ميلاده.

تذكرت السيارة الحمراء على جانب الطريق والمرأة الشابة التي على النقالة، كانت "ساريتا" في طريقها إلى هنا، لكن سيارتها انزلقت على الطريق وانقلبت في حفرة، الأفضل أن أتصرف بطريقة "ساريتا"، بغض النظر عما أنا مضطرةٌ إليه، أرغب في أن أكمل ما بدأته، قادني صاحبُ الشعر الأحمر إلى الطابقِ العلويِّ في نهاية الرواق وبعد ذلك أضاء الأنوار في الغرفة، بدا المنظر وكأنه مشهدٌ من فيلمٍ إباحيٍّ رخيص، فالجدران والستائر والملاءات من الحرير الأحمر والمخمل، هناك مرآةٌ كبيرةٌ بإطارٍ ذهبيٍّ مثبتةٌ في سقف سريرٍ ذي أربعةِ أعمدة؛ وهناك مرآةٌ أخرى على الأرض، والثالثةُ بجانب منضدةِ

الزينة، هناك زيٌّ راعية بقرٍ من جلد "الفينيل" الأسود والعديد من الأشرطة الجلدية على السرير، وبجانبه أحذيةٌ حمراء بكعبٍ عال صغيرة المقاس جدًا بالنسبة لي، ومكدَّس على منضدة الزينة كومةٌ من حقائب اليد تفيض بالمكياج والعطور، قال:

– ارتدي هذه الملابس، سأعود للاطمئنان عليكِ قريبًا، فصبر "فالنتين" قد نفد.

الخبر السار هو: لو أن "باسكفيتش" قد طلب عاهرةً بمناسبة عيد ميلاده، فهذا يعني أنه لا ينوي قتل "هيلينا" الآن، أم هل أنا، أيْ "ساريتا" المجهولة، سأكون بمثابةِ فاتحٍ للشهية يتناوله "باسكفيتش" قبل أن يلتهم الطبق الرئيسي؟ هل يثيره العنف جنسيًّا؟

خلعت معطفي المبلل وسروالي وعلقتهما، لمحت في المرآة امرأةً ترتدي قميصًا صوفيًّا وملابس داخليةٍ ثقيلة، العالم مليءٌ بشتى أنواع الشخصيات غريبة الأطوار؛ فلا بد أن هناك رجالًا سيجدون ملابسي الحالية مثيرةً للغاية، برز جراب المسدس من تحت قميصي ولا أعرف أين سأخفيه، فمتاجر المستلزمات الجنسيَّة لا تبيع عادةً ملابس مصممة ليكون بها جراب يخفي مسدسًا.

ما الذي يتوقعون أن أرتديه؟ هذا الزي من جلد "الفينيل" غطى الجزء الأسفل بالكامل تقريبًا، لكن مؤخرتي ظلت مكشوفةً ومرئيةً تمامًا، لم تكن هناك سراويل داخلية، لذلك افترضت أن فكرة هذا الزي هي أن أتجول وكلُّ شيءٍ معروضٌ على الملأِ ومتاحٌ لمن يرغب، القبعةُ من الجلد الأسود أيضًا، ووجدت نوعًا غريبًا من القمصان مكونًا من خيوطٍ متشابكةٍ تكشف عن الثديين، وتجعل مَن يرتديه يبدو مكبلًا بالقيود وتحت تلك الخيوط المتشابكة يوجد جراب لنسخةٍ من مسدس "بيريتا 9 ملم" مقلدةً بإتقانٍ حتَّى أنه يمكن أن يخدع صراف بنكٍ عديم الخبرة، بل وقد يخدع شرطيًّا يسهل إرباكه، وقبضته تشبه قبضة مسدسي، هل يريد "باسكفيتش" أن يُصوب مسدسًا إلى رأسه وهو يمارس الجنس؟ لقد رأيت ما يكفي من زنزانات نيويورك المخصَّصة

للتعذيب الجنسي، حتَّى أنني لم أعد أندهش من غرابة شهوات البشر الجنسية، إذا أراد "باسكفيتش" أن يلهو بمسدسٍ لعبة، فقد لا تتاح لي الفرصة لتبديله بمسدسي الحقيقي، من يدري؛ قد يفضل "فالنتين" أن يُصوب المسدس إلى الآخرين.

ارتديت جميعَ قطع هذا الزيِّ باستثناء المسدس والأحذية والقبعة، ثم ذهبت إلى منضدة الزينة، لقد ذكر صاحب الشعر شيئًا عن شعرٍ مستعار، ووجدت ضفيرةً شقراءَ في صندوقٍ تشبه تلك التي على غلاف عبوة رقائق شوفان "إلوفينا"، استخدمت دبابيس الشعر لتثبيت الضفيرة في رأسي وأخفيت الثنايا بشريطِ جلدٍ أسود وجدته في صندوقٍ آخر، أطل الرجل بشعره الأحمر من الباب وقال:

– كم بقي لكِ من الوقت؟

– ما زلت بحاجةٍ إلى وضع مكياجي، هل تفضل لون أو أسلوب معين؟ ولا يمكنني ارتداء تلك الأحذية؛ إنها صغيرةٌ جدًا.

– أنتِ قلتِ إن مقاسك 7!

– لا، لم أقل، أخبرتك أن مقاسي 8! هل تحدثت معكَ عبر الهاتف أم مع شخصٍ آخر أصم؟

– اخرسي يا ملعونة! دعيني أرى لعلِّي أجد شيئًا يناسبكِ، قبل أسبوعين جاء إلى هنا ذلك المخنث "هاينز"، صديق "فالنتين" الذي يرفه عنه ويسليه، سأرى ما إذا كان قد ترك أيًّا من أحذيته هنا، ضعي ماكياجًا ثقيلًا: عيونٌ سوداء وشفاهٌ حمراء مثل فتاةٍ لعوبٍ حقيقية، كما تعلمين، هيا، أسرعي!

أوشكت أن ألقي بالأبله ذي الشعر الأحمر ثقيل الدم أسفل الدَرَج، لكنني سأكتفي في الوقت الحالي بأن ألعنه، فلديَّ أمورٌ أخرى أهم منه، عاد إلى الردهة، حيث سمعته يفتح بابًا آخر، بحثتُ في حقائب اليد عن البودرة، ووضعت كريم الأساس على وجهي وحددت عيني باللون الأسود، اخترت ظلال العيون اللامعة ذات اللون الرمادي الداكن

ووضعت منها طبقاتٍ تكفي لإخافة الرجل المثلي المتنكر في صورة "ممثل يرتدي ملابس امرأة DRAG Queen"، وتظاهرت بأنني "ريسكا" يلعب دور امرأة، دمية جنسية، أردت أن أبدو فجَّة للغاية، لذلك قمت بنشر أحمر الشفاه في كل مكان حول حلمتي، آمل أن ينجح كل هذا المكياج في ألا يتعرف عَلَيَّ "باسكفيتش" فور أن يراني، ووجدت أن ارتداء كل هذا لا يختلف كثيرًا عن التحول إلى "ريسكا"، ولا عن ارتداء فستانٍ وكعبٍ عالٍ في حفلٍ من حفلات "أنيتا" الصاخبة.

عاد الرجل ذو الوشم وألقى نحوي بحذاءٍ أسود عالِ الكعب وقال:

- هذا كل ما وجدته، آمل أن يروق لـ"فالنتين"!

بدا الحذاء أكبر بكثيرٍ من قدمي، وفكرت في أن هذا الحذاء هو أفضل وسيلةٍ لإخفاء المسدس.

سألت الرجل الذي رتَّب على ما يبدو هذا اللقاء بين "ساريتا" و"باسكفيتش":

- ما اسمك مرةً أخرى؟ لقد نسيته، ومتى ستدفعون لي؟

- أنا "سامي" فحسب، وأنتِ "ساريتا" فحسب، ستحصلين على أجركِ صباح الغد، أنتِ وعدتِ بأن تقضي الليل كلَّه هنا، هل تتذكري؟ لا أعرف ما إذا كان "ترانكوف" الملعون هذا لديه خطةٌ أخرى قيد التنفيذ؛ لأنه جرَّ واحدةً من العاهرات هنا أيضًا، لكن تلك المرأة ليست من النوع الذي يعجب "فالنتين" على الإطلاق، فهي في الخمسينيات من عمرها ووجهها كثيرُ التجاعيد، أخشى أنكِ طويلةٌ جدًا بالنسبة له، لكنه رغب في امرأةٍ فنلندية، ولكن ماذا يعني ذلك؟ امرأةٌ طويلةُ الظهر وقصيرةُ السيقان؟

قلت له بنبرةٍ لا تثير قلقه أو خوفه:

- عليك اللعنة يا "سامي".

كان الأمر أشبه بالمزايدة، أردت أن أظهر له أنني أتكلم ببذاءةٍ كلغته، قلت:

- راجع الخطةَ معي مرةً أخرى، هه؟ ماذا تريدني أن أفعل؟

- لا أريد أيَّ شيءٍ، كلُّ شيءٍ من أجل "فالنتين"، تقول الشائعات أنه يقدم لنفسه عاهرةً جديدةً كل عامٍ كهدية عيد ميلاده، بلغ اليوم الخامسة والخمسين، ظل هذا الغندور المتصابي يزدرد الفياجرا لعدَّةِ أيامٍ، لذا استعدي، أوه، الحبال! يحب" فالنتين" أن يُقيَّد بالحبال عندما تصطاده راعيةُ البقر بأنشوطة حبل "اللاسو"، لا تربطيه بإحكام، انتظري، سأحضرها.

انصرف "سامي"، وشعرت برغبةٍ في تقبيل الحذاء الكبير المرسل إليَّ من السماء لأخفي فيه المسدس، ربطتُ مسدسي بسرعةٍ حول كاحلي الأيمن بحزامين من الجلد، كان الأمر لا يزالُ محفوفًا بالمخاطر؛ على الرغم من أن فوهةَ المسدس كانت مصوبةً نحو الأرض، فمن يدري ما يمكن أن يحدث وأنا أجتاز مراحل الرحلة الوعِرة التي قال "سامي" بأنني سأشارك فيها، لسوء الحظ، لم أستطع إخفاء أيَّ ذخيرةٍ إضافيةٍ في ملابسي، عاد سامي بالحبال ورمقني بلمحةٍ سريعةٍ ثم قال:

- لا بأس بكِ، لولا إخلاصي لزوجتي لضاجعتكِ، هل تعرفين كيف تصطادين بأنشوطة الحبل؟

تعرفت في الأكاديمية على "تشارلي ديفيس" من ولاية "نبراسكا" الذي كان نجمًا من نجوم مسابقات رعاة البقر في شبابه، وعلمني كيف أربط أنشوطة حبل "اللاسو" وأرمي بها لأقتنص البقر أو الخيول، بل إنني استخدمت هذه المهارة عندما اضطررت ذات صيفٍ أن أخرج بقرةَ جارنا من أحد المستنقعات، حدث ذلك بعد وفاة خالي "جاري"، عندما كنت أحزم أمتعته في الكابينة، ظل الجيران يحاولون سحب البقرة من المستنقع، لكن لم يتمكن أيٌّ منهم من رمي أنشوطة الحبل بعيدًا بما يكفي لتلتفَّ حول رأسها.

لم أفهم تمامًا سبب ارتداء رعاة البقر لقبعةٍ جلدية، لكن كما هو معروف، الناس أَذْوَاق، قبل أن أتوجه إلى الطابق الأرضي وكنوعٍ من التنسيق قلت لــ"سامي":

– لقد ذكرت أنَّ هناك عاهرةً أخرى هنا، إنها لا تحاول مزاحمتي في هذه الصفقة، أليس كذلك؟ أين هي؟ سأقول لها أن تنصرف من هنا.

– لا، إنه شيءٌ له علاقة بالعمل، حاول "ترانكوف" التواصل معها منذ زمنٍ طويلٍ واليوم حالفه الحظ، أخذها إلى حمام "الساونا"، لذا فهي لن تزعجكِ، هذا كل ما أعرفه، أنا مجرَّد حارسٍ هنا، وهذه حفل "فالنتين"، هيا تعالِ، فلنبدأ!

ولأنني لا أريد أن يعبث أحدٌ بأغراضي سألته:

– هل هذا الباب له قفل؟

ضحك "سامي" وقال:

– قفل؟ الأمر متروك لــ"فالنتين"، نحن نحسنُ معاملة الضيوف هنا، لا تقلقي بشأن ذلك، إذا أسعدتِه فقد يدفع لك مبلغًا إضافيًّا.

تبعتُ "سامي" إلى الطابق الأرضي، كانت الأضواء في الردهة خافتةً، والثريا مضاءةً بشموعٍ حقيقية، لم أستطع تحديد كم كان عمر الفيلا؛ للوهلة الأولى بدا أنها من حقبةٍ أخرى، ولكنها بُنيت على الأرجح قبل عامين فقط، كانت الغرفة التي دخلت إليها في اتساع الشقة المكونة من ثلاث غرف التي أعيش فيها على طريق "أونتامو"، وبها أيضًا إضاءةٌ غير مباشرة، لخلق حالةٍ ذهنيةٍ أو إحساسٍ مؤقت؛ هناك مصابيحٌ تومض بأضواء حمراء خافتة، ونيرانٌ مستعرةٌ بالمدفأة، والشموع تومض بوهنٍ في الثريا، وبعد سقوط وابلٍ من الأمطار الجارفة، أصبح الجوُّ دافئًا ومريحًا، هناك بالغرفة كراسي ذات أذرع، وأرائك مغطاةٌ بالجلد البني الناعم، ورأيت نفحةً من دخان السيجار تتصاعد في الهواء.

وجدت خادمتين تنتظران وهما تحملان صينيتي مشروباتٍ، أدركت أنها شمبانيا روسية في مبرد، كونياك، براندي، ومشروب "فانا تالين" الإستوني، عندئذ انتبهت إلى أن الخادمتين ذاتا العيون الداكنة والبشرة الشاحبة، والشعر الأسود القصير اللامع الأنيق، توأم. كانتا ترتديان قبعات الخادمات التقليدية المُكشكَشة، وباقي ملابسهما أقل تقليدية: زي "الفينيل" الأسود، ينخفض الجزء العلوي من الأمام جدًّا لدرجة أنني لمحت حلمتيهما تظهران وتختفيان، تنورتان قصيرتان بالكاد تصلان إلى أفخاذهما وفوقهما مريلةٌ بيضاء على شكل منديل صغير، جوارب وأحزمة ذات أربطة تلتف حول الساق، ربما تمثل الفتاتان تسليةً يومية لـ"باسكفيتش"، ظلتا تحدقان في وجهي دون إبداء أيَّ تعبيرات، لا بد أن رموشهما الطويلة المزيفة أصابتهما بالصداع، طُليت شفاههما باللون الأحمر الداكن، تحت ثيابهما الضيقة، جسدان مكتملان لامرأتين ممشوقتين، إلا أن أثداءهما منتفخة، من يدري، ربما حصلن على بعض المساعدة من عيادة تجميل باهظة الثمن؟ كان بإمكان "باسكفيتش" تحمل تكلفة ما يريد، بغض النظر عن الملايين التي أخذتها "أنيتا"، كان "سامي" على حق، فأنا أُعتبر في حالةٍ مزرية لأقصى حدٍّ مقارنةً بملكتي جمال الكون الماثلتين أمامي الآن، لا بد أن أستغل هذا الوضع لمصلحتي.

بدأ الكرسي ذو الذراعين الكبير أمام المدفأة يدور ببطء، بدا أن "باسكفيتش" تعمَّد أن يظهر أمامي بهذه الحركة المسرحية، قال "سامي" إنه يبلغ الخامسة والخمسين، وفي هذه الغرفة المظلمة أجد من السهل تصديق أن صديقي العزيز "فالنتين" كان أصغر من ذلك بكثير، شعره ليس رماديًّا على الإطلاق، بل كستنائيًّا رائعًا ومموَّجًا قليلًا، كان لديه شاربٌ، لكنه الآن حليقُ الذقن والشارب، وجلد وجهه مشدودًا وناعمًا، وعيناه الزرقاوان تلمعان، ويرتدي نظاراتٍ كبيرة من دون إطار، ورداءً من الحرير باللونين الأسود والأحمر وسروالًا أسود، انعكس ضوء الثريا على حذائه اللامع، قال بالإنجليزية وهو ينفخ نحوي دخان السيجار المستكين بين إصبعيه:

- أخيرًا!

هذا المشهد مبالغٌ فيه أكثر من اللازم، يشبه النقوش التي تزين كعكة عيد ميلاد، ثم أكمل قائلًا:

- يا لها من ابتسامةٍ جميلة، ما اسمكِ؟

- "سوزي".

قلت أول اسمٍ خطر على بالي، قال:

- "سوزي"، "ساريتا"، "آني ماي"، لا يهم.

لم يرغب "باسكفيتش" حقيقةً في معرفة اسمي، قال:

- "سوزي" إذن، هل تريدين أن تشربي شيئًا؟ ماذا تشرب راعية البقر عادةً؟ ويسكي "بوربون"؟ لديَّ بعضٌ من ويسكي "الفور روزس".

انزلق كعبُ حذاء إحدى الفتاتين الذي يبلغ ارتفاعه خمس بوصاتٍ على السجادة الحمراء الفاخرة مثل لاعبة تزلجٍ على الجليد، عندما طارت تنورتها، رأيت أنها لا ترتدي ملابسَ داخلية، على الصينية أنواعٌ مختلفةٌ من كؤوس الشراب، لم أكن متأكدةً أيهما أشرب، لذلك اخترت كأسًا يمكنه استيعاب حوالي نصف كوبٍ من السائل، فتحت الفتاة زجاجة "البوربون" بسرعةٍ كبيرةٍ لدرجة أنني لم أكن متأكدةً من أنها قد فُتحت بالفعل، ثم ملأتْ كأسي حتَّى الحافة تقريبًا، قال "باسكفيتش" وصوته ما زال ودودًا للغاية:

- ناوليني كأس "بوربون" أيضًا، يا "لينا".

يا لها من حفلةٍ ممتعة! رغم أن المدعوين الوحيدين لم يتجاوزوا حتَّى الآن المُضيف وضيفَ الشرف، قال:

- هيا الآن يا فتيات.

استخدم كلمة "ديافوشكيا" devushki الروسية وهي صيغة الجمع لكلمة فتاة، قال:

- سأتصل بكما إذا احتجت إلى أيِّ شيءٍ، لكن من فضلكما لا تزعجاني من الآن فصاعدًا، هيا تعالي هنا، يا صغيرتي "سوزي"!

وأنا أسير باتجاه "باسكفيتش"، عاودتني ذكريات "سيبو هولوباينن" وممرضةُ مدرستي، هناك ديوانٌ كبيرٌ خلف الكرسي مغطى بشالٍ سميكٍ من الحرير الأحمر، وإلى الخلف منه رأيت رفًّا يشبه للوهلة الأولى أرفف صالات الألعاب الرياضية التي تُنْصَب في الهواء الطلق، إلا أنه مصنوعٌ من الفولاذ الأسود، كان حبل التدريب ثقيلًا في يدي، هل كان "سامي" يراقب الغرفة بكاميراتِ الأمن؟ أم هل ظن "باسكفيتش" أنه لا أحد يمكن أن يمسَّه وهو في مخبئه وسط الغابة؟ هل هو غبيٌّ لهذا الحد؟ أم لعله يعلم بالفعل أنني أحمل مسدسًا، بعدما شاهدوني بالكاميرات وأنا أستعد بالطابق العلويِّ، من الصعب تصديق أن رجلًا واسع النفوذ مثل "باسكفيتش" ليس لديه أجهزة مراقبةٍ في جميع أنحاء منشأته.

أرجحت وركي بأفضلِ طريقةٍ ممكنةٍ وتوقفت بعيدًا عن متناول "باسكفيتش"، أردته أن يبادر بالخطوة الأولى، إذا لمسني، فعليَّ أن أتركه يفعل ذلك، استعددت وقلت لنفسي إنني سأتحرَّكُ عندما يحين الوقت المناسب، حسبت بسرعةٍ عدد الموجودين بالفيلا، بالإضافة إلينا نحن الاثنين، هناك خادمتان، و"سامي"، و"ترانكوف"، لكن ربما كان "ترانكوف" في حمام الساونا يراقب "هيلينا"، مَنْ مِنْ موظَّفيه موجودٌ هنا أيضًا؟ هل الخادمتان تقومان بالطهي، أم هناك طاهٍ؟ ماذا عن حراس الأمن؟ لا يبدو أن "سامي" و"ترانكوف" صديقان، ربما أستطيع أن أجعل "سامي" حليفًا لي، قال:

- مرحبًا.

ثم رفع "باسكفيتش" كأسه وأضاف بالروسية:

- "بروزيت" Prosit يا "سوزي".

أي في صحتكِ، فقلت بالروسية:

- "بروزيت جوسبادين" Prosit, gospodin.

أي في صحتكَ يا سيدي، ثم أكملت قائلة:

- عيد ميلاد سعيد، سمعت أنكَ بلغت الثلاثين من العمر، أم واحدًا وثلاثين عامًا؟

ضحك "باسكفيتش"، أخذ كلٌّ منا رشفةً من كأسه، لقد تأكدت من أن "لينا" لم تدس لي أيَّ شيءٍ في كأسي، ولأن مشروب "باسكفيتش" كان من الزجاجة نفسها، فلم أشك مطلقًا في أن "البوربون" مسمم، وإذا دُسَّ أيُّ شيءٍ فستكون منشطات جنسية، ولأني لم أرد أن أثير الشبهات؛ شربت الخمر، ولكن حرصت على ألا أثمل قدر الإمكان.

جذبني "باسكفيتش" إليه ودفع رأسه باتجاه بطني، كان قد وضع كأسه على طاولةٍ جانبيةٍ عليها مجموعةٌ متنوعة من أدوات التدخين، بما في ذلك أدواتُ قطع السيجار، كانت يدي مشغولة، فواجهت صعوبةً في الاستجابة لمداعباته، لففتُ أنشوطةَ الحبل حول ذراعي حتَّى أربت على رأسه بلطفٍ قبل أن أجذب شعر رأسه بعنفٍ، ولكنني حرصت ألا يؤلمه ذلك كثيرًا، قال:

- من المسؤول عن حفلة عيد الميلاد هذه، أنا أم أنتِ؟

حدقتُ في عينَي "باسكفيتش"، اتسعت حدقتاه الآن، فخلعت نظارته، وقلت:

- أنتَ أردت راعيةَ بقرٍ مع الحبل، فهل أنتَ الثور الروسي؟ ثورٌ يريد أن يُقتنص بالحبل؟

جعلتني كلماتي أشعر بالغثيان، لكن "باسكفيتش" كان يصدق ما أفعله، سمعت صوتَ "مايك فيرتيو" وهو يخبرنا مرارًا وتكرارًا أنه من المهم أن تنجز المهمة، دومًا، حتَّى لو اضطررت إلى أن تسرق، وإلى أن تكذب، أن تحنث بوعدك، لا يهم، النتيجة النهائية فقط هي الأهم، نحن نعمل في مجالٍ تبرر فيه الغايةُ الوسيلة، قال "باسكفيتش" ضاحكًا:

- ثور..

نقَّطَ "باسكفيتش" "البوربون" قطرةً قطرةً على صدري الأيمن، ورفع نفسه من على الكرسيِّ بما يكفي كي يلعَقها، يا له من مثيرٍ للاشمئزاز، لا يشبه لمسةَ "ديفيد"، لكن لا ينبغي أن أفكر في "ديفيد" الآن، عندما انتهى "باسكفيتش" من لعق قطرات "البوربون"، عدت بضع خطواتٍ إلى الوراء، ليتني أعرف أين الكاميرات وأجهزة الإنذار؟ وأين مفتاح الكهرباء الرئيسي؟ إذا لم يكن هناك مولدٌ احتياطي؛ فيمكنني بسهولةٍ إطفاء جميع الأنوار، عادةً يوجد مفتاح الكهرباء الرئيسي في غرفةٍ ما مع معداتٍ أخرى؛ على الأرجح في الطابق الأرضي، اضطررت إلى التخلص من "فالنتين" للحظةٍ، قلت:

- أخبرتني العصفورة أن أعز أمانيك في عيد ميلادك أن تشاهد مسابقة "الروديو" لرعاة البقر، ياهوووووو!

صرخت وأنا أقول "ياهوووووو" مثلما علَّمني "تشارلي"، وتمنيتُ ألَّا يكون "سامي" قد انفجر في الضحك وهو ينظر إلى هذا المشهد الذي تبثُّه كاميراتُ الأمن، بدأت في تدوير أنشوطة الحبل، إنَّ اقتناص "باسكفيتش" وهو جالسٌ هكذا على كرسيه كان سهلًا، لمحتُ الصواني والزجاجات التي تركتها الخادمتان على الطاولة الجانبية، حسنًا، لَدَيَّ هنا سوائل تحت تصرفي إذا احتجت إليها، هل هناك أيُّ أسلاكٍ مرئيةٍ في الغرفة؟ لست واثقةً من أنه بوسعي تعطيل جميع الإلكترونيات والأضواء في الفيلا، لكنني تمنيت تفجير ولو حتَّى فتيلٍ في هذه الغرفة، لقد اقتربت من "باسكفيتش" بالحبل ولم يقاوم، حذائي جعلني أطولَ منه بقليلٍ، قلت:

- هل يجب أن أقتنص رأسكَ بأنشوطة حبل "اللاسو" مرةً أخرى، أم حان وقت الذهاب في نزهةٍ؟

فركت فخذيه بيدي، لكنَّه دفعها بعيدًا، قال:

- اتفقنا على أن تكوني لي طوال الليل، لذا لا داعي للعجلةِ يا "سوزي"، يمكننا أن نذهب للنزهة عندما يحين الوقت، لكن أين السوط؟ ألم يعطيكِ "سامي" واحدًا؟

بمجرَّد أن هززت رأسي بالنفي، أخرج هاتفَه الخلويَّ من جيبه، ضغط على زرٍّ واحدٍ وسرعان ما دخل "سامي" الغرفة، ليس لدى "باسكفيتش" إذَن جرسٌ لاستدعاء أتباعه؛ لا شيء سوى هاتف محمول يمكن إيقاف تشغيله بسهولةٍ، قال:

- "سامي"، السوط! نسيته؟

- لا يا سيدي، إنه هنا.

سار "سامي" إلى الأريكةِ ورفع البطانية ليكشف عن السوط، لم يكن متأكدًا لمن يناوله، انتزع "باسكفيتش" السوط من يده ووجَّه ضربةً لـ"سامي" لم تصب الهدف، فرفع السوطَ في الهواء، كان ثقيلًا، قال لـ"سامي":

- هيا اغرب عن وجهي! اذهب واجْرِ حول الفيلا ثلاث مراتٍ تحت المطر، عندما أقول لك أن تفعل شيئًا، فالأفضل لك أن تمتثلَ لأوامري!

الآن لا يبدو "باسكفيتش" ودودًا جدًّا، انسلَّ "سامي" خارج الغرفة، قال لي:

- افتحي ساقيكِ.

عندما فتحتهما قال إنه سيضرب بالسَّوط أعلى وأسفل فخذي من الداخل، أغمضت عيني وأعددت نفسي للألم، لكن لم يحدث شيءٌ، كم من المال يدفع "باسكفيتش" لـ"ساريتا" لتكون ألعوبةً في يده بهذه الطريقة؟

اشتعلَت النيرانُ في المدفأة بالطاقة المتجددة؛ بفعل هَبَّة ريحٍ سرت عبر المدخنة، في هذه اللحظة لمحت صندوق التحكم في التيار الكهربائي بجانب خزانة الكتب على الجدار، وهناك عدة أسلاكٍ تخرج منه، فتساءلت عما إذا كان...؟ مهلًا، لا بد وأن أتحلَّى بالصبر.

لا يبدو أن "باسكفيتش" يهتم حقًّا بما إذا كان "سامي" قد خرج ليجري حول الفيلا تكفيرًا عن ذنبه أم لا، أصبحَت أنفاسه ثقيلةً عندما أنزل السَّوط وسلَّمَه لي وقال:

- اضربي وركيكِ بها، حتَّى أتمكَّنَ من سماع لسعاته، هذا كل ما في الأمر، هذا يكفي.. هكذا فقط.. والآن، أنشوطة حبل "اللاسو"..

اقتنصتُ رأسَه بأنشوطة حبل "اللاسو" مرارًا وتكرارًا لمدة خمس دقائق، وخشيت أن يصيب الحبل شموع الثريا، لذلك أطفأتهم تحسبًا، الآن هناك مصدران فقط للضَّوء، دفعت "باسكفيتش" إلى الأريكة في الزاوية، ولففت حوله الحبلَ حتَّى لا يستطيع تحريك ذراعيه، قبلت شفتيه أولًا، ثم أخذَت شفتاه تروح وتجيئ فوق ثديي، واستخدمت الحبل لسحبه مرةً أخرى؛ كان يرقص مثل الدُّمية، دفعته إلى الكرسيِّ وربطته كي لا يتحرك، في حركةٍ واحدة، أمسكت بقاطع السيجار وقدحٍ من على الطاولة، وقطعت الأسلاك الكهربائية، وألقيت عليها بعض "البوربون".

انطلقت شرارةٌ، ثم فرقعةٌ، ثم ظلامٌ، حتَّى الأضواء بالخارج انطفأت، ركضت لتفقُّد الأبواب، فوجدت أن "سيدة الحظ Lady Luck" وهبته لي، لأنني اكتشفت أن الأبواب توصدُ من الداخل، ظلَّ "باسكفيتش" يزمجر باللغة الروسية كالثور ويضرب كرسيه، لكنَّه هدأ بسرعةٍ عندما رأى ما كان بداخلِ حذائي والذي صوبته مباشرةً إلى رأسه، قلت:

- أحيانًا تقع حوادث سيِّئةٍ في مسابقات "الروديو" لرعاة البقر، يا عزيزي "فاليا"، فقد يتمايل الحصان ويرمي بكَ من على ظهره، وتصاب بجروحٍ بالغة، حان الوقت لندردش قليلًا، ولكن دعنا الآن من الخيول واسمح لي بأنْ أسألك: أين "هيلينا ليموسفو"، ولماذا بحقِّ الجحيم قتلت "أنيتا نيوتينين"؟

20

سمعتُ طرقًا على الباب، ثم صوت "سامي" يسأل بالإنجليزية إذا كان كلُّ شيءٍ على ما يرام، همستُ في أذن "باسكفيتش" قائلةً:

– قل له أن كلَّ شيءٍ على ما يرام، وأنك أطفأت الأنوارَ عمدًا.

أخذت هاتفه الخلويَّ من جيب بنطاله وأغلقته، فكَّرت للحظةٍ في إلقائه في النار، وبدلًا من ذلك.. ضغطت بفوهة مسدَّسي بقوةٍ على صدغ "باسكفيتش"، ما سأقوم به الآن لا يروقُ لي، لكنني أيضًا لا أريد المزيد من الجُثثِ، صرخَ "باسكفيتش" بالإنجليزية:

– ألم أقل لكَ ألا تزعجنا أيُّها الأحمق! سأتصل بكَ إذا احتجتُ إلى أيِّ شيءٍ.

رأيتُ الذعرَ في عينيه، والعرق يتصبَّب ببطءٍ على جبهته، أهذا حقيقي؟ ألم تُوجَّه فوهةُ مسدسٍ إلى "فالنتين" من قبل؟ هل ينجز أتباعه أعماله القذرة ويبقى هو بعيدًا؟ قال "سامي" بسرعةٍ:

– حسنًا.

سمعت خطواته وهي تبتعد، ليس هناك إذن كاميرات مراقبةٍ و"سامي" لا يعرف ما يجري بالداخل، كان "باسكفيتش" أحمق، بالمناسبة.. شعرت كم أنني بلهاءَ وأنا أرتدي هذا الزيَّ، سحبت الأحزمةَ الجلدية لإخفاء ثديي، كل ما أتمناه الآن هو سروالٌ داخليٌّ وحسب! هل آخذ سروالَ "باسكفيتش" الداخليَّ؟ وجدت فكرةَ أن أضع سرواله على بشرتي العارية مقزِّزة، لففت الحبل بإحكامٍ حول "باسكفيتش"، ثم ربطت معصميه بحزامي الجلديِّ الذي لففتُ به المسدس حول كاحلي، تمتم "باسكفيتش" قائلًا:

- أنا لم أقتل "أنيتا".

رأيت بقعةَ بولٍ داكنةً تتجمع بين وركيه، ظلت تتسرب ببطءٍ إلى المقعد الجلديِّ، قلت:

- لستَ أنت بالطبع، لديكَ من يقوم بذلك نيابةً عنك، من كان يا تُرى، "ترانكوف"؟

- لا! صدقيني، لست مسؤولًا عن مقتل "أنيتا"! أنا أعلم أنني المشتبه به الرئيسي، حتَّى الشرطة الفنلندية تعتقد ذلك، لم أكن غاضبًا منها كي أقتلها.

- إن لم تكن أنت، فمن يا تُرى؟

لم يرُد "باسكفيتش"، رأيت بقعةَ السائلِ المصفرِّ تقطر الآن على الأرض، حتَّى لو كنت أحمل مسدسًا بلاستيكيًّا في يدي؛ أراهن أن "باسكفيتش" سيظل يرتجف من الرعب، كنت أظنُّه رجلًا قويًّا وصعب المراس، سألني:

- لحساب من تعملين بالضبط؟ أنتِ لستِ شرطيَّة، أليس كذلك؟ لا يتبع رجالُ الشرطة الفنلنديون مثل هذه الإجراءات الصارمة.

- أنا لستُ شرطية، أين "هيلينا ليموسفو"؟

- لماذا تسألين؟

صوبت مسدسي في وجه "باسكفيتش" وضغطتُ بقوةٍ لكي يتألم.

– لا تفعلي! طلبت من "يوري" أن يأتيَ بها إلى هنا عندما يجد فرصةً لأتبادلَ معها أطراف الحديث فقط.

– بلغتني معلومات أن "ليموسفو" هنا، في فيلتكَ.

– ربما هي كذلك، أعلم أن "يوري" كان يلاحقها اليوم، لكن انشغلتُ بأمورٍ أخرى، حفلة عيد ميلادي.

تنهد "باسكفيتش" تنهيدة طفلٍ صغيرٍ أهداه "بابا نويل" قطعةَ فحمٍ في "الكريسماس" عقابًا له، قال:

– من أنتِ؟

سحبت كرسيًّا لأواجه "باسكفيتش" بعدما لففتُ نفسي بشالٍ حريرٍ وجدته على الأريكةِ وقلت:

– أنا لست الشخص الذي دعوته إلى هنا، ما الذي سيفعله "ترانكوف" بـ"هيلينا ليموسفو"؟ لماذا تريدها هنا؟

– أردتُ التحقُّقَ من مدى معرفةِ الحكومة الفنلندية بصفقة أراضي "هيدينييمي".

نطق "باسكفيتش" كلمة "هيدينييمي" بصعوبةٍ شديدةٍ لكنني فهمت ماذا يقصد، قلت:

– وما الذي يهم الحكومةَ الفنلندية في الصفقة؟ علاوةً على ذلك.. فإن "ليموسفو" ليست وزيرة حتَّى.

– صحيحٌ، لكن حزبها في الحكومة، كما أن "ليموسفو" خبيرةٌ في الشأن الروسيِّ.

– ما علاقة روسيا بأراضي "هيدينييمي"؟ أظن أن من اشتراها رجلًا فنلنديًّا يُدعى "أوسكو سوريانين".

– بربكِ، أنتِ تعرفين من هو المشتري، أنتِ تعملين معه، أليس كذلك؟

من الواضح أن "باسكفيتش" بدأ يتعافى من هجومي المفاجئ، فوجنتاه الشاحبتان تكتسبان لونًا والعرقُ على جبينه يجف، قال: "من **هو** المشتري"، مما يعني إذن أن المشتري الفعلي للأرض، رجلٌ.

الأهم فالمهم: لا بد وأن أتأكَّد أولًا من أن "هيلينا" بخيرٍ، ولا بد أن أمنع "باسكفيتش" من طلب المساعدة من أحدٍ، لذلك يجب أن أُفقده وعيه، لن أقتل أحدًا ما لم أكُن مضطرةً لذلك، يمكنني أن أجره معي إلى حمام الساونا، لكن حتَّى هذا بدا محفوفًا بالمخاطر، يمكن أن يتدخل "سامي" أو" ترانكوف"، سألته:

- ما هو رقم هاتف "ترانكوف"؟

- "ترانكوف".. لا أتذكَّر الرقم، إنه واحدٌ من بين العديد من الأرقام على هاتفي، يمكنكِ الاتصال بـ"سامي" بالضغط على اثنين، ناوليني هذا الهاتف وسأتَّصل به.

أخذت الهاتف وأخبرت "باسكفيتش" أن يعطيني الرمز كي أفتحه، عندما لم يرد على الفور.. ضربته، نزل المسدس على رأسه بضربةٍ ساحقةٍ وبدأت كدمةٌ داميةٌ تتشكَّل، قلت:

- في المرة القادمة ستكون رصاصةً، سأبدأ بأصابع قدميكَ، ما هو رمز الهاتف؟ انطق.

نطق "باسكفيتش" الرمز الذي توصَّل إليه بالتأكيد بعد جهدٍ جهيدٍ وتفكيرٍ عميق، إنه: 9876، لا يعتبر "ترانكوف" حارسًا شخصيًّا بالمعنى الحقيقي إن لم يكن قد حذَّر "باسكفيتش" من استخدامِ كلمات مرورٍ بسيطةٍ وواضحةٍ كهذه، قلت:

- حسنا، سأضع الهاتفَ بجوار أذنكَ، لكن لا تنسَ المسدس، اسأل "ترانكوف" إذا كانت "هيلينا ليموسفو" معه، تحدَّث باللغة الإنجليزية حتَّى أفهم.

قمت بتشغيل سماعة الهاتف، قال:

- لكننا نتحدث دائمًا باللغةِ الروسية عندما نكون بمفردنا.

– ليس هذه المرة، وإذا انتبهتُ إليكَ تحذِّر "ترانكوف"، فدعني أذكرك أن هذا السلاح يطلق الرصاص بسهولةٍ وبسرعة، وستصاب بضعف عدد الرصاص الذي أطلقتَه على "أنيتا نيوتينين".

– لكنني لم أفعل.

هذه المرة، رفعتُ يدي كي يلتزم الصمت ولم أكن بحاجةٍ إلى أكثر من ذلك، ضغطت على الرقم واحد في الهاتف، قد يشكُّ "ترانكوف" إذا تحدث إليه رئيسه بلغةٍ مختلفة، ولكنها مخاطرةٌ ينبغي أن أتحمل عواقبها، قال "باسكفيتش":

– مرحبًا، "يوري"، أنا "فالنتين"، يزعم "سامي" أنكَ أحضرت امرأةً إلى الفيلا، هل أحضرت لي هديةَ عيد ميلادي؟

– أبلغني "سامي" ألا أزعجكَ، يبدو أنَّ لديكَ ما هو أفضل بكثيرٍ من التحدث مع النائبةِ "ليموسفو"؟

– هل" ليموسفو" هنا؟

– نعم، في حمام الساونا، إنها نائمةٌ، أو بالأحرى، مخدَّرةٌ.

– ماذا؟

– أنت طلبتَ مني أن أُحضرها إلى هنا بمجرَّد أن تختفي حارستها الشخصية من الصورة، تتبعتُ "ليموسفو" طوال اليوم، من كابينة الحزب الأخضر وحتَّى الحافلة، ثم تعقبت الحافلةَ حتَّى وصلتُ إلى المحطة، ومن هناك استقلَّت النائبةُ سيارةَ أجرةٍ إلى المنزل بمفردها، عندما انصرفت سيارةُ الأجرة، انتظرت في سيارتي حتَّى خرجَت من المنزل ثانيةً، فأذقتها طعمَ أفضل مخدرٍ عندي، ستكون مستعدةً للتحدُّث في غضون ساعتين عندما تفيق.

تمنيت أن يكون "ترانكوف" قد توخَّى الحرص في مقدار جرعته، قد تفيق "هيلينا" في غضون ساعتين، لكنها ستشعر أيضًا بدوارٍ ودوخةٍ، أومأتُ برأسي إلى "باسكفيتش" ليخبره أن الخطة تروقُ له، زمجر "باسكفيتش" قائلًا:

- سأتصلُ بكَ لاحقًا! لكن حاليًا، لا أريد أيَّ إزعاجٍ.

بمجرَّد أن أنهى جملته، أغلقتُ الهاتفَ وقلت:

- أردت تبادل أطراف حديثٍ وديٍّ مع "ليموسفو"، هه؟ لماذا الخطف والتخدير إذن؟

- يبدو أن "يوري" كان متحمسًا بعض الشيء، النائبة "ليموسفو" لا تثق بي، طلبت أن ألتقيَ بها عدة مرات، لكنها رفضت، قالت إنها غير مهتمةٍ بالجلوس مع قاتلٍ وتبادلِ أطرافَ الحديث معه، حتَّى أنها تعتقد أنني قاتل "أنيتا"، لكن هذا ليس صحيحًا، يا إلهي، كنتُ معجبًا بـ"أنيتا"، فما من امرأة تستطيع خداعي إلا إذا كانت مميَّزة، كما تعلمين.

احمرَّ وجه "باسكفيتش" لأنه أدركَ أنه وقع في الفخ الذي نصبته له، أكمل قائلًا:

- صدقيني، اسم "سوزي" ليس اسمكِ الحقيقي.

- باعتباركَ الرجلَ الداهية، فلتُجِب عن هذا السؤال: إذا لم تقتل "أنيتا"، فمن قتلها يا تُرى؟

- ربُّ عملكِ.

مرت لحظةٌ مرعبةٌ ظننت أنه يقصد "هيلينا"، لكن بدأ الأمر يتَّضح بعد ذلك.

- ولحساب من أعملُ في ظنكَ؟

- بربكِ، إنه "بوريس فاسيليفيتش فاسيليف" بالطبع، إنه هو من أرسل أحدهم لقتل "أنيتا" عندما اكتشف أن "أوسكو سوريانين" ما هو إلا مجرَّد وسيطٍ، اكتشفت ذلك مؤخرًا فقط، هذا كل ما أعرفه.

أضاف "باسكفيتش" على عجلٍ قائلًا:

– يمكنكِ أن تبلغي "فاسيليف" أنني سأبقي فمي مغلقًا، أنا لست غبيًّا، لن أقول أيَّ شيءٍ لـ"ليموسفو"، أيضًا، ولن أقابلها حتى، يمكنكِ أن تأخذيها لو أردتِ، وأقسم أنني لن أقول أبدًا كيف وقعتُ في يدكِ، سأدفع ثمن صمت "يوري" أيضًا.

اللعنة.. كان "باسكفيتش" يقدِّم لي "هيلينا" فعليًّا على طبقٍ من ذهب، يمكنني إخراجها من هنا دون أن يساورني القلق بأن "باسكفيتش" قد يُعرقلنا، إن التظاهر بالتحالف مع "فاسيليف" سيؤتي ثماره؛ ومن الواضح أن "باسكفيتش" كان مرعوبًا منه، لكن إذا غادرت مع "هيلينا" الآن، فلن أعرف من هو "فاسيليف" هذا، ولماذا دفع لشخصٍ مقابل العمل وسيطًا له في صفقة "هايدينييمي"؟ قال:

– لفترةٍ طويلة، اعتقدَت "أنيتا" أنني متعاونٌ مع "فاسيليف"، عارٌ على "أنيتا" أن تتصرف كأيِّ امرأةٍ تافهةٍ؛ وتنزعج من فتاتين لا تعنيان لي أيَّ شيءٍ على الإطلاق، فأيُّ رجلٍ له احتياجاته، كان من الممكن أن نشكِّل، أنا و"أنيتا"، فريقًا رائعًا، ونتعاون معًا في جمع ثروةٍ من العقارات، حزنت جدًّا عندما سمعت خبرَ وفاتِها، حتَّى أنني أشعلتُ الشموع أمام أيقونةَ القدِّيسة "مريم"، وصلَّيتُ على روحها.

– أنت الآن تدَّعي أنك لا تعرف شيئًا عن أعمال "فاسيليف"، ولكن يبدو لي أنكَ تعرفُ الكثير، ويبدو أنَّكَ تمثِّلُ عقبةً في طريقِنا، فإذا كنت تفتقد "نيوتينين" كثيرًا، فأظنُّ أنه يسعدكَ أن تسمع أنكَ ستلحقُ بها عن قريبٍ.

صوبتُ مسدسي أمام عينَي "باسكفيتش"، يمكنه رؤيةُ إصبعي وهو يضغط على الزناد حتَّى في هذا الضوء الخافت، انزلقُ شالُ الحرير عن كتفي فأزحته بعيدًا، قال:

– أرجوكِ! أتوسَّل إليكِ!

– عليكَ الآن أن تخبرني بكلِّ ما تعرفه عن "فاسيليف" و"هايدنييمي"، وكيف اكتشفت أن "فاسيليف" وراءَ مقتلِ "أنيتا نيوتينين"، ستكون رحلتكَ إلى الجحيم مريحةً أكثرَ مع شعورٍ أقلَّ بالذنب، ألا تعتقدُ ذلك؟

– أردت أن أعرف مَن الذي صوَّرني على أنني قاتل! أعرفُ شخصًا يحملُ ضغينةً ضد "أنيتا نيوتينين"، وسوف أصبح هدفًا سهلًا له، عرف الكثير من الناس بعلاقتِنا، بما في ذلك ضابط الشرطة الفنلندي، حارسة "أنيتا" الشخصيَّة وَشَت بنا.

– أيُّ ضابط شرطةٍ فنلندي؟ هل استجوبتكَ الشرطة الفنلندية بشأن جريمة القتل؟

أخبرني "باسكفيتش" كيف غضب "لايتيو" عندما أغلقت ميليشيا موسكو قضيَّة "أنيتا"، واتصل بـ"باسكفيتش" شخصيًّا وهدَّدَه قائلًا: إنه في يومٍ ما سيتوصل إلى أدلةٍ كافيةٍ لإدانة "باسكفيتش" بتهمة القتل، أتساءل ماذا سيقولون رؤساء "لايتيو"، رئيسُ الشرطة ووزير الداخلية عن هذا التهديد، سوف يفصِلونه من الخدمة، قال "باسكفيتش":

– لم يكن لدى "سوريانين" أيُّ مشاكلٍ في شراء أراضي "هيدنييمي"، وعلى أيِّ حالٍ، فقد أنفق أمواله بمنتهى السخاء على الحملات الانتخابية.

– هل قمت أنت أو "ترانكوف" بإجراء مكالماتٍ هاتفيةٍ تهديديةٍ إلى حارسة "نيوتينين"؟

– بالطبع لا! وكيف عرفتِ بأمرِهم؟

– اتصالاتي جيدةٌ بالشرطة، صادف أن "لايتيو" هو أحدُ أصدقائي المقرَّبين، لكنني لن أخبر صديقي الشرطي بأنكَ بريءٌ، سأتركهم يلاحقونكَ، لو كنت مكانكَ.. لدقَّقت في خلفية وسوابق "ترانكوف" أيضًا.

– لماذا؟

– لقد رصدته الشرطةُ وهو يتسكَّع مع حارسة "نيوتينين"، ربما يعمل كلاهما لحساب "فاسيليف".

قد أصدق "باسكفيتش" عندما قال إن ما من أحدٍ من رجاله اتَّصل بي، لكنني لا أصدق أن "ترانكوف" لم يكن يتتبَّعني، فهل يعمل لحساب "سيدين"؟ هل كان يتجسَّس على مضيفهِ لحساب رئيسٍ أقوى؟ قال:

– ألا يمكنني أن أثق في "يوري" أيضًا؟ أنتِ تكذبين!

عندما لم أرد، بدَّل لهجته وشرع في الشكوى قائلًا:

– تخدَّرَت يداي.

يتوهَّج الجمرُ الآن في المدفأة؛ وسقطت قطرةٌ من الشمعة على الأرض، نظر "باسكفيتش" باشتياقٍ إلى كأس "البوربون" ثم قال:

– دعيني على الأقلِّ أتناول مشروبًا، إنه عيد ميلادي، على أيِّ حال.

– تفضَّل!

رميتُ وسكي "البوربون" في وجهه، شعرتُ بالغضب لكن الأفضل أن أركِّز على "هيلينا "وأدع "فالنتين" يأكل نفسه، طرفت عينا "باسكفيتش" من البؤس محاولًا أن يلعق الكحول الذي رميته على وجهه وأخذ يسيلُ على خده وذقنه، قال وهو ينتحب:

– أنا و"أنيتا" أخطأنا، فهي كانت مقتنعةً بأنني أعمل مع "فاسيليف"، وافترضتُ أنها تفعل الشيءَ نفسه.

– كيف عرفتَ؟

– قابلتها قبل وفاتِها بيومٍ، وربما رآنا أحدُ رجال "فاسيليف"، لعله "يوري"! لهذا قتلوها، كان يجب أن أعرف أن "فاسيليف" سيقتفي أثري أيضًا.

شعرت بأنَّ رأسي تغلي تحت القبَّعة الجلدية؛ فألقيت بها بعيدًا، بينما بقيةُ جسدي العاري يتجمَّد، رغبتُ في الخروج من هذا الزيِّ المقرف، لعلَّ "باسكفيتش" يحاول أن يكسب وقتًا فقط؛ لعلَّه تعرف عَلَيَّ منذ البداية، ولعلَّه اختلق قصة "فاسيليف" و"هيدينييمي"، ويا لها من قصةٍ محبوكةٍ! ورغم أن "هيلينا" زعمت أن ميليشيا موسكو تسَّرت على مقتل "أنيتا" ولفقت التهمةَ لرجلٍ بريءٍ، وحتَّى لو اتفق معها "باسكفيتش"، فإذا لم يتصل بها لأصبحَ الآن في وضعٍ أفضل، واختطافه لها جعل الأمر أسوأ، فاختفاءُ سياسيٍّ رفيع المستوى حدثٌ جَلل، ولا يمكن أن ترتشي الشرطة في قضيةٍ كهذه، كيف يخطر على بال "باسكفيتش" أن "هيلينا" لن تلجأ إلى الشرطة بعدما يُجري معها حديثًا طال انتظاره؟ صحيحٌ أن المخدرات وكذلك الكحول قد يتسبَّبَا في محو ساعاتٍ عاشها إنسانٌ من ذاكرته، فإن "باسكفيتش" قد جازف وخاطر مخاطرةً كبيرةً بتخديره لها، أما إذا كان "ترانكوف" يتصرف بمفرده دون الرجوع لـ"باسكفيتش" لاختلف الأمر.

إذا أخبرت "باسكفيتش" الآن أنني أعمل لحسابي، فسيكون لديه اليد العليا والملكِ زمام الموقف، سيحضر فرسانه هنا عاجلًا أم آجلًا، لقد بذلت قصارى جهدي لأستدعي روح أبي الكامنة داخلي، لكنني وجدتُ أن غريزة القتل ليست من غرائزي، لا يمكنني إطلاق النار على رجلٍ وهو مكبلٌ بالقيود، قلت:

- قبل كلِّ شيءٍ لماذا استأجر "فاسيليف" "أوسكو سوريانين" لشراء "هيدينييمي"؟ ما هدف "فاسيليف" من امتلاك هذه الأراضي؟ ألم يكن ممكنًا أن يشتريها بنفسه؟ هيا، "فالنتين"، انطق.

- لا أعرف كلَّ التفاصيل، لكن الأمر له علاقةٌ بالطاقة.. خطُّ أنابيب الغاز الذي يقومون بمدِّهِ، صنع "فاسيليف" ثروته من النفط، وستتضرَّر أعماله من جراء مدِّ خط الأنابيب هذا، لذلك فالمشروع لا يروق له، لكنه لا يجرؤ أن يصرِّح

بأنه ضد المشروع علنًا، لأن القيادة الروسية كلها تؤيِّده، أنتم الفنلنديون تعتمدون اعتمادًا كبيرًا على الطاقة الروسية.

بدأ "باسكفيتش" يتعرَّق مرةً أخرى، ربما كان خائفًا من اطِّلاعي على الكثير من المعلومات، أو من إطلاق الرصاص عليه، ولكنه سيواجهُ المصير نفسه إذا تظاهر بأنَّه لا يعرف إلا أقلَّ القليل، أكمل قائلًا:

– "فاسيليف" غنيٌّ لدرجةٍ تجعله قادرًا على شراء أيِّ شخصٍ مهما كان، والسياسيون الفنلنديون يتقاضون رواتبَ متدنيةً للغاية، كما ينبغي عليهم توثيق أيَّ دخلٍ إضافيٍّ بشكلٍ كاملٍ والإبلاغ عنه، أردت أن أسمع من "ليموسفو" سبب انتقادها الحاد لخطِّ أنابيب الغاز، من يدري، لعلها تعمل لحساب "فاسيليف" أيضًا، ألن يكون هذا هو أفضل غطاء؟ إنها نائبةٌ عن حزبٍ مثالي، إنني نشأت بروسيا في ظلِّ نظامٍ شيوعيٍّ حيث لا يمكن تحديد من يتجسَّس عليك، بل إن "فاسيليف" لديه رجلٌ داخل وكالة "اليوروبول" يعمل لحسابه، وهذا الرجل نفسه عمل لحسابي ثم استقال؛ أعتقد أنه مَلَّ مني.

كاد قلبي أن يتوقَّف عن النبض، رجلٌ يعمل لحساب "فاسيليف" داخل وكالة "اليوروبول"؛ وهو نفسه من عمل لحساب "باسكفيتش"، قلت:

– أظن أنكَ تقصد "ديفيد ستال"؟ لا بد أن أخبر "فاسيليف" أن هذا الرجل شفافٌ، لدرجةٍ تجعلُ شخصًا قذرًا مثلكَ يرى كلَّ شيءٍ من خلاله!

– لا، ليس هو من أخبرني، بل "أنيتا" هي من أبلغتني بهذه المعلومات عندما التقينا آخرَ مرَّة، كان يمكن أن نعيش معًا في وفاقٍ.

اغرورقت عيناه بالدموع، وقمتُ بكبتِ رغبتي في أن أركلَه بين فخذيه، لا شيء بداخلي سوى مشاعرَ باردةٍ وحقدٍ أسود، وركزت كل طاقتي على اكتشاف كل ما يمكن أن يسربه لي "باسكفيتش" من معلومات، قلت:

- ماذا عن "أوسكو سوريانين"، إذن؟ وما علاقته بـ"فاسيليف"؟

- كان لديهم بعض المشاريع التجارية المشتركة، تمتلك شركة "فاسيليف" بضائع في أحدث مراكز تسوق أنشأها "سوريانين"، هل تعرفين حجم الطاقة المطلوبة لتشغيل كل هذه المنتجعات ومراكز التسوق؟ كما أن هذه المشاريع تُدرُّ غالبية إيرادات "سوريانين"، وأراهن أن "فاسيليف" يبيع النفط إلى "سوريانين" بسعرٍ أقلَّ من سعر السوق.

صرختُ:

- كيف عرفت ذلك بحقِّ الجحيم؟

بدأ "باسكفيتش" يئنُّ، فالتظاهر بأنني حليفة لـ"فاسيليف" أفادني كثيرًا، ربما يمكنني في النهاية تحديد موقع غريزة القتل داخلي، قال "باسكفيتش" وهو ينتحب:

- أخبرتني "أنيتا"، اكتشفت أن "سوريانين" و"فاسيليف" يعملان معًا، أردت أن أعرف ما إذا كانت الحكومة الفنلندية على علمٍ بذلك أم لا، "ليموسفو" كانت من معارف "أنيتا"، لا يرغب الروس ولا الفنلنديون في تعريض خطِّ أنابيب الغاز لأيِّ أخطار، كنت أسدي معروفًا لبلدي.

- وفي مقابل هذا المعروف يغضون البصر عن أعمالكَ التجارية المشبوهة، أليس كذلك؟

إنه لشيءٌ هَزليٌّ حقًّا أن لا أحد يريد أن يمسَّ طرف "باسكفيتش"، رغم أن الميليشيا الروسية اشتبهت في أنه من قتل "أنيتا نيوتينين"، وذلك لأن لديه أصدقاءٌ يشغلون مراكز عليا بالسلطة، رفع النظام يده عنه، قال:

- أنا أحب روسيا، لدينا أخيرًا زعيمٌ يمكنه تحويل البلاد إلى النظام الديمقراطي، لقد تخلصنا أخيرًا من القيصر والشيوعيين ولم نعد دولة تديرها طبقة الأوليجاركية الثرية.

– ألا تعتبر نفسك جزءًا من طبقة الأوليجاركية تلك، يا "فاليا"؟ أنت حقًا لست سوى مجرَّد حثالةٍ مقارنةً بـ"فاسيليف" وأمثاله، إذا تركتكَ تعيش، فالأفضل لك أن تحذَرني، إذا أرسلت أيَّ أحدٍ من أتباعك في أعقابي، وحتَّى لو قتلوني، سيجدكَ شخصٌ ما من فريقي في نهاية المطاف، أنت تابعٌ لقضيبكَ، وتسمح لأيِّ امرأةٍ تريد أن تلهو معها بدخولِ فيلتكَ دون تثبيت أيَّ كاميراتٍ أمنيةٍ في أيِّ مكانٍ، حتَّى أجهزة كشف الحركة الخاصة بكَ بدائية! على الأقل قم بتثبيت جهاز إنذارٍ ضد السرقة هنا!

ركلتُ الكوب وأسقطته على الأرض وأنا مستمتعةٌ للغاية بأداء دور امرأةٍ سيكوباتيةٍ شريرةٍ يمكنها أن تفجِّر خصيتَي "باسكفيتش" في أيِّ لحظةٍ، قلت:

– إذا عملت لحسابي، فسأخبر "بوريس فاسيليفيتش" كم أنكَ رجلٌ طيبٌ وصالحٌ، بل وسأقول له أنكَ مجرَّد سمكةٍ صغيرةٍ غير مؤذيةٍ ولن تسبح مرةً أخرى مع السمكةِ الكبيرة، اتصل بـ"ترانكوف" وقل له أن يحضر "ليموسفو" إلى هنا.

تقدمت نحو كرسيه، تفوح بركة البول من تحته برائحةٍ كريهةٍ، جلس "باسكفيتش" وساقاه متباعدتان لذلك لم يتسرب البولُ إلى حذائه اللامع، حركتُ صينيةَ المشروبات، وسحبت مفرش المائدة من أسفلها، ثم نقعته في بركة البول، وألقيت به في ركنٍ من أركان الغرفة، ثم خلعت سرواله وجففت جسده بغطاءٍ آخرَ للمائدة، إن لمس أعضاءه التناسلية لم يثرني بأيِّ شكلٍ من الأشكال، لم أشعر بأيِّ شيء، ولا حتَّى بالاشمئزاز، كانت بالنسبة لي مجرَّد قطَع لحمٍ. قلت:

– لقد قضينا وقتًا ممتعًا الليلة، أليس كذلك، يا "فاليا"؟ الآن أحب أن أرى الهدية التي أحضرها لكَ "ترانكوف" بمناسبة عيد ميلادك، كما أود أن أدردش مع "ليموسفو"، وهذا سببُ مجيئي إلى هنا، إننا نتتبعها عبر جهاز تعقب، ولذلك وجدتُ طريقي إلى هنا، وقد زرعتُ جهازًا فيكَ أيضًا، لا تتعب نفسك وتبحث عنه، فلن تجده،

أنا وأنت ننتمي لتحالفاتٍ مختلفة، في المرَّة القادمة يجب أن تختار مصفف الشعر الخاص بكَ بمزيدٍ من العناية، الآن، اتصل بـ "ترانكوف"، وتحدث باللغة الإنجليزية.

نفَّذ" باسكفيتش" ما قلته له بحذافيره، كان هذا، بالطبع، مخاطرةً كبيرة، فليس لَدَيَّ فكرةٌ كيف سيكون رد فعل "هيلينا" عندما تراني في زي العبوديَّة هذا، سألت "باسكفيتش" بعدما انتهى من مكالمته مع "ترانكوف:"

- أين "سامي" والخادمات؟

أخذ يعبث بأطراف أصابعه في فروة شعر رأسه كما لو كان يبحث عن براغيث ثم قال:

- نامت "لينا" و"ليوبا" بالفعل، غرفتهما خلف المطبخ.

- أنت لا تدعم نخبة الأوليجاركية الثريَّة، لكنك تعامل العاملات بمطبخكَ مثل جواري وعبيد لرغباتكَ الجنسية، أليس كذلك؟

- بل أدفعُ لهنَّ مرتباتٍ مجزيةٍ، كما تعلمين، لا أحد يجبرهم على التواجد هنا، ينام "سامي" مع زوجته في الطابق العلويِّ، في نهاية الصالة حيث غرف الضيوف، وهو يترك هاتفه المحمول مفتوحًا فربما أحتاجه في أيِّ وقتٍ.

أخذت هاتف "باسكفيتش" وألقيت به في جمرِ المدفأة المتوهج، لا يزال متقدًا بدرجةٍ كافية لإتلاف الهاتف على الفور، ليتني أستطيع التخلص من "ترانكوف" و"باسكفيتش" لبرهةٍ، عندئذٍ يمكنني الخروج أنا و"هيلينا" من هنا، لن أدع "ترانكوف" يراني، إذا كانت "هيلينا" لا تزال فاقدةَ الوعي، فسوف أحتاج إلى حملها إلى السيارة، لكن لا بد وأن أحصل على بعض الملابس اللائقة وأذهب لأُحضر حقيبتي، لحسن الحظ فإن مفاتيح سيارتي معي. قلت:

- التكرار هو أعظم معلم، يا عزيزي "فاليا"، لا أحد منا كان هنا: لا أنا، ولا "هيلينا ليموسفو"، وفي الحقيقة أنت لا تعرف شيئًا عن "ليموسفو" بتاتًا، إننا

نلاحقها لفترةٍ طويلةٍ لكنها لا تتواجد بمفردها أبدًا، وأردنا البقاء بعيدين عن الأنظار، الآن يمكنني اصطحابها إلى "بوريس فاسيليفيتش"، ولعلَّ معروفك الصغير هذا يقنعه بأن يعاملكَ بلطفٍ.

سمعت طرقًا على الباب، فتوجهت نحوه وما زال مسدسي مصوبًا نحو "باسكفيتش"، فتحت الباب وفحصت القفل بيدي في الوقت نفسه، اللعنة، لا يمكن قفله من الخارج، ماذا عن المطبخ؟ يمكنني الخروج من الفيلا عبره، ولكن ينبغي أن أحبس "باسكفيتش" و"ترانكوف" في مكانٍ آخر.

لا داعي لأن أقلق بشأن هذا الآن، عندما خطى "ترانكوف" داخل الغرفة وهو يجر "هيلينا" الفاقدة لوعيها من إبطيها، ناولته ضرباتٍ قاضيةٍ براحة يدي في أماكن مناسبةٍ محسوبة، لو رآها "مايك فيرتيو" لمنحني درجة ممتاز، تراجَعت "هيلينا" نحو الحائط وتهاوت ببطءٍ على الأرض، كان هذا أفضل؛ لأن لا أحد يمكنه تخمين حجم الذعر الذي قد ينتابها في هذا الموقف، رغم أنها ذكية وتعرف أنني أتتبعها عبر جهاز التعقب.

استخدمت بنطال "باسكفيتش" كي أكمِّمَ فمَه وقلت:

- أطبق بفكَّيكَ على هذا، أيها السافل.

لن يمضِي وقتٌ طويل حتَّى تستيقظا الخادمتان أو "سامي" على صوت صرخاته المكتومة وقد يفكُّ الحبال التي حول رسغيه، أحتاج إلى وقتٍ كافٍ لإيصال "هيلينا" إلى سيارتي، ألقيت بها على كتفي، وجدتها أخفَّ مما كنت أتخيل، وصنعت حاجزًا عند الباب باستخدام كرسيٍّ بذراعين وطاولةٍ صغيرةٍ من الردهةِ؛ حتَّى يعرقلهم قدر الإمكان، ركضت عبر الدَرَج إلى غرفة الأهوال، وضعت "هيلينا" على السرير، وخلعت زيَّ راعيةِ البقر والحذاء وأنا أشعر بالامتنان لأني تخلصت منهما، لا يوجد وقتٌ لمعرفة كيفية خلعِ القميص بخيوطه المتشابكة، لذلك تركته تحت ملابسي،

وضعت مُمشط الرصاص الاحتياطي في جيب بنطالي، وربطت جراب مسدسي بحزامٍ فوق القميص، ثم رفعت "هيلينا "على كتفي ولففتها بمعطفي، بمجرد أن خطونا للخارج، أضيئت الأنوار، لتشكِّل هالةً حول الفيلا، إذا لم يثر ذلك شكوك "سامي"، فما الذي يمكن أن يثيرها إذن؟ بدأت أجري، عندما وصلت إلى الطريق المظلم شعرت أن "هيلينا" تتقيَّأ، أوقفتها بلطفٍ على قدميها وأمسكت بها فأخذَت تتقيَّأ. قالت:

- "هيلجا"، أهو أنتِ حقًّا؟ أين أنا؟!
- أنتِ في أمانٍ الآن.
- كيف جئتِ إلى هنا؟
- لا يهم الآن، هيا، علينا أن نصلَ إلى السيارة.

ساعدتها لتمرَّ عبر المطر والوحل، وجدت السيارةَ المستأجرةَ قذرةً، لكنها ليست سوى سيارة، ولا مانع من أن تتقيأَ فيها "هيلينا" إذا أرادت ذلك.

تحركت السيارة بلا عوائق وسارت بثباتٍ على الطريق الذي دمرته الأمطار، ليس هناك سوانا بالخارج، وبدا العالم كذلك فارغًا ومهجورًا، وكأنه خُلق للتوِّ، ولا حياة فيه.

أما "هيلينا" فقد غلبها النوم وهي تجلس إلى جواري، وكانت تستيقظ من حينٍ لآخر عند مطبٍّ أو منعطف، أجبرت نفسي على التركيز على القيادة، لم أسمح لعقلي بأن يُفكر في الحقيقة الماحقة التي تعصفُ بعقلي:

إن "ديفيد ستال" عميلًا مزدوجًا، عمل "ديفيد ستال" لصالح أوليجاركية البترول ولحساب "بوريس فاسيليفيتش فاسيليف"، لم يكن "ديفيد ستال" سوى أحد الأشرار.

21

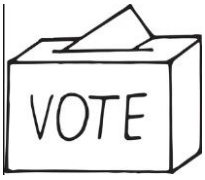

عدنا إلى "كيركونومي" قبل الشروق، وجدت الجريدة التي تم توزيعها بالفعل على المنازل قد امتلأت صفحتها الأمامية بقصصٍ تدور حول فوز حزب "الفنلنديون الحقيقيون True Finns" في الانتخابات، ظلَّت "هيلينا" تغفو طوال الطريق، استنفذت طاقتها بمجرَّد دخولها البهو؛ فانهارت في كومةٍ كريهة الرائحة، أوقفتها على قدميها وسحبتها إلى الطابق العلويِّ كي تستحم، قمت بخلع ملابسها عنها، نفذت "هيلينا" تعليماتي مثل طفلٍ صغير، رميتُ بملابسها في الغسالة. سألتها:

- هل تريدينني أن أغسل شعركِ؟

- لا، لا داعي، أين كنَّا؟

- في "برومارف"، في فيلا "فالنتين باسكفيتش"، اختطفكِ مساعده الصغير "يوري ترانكوف"، فلتنامي إذا كنتِ تشعرين بالنعاس، سأبلغ مجلس النواب أنكِ في إجازةٍ اليوم، هل من المفترض أن يُعقد اجتماعُ ما بعد الانتخابات هذا الصباح حسب جدولكِ، أم في فترةِ ما بعد الظهيرة؟

- لا أتذكر، أين هاتفي الخلوي، إنَّ جدول أعمالي مسجلٌ عليه.

على الأرجح ألقى "ترانكوف" هاتفها الخلويَّ في حفرةٍ ما، أو في المحيط، شعرت بجسدي يستغيث بالنوم من شدَّةِ الإجهاد، لكن هناك المزيد من العمل الذي لا بد وأن أنجزه، جففت جسد "هيلينا" بمنشفةٍ وألبستها أثقل بيجامةٍ وجدتها كي تشعر بالدفء، بل وحاولتُ تنظيف أسنانها بالفرشاة، لأنني أعلم أن فمها لا بد وأنه مليءٌ بطعمٍ كريهٍ بعد كلِّ هذا التقيؤ، سأنتظر حتَّى الصباح كي نتحدث: ما الذي تعرفه "هيلينا" بالضبط عن "بوريس فاسيليف" و "أوسكو سوريانين"؟ لماذا احتاج "فاسيليف" أراضي "هيدنييمي"؟ هدد "لايتيو" "باسكفيتش"، غير أن الأخير انتابه الذعر لأنه لا يريد ذكر اسم "فاسيليف" لـــ "لايتيو"، لو أنني مكانه لفعلت الشيءَ نفسه، ولن أذكره لو كنت مكانه.

قمت بتشغيل جهاز الكمبيوتر وكتبت ملاحظاتي عن كلِّ شيءٍ عرفته، كان سرير "ريسكا" الضيق يناديني بشدةٍ، حتَّى وهو من دون شراشف أغطيةٍ، بدا لي وكأنه أكثر مكانٍ مبهجٍ في العالم، ذهبت لأعيد تشغيل جميع أجهزة الإنذار ضد السرقة ثم أذهب إلى النوم.

استيقظت بعد الظهر على رنين الهاتف، إنها سكرتيرةٌ من البرلمان تطمئنُّ على صحة "هيلينا"، قلت إنها ما زالت مريضة، قالت السكرتيرة إنها آسفةٌ لسماع ذلك، لكنها ضحكت وهي تقول كم من الأشخاص أصابهم الإنهاك بعد الاحتفال بالنصر، قرأت الصحيفة بتمعنٍ أكثر كي أعرف هل أَبلغَ أيُّ شخصٍ عن حادث سيارةٍ أم لا، كيف حال "ساريتا" يا تُرى؟ تسببت الأمطار الجارفة في وقوع العديد من الحوادث، وذكرت الجريدة الحادث الذي وقع في "كاريا" في جملةٍ واحدة: "جُرحت المرأة التي تقود السيارة جروحًا بليغة، لكن حالتها مستقرة"، وددتُ لو كان بإمكاني أن أرسل لها باقةَ زهورٍ لأشكرها؛ لأنها جعلت مهمتي أسهل بكثيرٍ.

صنعت قِدْرًا من القهوة القوية، وقليت بعض البيض، لا بد أن "هيلينا" تتضور جوعًا بعد كلِّ ما مرت به، ألقيتُ عليها نظرةً خاطفةً في غرفتها فوجدتها لا تزال نائمة، جف شعرها الرطب ونتأ لأعلى، انتفش قليلًا فبدا مثل الزَغَب على رأس قزم "تيرول" خرافي؛ وبدا وجهها شاحبًا ونحيلًا، وما زال الوهن الشديد يبدو عليها، لن يزعجها "باسكفيتش" بعد الآن أبدًا، لكنني لا أضمن "فاسيليف"، فكرت في "مارينا أندريفينا ميهايلوفا"، الأصغر والأضعف من "هيلينا"، ووددت لو أن بمقدوري أن أحمي الاثنتين على حدٍّ سواء، أخطأت عندما عدت بـ "هيلينا" إلى المنزل؛ كان يجب أن أنقلها إلى مكانٍ آمن، حيث لا يمكن لأحدٍ أن يجدها، افترض "باسكفيتش" أنني أعمل لحساب "فاسيليف" وأنني انتزعتها منه لأسلِّمها إلى "فاسيليف"، فإذا عادت "هيلينا" إلى الظهور على الملأِ وهي متماسكةً غير عابئةٍ به، لعرف "باسكفيتش" أنني خدعته، عليَّ أن أجد طبيبةً تصرُّ على منح "هيلينا" إجازةً مرَضية، لا بد أن لديهم أطباءً في مجلس النواب، لكنني لا أثق في أنهم لن يفشوا السر، لطالما تجنبتُ الأطباءَ وكأنهم وباءٌ.

تناولت إفطاري وحدي، عند الواحدة ظهرًا ذهبت للاطمئنان على "هيلينا"، وجدتها تتقلبُ في السرير ببطءٍ وقد اسودت الانتفاخات تحت عينيها، وكأنَّ أحدهم قد ناولها ضربةً، أسدلتُ الستائر المعدنية، توقف المطرُ بالخارج مؤقتًا؛ وأخذ غطاء السحب ينقشع ببطءٍ. سألتها:

- كيف حالك؟

- رأسي يؤلمني، ماذا حدث لي؟ ماذا فعلوا بي؟ لم يقوموا بـ.. اغتصابي، أليس كذلك؟

رأيتُ الرعبَ مجسدًا على وجه "هيلينا"، شعرت بالأسف من أجلها؛ لأنني تذكرتُ شعوري في موقفٍ مماثلٍ عندما استعدت وعيي في موسكو، لقد أقنعتني

قصة "باسكفيتش" بشيءٍ واحدٍ؛ قد لا أكون من أطلق الرصاص الذي قتل "أنيتا"، لكن هذا لم يقلل من شعوري بالذنب. قلت:

– لا؛ كنتِ ترتدين كلَّ ملابسكِ عندما وجدتكِ، ولم أر أيَّ كدماتٍ على جسدكِ أيضًا وأنتِ تستحمين، هل تتذكرين أيَّ شيءٍ؟ أيَّ شيءٍ فعلوه بكِ؟

قالت وهي تنهض بِرَوِيَّةٍ:

– الغرفة تدور بي.

– هل تشعرين بالغثيان؟ هل أساعدكِ لتذهبي إلى الحمام؟

– لا، إنه مجرَّد شعورٍ بالدوار فقط، والعطش أيضًا.

– يوجد بعض الماء على الطاولة بجوار السرير، أعددتُ لكِ الإفطارَ، فلتنهضي، ولكن على مَهْلٍ.

نفَّذت "هيلينا" تعليماتي، ساعدتها في ارتداء الخف ورداء، وسرت أمامها على الدرج؛ كي ألحقها إذا ترنَّحت، بعدما تناوَلت "هيلينا" فنجان قهوتها الثاني، واكتسبت وجنتيها لونًا ورديًّا سألتها:

– هل تذكرتِ أيَّ شيء؟

– لا شيء سوى لمحاتٍ باهتةٍ من هنا وهناك، أتذكر أنَّني عدتُ إلى المنزل لتغيير ملابسي، كنت بحاجةٍ إلى الانفراد بنفسي، فهو علاجٌ نادرٌ هذه الأيام، ذهبت لأستقلَّ الحافلة، عندما غادرت المنزل كانت الأمطار تنهمر؛ لذلك فكَّرت في استدعاء سيارة أجرة، فتحت مظلَّتي التي منعَتني من رؤية ما هو أمامي، سمعت سيارةً تتوقف أمامي مباشرةً، وما أذكره أنَّ رجلًا جرَّني داخل السيارةِ وغرز إبرةً في ذراعي، أتذكَّر أنَّني كنتُ مستلقيةً في الظلام على شيءٍ يشبه اللَّوح الخشبيَّ، ورائحة الدخان تملأُ المكان من حولي، وبعد ذلك جُررتُ عبر المطر إلى

مبنى مضاءً بأنوارٍ ساطعة، ثم وجدتكِ هناك، وبصرف النظر عن ذلك، فليس لَدَيَّ أدنى فكرةٍ عن أيِّ شيءٍ آخرَ قد حدث.

- لا بدَّ أن "ترانكوف" قد خدركِ طوال الوقت، قدَّمكِ لرئيسهِ كهديةٍ بمناسبةِ عيد ميلاده، لكنَّ الهدية الأخرى التي قدَّمها له مرؤوسٌ آخر لم تكن بالضبطِ ما يريده؛ فبدلًا من راعيةِ البقرِ الَّتي دفع ثمن قضاءِ الليل كله معها، وجدني "باسكفيتش" أمامه.

رويتُ لــ"هيلينا" ما حدث دون أن أخوض في التفاصيل القبيحة، ثم عدتُ إلى الموضوع الأصليِّ وقلت:

- وهكذا يكون "باسكفيتش" هو من تتبعكِ، ولكن ليس للسَّبب الذي توقعناه؛ أراد أن يعرف مقدارَ المعلومات التي تعرفينها عن أعمالِ "فاسيليف" وأنشطتهِ.

اتَّسعت عينا "هيلينا"، زادت الكدماتُ الداكنةُ تحت عينيها، وبشرتها الشاحبة، من إحساس الرُّعب الذي ارتسم على وجهها، قالت:

- هل يعلم "باسكفيتش" أنَّني أساعد "مارينا أندريفينا" في معرفةِ ما ينوي "فاسيليف" فعله حقًّا؟ هل أخبر "فاسيليف" عن ذلك؟

- ألم تسمعي ما قلته؟ يعتقد "باسكفيتش" أنَّني أعمل لحساب "فاسيليف"، وأنَّني أخذتكِ لأسلِّمكِ إلى "فاسيليف"، فمن هو هذا الرجل وماذا يريدُ مِن أراضي "هيدينييمي"؟

- حسبَ ما تقوله "مارينا أندرييفنا"، فإنَّ "فاسيليف" متسلقٌ شريرٌ مُتعطِّشٌ للسُّلطة، وهو منزعجٌ لأنَّ وجود "بوتين" و"ميدفيديف" في السلطةِ سوف يحدُّ من مقدار السلطة التي يمكنه التَّمتُّع بها، إنه لا يريد أن ينتقد حكومة "بوتين" علنًا؛ فهو قلقٌ من أن ينتهي به الحالُ مثلما انتهى بــ"هودروفيسك".

- من "هودروفيسك"؟

- وضع "بوتين" الأوليجاركي الثريَّ "هودروفيسكي" وراء القضبان؛ تحدَّث "هودروفيسك" علنًا ضد "بوتين"، وبذل قصارى جهده لشراء أعضاء مجلس "الدوما"، لا تعرف "مارينا" ما إذا كان "فاسيليف" يحاول أن يفعل الشيءَ نفسه أم أنَّه يحاول إثارةَ حالةٍ من الفوضى فقط، إنه يقف ضدَّ مشروعِ مدِّ خطِّ الأنابيب عبرَ خليج فنلندا، لذلك أفترض أنَّ حصوله على أراضي "هيدينييمي" له علاقةٌ بخطِّ أنابيبِ الغاز هذا، وأشكُّ في أنَّ قيمة الأرض تعنيه بأيِّ شكلٍ، فهو سيترك تلكَ المسألةَ ليتولَّاها "سوريانين"، لكنَّ المسطَّحات المائيَّة الواسعة حول هذه الأراضي هي مسألةٌ مختلفةٌ كلِّيةً.

وضعت "هيلينا" فنجانَ قهوتها وأكملت قائلةً:

- ثار لغطٌ كبيرٌ حول تأثير خطِّ الأنابيب على الحياةِ البحريَّةِ المحيطةِ به، وقد اكتشف الباحثون بالفعل دليلًا على زيادةِ مستوى مُركَّب "الميثان" الكيميائي في المنطقة، وتشتبه "مارينا أندريفينا" في أن "فاسيليف" يحاول إبطاءَ المشروعِ، أو حتَّى إيقافه بتلويثِ المياه بالقرب من "هيدينييمي" وإلقاء اللَّومِ على خطِّ الأنابيب.

- هل سبق أن هدَّدَكِ "فاسيليف"؟

- لا، "باسكفيتش" فقط هو من هدَّدَني، أو.. في الواقع، لا أدري، لم أشكْ مطلقًا في أنَّ "فاسيليف" كان وراءَ مقتلِ "أنيتا"، بل ظننتُ أنَّ "باسكفيتش" سعى إلى الانتقام منها فقط، عندما سمعتُ بالحادث؛ شعرتُ بالضِّيقِ وعبَّرتُ عن شكوكي على الملأ، مع العلمِ أنَّ لـ"باسكفيتش" صلاتٍ بالميليشيا، وربَّما دفعَ لهم رشوةً؛ كي يختلقوا قصةَ القاتلِ المخمورِ المُنعزل عن الناس، إنَّ "أنيتا" مواطنةٌ فنلنديَّةٌ، وكان ينبغي ألَّا يقفوا مكتوفي الأيدي عندما تُقتلُ أجنبيةٌ على أراضيهم، أخبرتكِ بالفعلِ عن التَّهديداتِ الَّتي تلقيتُها أيضًا بالإنجليزية، أليس كذلك؟ لكنَّني اعتقدتُ أنَّ صداقَتي مع "مارينا أندريفينا"

تُقلقهم، و"فاسيليف" ليس هدفها الوحيد، فكما قلتُ لكِ من قبلُ، إنَّ القواتَ الخاصَّة لشرطةِ الأمن تُلاحقها.

فكَّرتُ في التهديداتِ الَّتي تلقيتُها، والَّتي نسَّقوها بحيثُ تجعلني أعتقد أنَّ " باسكفيتش" هو من يقفُ وراءها، لو أنَّ القواتَ الروسيَّة الخاصة كانت تُلاحق "مارينا أندريفينا ميهايلوفا"؛ فلعلَّهم توصَّلوا إلى معلوماتٍ حول "باسكفيتش" أيضًا، ولا ندري فيما سيستغلُّون كلَّ هذه المعلومات، قلت:

– لذلكَ تواصلتي مع المكتب المركزيِّ للتَّحقيقاتِ، ورئيس الشرطة "لايتيو" بشأنِ مقتلِ "أنيتا"، كما عرفتُ أنكِ قلتي لـ"لايتيو" أنكِ تعتقدين أنَّ "باسكفيتش" هو من قتَلها؟

– هذا صحيحٌ؛ في البدايةِ اعتقدتُ أنَّ "باسكفيتش" قد رشاكِ أنتِ أيضًا، لكنَّ "مونيكا" نفت ذلكَ عنكِ وقالت إنَّكِ قويةُ العزيمة، ورغم أنَّه لا يمكنُ التنبؤ أحيانًا بأفعالكِ، لكن لا أحد يمكنه شراؤُكِ، وإلا لَمَا وظَّفتكِ عندي.

فكرتُ أنَّه لولا "مونيكا" لوقعتُ في مأزقٍ حقيقيٍّ، إنَّها صديقتي الحقيقيَّة، ولكن لنكتفِ بهذا القدرِ من العواطف؛ فقد حان وقتُ العمل.

أخبرتُ "هيلينا" أنَّ عليها الابتعاد عن الأنظار لبضعةِ أيام، وألَّا تذهب إلى العمل، ادَّعَت أنَّ ذلك غير ممكنٍ؛ فالعاملون في الحكومة لا يحصلون على إجازةٍ، ووسائلُ الإعلام تقوم باستقصاءِ كلَّ شيءٍ، وصولًا إلى ما يتناوله السياسيُّون على الغداء، ومع من يتعاملون، ورغم أن سجلَّات المستشفى تتَّسِمُ بالخصوصيَّة، فإنَّ الجمهور سيخمِّنُ قريبًا ما أصابَ "هيلينا"، سألتها إذا كان من الممكنِ استدعاءُ طبيبٍ من مجلسِ النُّواب؛ كي يمرَّ عليها بالمنزل ليفحَصها، قلت:

– ما زلتِ في حالةِ صدمةٍ ما بعد الاختطاف، لا يمكنُ للأطبَّاء أن يُخِلُّوا بمبدأ السِّرِّيةِ ويخبروا أيَّ شخصٍ عمَّا تعرَّضتِ له، سأُقدِّم أنا تقريرًا عن الاختطاف لأنكِ ما زلتِ مريضة، أين يمكنني أن أجدَ رقم الطبيب؟

– أفضِّل "كريستا".. إنَّها طبيبتي ومتخصصةٌ في الرِّعاية الأوَّليَّة، ولكن هل بوسعي على الأقلِّ أن أتَّصل بها بنفسي؟ نحن نعرف بعضنا منذ زمنٍ طويلٍ، ولا أريد أن أكذبَ عليها أكثر ممَّا يجب.

وصلَت الطبيبةُ في وقتٍ مُبكرٍ من المساء، تركتها تفحص "هيلينا" وذهبتُ لشراءِ البقالة لكابينة "تالودن"، كما اشتريتُ أيضًا هاتفًا به خاصيةُ الاتصال اللاسلكي، وجدته باهظَ الثَّمن للغاية، لكن "هيلينا" ستحتاجه وهي في عُزلتها الانفراديَّة، واستخدمتُ بطاقةَ هويَّة "ريسكا راسانين" لتسجيله، ثم تركتُ لـ"لايتيو" بريدًا صوتيًّا، بمجرَّد أن تمَّت الموافقةُ على إجازة "هيلينا" المَرَضية؛ توجَّهنا إلى كابينة "تالودن"، أبلغتُ وكالة استئجار السيارات بأنَّني سأحتفظ بالسيارةِ لفترةٍ أطول قليلًا؛ فالسيارةُ جعلت حياتي أسهل، وشككتُ في أنَّ رجال "باسكفيتش" سجَّلوا رقمَها، أعتقدُ أنَّ الوكالة لن تُدلي بمعلوماتٍ عمَّن استأجرها لأيِّ شخصٍ سوى الشرطة، ونحن نغادر المدينة.. التفتُّ إلى "هيلينا" وقلت:

– لم أكن صادقةً معكِ تمامًا من قبل؛ الكابينة ليست في "ستافو" ولكن في "ديجيربي"، إنَّه مكانٌ هادئٌ للغاية.. لن تصادفي هناك إلا الأيائلَ ومُتسلِّقي الجبالَ العابرين، ألا يمكنكِ إخبار ابنكِ بأنَّه لن يستطيع الوصول إليكِ لفترةٍ؟ أفترضُ أنَّه حاول الاتصالَ بكِ بالفعل.

– "آبو" في رحلةٍ جامعيةٍ بـ"روما"، ولن يعود قبل الأسبوع القادم، لن يفتقدني.

ما زالت المعلومات التي قالها لي "باسكفيتش" عن "ديفيد" تملأُ عقلي، انتابتني مشاعرُ سيئةٌ بعدما تلقيتُ منه رسالةً نصيةً عند وصولي إلى الكابينة، أيْ بعد أربعين دقيقةً من مغادرتنا "هلسنكي"، قال في رسالته:

"عزيزتي "هيلجا"، أصل إلى فنلندا غدًا، متى يمكننا أن نلتقي؟ لا أصدقُ أنَّني سأراكِ".

شعرت بالغثيان، لكنَّني أجبتُ على رسالتِهِ بالمثل:

"عزيزي "ديفيد"، إنَّني مشغولةٌ اليومين المقبلين، ولكن قد أتفرَّغ يوم الخميس، ماذا عن نُزُل "كوبارنس"؟ فتاةُ الريف التي بداخلي تُفضِّله عن ذاكَ الذي في "تورني"، مع حبِّي، "هيلجا".

لو كنتُ أحب "ديفيد" حقًّا، لما خاطبته بهذه الكلمة المُكوَّنة من خمسةِ أحرف: "عزيزي"، ولأنَّني أحتقرهُ الآن؛ فلا بأس من الكذب عليه.

وجدتُ الكابينةَ باردةً؛ فرفعتُ درجةَ حرارةِ جهاز التدفئَة إلى أربعٍ وعشرين درجة، وأشعلتُ المدفأة، بذَلت "هيلينا" قصارى جهدها لإقناعي بأنَّني أهدرُ الكثيرَ من الطَّاقةِ الكهربائيَّة، لكنَّها هدأت عندما أخبَرتها بأنَّ الدفءَ ينتشرُ في الكابينةِ بسرعةٍ، خصَّصتُ الغرفةَ الرئيسيَّةَ لإقامةِ "هيلينا"، وجهَّزت لنفسي سريرًا في الطابق العلويِّ؛ حيث يمكنني مراقبةُ أيِّ شخصٍ يقترب منها، سواءٌ من الشمال أو الجنوب، سأتحقَّق في الصباح من وجود أيِّ آثار أقدامٍ جديدةٍ للـ"وَشَق"، بعدما تأكدتُ من أنَّ جهاز تتبُّع "هيلينا" لا يزال يعمل -ويا لها من نعمة- ركَّبت أجهزةَ كشف الحركةِ بالقرب من الكابينة وعلى أبوابها، تكوَّن العشاءُ من يخنةِ الباذنجان مع حبوب الدُّخن الصفراء، وقراقيشَ من الحنطةِ صُنعت في بلدية "إنكو"، لم أُحضر أيَّ كحولٍ هذه المرَّة؛ فعلينا أن نظلَّ في حالةِ تأهُّب، تناولنا الشايَ قبل النوم ثمَّ ذهبنا إلى أِسرَّتنا للقراءة، كانت "هيلينا "قد أحضرت معها أكوامًا من أوراق العمل.

ضبطتُ هاتفي المحمول على الوضعِ الصَّامت، وفي حوالي منتصف الليل رأيته يومِض، إنَّه "لايتيو" فأجبت:

- معكَ "إلفسكيرو".

- "لايتيو"، ما حكايتكِ؟ تلقيتُ منكِ رسائلَ بريدٍ صوتيٍّ، هل لديكِ ما تخبريني به؟

- بلى، عرفتُ من قتل "أنيتا نيوتينين".

سمعت "لايتيو" يسبُّ ويلعن، لكنَّني لم أدعه يقاطعني، فأكملتُ قائلةً:

- هل يمكن أن نلتقي غدًا؟ أُفضِّل مكتبَ التحقيقات الوطنيَّ في "يوكينيمي".

- لا، لا يمكنني، أعني.. لا أستطيع أن ألتقي بكِ في "يوكينيمي"؛ فقد التوى كاحلي.

- لا ينبغي لرجلٍ بالغٍ مثلكَ أن يمشي في الشوارع مترنِّحًا وهو سكران، اترك ذلكَ للشباب.

- إنها إصابةٌ رياضيَّة! لكن اللعنة، ليس هناك طريقةٌ لأحصل بها على إجازةٍ مَرَضيَّة، إذا كنتِ تريدين التحدُّث معي؛ فلا بد وأن تأتي إلى شارع "يورهيليو"، في الساعة الثانية، بناية "باز فور بيبونين" "Buzz for Pepponen"، واسمعي يا "إلفسكيرو".. هذه المرَّة لديَّ رقم هاتفكِ، إذا لم تظهري في الموعدِ والمكان المحدَّدَينِ، سأجدكِ.

كنت أعلم أنَّها مجرَّد تهديداتٍ جوفاء، ولكنَّ "لايتيو" قالها على أيِّ حال.

في اليوم التالي ركضتُ لمسافةٍ طويلةٍ تحت رذاذ مطر الصباح، انتزعَت عاصفةُ الأحد ما تبقَّى من أوراقٍ على الأشجار، ورأيتُ قطراتِ المطر تتلألأُ في شبكاتٍ عنكبوتيةٍ، مثل الدانتيل المطرَّز بحبَّات الكريستال، وصف خالي "جاري" هذا المشهدَ يومًا قائلًا: "ولا حتَّى الأميرات لديهن مجوهرات بهذا الجمال، كم هي ثمينةٌ ونادرة، إنها لا تدوم إلا لفترةٍ قصيرة، لذا عليكِ أن تتوقَّفي وتتأملينها كلَّما وقع بصركِ عليها".

لم تكن هناك آثار أقدام "وَشَقٍ" بل بضع بجعاتٍ فقط يسبحن على سطح مياه الخليج، طلبتُ من "هيلينا" البقاءَ في المنزل، عند إغلاق الستائر المعدنية.. لا يتسرَّب من خلالها بصيص نورٍ حتَّى، بدأت الأمطارُ تنهمر بغزارةٍ مرَّةً أخرى، سأترك "هيلينا" تقرأُ تقاريرها في سلامٍ وسأذهب أنا إلى "هلسنكي".

تركتُ السيارةَ المستأجرةَ في "هاناساري" وركبتُ الحافلة، قرعت الجرسَ لدقيقةٍ أو دقيقتين، وتعجَّبت من تسمية البناية باسم "بيبونين" وليس بـ "لايتيو"، عندما تردَّد صدى صوت "لايتيو" المألوف عبر مُكَبِّر الصَّوْت، أخبرته باسم عائلتي ففتح لي الباب، صعدتُ الدَرَجَ إلى باب شقَّته الذي كان مفتوحًا بالفعل، وجدته ينتظرني بالبهو، قال:

- تفضَّلي.

هذا الاجتماع ليس من النوع الذي يبدأ بالمصافحة والتعليقات الودِّية حول الطقس، ها هو "لايتيو" ينفخ دخان السيجار مرَّةً أخرى، ويرتدي زيًّا ضيقًا جدًا حول الكتفين متناسقًا مع لونِ السيجارِ البُنِّيِّ، في قدمه اليمنى حذاءٌ جلديٌّ بنيٌّ، وفي اليسرى خف من قماشٍ بالٍ من "الطرطان" الصوفيِّ المُقلَّم، قال عندما رآني أبتسمُ ابتسامةً متكلفةً وأنا أنظر إلى خفه:

- اخرسي، هذه هي الموضةُ الآن، حتَّى نجوم الروك يرتدونه، إنَّه رائجٌ ومنتشرٌ، وأنا ألبسه لأنَّني لا أجدُ أيَّ شيءٍ آخر يمكنه احتواء هذه القدم الملعونة، حتى ابنتي قالت لي إن خفيّ رائع، هاها!

جلستُ على الأريكةِ المألوفة، جلس "لايتيو" على مكتبه، بالكاد استطعتُ أن أتنفَّس في مكتبه المعبَّأ بدخانِ السيجار، قام "لايتيو" بتشغيل مسجِّل، ثم تلا التعليمات المعتادة التي تسبق البدء في الاستجواب، ثم قال وهو يُقدم لي سيجارًا:

- أنتِ هنا إذن لتعترفي، أليس كذلك؟ هل يُؤنِّبكِ ضميركِ أخيرًا؟

رفضتُ السيجارَ ثم قلت:

- أظنُّ أنك تصعقني بالكهرباء بسبب ما فعلته ذاك المساء، لكنَّ هذه تفاصيلٌ ثانَويَّة، لقد اتبعتَ المسارَ الخاطئَ يا "لايتيو"، وكذلك أنا، "فالنتين باسكفيتش" لم يقتل "أنيتا نيوتينين".

اهتزَّ شارب "لايتيو" لثانيةٍ، ورفع حاجبيه فوق عينيه الغائرتين، حتى كادا أن يتجاوزا نظَّارَتَه ذات الحواف الرفيعةِ وقال:

- أيُّ قصةٍ مُلفقةٍ اختلقتِها أنتِ وربُّ عملكِ هذه المرَّة؟

- أنصِت، ستجدها قصةً مسليةً، ففيها سينال الأشرارُ جزاءهم.

رويت لـ"لايتيو" ما حدث مساء الأحد، حاول مُقاطعتي لطرحِ سؤالٍ، لكنني طلبتُ منه أن يصمت، وعندما وصفتُ مشهد الحبل انفجر ضَحكًا، ثم شعر بالحرج الشديد لدرجةِ أنَّه ركز عينيه على المَسجِّل لفترةٍ طويلة، الشيءُ الوحيدُ الذي لم أخبره به هو المعلومات الَّتي عرفتها عن "ديفيد"؛ فهذا الرجل سيكون فريستي أنا، وسأترك الآخرين يتعاملون مع "فاسيليف" و"سوريانين" وغيرهم كثيرين، عندما انتهيتُ من قصتي، جلس "لايتيو" صامتًا للحظةٍ مرَّت وكأنَّها دَهر، ثم قدَّم لي سيجارًا مرَّةً أخرى، فأخذته هذه المرة وقطعت رأسَه بقاطعِ السيجار، يجبُ أن أشتري تلك المجموعة وأضيفها إلى حقيبةِ أدواتي، فقد اتَّضح لي في فيلَّا "باسكفيتش" أنها مفيدةٌ جدًّا، وبينما أسحب النفَس الثاني من السيجار سألني "لايتيو" أخيرًا:

- لستِ إذن واحدةً من فتيات "باسكفيتش"؟

كان عَلَيَّ أن أعترفَ أن مذاق السيجار تشبه تبغ الغليون الخاص بخالي "جاري"، قلت:

- لست واحدةً منهن مطلقًا.

حدَّق بي "لايتيو" غير مصدِّقٍ ثم قال:

– لكنَّني ظننتُ أن "باسكفيتش" دفع لكِ رشوةً كي تتخلي عن "نيوتينين" وتتركينها بمفردها، كنت واثقًا من ذلك، اللعنة على تلك الثقة! فهذا هو التفسيرُ المنطقيُّ الوحيد، لكن "فاسيليف" هذا.. وحتى "أوسكو سوريانى"، يا إلهي! كم كنت معجبًا بهذا الرجل! إنَّه ليس مخنثًا سويديًّا يتباهى بأمواله التي ورثها، بل رجلٌ فنلنديٌّ يستحق الاحترام؛ لأنه بنى إمبراطوريته بالكدِّ والكفاح! والآن أصبحَ في وضعٍ ضعيفٍ بعدما أصبح صديقًا لذلك الروسي.

– لعلَّ "سوريانين" لا يعرف دوافع "فاسيليف" الحقيقية، هل شخصية "بوريس فاسيليف" هذه مألوفةٌ بالنسبة لكَ؟

– "فاسيليف"؟ نعم، سمعت الاسمَ من زميلٍ لي في وكالة "اليوروبول" كان يقتفي أثره، هناك شائعاتٌ تدور حول ارتباط "فاسيليف" بالإرهابيين في الشرق الأوسط، والذين يرتبطون معه بنوعٍ من المشاريع النِّفطيَّة المشتركة، وأراهن أنَّ البنزينَ الرخيص الَّذي يذهب لمشاريع "سوريانين" يأتي من هناكَ أيضًا.

– هل "ديفيد ستال" هذا زميلكَ؟ إنه يعمل لحساب "باسكفيتش" أيضًا.

ارتجفَ صوتي الآن، وكنتُ متأكدةً من أنَّ وجهي يكسوه الاحمرار، وبلغ عددُ نبضات قلبي مائةً وأربعين نبضةً في الدقيقة، ألم يسمعه "لايتيو" وهو يحاول أن يكسرَ صدري ويخرج، سألني:

– كيف عرفتِ بأمر "ستال"؟

– إنه جزءٌ من التوصيفِ الوظيفيِّ لمهامي؛ جمع المعلومات، لكنَّ "ستال" ليس مهمًّا، هل تعتقد أن ميليشيا موسكو ستعيدُ فتح قضيَّة مقتل "أنيتا نيوتينين" إذا أدليتُ بهذه المعلومات الجديدة؟ علاقةُ المدعو "فاسيليف" مع

رئيس الوزراء ليست في أفضل أحوالِها، قد يؤدِّي القبضُ على "فاسيليف" إلى تحسينِ صورةِ الميليشيا، وقد يحصلُ أعضاؤها على بعض الترقيات.

– وقد تصبحُ مجرَّد تذكرةِ ذهابٍ بلا عودةٍ إلى حمَّام دم، سأضطرُّ إلى إجراءِ بعض الاستعلاماتِ والتَّقصِّي مع رجالٍ موثوقين في موسكو، أحاول التفكير في ذريعةٍ مناسبة لزيارة "باسكفيتش" في "برومارف"، لا أمانعُ في إخافته حتى يتبوَّل على نفسه، وأعتقدُ أنكِ جعلتهِ يتبوَّل في سرواله بشكلٍ رائعٍ حقًّا.

بدت ابتسامةُ "لايتيو" مشوَّهةً، وتعبيراته تفتقرُ إلى التَّوازنِ بعضَ الشيء، وحول وجنتيهِ وعينيهِ تجاعيدُ جعلته يبدو وكأنَّه "بابا نويل" الطيب؟ إنَّه يرسم صورةً نموذجيةً للأبِ الذي يرتدي خفي من قماشِ "الطرطان"، أوه، يا إلهي! قال:

– من الأفضلِ أن تردِّي عندما أتَّصل بكِ، أو على الأقلِّ ردي على رسائل البريد الصوتي، ليس هناكَ أيُّ تقاريرَ رسميةٍ للشرطةِ حول اختفاء "ليموسفو" أو عن أيِّ شيءٍ حدث في "برومارف" تلك الليلة، وحتى الآن أنا الوحيد الذي يعرف، انظري الآن ما سيحدث لشريط التسجيل هذا.

أخرج "لايتيو" الشريط من المسجل، وأتلفه، ثم أشعل النَّار فيه، الآن.. تمتزجُ رائحة البلاستيك المحترق برائحةِ السيجار المُثيرة للاشمئزاز، أخيرًا فتحَ النافذة، قال:

– ما أعنيه هو أنَّ هذا الأمر سيبقى سرًّا بيننا نحن الاثنين فقط، كيف ستُبرِّرين لصديقتكِ بقاءَك مع "ليموسفو"؟ لا تعتبر "هيلينا ليموسفو" قزم "تيرول" قبيحًا على أيِّ حال.

– أنا لا أنام مع عملائي ولم يسبق أن فعلت.
– ولا أنا أيضًا، لكن هذا لا يعني أنَّني لم أرغب في أن أفعلها.

ظلَّ "لايتيو" يقهقه ومن المفترض أن هذه القهقهة تشير إلى: "أننا نحن الرجال نعرف حقيقة النساء"، كما أنها لا تخلو من الإيحاءات الجِنسية، وعما قريبٍ سيُطلب مني الانضمام إلى فريقه الرياضيِّ، أسرعتُ بالخروج من عنده، أليس من المدهش أن أصبح أنا و "لايتيو" أصدقاء؟!

قضيتُ الليل مستلقيةً وأنا مستيقظة، أستمع إلى "هيلينا" تتقلَّب وهي نائمة، وبفضل جهاز "دونجل"؛ اتصلتُ بشبكةِ الإنترنت، وتمكنت من مراجعة بريدي الإلكتروني، انخرط أصدقائي بأمريكا في محادثاتٍ ساخنةٍ حول الانتخابات الرئاسية، أيَّد معظمهم "باراك أوباما"، لكن من كان منهم أكثر محافظةٍ.. رأى أنَّ تَولِّي رجلٍ أسودَ منصبَ الرئيس يُعتبر شيءٌ بغيض، عندما أوشكتُ أن أُطفئَ الكمبيوتر المحمول، تلقَّيتُ رسالةً من "مايك فيرتيو" أرسلها إلى مجموعتِنا:

"من واجبنا كحرَّاسٍ أن نحافظ على حياة "أوباما" في حال انتخابه، وبغضِّ النظر عمَّن تؤيد، فمن واجبكَ دائمًا حمايةَ رئيسنا المنتخب ديمقراطيًّا، تذكروا ما علَّمتكم إيَّاه: مهمتكَ هي حمايةُ العميل؛ ولا مانعَ في أن تلجأَ إلى القتلِ لو أنَّه ضرورةٌ حتميَّةٌ كي تؤدي عملَك على أكمل وجه".

فكرتُ في "ديفيد ستال" وكنت أعرف أنَّ وقت الحساب سيحين، قد تُحتِّم الضرورة على الإنسان في بعض الأحيان أن يقتل الشخص الذي أخطأ وأحبَّه، وحسبما أوحى له تفكيره المُلتوي، قام أبي بما يتحتَّم عليه القيام به؛ ونعرف أنه أخطأ، وما تحتَّم على خالي "جاري" فِعله أيضًا كان فظيعًا، لكنه لم يملك خيارًا آخرَ.

عندما كنت في الثامنةِ من عمري، كنت أصغرَ من أن أفهم أنَّ امتلاكَ حيوانٍ بريٍّ واعتباره حيوانًا أليفًا ليس شيئًا منطقيًّا، بل أنَّني لم أعتبر "فريدا" حيوانًا أليفًا من الأصل؛ كانت أشبهَ بفردٍ من أفراد العائلة، بالطبع، لم تتعلم أبدًا كيف تصطاد وتقتنص بطريقةٍ صحيحةٍ لأنها كانت تعيشُ معنا، لم يكن لديها أمٌّ لتعلمها هذه

المهارات، كانت تصطاد من حينٍ إلى آخر بعضَ الفئران، وحيوانَ الخُلْد، مثلما تفعل قطة المَزرعة، وفي بعض الأحيان نراها تُطارد سنجابًا، أمَّا الأرانب البرِّية فكانت ماكرةً للغاية؛ فلم تستطع اصطيادها، وفيما بعد.. فهمت لماذا ظلَّ خالي "جاري" يخرقُ القوانينَ بخروجه في غير موسم الصيد؛ لاصطياد الأرانب والبط وحتى طيور النورس؛ لأننا لو اشترينا اللحومَ من المتجر كي نطعم "فريدا"، لانكشفَ أمرها.

عاشت "فريدا" منذ صغرها في "هيفونبرسينساري"، مرَّت السنةُ والنصف الأولى دون أيِّ مشكلات، وحتى لو خرجت من المنزل، فإنها لا تغيبُ طويلًا، ومن وقتٍ إلى آخر يتناقل الجيران كلامًا عن أنَّهم رأوا "وَشَقًا" يتجوَّل في الجوار، وعلى مدار فصل الشتاء.. كُنَّا ننشغل بمحو آثار أقدام "فريدا" من فناء منزلنا، ومن فوق جليد البحيرة، وأظن أن "آل هاكاراينن" لا بد وأنهم عرفوا أننا نحتفظ في منزلنا بـ"وَشَقٍ" بريٍّ، لكن نظرًا لأن "فريدا" لم تُسبِّب أيَّ ضررٍ لحيواناتهم، فقد غضوا الطرفَ عن الأمر، تتمتع "هيفونبرسينساري" بقوانينها الخاصة.

عندما بلغَت "فريدا" الثانيةَ من عمرها تقريبًا؛ بدأنا نواجه مشكلاتٍ في الربيع، حيث كانت تمرُّ بمرحلةِ التزاوج، أصبحَت في حاجةٍ إلى رفيق، ورغم أنَّها فضَّلت في أغلب الأحوال البقاءَ بمفردها، ولكن في ليالي مارس وأبريل.. أخذ صدى نداءاتها يتردَّد بعيدًا لاستدعاء ذكرٍ يُؤنس وحدتها، وفي ليلةٍ من الليالي المُقمرة.. ارتدَّ شعاعُ القمر المنعكِس على جليد البحيرة بشدَّةٍ حتى أنَّني استغنيت عن المصباح اليدوي، وظلت "فريدا" في الفناء، تعوي، وربما سُمع عواؤها طوال الطريق إلى "ريكارانتا".

ثم استجاب لنداءاتها وعوائها "وَشَق" ذكر، في مكانٍ ما بالقرب من "كافي"، تظاهر خالي "جاري" بأنَّه نائمٌ، لكنه نهض وراقب "فريدا" من النافذة وهي تسير على الجليد في اتِّجاه الشَّمال.

تغيَّبت "فريدا" عدةَ أيامٍ، لكنها عادت في النهاية، رجَعت بمفردِها، ولكن سرعان ما ظهر على الجليد آثار أقدام "وَشَق" غيرُ مألوفة، في ليلةٍ من ليالي الشتاء الدافئة، عندما أخذت رقاقاتُ الجليد بالقناةِ تتكسَّر تلقائيًّا، وبينما كنت في طريقي إلى المرحاض الخارجي رصدتهما، "فريدا" ورفيقها، كانت "فريدا" تتَّكئ على كفَّيها الأماميَّين، وترفع وركيها عاليًا، ودفع رفيقها بنفسه داخلها، وعضَّها في رقبتها، زمجرَت "فريدا" وظلَّت تختلس النظرَ إلى الذكر وهو يمشي مُبتعدًا، كنتُ في العاشرةِ من عمري فقط حينها، ولم أكن أعرف الكثير عن الجنس، ومع ذلك، كنت أعلم أنَّني نلتُ شرفَ رؤيةِ هذا المشهد.

مرَّت مرحلةُ التزاوج عند "فريدا"، شعرتُ برحيلِ رفيقها، فقال لي خالي "جاري" إنَّ هذه هي حياة "الوَشَق"، كما لا ينبغي أن أتوقَّع أن تنجب "فريدا" "وَشَقًا"؛ فالمرةُ الأولى عادةً لا تنجح، تحوَّلت "فريدا" إلى قطةٍ منزليَّةٍ مرَّةً أخرى وهي تركض على الطريق وراء سيارة خالي "جاري"، عندما فُقد أرنبُ "مينتو هاكاراينن" الأليف من فناء منزله، أصابَنا الذعر؛ بدا الأمر كأن "وَشَقنا" اكتَشفت أخيرًا كيف تقتنص، وقد يكلِّفها ذلك حياتها.

لم نعرف أبدًا من دَهَس "فريدا"، لا بد أنهم بعض الجبناء المستهترين الذين لم يكلفوا أنفسهم عناء التوقُّف ليروا ما حدث لها، لقد تُركت ملقاةً على جانب الطريق، بين الحياة والموت، على بُعدِ أقلَّ من ميلٍ من منزلنا، وجدتُها وأنا في طريق العودة من المدرسة إلى البيت، ركضتُ طوال الطريق حتى وصلت إلى الكابينة، هتفتُ:

- خالي "جاري"! تعال! أنقذنا! "فريدا" تنزف!

قفز خالي في السيارةِ حاملًا بُندقيته، طلب مني البقاءَ في الكابينة، لكنني قلتُ له إنَّ "فريدا" أختي، ذهبتُ معه، عندما وصلنا وجدناها ما زالت على قيد الحياة،

وبوسعي أن أقول إنها تعرَّفت علينا، أصابت السيارةُ ساقيها الخلفيَّتين إصابةً بالغةً؛ لدرجةِ أنَّ الطبيبَ البيطريَّ عجز عن القيام بأيِّ شيءٍ لإنقاذها، قال خالي:

- "هيلجا"، إنها تعاني، يجب أن أخلصها من الألم، طلقةٌ واحدة فقط، ولن تتأذى بعدها.

أشحتُ ببصري بعيدًا وخالي يطلقُ عليها النار، لكنني رأيت الدموعَ تنهمرُ على وجهه، قمنا بدفنِها معًا في غابة "هيفونبرسينساري" بجوار صخرةٍ كبيرة، غنَّى خالي "جاري" مطلع ترنيمة "سوفيفيرسي"، في وقتٍ لاحق، تساءلَت عائلة "هاكاراينن" وزوار "هيفونبرسينساري" عن سبب نموِّ شجيرة وردٍ بين شجيرات الخلنج، كنت أنا وخالي نعرف السبب: هناك تحتَ تلكَ الورود ترقدُ أختي "فريدا".

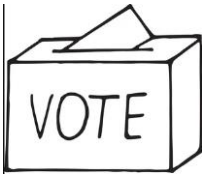

22

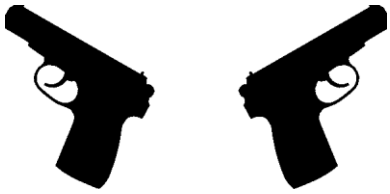

عندما تذهب لتقابل امرأةً، خذ معك سوطًا، وعندما تذهب لتقابل خائنًا، لا تنس مسدسَك، سيعرف "ديفيد" بالتأكيد أنَّني مُسلَّحة، مثلما أعرف أنه مسلَّح، والسؤال من سيسحَب مسدسَه أولًا ويصوبه نحو الآخر.

احتار أمري بين قيادة السيارة وركوب الدرَّاجة إلى النُزُل، وفي النهاية قررتُ تحميل درَّاجتي في السيارة التي قُدتها معظم الطريق تقريبًا، ثم تركتها عند المنعطف الأخير بجوار مأوى مطرٍ للمُشاة، وأكملت الطريق بالدرَّاجة، انهمر المطر مرَّةً أخرى؛ لذلك انتابني القلقُ بعض الشيء من أنَّ "ديفيد" سيرتابُ لو بدت ملابسي محتفظةً بنظافتها ورونقها، ارتديت معطفَ التخييم، وتحت البنطال ارتديتُ زوجًا من السراويل السوداءَ الطويلة الشفافة، وتنورةً قصيرةً من الجلد الأحمر لم ألبسها منذ أيام نيويورك، توجد تحت المعطف سترةٌ فضفاضة طويلةُ الأكمام، اشتريتها لأنَّ مسدسي يختفي تحتها جيِّدًا، أردت أن أبدو مثيرةً، وأن أثير غرائز "ديفيد" وأتركه أعزل، بلا مسدَّسٍ وبلا ملابس.

لم أُدرك مدى الخوف الذي يعتريني إلا بعدما أوقفت دراجتي، لحسن الحظِّ أنَّني تلقيتُ تدريبًا مكثفًا في "الارتجاع البيولوجي" للتَّحكم في وظائف الجسم،

التقطتُ بعض الأنفاس القصيرةَ كي أخفضَ عدد نبضات قلبي المتسارعة، وحاولتُ تحليل مشاعري بموضوعيَّةٍ وبلا تحيُّز، ينبغي أن أعترف أن المرأةَ التي بداخلي تشعرُ بالتوتُّر من لقاء "ديفيد"، رغم أنَّني لا يمكن أن أشاركه الفراش ثانيةً، لا ينبغي أن أخلع ملابسي.

أرسل لي "ديفيد" رسالةً قال فيها أننا سنقيم في غرفتنا القديمة، وليس عَلَيَّ سوى الصعود إليها وطَرق بابها، كما ذكر أنه لا أحد غيرنا في المبنى، ملمِّحًا إلى أنه لا أحد يمكنه سماعنا هذه المرَّة، إلى أيِّ مدى افترض "ديفيد" أنَّني أعرف حقيقةَ هويته؟ لا أظنه يعتقد أنَّني من الغباء بمكانٍ حتى أصدق قصة عقاراته تلك، أليس كذلك؟ لقد خططتُ لترك باب المبنى مفتوحًا.

إنَّ أحد الخيارات المتاحة هو شنُّ هجومٍ مُباغت.. أن أدخل الغرفة وأنا أشهر مسدس "الجلوك"، لكنني قرَّرت أن أترك المسدس في جرابه، لقد تردَّدتُ في إطلاق النار على "باسكفيتش"، وليس هناك مجالٌ للتردُّد هذه المرَّة، لعلَّ "ديفيد" هو من قتل "أنيتا"، ومن أجبر المُتشرِّد على شرب الخمر حتى كتم أنفاسه وقتله، ثم دسَّ المسدس في يده، كان صدري يرتفع ويهبطُ مثل ممثلةٍ ناشئةٍ في فيلمٍ فنلنديٍّ من ثلاثينيات القرن الماضي، شعرتُ وأنا أدقُّ باب غرفة "ديفيد" بنبضاتِ قلبي تخفقُ في عروقِ رقبتي ومعصمي، لم يسأل مَن الطارق، وهذا غباءٌ منه، من الممكن أن أكون أيَّ شخصٍ آخر، رغم أنَّه لا أحد أخطر عليه مِني الآن، ابتسم "ديفيد" وقال:

- "هيلجا".

جذبَني وضمَّني إلى صدرهِ وأغلق الباب خلفنا، كان يرتدي بنطال جينز، وقميصًا خفيفًا، لم أرَ أيَّ علامةٍ على وجود مسدسٍ تحت ملابسه، وتحسستُ جيبَ بنطالِه الخلفيَّ فلم أجده أيضًا، ضغطت بذراعي الأيسرَ على جانبي بإحكامٍ

وعانقته بالأيمن، عرفت على الفور أن هذا الزيف لن يفلح أبدًا، راحت يدا "ديفيد" تتجولان بالفعل فوق جسدي، وانتقلَت قطراتُ المطر من معطفي إلى ملابسِه، قلت:

- لحظةً، سأخلع معطفي.

سحبتُ نفسي من بين ذراعيه ودفعته على السرير، خلعت بنطالي أولًا، ثم معطفي، وأنا أبذل قصارى جهدي لأرسم على وجهي تعبيرات الشَّهوةِ الجِنسية، لا بد أنَّني كنت أُشبه خنزيرًا غينيًّا عصبيَّ المزاج، تظاهرتُ بأنني أفكُّ أزرار سُترتي، لكن بدلًا من ذلك سحبتُ مسدسي وصوَّبته مباشرةً نحو رأس "ديفيد"، سرعان ما تحوَّلت ابتسامتُه من حبٍّ إلى ارتباكٍ، حتى أنَّني لمحتُ في عينيه شرارةَ غضبٍ، قال:

- ماذا يجري بحقِّ الجحيم؟

- انتهت اللعبة يا "ديفيد ستال"، وبالمناسبة هل هذا هو اسمك الحقيقي؟ أنت معروفٌ بهذا الاسم في وكالة "اليوروبول"، وأعلم أنك تحدثت مع رئيس الشرطة "تيبو لايتيو"، ما اسمكَ الحركيُّ الذي تُعرف به بين رجال عصابة "فاسيليف"؟ ارفع يديكَ وضعهما خلفَ رأسكَ! لن أتردَّدَ في إطلاق النار على فأرٍ مثلكَ.

رفع "ديفيد" يديه لكنَّني واثقةٌ من أنه أخذ يفكِّر في طريقةٍ للخروج من هذا المأزق، ولا أظنُّ أنه سيبدأُ بالصراخ طلبًا للمساعدة، لم يرغب أيٌّ منَّا في إشراك أيِّ أحدٍ فيما نحن فيه، لم أصرخ في وجهه، إنما تحوَّل صوتي إلى ما يشبه هسهسةَ قطةٍ مسعورة، لا أعرف عدد الضيوف المقيمين بالنُزُل في يومٍ من أيام شهر أكتوبر؛ وإذا ابتسم لي الحظ سنكون الوحيدين، لعلَّ "ديفيد" يعرف هذا بالفعل، وينبغي أن أفهم الإشاراتَ حسب الطريقةِ التي سيتصرفُ بها، سألني:

- لحساب من تعملين؟ "باسكفيتش"؟

– اخرس! أنا من يطرحُ الأسئلةَ هنا، إذا كنتَ تريدُ أن يطول عمركَ قليلًا، فستجيبُ عليها مثل الصبيِّ المطيع.

هزَّ "ديفيد" رأسَه غير مصدِّقٍ لما يجري له، بحثتُ عن مسدسه، بوسعي استخدامَ زوجٍ من الأصفاد لربطِ "ديفيد" بالسرير، إن ألواحَ الخشب في ظهر السرير مثاليةٌ لهذا الغرض، قال:

– لست مضطرًّا لإخبارِكِ بأيِّ شيءٍ، هيا، أطلقي النار.

– أيها القاتل الملعون! أنت عميلٌ مزدوج! خائن!

لأنني لا أعرف كيف أشتم بالسويدية، اضطُررت إلى التبديل إلى اللغة الفنلندية، ويبدو أن "ديفيد" وجد ذلك مسليًا، مما جعلني أحكم قبضتي على المسدس بقوةٍ أكبرَ وقلت:

– كم دفع لكَ "فاسيليف"؟ ولماذا استأجركَ؟ يعلم ربُّ عملكَ السابقُ "باسكفيتش" أنَّ "فاسيليف" يلهثُ وراء صفقة "هيدينييمي"، وأن "أوسكو سوريانين" مجرَّد واجهة، وأنت أطلعتَ "لايتيو" على هذه المعلومات، "هيلينا ليموسفو" و"مارينا أندريفينا ميهايلوفا" هما أيضًا تعرفان.

– ومع أيِّ فريقٍ تقف "ليموسفو" يا تُرى؟

– هذا ما أراد "باسكفيتش" أن يعرفه أيضًا عندما اختطف "هيلينا".

لا يسعني إلا التَّباهي بمدى فِطنتي، وعلى "ديفيد" أن يدفع ثمنَ التقليل من قدري، أكملت قائلةً:

– اختطف "باسكفيتش" "ليموسفو" ليلة الانتخابات، ولكن جهاز التعقب المثبت خلف رقبتها قادني بعد ذلك إلى فيلَّا "باسكفيتش" في "برومارف"، ظن أنَّني واحدةٌ من فتيات "فاسيليف"، لكن أنت وأنا نعرف أنَّني لستُ من فتياته، أليس كذلك؟ ينبغي على الأقلِّ أن تعرف من يقفُ في صفِّكَ، أليس كذلك؟

أومأَ "ديفيد" برأسه، قلتُ له أن يخلع حزامَه، ثم استخدمته لربطِ يديه خلفَ ظهرِه ثُمَّ قلَبته على جانبه، لطالما تدرَّبنا في أكاديمية الأمن على التعامل مع المعارضين بمسدَّسٍ في يدٍ، وبحبالٍ أو أصفادَ في اليدِ الأخرى، سهَّل "ديفيد" عَلَيَّ الأمر؛ لأنه لم يبدِ أيَّ مقاومةٍ على الإطلاق، لم أعتبر سلوكه خضوعًا، بل أعرف أنَّ واحدًا منا فقط سيغادر هذه الغرفة حيًّا، لا بُد أن أتوقَّف عن حبِّ الاستطلاع الآن وأُنهي هذا الأمر، ثم أبعث إلى "لايتيو" برسالةٍ من مجهولٍ أخبره فيها أن "ديفيد ستال" ما هو إلا عميلٌ مزدوج، وأن "فاسيليف" قتل "ستال" عندما اكتشف مع أيِّ خائنٍ يتعامل.

سمعتُ خطواتٍ تقترب من الباب ثم طرقًا، سألَت صاحبة النُزُل بالإنجليزية:

– هل أقوم بتسخين مياه حوض الاستحمام لكَ؟

أشرتُ إلى "ديفيد" للردِّ عليها فقال:

– ربَّما بعد قليل، هناك شيءٌ لم أنتهِ منه بعد، سأخبركِ عندما أستعد، ولكن قد لا أجدُ وقتًا لأنقع نفسي في الماء الساخن هذه الليلة.

– لكن هذا سيفيدكَ، فكِّر في الأمر!

ابتعدَت صاحبة النُزُل، وتساءلتُ: إذا كانت الأمطار تنهمر بغزارةٍ الآن فما المغزى من الجلوس تحتها في حوضٍ به ماءٌ دافئ؟ وأظنُّ أنه سيسعدني أن أغمرَ نفسي في مثل هذا الماء الدافئ بينما العاصفة تهبُّ في كلِّ مكانٍ من حولي، وفي ظروفٍ مختلفة، كنت سألحق بـ"ديفيد" هناك، ولعلَّ هذا ما خطَّطَ له بالفعل، وبعدها يحدث بطريقةٍ أو بأخرى أن يُسقط جهازًا كهربائيًّا لا يزال موصلًا بمَقبِسٍ في الماء، وهكذا ألقى حتفي، اللعنة، يا له من ماكر! ثم يُقال إنها ماتت وتركت وراءها صديقها، وعددًا من أرباب العملِ السابقين، قال "ديفيد":

– يجب أن أخبركِ أنَّني معجبٌ حقًّا بهروبكِ من بين يَدَي "باسكفيتش"، من الواضح أنَّه ليس زير النساء المُجَرَّب الذي ظننته في البداية، كما أنه لم يُدبِّر مقتلَ "أنيتا".

– لكنَّكَ كنتَ تعرفُ ذلكَ طوال الوقت، ولا تحاول الادِّعاءَ خلاف ذلك.

– لا، لم أعرف، اكتشفتُ أمر "فاسيليف" في الأسبوعين الماضيين فقط، تمكنتُ أخيرًا من رؤية شرائطَ فيديو تُصور حادث مقتل "أنيتا نيوتينين".

– شرائط فيديو؟

– مِن طبع "فاسيليف" ألَّا يثقَ بأحدٍ، تمَّ تصويرُ كلِّ شيءٍ بالفيديو، فهو يستمتع بمشاهدتها، تم تسجيلُ كلِّ شيءٍ: كيف خرجَت "نيوتينين" من المبنى، وكيف حاولتِ أنتِ التحدُّث معها، وكيف اختُطفتْ، وكيف وضعتِ وشاحَها في جيبكِ، من الواضحِ أنكِ كنتِ تحتَ تأثير مخدِّر.

– ماذا تقول بحقِّ الجحيم؟

– صدِّقيني، إنها الحقيقة، لقد قاموا بتخديركِ، كنتِ في بار "سفوبودا"، أليسَ كذلك؟

– كنتُ حذرةً طوال الوقت! لم أسمح لأيِّ شخصٍ بأن يقتربَ مني.

– أنتِ شربتِ بيرةً هناك، أليس كذلك؟ من السَّهل إعادةُ غطاء الزجاجة كما كان بمجرَّد دسِّ المخدِّر بها، صحيحٌ أن السيدة "نيوتينين" تمتلكُ العقار إنما "بوريس فاسيليف" يمتلكُ النادل.

شعرتُ بالغضب والخجل من نفسي في آنٍ واحد، لكنني لست مستعدةً لتصديق كلَّ ما يقوله "ديفيد" رغم أنَّ تفسيره بدا مقبولًا بعض الشيء. تنهَّد "ديفيد":

– أنتِ محقَّة، إنَّني عميلٌ مزدوج، دفع لي "فاسيليف" كي أخفي أنشطَته عن وكالة "اليوروبول"، إنهم لا يعرفون ما أخطِّط له حقًّا، إنَّني أحتاج إلى

الأموال التي وعدني بها "فاسيليف" كي أغير هويَّتي وأستبدلها بهويَّةٍ جديدة، هذا إذا نجَحت خطتي، رغم أن فرصةَ نجاتي تبدو ضئيلةً للغاية.

بدا عليه التعب فجأةً، بل والحزن، إنها حيلةٌ ليكسب تعاطفي، لكنها لن تنجح، سألته بصوتٍ بلا عاطفة:

- أنت تعرف إذن من قتل "أنيتا نيوتينين" ولماذا؟

سمعتُ حفيفَ أشجار تهزُّها ريحٌ أرسلَت زخَّات المطر إلى النافذة التي رُفعت ستائرها، بينما بدا الظلام لا متناهٍ، قال "ديفيد":

- لا أعرف مَن مِن رجال "فاسيليف" المأجورين قتلها، على الأرجح تعاون "بلاتوف" و"بونومارينكو" معًا لينفِّذا الجريمة، اتخذا هذا القرار فجأةً ليلة استقالتكِ، قابلَت "نيوتينين" "باسكفيتش" وأخبرَته أنها تعلم أن "فاسيليف" و"أوسكو سوريانين" يعملان معًا، وهما من يقفا وراء صفقة "هايدنييمي"، كان لا بد وأن تظلَّ علاقتهما سرِّيَّة، ولا يعرف هذا السر عن "فاسيليف" في فنلندا سوى عددٍ قليلٍ من الناس، وللأسف كانت "أنيتا نيوتينين" واحدةً منهم، بعد أن رفضت "نيوتينين" عرض "فاسيليف" للتعاون معه، رُصدت كلُّ تحركاتها في روسيا، واغتنمَ أتباع "فاسيليف" الفرصةَ عندما رأوا "أنيتا" تستقلُّ سيارةَ أجرة بمفردها، بعدما تركتكِ أمام بار "سفوبودا"، وقد بدا عليها الحيرةُ والارتباك.

صمت "ديفيد" لدقيقةٍ ثم أكمل:

- في البداية احترتُ في هذه القضية مثلكِ ومثل "لايتيو"، وظننتُ أيضًا أن "باسكفيتش" هو القاتل، تصوَّرت أنكِ تعمَلين معه، وإلا اعتبرنا انتقالكِ من العمل لدى "مونيكا فون هيرتيزن" إلى حمايةِ "أنيتا نيوتينين"، ثم انتقالكِ بعد وفاتها إلى "هيلينا ليموسفو" مجرَّد مصادفة، بعد ذلك اكتشفتُ أنَّه لا علاقةَ لـ"باسكفيتش" بمقتلِ "أنيتا"، وأن "فاسيليف" هو من فعلها، ولو كنتِ تعملين

لحسابه، لعرَفتُ، لهذا السبب تحتَّم عَلَيَّ أن أعرفَ مكان إقامتكِ، ولحسن الحظِّ وجدتُ كابينتكِ، إنها ليست في "ستافو" كما قلتِ لي، ولكنَّها في "ديجيربي"، بجوارِ المُنحدَر، وهي عبارةٌ عن كوخٍ خشبيٍّ يشبه إلى حدٍّ ما أكواخَ جبال الألب.

ابتسم "ديفيد" ابتسامةً مصطنعةً وأضاف:

- لستِ الوحيدة الماهرة هنا.

ابتلعتُ ريقي ببطءٍ، لا يمكنني أن أتركَ "ديفيد" يتلاعبُ بعواطفي، إنما يُستحسن أن أعرف أنَّه يعتقد أنَّني جادةٌ في قتله، سألته:

- كيف وجدتَ كابينتي؟

- مجرَّد صدفةٍ، رأيتكِ تصعدين حافلةً في شارع "رونبارج" متجهةً إلى "إنكو"، صادف أنَّني كنت أقود سيارتي خلف الحافلة، وبدافع الفضول قررتُ أن أتبَعكِ، كنت في طريقي إلى "تميساري" على أيِّ حال، رأيتكِ وأنتِ تنزلين من الحافلة في "ديجيربي"، ثم تذهبين إلى متجرِ "ديلي" لتملئي حقيبة ظهرك بالطعام، ثم ركبتِ الدراجة إلى الكابينة، ظللت أراقبكِ لبضعِ ساعاتٍ، حدث هذا في أوائل الصيفِ، قبل مقتل "أنيتا نيوتينين" بوقتٍ طويل، وبعدها كان من السهل أن أجدكِ مرَّةً أخرى.

أُصيب جزءٌ مني بالإحباط؛ لأنني واثقةٌ من أنَّ "ديفيد" سعى وراءَ رفقتي لأسبابٍ أخرى، غير أنه وجدني امرأةً لا تُقاوَم، كيف تصرفت بهذا القدر من الإهمال، وسافرتُ إلى الكابينةِ دون التحقُّق مما إذا كان أحدهم يلاحقني أم لا؟

أكمل قائلًا:

- حتَّى بعد مقتلها، لم أعرف يقينًا في أيِّ صفٍّ وقفت السيدة "نيوتينين"، في وقتٍ من الأوقات شككتُ أنها و "باسكفيتش" تعاونا معًا رغم كلِّ شيءٍ، وأنهما يلاحقان "فاسيليف"، وبفضل هذه النظرية المضلِّلة، تمكَّنتُ من العثور

عليكِ، هل تدركينَ يا "هيلجا" أنَّ حياتكِ لن تساوي مليمًا بمجرَّدِ أن يكتشف "فاسيليف" أنكِ تعرفينَ الحقيقة؟

سألته:

– ومن سيخبرهُ بأنَّني أعرفُها، إذا كنتَ ستصمتُ للأبدِ في القريب العاجل؟

– هناكَ أجهزةُ إرسالٍ لاسلكيَّةٍ يا "هيلجا" وكاميرات، لعلَّ هذه الغرفة مجهزةٌ بأيٍّ منها، لا يمكنكِ تخمين عددِ اللقطات المصوَّرة التي ربما وصلت إلى موسكو الآن، ربما قمتُ بتشغيل هاتفي المحمول أو كاميراته، وربما تحملين جهازَ تسجيل، وتكشفين لوكالة "اليوروبول" عن خيانتي، أو تُرسلين مقاطع إلى "لايتيو".

أجبرتُ جسدي على ألَّا يرتجف، كان من السهل تثبيتُ معدَّات المراقبة اللاسلكية، وكان عَلَيَّ أن أفترض أن "ديفيد" يسجل كلَّ شيء؛ لضمان سلامته على أقلِّ تقدير، لذلك لم يكن أمامي خيارًا آخر، أنا مضطرةٌ إلى تدميرهِ وتدمير الأدلة، إنَّ فكرةَ الضَّغطِ على صدغِ "ديفيد" بمسدس "الجلوك" ثم سحب الزناد قلبَ معدتي، كنت أعرف كيف أطلق النار؛ طلقةٌ واحدةٌ تكفي، لم أستطع رفع يدي أو النظرَ في عينيه، قال "ديفيد":

– دعينا نكفُّ عن الألاعيب، ما رأيكِ؟ هل تعتقدين حقًّا أنَّني عميلٌ مزدوجٌ أرسلوه لإمداد "فاسيليف" بمعلوماتٍ خاطئةٍ عن وكالة "اليوروبول"؟ يجب على المرءِ دائمًا أن يفترضَ الأسوأ، أليس كذلك؟ لا أستطيع أن ألومكِ، فأنا مذنبٌ في هذا أيضًا، لكنني لم أعرف كيف أقرأ شخصيتكِ، عندما رأيتكِ في فناء منزل "ليموسفو"، متخفيةً في زيِّ رجل، بدأتُ أعتقد أنكِ لستِ بالبراءة التي تتظاهرين بها، بل أخبرتِ "لايتيو" بأنكِ تُفضِّلين النساءَ على الرجال، هل هذا صحيح؟

– كل ما أخبرته به هو أنَّني أقضي إجازةً مع صديقة، ولسببٍ ما فسَّر ذلك من منظورٍ جنسيٍّ، ثم وماذا في ذلك؟ عندما مارستُ معكَ الحب، كنت أتظاهر بالاستمتاع، فقد مارست الحب مع عشَّاق أفضلَ منكَ، كيف استطعت أن تعرف أن "ريسكا" هو أنا؟

– لم أستطع، بل خمَّنت، هل تعرف "ليموسفو" أنكما الشخص نفسه؟

– بالطبع، لم أكذب على "هيلينا" إلا عندما أضطرُّ إلى ذلك، هل يمثِّل "فاسيليف" تهديدًا لها؟

– لا أظنُّ أن "فاسيليف" يمكنه أن يقتلَ سياسيًّا فنلنديًّا في الوقت الحالي؛ فهو يحتاج إلى أن يتوارى عن الأنظار حتى لا تنكشف خطواته التالية، لهذا السبب يريد "لايتيو" وأصدقاؤه في المكتب الوطني التروِّي قبل أن يلاحقوا "سوريانين"؛ حتى يطَّلعوا على ما يعرفه عن "فاسيليف" من معلومات، ويبدو أنه لا يعرفُ شيئًا.

استدار "ديفيد" قليلًا ليرفع وجهه نحوي، فتحاشيت النظرَ في عينيه، سألته:

– منذ متى وأنت تعمل لحساب "فاسيليف"؟

– منذ سنتين تقريبًا، استغرقتُ بعضَ الوقت لاختراقِ دائرتِه الداخلية الضَّيقة، إن المعلومات التي أمددته بها ساعدته ماليًّا، واستحقَّ الأمرُ العناءَ لأنه لم يكلفنا أيَّ أرواح، باستثناء "أنيتا نيوتينين"، لم أتوصل إلى معلوماتٍ كافيةٍ تفيد تورُّطها.

– هل تعتقد أنَّني سأشعر بالأسى نحوكَ وأتركَ ترحل؟

نظر "ديفيد" في عيني مباشرةً وقال:

– هل تسجِّلين هذا الحوار؟ ولِمَن؟ انتبهي لما تقولينه، كما أخبرتكِ.. ستصبحين في تعدادِ الموتى إذا اكتشف "فاسيليف" أنَّني أخبرتكِ عنه، أنا بالفعل مُعرَّضٌ للخطر، وربما أنا محكومٌ عَلَيَّ بالموت، لكنني أريد أن أطلعكِ على

الحقيقة، حتى لو عرضتكِ للخطر، هذا سيجعلكِ تعرفين مقدار ما تعنيه لي يا "هيلجا"، أنا آسف، لكنني وقعتُ في حبكِ، أو، حسنًا.. أنا لست آسفًا، ليتنا التقينا في ظروفٍ مختلفة.

- لا تكذب عَلَيَّ يا "ديفيد ستال"؟

- لا توجد طريقةٌ أثبت بها أيَّ شيءٍ مما سأخبرك به الآن، لكني آمل أن تصدقيني، صحيحٌ أنَّني عميلٌ مزدوج، وصحيحٌ أيضًا أنَّني كنت أبيع مجموعةً متنوعةً من المعلومات تخصُّ سياسةَ الطاقة لـ"فاسيليف"، مصدرها وكالة "اليوروبول" ودوائر الاستخبارات الأوروبية، ولعلَّ بعض هذه المعلومات الاستخباراتية حول أسواق الأسهم ساهمت في هذا الركود العالمي الذي نحن فيه، لكن لأن "فاسيليف" يثق بي، فقد تمَّ تكليفي بمَأمُوريَّةٍ مهمَّة، سأقودُ قاربَه، أو بالأحرى.. سأكون مسؤولًا عن يَختِ "أوسكو سوريانين" الفاخر المسمى "أنا أؤمن" I Believe؛ وذلك لأنني قبطانٌ معتَمد، رغم أنَّني لم أحصل على تدريبٍ خاصٍّ بالخروج إلى عرض البحر، لكن شهادتي كانت كافيةً؛ لأنَّه لا أحد في دائرة "فاسيليف" الضيِّقة حصل عليها، كما أنه لا يثقُ بالغرباء، وإذا فعل.. فسيتعيَّن عليه قتلهم بعد إنهاء مَأمُوريَّاتهم، ولا يريد "فاسيليف" أن يترك وراءه سلسلةً من الجثث تشير إليه بأصابع الاتهام.

- لكنكَ أخبرتني للتوِّ أنه قتل "أنيتا نيوتينين"، إن كلامكَ متناقضٌ يا "ستال".

- هناك كبشُ فداءٍ مثاليٌّ لجريمة القتل هذه.

حاول تغيير وضعيَّته، لكنه سرعان ما توقَّفَ عندما ضغطتُ بالمسدس على جبهته بقوةٍ حتى ترك علامةً عليها، قال:

- اسمعي يا "هيلجا"، إن "فاسيليف" يعارض مشروعَ خط الأنابيب؛ إنه يخشى أن يقلِّص عدد المليارات التي يجنيها من تجارة النفط، لهذا السبب هو مهتمٌّ بمياهِ البحرِ حول "هايدنييمي"؛ فذلك يمنحه فرصةً لابتزاز الحكومات التي

ستستخدمُ خط الأنابيب، إنَّ قاع خليج فنلندا في حالةٍ مروِّعة، ولا أحد يعرف حتى الآن ما إذا كان خط الأنابيب يوافق المعايير البيئية أم لا، سيتمُّ تمريرُ قرارَ إنشاء الخطِّ لو أن من يقفون وراءه لهم الكلمة العليا، ولكن إذا لزم الأمر.. سينتقل "فاسيليف" إلى الخطّةِ البديلة التي هي قيد التنفيذ بالفعل، وسيجري التسليم الأسبوع المقبل، في يوم الانتخابات الرئاسيَّة الأمريكية، سيُركِّز العالم كله على الانتخابات الأمريكية وليس على "هايدنييمي"، إن وظيفتي هي التأكُّد من تسليم المواد الكيميائية في مكانٍ آخر، بحيث لا يستطيع "فاسيليف" الوصول إليها، إذا فشلت -وهو أمر مرجَّح جدًّا- فقد يغرقون في قاع البحر.

- تسليم؟ مواد كيميائية؟ عَمَّ تتحدث؟

- النظيرُ المُشعُّ لـ"سترونتيوم 90"، وهو عنصرٌ كيميائيٌّ له نشاطٌ إشعاعيٌّ يستمر تأثيرُه لثلاثين عامًا، إذا تسرَّب إلى بحرِ "البلطيق" سيدمر الحياة البحرية، إنه مثاليٌّ للابتزاز، لكنني على علمٍ بخطة "فاسيليف"، وسأمنع تنفيذها، لذلك ربما أنا لستُ مجرد عميل مزدوج، بل عميلٌ ثلاثيٌّ، لا أحد في وكالة "اليوروبول" يعرف ما أنوي القيام به؛ إذا عرفوا.. فسيحاولون إيقافي؛ فما أنا مُقدمٌ عليه خطرًا للغاية، ليس هناك طريقةٌ أمامي سوى تفجير اليخت بقنبلةٍ يدوية، مهما كان رأيه في خطِّ أنابيب الغاز، فلا ينبغي استخدامه لابتزاز الحكومات، ولهذا لا بد وأن أوقف "فاسيليف".

جمعتُ قطع الأحْجِية الصغيرة بأفضل طريقةٍ لأكوِّن صورةً مما قاله "ديفيد" يقبلها عقلي، سأحاول أن أرتِّب أفكاري: يقول "ديفيد" أنه لم يتلقَّ أيَّ أوامرَ من "فاسيليف"؛ وأنها مجرد حيلةٍ، ومن الطبيعيِّ أن يخبرني بذلك؛ إذا كان هدفه أن يهرب مني، لقد كذبنا على بعضنا بعضًا طوال الوقت، فلماذا يخبرني الآن بالحقيقة فجأةً؟ كما أنَّني قلتُ له الحقيقةَ اليوم، لقد كذبتُ عليه مرَّةً واحدةً فقط عندما قلت أنَّني لم أجد أيَّ متعةٍ وأنا أمارس الحبَّ معه، قلت:

- كأنكَ تطلب مني الآن أن أدعكَ ترحل حتى يمكنكَ -أنت وحدكَ- ودون مساعدةٍ من أحد، ودون علمٍ من تعملَ لحسابهم، من إنقاذِ العالم.

- لا يمكنني إنقاذ العالمَ بأسره، لكن ربَّما يمكنني إنقاذُ قطعةٍ صغيرةٍ من بحر "البلطيق" الذي طالما أبحرتُ فيه وأنا صبيٌّ، من المستحيل أن يعلن "فاسيليف" عن موقفه من خطِّ الأنابيب على الملأ، بل سيبتزُّ الحكومةَ الروسية من خلفِ الكواليس، هناك أشياءٌ كثيرةٌ لا داعي لأن يعرفها المواطنون العاديون، لست متأكدًا من مدى درايةِ الحكومة الفنلنديَّة بالمخاطر الأمنيةِ التي ينطوي عليها خط الأنابيب هذا، وهو ما حاول "باسكفيتش" اكتشافَه، يمكننا حراسةُ الأسلحة النووية، ومحطات توليد الطاقة، وآبار النفط، ولكن كيف يمكننا حراسةٌ محيطٍ بأكمله؟ إذا بدأت الحكومات في تقييد حركةِ الملاحةِ وخروج الناس بالقوارب إلى عرض البحر، سيدفعون ثمنًا باهظًا، إنَّ البحَّارة والمَّلاحين يُحبُّون الاستمتاعَ بحريَّتهم.

نظرت إلى يدَي "ديفيد" المكبَّلتين، كان من المُمكنِ أن يخلِّصهما من الحزام بسهولةٍ إن أراد ذلك، في الواقع.. كان بإمكانه القيام بأشياءٍ لا تُعدُّ ولا تحصى، لقد تلقَّى تدريباتٍ عاليةَ المستوى مِثلي، ولم يكن مضطرًّا لإخباري بأيِّ شيءٍ، أدركت أنه لم يكن يدري أنَّني أعرفُ شيئًا عن ازدواجيةِ أدواره، لقد فاجأته، وهو الآن يختلقُ قصصًا لينجو بنفسه، بل ربما أراد رؤيتي مرَّةً أخرى ليمارس معي الجنسَ فقط، ولعلَّه مثليُّ الجنس، ولعلَّه فُصل بسبب هذه الازدواجية.

وإذا بي أتذكَّر "مايك فيرتيو" وهو يقول بصوته الجهوريِّ:

- "هيلجا إلفسكيرو"، أنتِ على النقيض من طلَّابي الآخرين تمامًا، إنهم يثقون ثقةً كبيرةً في الناس، بينما تشكِّين أنتِ في كلِّ الناس، ولا تسمحين لهم بالاقتراب منكِ، أنتِ لا تؤمنين بالطبيعةِ الخيِّرةِ للبشر، ومع ذلك.. فقد اخترتِ هذا المسار لأنَّكِ تريدين الاعتناءَ بهم، لا لأنكِ تريدين تدميرَهم.

أين أنتِ يا "مايك"؟ ليتكَ تقول لي ما الذي ينبغي عليَّ أن أفعله الآن، لكنكَ في الطرفِ الآخرَ من المحيط، وأنا هنا وحدي، ولكي أكسبَ بعض الوقت كي أفكر، سألت "ديفيد":

- إذن، ما الذي سيحدث الثلاثاء المقبل؟

- سيبحرُ يخت "أوسكو سوريانين" من "هايدنييمي" جنوبًا، وعلى متنه "فاسيليف" ومعه اثنين من حرَّاسه، أنا من سيمسكُ بالدفَّة، وسنتجهُ نحو "سانت بطرسبرج"، وفي مكانٍ ما في المياه الدوليَّةِ المحايدةِ قبل أن نصل إلى الحدود الروسية، سنلتقي بقاربٍ آخرَ ونستلم منه الشُحنة، سيحصلُ "فاسيليف" على "سترونتيوم 90" المُشع، وبقدر ما أعرف وآمل، سيتم تعبئته في حاويةٍ مضادةٍ للقنابل، عندما يبتعد البائع بما فيه الكفاية، سأقفز من اليخت مع الـ"سترونتيوم 90" وأفجِّر يخت "سوريانين" الصغير، إذا حالفني الحظُّ.. فسوف يكون معي زورقُ نجاة، إن لم يكن.. فإما أن أغرق، أو أنفجرَ إلى أشلاء، أو أموت برصاصةٍ في رأسي، إذا لم يكن النظير المشعُّ معبئًا بعنايةٍ كافية؛ فلا يمكنني المجازفة بنقله معي إلى قاع البحر؛ وسأحتاج إلى وضع خطةٍ بديلة، وفي أسوأ الأحوال، سأضطرُّ إلى إعادته إلى "هايدنييمي" وفقًا لخطَّةِ "فاسيليف" الأصليَّة، وهناك سأحدِّد كيف أتخلَّص منه.

- أنتَ من وضع هذه الخطة بأكملها إذن؟ ومن المفترض أن أصدِّق أنَّني الوحيدة التي تعرف بذلكَ الآن؟

- سأخبرُ رؤسائي بها، إذا فشلتِ العملية.. فيجب أن يعرف أحدٌ مَا ينوي "فاسيليف" القيام به، لكنَّني لن أخبرهم إلا عند الضرورةِ القصوى؛ حتى لا يجدوا طريقةً لإيقافي، قد يُثير هذا الحدث ضجَّةً على المستوى الدولي، لذلك عَلَيَّ أن أخطو بحذر.

كان مسدس "الجلوك" ثقيلًا في يدي فأجبرني أن أُنزل ذراعي إلى الأسفل قليلًا، ولم يعد مُصوَّبًا نحو رأس "ديفيد"، ما زلتُ أتجنَّب التقاءَ أعيننا، إن خطة "ديفيد" مجنونةٌ ومتهوِّرة، هذا إن كانت حقيقيَّة، قلت:

– هل ينبغي أن تفعل كل هذا بمفردكَ؟ ألا يمكنكَ أن تنفذ الخطةَ بمساعدةِ أحدٍ ما؟ مثل قاربٍ آخرَ يتبعكَ ليحملكَ إلى برِّ الأمانِ بعد الانفجار؟

ابتسم لي "ديفيد" ابتسامةً متعبةً وقال:

– سيكون لدى "فاسيليف" رادارٌ يراقبُ حركةَ القوارب في المنطقةِ كلِّها، ولا أريد المخاطرةَ بحياة أيِّ شخصٍ آخر، لم أرغب أبدًا في أن أُصبح قاتلًا محترفًا، كما تعلمين، ونجحتُ في تجنُّب هذا المسار الوظيفي حتى الآن، ولا أحبُّ ما أنا مضطرٌّ إلى فِعله، لكن لا مَفَر.

– يلاحق "اليوروبول" "فاسيليف" إذن منذ فترةٍ طويلةٍ بسبب الجرائمَ التي ارتكَبها.

– إنه يطمع في السلطةِ على الصعيدينِ السياسيِّ والاقتصاديِّ.

هذه المعلومات تتطابق مع ما قالته لي "هيلينا" وكذلك "لايتيو"، الآن عَلَيَّ أن أقرر ما إذا كنت سأصدق الجزءَ الأخيرَ من قصة "ديفيد" أم لا، و للأسف لم يكن لديَّ طريقةٌ للتأكُّد من مصداقيَّته، فلن أتمكَّن من الاتصال بـ"بوريس فاسيليف" هاتفيًّا لأسأله عما إذا كان سيشتري حقًّا "سترونتيوم 90" المشع أم لا، ولا يمكنني أن أسأل "أوسكو سوريانين" إذا كان قد وعد بأن يُعير يخته إلى صديقٍ له في الرابع من نوفمبر، ليس أمامي سوى طريقةٍ واحدة.

انحنيتُ وقبَّلت شفتَي "ديفيد"، فاستجابت شفتاه لقُبلتي، وثقَت أمي في أبي حتى آخرَ لحظةٍ في حياتها، ولم تصدق أنه سينفِّذ تهديدَه ويقتلها، لكن

"ديفيد" ليس أبي، العالم مليءٌ برجالٍ صالحين مثل خالي "جاري"، و"مايك فيرتيو"، وبرجالٍ مثل "ديفيد،" تركتُ مسدسي ينزلقُ من يدي ويسقطُ على الأرض، إذا وثقت في هذا الرجل ثقةً عمياء.. فسأدفع ثمن ذلك غاليًا، غير أنَّني سئمتُ من الكذب والخوف وتوقُّع الأسوأ دائمًا.

فككتُ الحزام من حول معصمَي "ديفيد" وقبَّلت أصابعه، بدأت في خلع قميصه، وبالمثل بدأ "ديفيد" في خلع ملابسي، ألقيتُ بسترتي وراءَ قميصه على الأرض، وبعدهما جراب المسدس، والبلوزة الداخلية، وحمالة الصدر، لا بد أن ننزع كلَّ ملابسنا؛ مكانهم الآن على الأرض وليس على جسدينا، لا يمكن لجسدينا أن ينفصلا الآن، فاللغةُ المنطوقةُ لا معنًى لها عندما يتحدث الجسدين بلغةٍ بليغة، ويعرف كلٌّ منهما أين يعضّ، ويتذوَّق، ويمسِّد الآخر، إذا فنيَ العالمُ الأسبوعَ المقبل، أو الآن.. ستبقى ذكرياتنا حيَّةً لا تفنى.

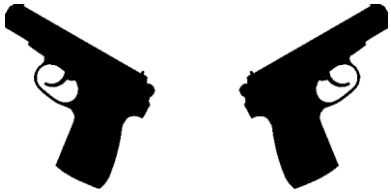

23

قال "ديفيد" وهو يَخرج من الحمام:

– اتصلتُ بصاحبة النُزُل ووعدَت بتزويد حوض الاستحمام بالماء الدافئ في غضونِ ثلاثين دقيقةً، هل تريدين أن تأكلي شيئًا قبل أن نذهب؟ لَدَيَّ بعضُ النبيذ الفوَّار وسمكُ السالمون المدخَّن هنا، وباعتبارها آخر وجبةٍ سنتناولها معًا، فمن الأفضلِ أن تكون وجبَتنا الأخيرة.

– وجبتنا الأخيرة؟ متى سترحل؟

– في الصباح، سأذهب إلى موسكو لأصطحبَ "فاسيليف" كي ننهي الصفقة يوم الثلاثاء.

– من هو البائع؟

– من الأفضلِ ألا تعرفي.

– خذني معكَ لأحمي ظهركَ، يمكنني قيادة زورقٍ آلي، وآتي إليكَ بعد تفجيرِ اليخت.

– مستحيل يا "هيلجا"، انتهى النقاش، نبيذ فوَّار؟ لم يتبقَّ لدينا الكثير من الوقت، فدعينا نستمتعُ بما بين يدينا الآن.

أحيانًا نرى الحياةَ تحاكي الأفلامَ الرومانسيَّة، ولكن حتى هوليوود لا يمكنها أن تصفَ ولا أن تنصف النَّعيم الذي شعرت به عندما جلسنا، أنا و"ديفيد"، في حوضٍ خشبيٍّ به ماءٌ دافئٌ نتأمَّل أغصان شجرةٍ بلا أوراق وهي تتمايل في مهبِّ الريح، إنَّ حياتي كلها تتجسَّد الآن في هذه اللحظة التي سرعان ما ستختفي إلى الأبد، بدا الأمر وكأنني قضيتُ كلَّ حياتي أقطع طريقًا لأصل إلى هذا المكان، وأنتظر أن أصبح قاب قوسين أو أدنى منه يومًا ما، لم نكذب على بعضِنا ولم نختلق الأعذار، حاولنا الاقترابَ من الحقيقة، ومن بعضنا بعضًا قدر الإمكان.

تشاركنا الكثيرَ من الذكريات: طفولته في ريف "تميساري"، وأيامه في أكاديميَّةِ الشرطة في السويد، والانضمام إلى وكالة "اليوروبول"، وحزنه لأنه لم يُنجب أطفالًا، طردت من رأسي أيَّ أفكارٍ عن إنجابِ الأطفال، فحتى الآن لم أرغب أبدًا في أن أصبحَ أمًّا، أخبرت "ديفيد" عن تزاوجِ "الوَشَق" و"فريدا" على الجليد ثم موتها، وتساءلنا عما إذا كان ذكرُ "الوَشَق" قد عاد في الربيع التالي، وظلَّ ينادى على "فريدا" لكي تُلبي نداءه.

عجزنا عن النوم تلكَ الليلة، في الظهيرة أخذنا قيلولةً فقط، وكلٌّ منا يحتضن الآخر، ظللنا ننصت إلى صوتِ المطر في الخارج، وإلى الماء الذي يترقرقُ عبر مجاري المياه ثم يتناثرُ على الصخور، لا يمكن أن تتحول الحيوانات البرِّية إلى أليفة، ولا يمكن لإنسانٍ أن يمتلك إنسانًا آخر، وبالقدر نفسه لا يمكن أن أطلب من "ديفيد" أن يبقى.

أخذنا نمزح ونحن نتناول الإفطار، فما الفائدة من قضاءِ لحظاتنا الأخيرة ونحن عابسين؟ غير أنَّ حديثَنا عاد حتمًا إلى خطة "ديفيد"، قال "ديفيد":

– اسمعي، إذا نجحت خطَّتي، فسوف أحتاج إلى الاختفاء على الفور، وإلى استبدال هويتي بهويةٍ جديدة، لا يمكنني أن أتنبَّأ بما سيحدث بعد موت "فاسيليف"، فإما أن يستوليَ شخصٌ ما على إمبراطوريته، أو ستنهار، إذا عشت.. سأتواصل معكِ في الوقت المناسب، إذا مت.. هل تؤمنين بالعالم الآخر؟

– لا أعلم، لا أؤمنُ به.

غير أنَّني آمنتُ بأنَّ خالي "جاري" و"فريدا" لم يموتا حقيقةً، بل وحتَّى أمي ما زالت تعيش في مكانٍ ما في أعماقي، رغم أنها كانت مجرَّد صورةٍ ضبابيَّةٍ بالكاد أتذكرها، ما زلتُ أتذكَّرهم وأحبهم جميعًا مثلما أحبُّ "ديفيد"، قال:

– نشأتُ لوثريًّا مخلصًا، ولطالما قالت لي أمي أنها تراقبني من السماء، سأقول لكِ الشيءَ نفسه الآن: سأراقبكِ من السماء.

أمسكَ "ديفيد" بيدي وعضَّ سبَّابتي مثلما كانت "فريدا" تفعلُ كلَّما أرادت أن تداعبني، ألن تتوقفَ دقَّات تلكَ الساعة الملعونة التي لا ترحم؟ قضينا اللحظات الأخيرةَ معًا ممدَّدين على السريرِ نتبادلُ القبلات الأخيرة، ظللتُ أكرِّر لنفسي: "لن أبكي"، لكنني رأيت عينَي "ديفيد" تدمَعان، سيواجه "ديفيد" بمفرده ذاكَ المارِد الجبَّار، "فاسيليف"؛ بدلًا من المنجنيق، وهو مسلَّحٌ بقنبلةٍ يدويَّةٍ فقط، وليس بيدي شيءٌ أفعله سوى أن أبقى هنا بالقرب منه، ولأنني جئتُ إلى النُزُل حاملةً غضبي ومسدَّسي فقط، فليس معي ما أمنحه إيَّاه ليتذكرني به، لا أملك سوى تلكَ الذكريات التي صنعناها وعشناها معًا.

غادرنا النُزُل معًا.. كانت السماء ما زالت تُمطر، لذلك وضع "ديفيد" درَّاجتي في سيارته وأنزلني حيث تقف سيارتي، لقد تأخَّر بالفعل، فما زال أمامه مئات الأميال ليقطعها قبل أن يصل إلى موسكو، علاوةً على أنه لا يعرف كم من الوقت سيستغرق عبور الحدود، قدتُ سيارتي خلف سيارَته حتى تقاطع طريق "هانكو"، حيث

استدرتُ يسارًا واستدار هو يمينًا، بمجرَّدِ أن وصلت إلى طريق "توروباكا"، أوقفتُ السيارةَ على جانب الطريق وصرخت مثلما صرخت "فريدا" وهي تنادي رفيقَها.

عندما رحلتُ للقاء "ديفيد"، أبلغت "هيلينا" أنَّني لا أعرف متى سأعود إلى "تالودن"، ونسيتُ مساء أمسٍ أن أرسل لها رسالةً لأطمئنها عَلَيَّ، أخبرتني أن القلق انتابها حتى فقدَت صوابها وهي تتساءل عن المكان الذي قضيتُ به ليلتي، لم أعرف ماذا أقول لها، لذلكَ قلت لها بأنَّ الأمر يتعلَّقُ بشيءٍ يخص "فاسيليف".

أشرقت الشمسُ في عطلةِ نهاية الأسبوع، لذا ذهبتُ مع "هيلينا" إلى "كوبارنس" ليومٍ واحدٍ، وخرجنا يوم الأحد في زورقٍ نُجدف فيه على مهلٍ حول خليج "توروباكا"، ليس عدلًا أن تشرق الشمس هذا الشروق الساطع وأن يتلألأ المحيط بهذه الزُّرقةِ الساحرة، بينما "ديفيد" في طريقه إلى الموت، كلانا يعرف ما سيحدث، لكن "ديفيد" وحده هو من يعرف التاريخَ بالضبط، وربما الوقتَ بالتَّحديد، لو أخبرت "لايتيو" عن الخطَّة، لاستخدم اتصالاته في وكالة "اليوروبول" لإيقاف "ديفيد" في الوقتِ المناسب، لماذا لا يستطيع "اليوروبول" نصبَ كمينٍ ليختِه؟ لا بد وأنَّ لديهم ترسانةً من الأجهزة التي يمكنها تشويشُ إشارات الرادار للسفنِ والمروحيَّات.

ينبغي أيضًا أن أضع خطَّةً لـ"هيلينا"، لا يمكن أن تظلَّ في إجازةٍ مرَضيَّةٍ إلى الأبد، ستعود مساعدتها "سارا هيرفيلا" للعمل بعد عطلة نهاية الأسبوع، لكن "هيلينا" ما زالت تريدُ أن أظلَّ حارستها الشخصية، بمجرَّد أن تتعافى من صدمة الاختطاف.. ستنتقم، فقد قرَّرَت أن تتقدَّم ببلاغٍ إلى الشرطة، وهو ما سيترتب عليه اعتقال "باسكفيتش" و"ترانكوف" على الفور، وستوجِّه لهما الشرطة تهمةَ اعتقالِ وسجنِ أشخاصٍ دون صفةٍ قانونيَّة، هذا إذا كانا لا يزالان في فنلندا.

طلبتُ منها أن تتأنَّى، فصحف الفضائح الشعبية ستجدُ في هذا الخبر موضوعًا يصلُح للنشر، وسيكون تحت عنوان: "مساعدة النائبة المؤقتة تتبختر بملابسَ

إباحيَّة وبمسدسٍ لإنقاذ ربَّةِ عملها"، بالإضافة إلى أنه من المحتملِ أن يفلت "باسكفيتش" من العقاب إذا تنصَّل من التهمة وألقى باللوم على "ترانكوف"، إذا أضرَّت خطة "هيلينا" أيَّ شخصٍ.. فسيكون أنا، فسوف تُوجَّه لي -على أقلِّ تقديرٍ- تهمةُ اعتقال وسجن "باسكفيتش" دون صفةٍ قانونيَّةٍ وتهديده، طلبتُ من "هيلينا" أن تتروَّى وتؤجِّل البلاغ، لا أريد أن نجازف بعمل شيءٍ قد يعرِّض خطةَ "ديفيد" للخطر، ولا أريد أن يخبر "باسكفيتش" رجالَ الشرطة عن "فاسيليف" قبل تنفيذ خطةِ "ديفيد"، ومن البديهيِّ ألَّا أخبر "هيلينا" بهذه المعلومات.

اتَّصل "ديفيد" مساء الأحد عندما أوشكنا، أنا و"هيلينا"، أن ننتهي من شرب الشاي ونستعد للنوم، قال:

- إنه أنا، ألديكِ بعض الوقت؟
- لحظة، سأخرج، سأتصلُ بكَ مرَّةً أخرى.

ارتديت معطفي وحذائي على عجلٍ، كان الهواءُ ساكنًا، لذلك فسوف يتردَّد صدى صوتي بغضِّ النظرِ عن اتِّجاهه، لذلك صعدتُ إلى أعلى نقطةٍ في الجرف، الذي يعتبر المكانُ الأكثرَ أمانًا لإجراء محادثةٍ هاتفيةٍ؛ لأن الأصوات عادةً ما تنتقل إلى الأعلى، ومن على الجرف رأيتُ سماءً بلا غيوم، ومدينةً بلا أضواءَ، قال:

- كلُّ شيءٍ هنا يسير وفقًا للخطَّة، يبدو أن "فاسيليف" يثق بي وسيلحق بنا "سوريانين" في وقتٍ لاحقٍ هذا الأسبوع، حسنًا، أفترض أنه سوف يفقد صوابه بمجرَّد أن يسمع أن قاربه قد دُمِّر، لكن ليس هذا ما يشغلني في الوقتِ الحاضر.

- أنتَ إذن في "كوتكا" الآن؟

- نعم، على شواطئِ "هايدينييمي" لن أخاطر بالاتصال بكِ بعد الآن، إنَّ أفراد عصابة "فاسيليف" لا يعرفون اللغة السويدية، ولكن لا يروقُ لهم أن

أتحدَّث عبرَ الهاتف، إنهم جميعًا في حمام الساونا الآن، وسوف نتدرَّب غدًا على خططِنا، يريد "فاسيليف" أن يراجع كلَّ التفاصيلَ بنفسه.

حال الظلامُ بيني وبين رؤيةِ المحيط بوضوحٍ، ينظر "ديفيد" الآن إلى المياه نفسها، ويقفُ تحت النجوم نفسها، لم أجد ما أقوله، كلُّ ما أردت قوله يمكنُ تلخيصه في كلمتين، لكنني لم أستطع أن أنطقهما، ظلَّ "ديفيد" يحكي معي وعاد يسردُ قصَّتنا وكيف أنه اشتبه بي، وشعر بسعادةٍ غامرةٍ عندما عرف كلُّ واحدٍ منَّا أخيرًا حقيقةَ الآخر، قال:

- أحدهم قادم، لا بد أن أذهب، اعتني بنفسكِ، يا عزيزتي "الوَشَق".

أخيرًا تمتمت بالكلمتين اللتين احتفظتُ بهما لنفسي، لكن "ديفيد" كان قد رحلَ بالفعل، ثم رددتهما مرَّةً أخرى إلى النجوم، وبكلِّ اللغات التي أعرفها، وكأنهما التعويذة التي سترد "ديفيد" إلى برِّ الأمان.

تواصلتُ يوم الإثنين مع "لايتيو" وسألته عما تُخطط له الشرطةُ بشأن اختطاف "هيلينا"، فأخبرَني أن "باسكفيتش" و"ترانكوف" قد غادرا فنلندا بالفعل؛ واستقلَّا القطارَ يوم الأربعاء إلى موسكو، ذهبَ محققون من المكتب الوطني إلى فيلَّا "برومارف" ولم يجدوا سوى الحارس "سامي هاينونين" وزوجته فقط، وليس لديهما أيُّ فكرةٍ عن موعدِ عودة "باسكفيتش"، وبعيدًا عن الموضوعِ الأصليِّ ذكر "سامي" أن رئيسَه قد يبيع الفيلا، قال:

- أبلغتُ أجهزةَ المخابرات أيضًا، وكذلك رئيسَ الوزراء ووزيرَ الداخليةِ بالأمر؛ واتفقوا جميعًا على أنَّ اختطاف "ليموسفو" لا بُدَّ وأن يظلَّ في طيِّ الكِتمان في الوقت الحالي، وأنها لا بد وأن تعود إلى عملها، أراد أعضاء مجلس الدولة معرفةَ سبب اهتمام "باسكفيتش" بـ"هيلينا"، سيدعو رئيس الوزراء إلى جلسةٍ طارئةٍ بمجرَّد انتهاء

الانتخاباتِ الرئاسيةِ في الولاياتِ المتحدة، وبالمناسبة.. أنتِ لم تعرفي هذه المعلومات مني، فـ"ليموسفو" ستخبركِ على أيِّ حال، أرى أنكما على وفاقٍ هذه الأيام، أليس كذلك؟

أجبته بسؤال:

- كيف حالُ كاحلكَ الآن؟ أما زلت ترتدي خفك الأنيق؟

قال "لايتيو" مزمجرًا:

- بلى، كفِّي عن المزاح!

وسمعته يشعل عود ثقابٍ ثم قال:

- هذا السيجار اللعين يخبو كلَّما أشعلته، إنه هديَّة، ولكن نوعيته رديئة، اللعنة!

سمعته يعبث بهاتفه ثم انقطع الاتصال، لم أتصل به مرةً أخرى، رغم أنَّني وددت أن أفعل، بوسع "لايتيو" و"هيلينا" أن يعرِّضا كثيرين للمتاعب إن أرادا ذلك؛ وربَّما وضعوا "فاسيليف" نفسه وراء القُضبان، لو حدث ذلك سيعيش "ديفيد "وسيتعيَّن على "فاسيليف" أن يَمْثُل للمحاكمة، فما زال هناك وقتٌ لمنع "فاسيليف" من شراء النظير المُشع.

رغم هذه الأفكار التي راودتني، لم أفعل أيَّ شيءٍ يُفسد على "ديفيد" خطته، إنها اختياره، وكان عَلَيَّ أن أحترم هذا الاختيار، قررَت "هيلينا" العودةَ إلى عملها يوم الثلاثاء؛ فلديها كثيرٌ من الأعمال بعدما انتهت الانتخابات البلدية، كما أنها ستعود إلى أداءِ واجباتِها التشريعيةِ بالبرلمان، كذبت "هيلينا" على زملائها بالسهولة نفسها التي كذبتُ بها عليهم بشأن مرضها، وبعدما اندهَشتُ من قدرتها على الكذب للحظةٍ، تذكرت أنها سياسيَّة، ربما لو دخلتُ مجال السياسة لنجحت مثلها، هذا إذا اعتبرنا اختلاق الأكاذيب هو مؤشِّر النجاح، اتَّصل وزير الداخلية وأنا أتصفَّح بريد "هيلينا" مع "سارا"، فأردتُ أن أقولَ للوزير:

- لا تعقد اجتماعًا اليوم، امنح "ديفيد" فرصةً حتى الغد.

لحسنِ الحظِّ أبدى الجميعُ اهتمامًا بنتائج الانتخابات الرئاسية الأمريكية يتجاوز بكثيرٍ أهميةَ اطِّلاعهم على منْ يمتلك عقارات في "كوتكا"، أرادت "هيلينا" حضورَ حفلِ متابعةِ الانتخابات الأمريكيَّة، عوضًا عن حفل الانتخابات الفنلنديةِ الذي فاتها، وهناك تتبعتها عن كثبٍ ولم أفارقها، إنَّ يخت "أوسكو سوريانين" سيغادر عند الغَسق، وبعدها وقبل أن يعرف العالم من سيصبحُ الرئيس الجديد للولايات المتحدة بساعاتٍ سيتَّضح مصير "ديفيد"، كلُّ مَن حولي أبدوا حماسًا نحو السياسة، وربَّما تصوروا أن توتُّري يرجع إلى الانتخابات، فمن الطبيعيِّ أن تقلقَ الحارسةُ المتدرِّبةُ في أمريكا من نتائجِ الحملة.

لم أكن أعرف هل أخذ "ديفيد" هاتفه معه أم لا، وهل بإمكاني الوصول إليه إذا حاولت؟ سيتمُّ اللقاءُ على بعد عشراتِ الأميالِ من الساحل، حيث تتجمد المياه في شهر نوفمبر، لحسن الحظِّ.. لم تشتد العاصفة، ولكن في عرض البحر، قد تصبحُ الأمواج عملاقةً لدرجةٍ تجعلها تبتلعُ أيَّ سبَّاح مهما كانت مهارته، ليت "ديفيد" يأخذ معه سترةَ إنقاذٍ على الأقل، لكن كيف سيبرِّر وجودها لـ"فاسيليف" ورجال عصابته؟ هل سيطلب الكابتن "ديفيد" أن يرتديَ الجميعُ واحدةً في حال قرَّر شريكهم في العمل أن يباغتهم بمفاجأةٍ شرِّيرة؟

بُثَّت تقارير من مراسلي الأخبار حول العالم على الشاشة، تغنَّى الناس بأغاني تعبر عن الأمل، وعن توقعهم أن يصبح العالم مكانًا أفضل بين عشيَّةٍ وضحاها بلمسةٍ من عصا سحريَّةٍ إذا انتُخب "أوباما" رئيسًا، كنت أشاهدُ التاريخ وهو يُصنع، وبمجرَّد أن بدأت النتائج تتوالى في الساعات الأولى من الصباح، بكيتُ مع الجميع، ولكن لأسبابٍ مختلفةٍ تمامًا.

عندما يضربُ "ديفيد" ضربَته؛ أظنُّ أنَّني سأستشعر ذلك بطريقةٍ ما، ليتني كنت نسرًا لأحلِّق فوق قارب "سوريانين" وأرى ما يفعله "ديفيد"، استحضرتُ

هذه الصورةَ أثناء متابعةِ تغطيةِ الانتخابات، فوجدت نفسي أحلِّقُ فوق يختٍ يبلغُ طولُه خمسة عشر مترًا تقريبًا، لا يوجد سواهُ في عرض البحر، رصدتُ أضواءً على مبعدةٍ تصدرُ من قاربٍ أكبر، ثم إشارةً ضوئيَّةً، لاحظ الطاقم اقترابَ القارب، ماذا سيحدث بعد ذلك، هل سيرسون جنبًا إلى جنب؟ من معه النظير المُشع؟ كيف سيستولي عليه "ديفيد"؟ هنا تحوَّل المشهدُ إلى صورةٍ ضبابية، وبغضِّ النظر عن مدى صعوبة تركيزي، عجزت عن استشعار ما حدث؛ هل نجحت عملية "ديفيد" أم فشلَت ومات؟ عند بُزوغِ الفجر، عندما عدتُ إلى شقة "هيلينا" وأنا أجرُّ قدمايَ كي أنامَ بضعَ ساعات، وجدت ذهني خاويًا، بلا أفكار، فاستسلمت، يمكنني أن أفعل أيَّ شيءٍ، رغم تحذيرات "ديفيد" الصارمة، لكنني قررتُ ألا أفعل، فهل كان هذا هو المسار الصحيح لهذه الخطة؟

في اليوم التالي، بحثتُ على مواقع الويب عن الأخبار، لم أجد أيَّ ذكرٍ على الإطلاق لأيِّ حادثٍ وقع في خليج فنلندا، لعلَّ "ديفيد" فشل في تفجير القارب، لا شيءَ على شبكة الإنترنت سوى أخبار فوز "أوباما" وكيف أنَّ الرئيس الروسي "ميدفيديف" لم يهنئه بالفوز.

ومع ذلك.. وفي الخامسة مساءً، عثرت في الموقع الإلكتروني لإحدى الصحف اليوميَّة على تنويهٍ عن حادثِ قاربٍ بعنوان: "غرق يختٌ فاخرٌ لأحد رجال الأعمال في خليج فنلندا"، وإلى جوار عنوان الخبر لُصقت صورةٌ لـ"أوسكو سوريانين"، نقرتُ العنوان، ذكرَ المقالُ أن خَفر السواحل قد أخطرَ "سوريانين" بأنهم عثروا على أجزاءٍ من يخته "أنا أؤمن" في خليج فنلندا، وبحسب المراسلين الذين تحدَّثوا إلى "سوريانين" فإن الرجل "صُدم"؛ فقد اعتاد رجلُ الأعمال على إعارةِ قاربه لصديقِهِ وشريكه التجاري، "بوريس فاسيليف"، كلَّما زار الأخيرُ فيلتَه بـ"هيدنييمي" والتي اشتراها مؤخرًا في "كوتكا"، استخدم "سوريانين" القاربَ آخرَ مرَّةٍ في الأسبوع السابق للحادث، عندما قام برحلةٍ قصيرةٍ إلى "تالين" عاصمة إستونيا لحضور عرض باليه.

بدا أن "بوريس فاسيليف" شخصيةٌ غير معروفةٍ بالنسبة لمعظم المراسلين، أمَّا الصحفيون السياسيون فما زالوا يركِّزون على الأحداث في الولايات المتحدة، توقعتُ أن يقوم "لايتيو" بتزييف الحقيقة ليجعلَ وسائلَ الإعلام تعتقدُ أن الانفجارَ كان يستهدف "سوريانين" الذي أضرَّ كثيرين عندما تبرَّع بالأموال لتمويل حملاتٍ انتخابيةٍ متعددةِ الأطياف، عادةً لا تنظر فنلندا إلى انفجارِ قاربٍ باعتباره وسيلة للانتقام، ولكن بعد حادثتَي إطلاق النار العشوائي على الطُّلَّاب بمدرسةٍ في "يوكيلا" وأخرى في "كاوهايوكي"، بدا أن كلَّ شيءٍ ممكن.

ذهبت يوم الجمعة إلى مكانٍ لم أتوقع أبدًا أن أجد نفسي فيه، كنت جالسةً في غرفة اجتماعاتٍ بالقصر الرئاسيِّ إلى الطاولة نفسها التي يجلس إليها رئيس الوزراء، ووزيرة الداخلية، ومدير شرطةِ الأمن القومي، وكذلك "هيلينا"، و"لايتيو"، لا يزال "لايتيو" يرتدي خف "الطرطان" الصوفيِّ المقلم، واستنادًا إلى الرائحة التي أشمها، فقد دخَّن ما يكفي من السيجار لأن يصمدَ فترةً أطولَ دون تدخينٍ.

دار أغلبُ الاجتماع حول كيفيَّةِ تجاوز قضية "فاسيليف" دون تعريض علاقة فنلندا وروسيا للخطر، عادت "هيلينا" إلى طبيعتها المُشاكسة القديمة وقالت إنه ينبغي أن يحيطوا القادةَ الروس علمًا بكلِّ خططِ "فاسيليف"، وربما هناكَ أشخاصٌ آخرون يحاولون أيضًا تخريبَ خطِّ أنابيب الغاز الذي عارضته "هيلينا" بشدَّة، اكتشف المجتمعون حول الطاولة من خلال "اليوروبول" و "الإنتربول" أن "بوريس فاسيليف" كان على اتصالٍ برجلٍ من بيلاروسيا، يدعى "إيفان جوزليان" والمعروف بصلاته المشبوهة بالمنظَّمات الإرهابية في الشرق الأوسط، تسلَّل عميلٌ سريٌّ من وكالة "اليوروبول" إلى فريق "فاسيليف" الذي أكَّدَ أن "فاسيليف" عقد صفقةَ النظير المشع مع "إيفان جوزليان" على الأرجَح، غير أن "اليوروبول" ليس لديه معلوماتٌ مؤكدةٌ تمامًا عمَّا آلت إليه الصفقة في النهاية. أبلغهم العميل عن صفقة النظير المشع في اليوم نفسه الذي نُقل فيه وبعدها مباشرة انقطع الاتصال به. كما شوهدت طائرة

مائية مسجلة وتابعة لشركة "جوزليان" بميناء في "سانت بطرسبرج" في اليوم السابق للانفجار، ولكن لم تُرصد أي اتصالات أخرى تمت بين "فاسيليف" و"إيفان جوزليان". قال "لايتيو":

– تم تفتيش المياه بعد انفجار يخت "أنا أؤمن" وعُثر على رفات أربعة رجال على الأقل حتى الآن وجاري تحديد هوياتهم حاليًا، لكن ذلك لن يكون سهلًا. فهذه التحريات تكلفنا الكثير من الوقت والمال. علاوة على ذلك، لم يتم الإبلاغ عن مفقودين آخرين، باستثناء عميل وكالة اليوروبول. سأل وزير الداخلية:

– ما اسم هذا البطل؟ لا يصح أن يبقى مجهول الهوية.

بالطبع كنت أعرف الجواب. قال "لايتيو":

– "ديفيد دانيال ستال". وُلد في "تميساري"؛ مواطن فنلندي رغم أنه قضى معظم شبابه في "تارتو" والتحق بأكاديمية الشرطة في السويد. كان يُعرف بين زملائه باسم "finnjävel" أي "الشيطان الفنلندي"، وذلك لأنه لا يتحلى بروح الفريق ويعمل بمفرده ولأنه يضع وينفذ خططًا غير تقليدية تنطوي على مخاطر جسيمة. تم اختياره لعملية التسلل هذه بسبب مهاراته اللغوية، فهو يتحدث الروسية والسويدية والإستونية، ويعرف ما يكفي من الفنلندية.

لم يكشف لي "ديفيد" أبدًا عن مدى تمكنه من اللغة الفنلندية، ربما اعتقد أنه أمر لا يستحق الإشارة إليه. انتهى الاجتماع بقرار يقضي بالإبقاء على سرية أي معلومات تتعلق بـ"فاسيليف" وإدراجها تحت أعلى تصنيف أمني في الحكومة والشرطة. وهذا يعني أن "هيلينا" وأنا سنضطر إلى إغلاق أفواهنا في الوقت الحالي.، ونصَّ القرار على وضع كلٍّ من "باسكفيتش" و"ترانكوف" على قائمةِ الممنوعين من الدخول إلى البلاد؛ وإذا حاولوا، فسيتم اعتقالهما على الحدود، بدا أن الكلَّ يأمل في ألا يحدث هذا أبدًا، لأنه سيلفتُ انتباهَ وسائلَ الإعلام، مما قد يضع الحكومةَ

والقياداتِ في المناصب العليا بالشرطة في موقفٍ حرج، بينما تحمَّس الجميع لإنهاء الجلسة، سألت "هيلينا":

- ما مصيرُ النظير المُشع المفقود، هذا إذا كان موجودًا بالفعل؟ هل تتابع وكالةُ "اليوروبول" هذا الأمر؟

فردَّ "لايتيو":

- كلُّ شيءٍ تحت المراقبة، بالطبع.

تحسَّس سيجاره، ثم دفعه في فمهِ دون أن يُشعله وقال:

- هناك فرصةٌ ألا تكون الصفقةُ قد تمَّت من الأصل، وأن "جوزليان" قد خدع "فاسيليف" ونصبَ عليه، وبعد أن أخذ الأموال فجَّر القارب فانتقل كلُّ مَن عليه إلى العالم الآخر، هذه طبيعةُ الأشياء، كما تعلمين: الأسماك الكبيرة تأكلُ الأسماكَ الصغيرة، أتمنى لو نعرف من منهم أكبر سمكةٍ.

تلفَّت "لايتيو" حوله وابتسم ابتسامةً ماكرة، ثم قال:

- انتظري لحظةً، هل سأكون أنا أكبر سمكةٍ إذا أشعلت هذا السيجار هنا؟ مرحبًا يا "نيبونين"، كم تبلغ الغرامة الحالية لخرقِ قانون التدخين؟ فأنا لا أتذكر، أم أنَّ رئيس شرطةِ الأمن الوطنيِّ لديه فكرةٌ أفضل؟ ألسنا محظوظين للغايةِ لأن هناك من يحمينا من مثل هؤلاء الأشرار؟

أنهى "لايتيو" الاجتماع بهذه الكلمات وسُمح له بالتسلُّل إلى الخارج كي يدخِّن سيجارَه، بينما عاد الوزراء إلى أعمالهم، ووقفَت "هيلينا" في الخلف تتحدث مع المدير "نيبونين" حول إمكانيةِ توفير حمايةٍ لها في المستقبل، ستدفع الحكومةُ أجرَ حارسِها الشخصيِّ على المدى القصير، دون أن يُعلَن ذلك للجماهير، عرضت "هيلينا" عَلَيَّ الوظيفة، لكنني رفضت؛ لأنني بحاجةٍ لأن أتخطى ما أنا فيه، هناك كثيرٌ من الأفكار تشغل بالي، منها أن "فاسيليف" ليس وحده من يقف وراءَ كلِّ ذلك.

تأخَّرَت الدورةُ الشهريةُ لبضعةِ أيام، وهذا ليس معتادًا، فهل أنا حامل؟ لم يكن اللولبُ مضمونًا بنسبةِ مائةٍ بالمائة، وعندما مارسنا الحب في المرَّة الأخيرة، لم نستخدم الواقي الذكري، وبعدها لم تخطرْ على بالي فكرةُ الحمل، عندما خرجت إلى ساحةِ مجلس الشيوخ، رأيت "لايتيو" يدخِّن سيجاره على دَرَج الكنيسة، بدا وكأنَّه لا يبالي بما يحدث في العالم، توجهتُ نحوه، فسألني:

- سيجار؟

- هل هؤلاء الذين ذكرتَهم هم الأشرار فقط؟

- لا، بل قدمت أسماءهم كي ينشغل بهم السكارى في حانات شارع "تيكورايتي"، هذا السيجار أصليًّا، من ماركة "كوهيبا"، يبدو أنكِ تودين تدخين واحدٍ يا "إلفسكيرو"، بالمناسبة.. هذا الاسم أجمل من اسم "سورلواته".

- عندكَ حق، لا أجد أيَّ غبارٍ على الاسم، هل تعرف أين يعيش "كيو سورلواته"، أو "آكا كيو كوركيماكي" حاليًا؟

- إنه حيث كان على مدى الثلاثين عامًا الماضية، بمستشفى للسجناء المصابين بأمراضٍ عقلية.

- هل تقول إنه لم يحصل على عفوٍ؟

- إنهم حتَّى لم يطلبوا العفوَ عنه، ألم تبحثي عنه؟

هززت رأسي بالنفي، لست بحاجةٍ إلى أكثرَ من هذه المعلومات الآن، لن أسوِّي حسابي معه قريبًا، سيصبحُ هدفًا سهلًا لغضبي المكتوم، ولكنه سيبقى في مأمنٍ مني حيث هو، أَعَدَّ لي "لايتيو" سيجارًا وأشعله، من المؤسفِ أن "ريسكا" فقيرٌ جدًّا لدرجةِ أنَّه لا يستطيعُ دفع ثمنَ سيجار، إنَّ رائحتَه أفضل من السجائر العادية، قال:

- أوه، بخصوص "يوري ترانكوف" هذا، إنه ابنُ زنا من "فالنتين باسكفيتش"، إنها كلمةٌ قذرة: "ابن زنا"، لم تعد تُستخدم بهذا المعنى في اللغة العصريَّة.

- ماذا تقصد؟

أضاف "لايتيو":

- يحاول "ترانكوف" جاهدًا انتزاع اعترافٍ ببنوَّته من أبيه "باسكفيتش"، وأظنُّ أن هذا ما جعله يتتبعكِ، لعلَّه تصوَّر أنه سيعرفُ ما جرى للسيدة "نيوتينين" عن طريقكِ، وهي المعلوماتُ التي ستُرضي "باسكفيتش" بالتأكيد، الولد أذكى من أبيه، فاحذري من "ترانكوف"، فقد تصادفينهُ مرَّةً أخرى.

وصلَت حافلةٌ مكتظَّةٌ بالسيَّاح اليابانيين المتحمِّسين، وبعدما نزلوا منها انتشروا في أنحاء الميدان وأخذوا يلتقطون صورًا للكنيسةِ ومبنى الجامعة وتمثال الإسكندر الثاني، هل يعرفون مَن صاحب التمثال الذي يلتقطون له صورة؟ لم تكن المرة الأولى التي تساءلت فيها عن سببِ وضع تمثالٍ لقيصرٍ روسيٍّ في مكانٍ بارزٍ بالعاصمة الفنلندية، وبلا مقدماتٍ ردَّد "لايتيو" أبياتًا من قصيدةِ رثاءٍ بإيقاعٍ شعريٍّ ثقيل:

"انظروا
ها هو تمثال الإسكندر الثاني يقف في الضباب ساكنًا
ها هو القيصر الراحل يقف في الضباب شامخًا
لشعبه، كان فقيدًا محبوبًا
انظروا
عين أسد العدالة اللامعة ترسل عبر الضباب بريقًا".

سألني:

- أتعرفين هذه القصيده؟

- لا.

- اسمها "هلسنكي في الضباب" كتبها "إينو لينو"، إنه ضبابٌ يجب أن تعتادي عليه، الإسكندر الثاني منحنا -نحن الفنلنديون- مزيدًا من الحرِّية،

لكنه عجز عن عمل أيِّ شيءٍ بخصوص الموقع الجغرافي لفنلندا، علينا أن نواصل تحقيقَ أهداف أسد العدالة، أنتِ و"ستال" هذا، هل كنتما صديقَين حميمَين؟

كان تغيير مجرى الحديث إلى "ديفيد" مفاجئًا لدرجةِ أن السيجار كاد أن يسقطَ من بين شفتَيَّ، فتلقفَته أصابعي بسرعةٍ، قلت:

- لا أظنُّ أنَّني أخبرتكَ من قبلُ أنَّني قابلته.

- هيا قولي! أنا شرطيٌّ، كما تعلمين، لست بحاجةٍ إلى جهاز كشف كذبٍ كي أعرف أن أحدهم يراوغني، في كلِّ مرةٍ نذكر فيها اسم "ستال"، تتسع حدقيتكِ بشكلٍ غريب، لماذا أخبرتني بأنكِ لا تعرفينه؟ أتعرفين لماذا؟ لا لشيءٍ سوى أنكِ أردتِ أن تنطقي اسمه بصوتٍ عالٍ، هذه هي الطريقة التي تتصرف بها المرأة عندما تُحب.

- أظنُّ ذلك.

طرفَت عيناي، وحاولتُ أن أنفِّث دخانًا يكفي لإخفاءِ وجهي، قال "لايتيو":

- الحب! يا له من شعورٍ غامض! إنه لا يجعل الحياةَ أسهل، لكن ما أجمله عندما نجده!

توقفت سيارةٌ سوداء أمامه وخرجت امرأةٌ ذات شعرٍ أحمرَ، ترتدي زيَّ الشرطةِ وفتحت البابَ الخلفيَّ لـ"لايتيو"، سألني:

- أتحبِّين أن أوصلكِ إلى مكانٍ ما؟ لا أستطيعُ قيادة سيارتي بنفسي حتى الآن، لذلك أستخدمُ هؤلاء المتدرِّبين كسائقين خصوصيين.

- لا شكرًا، سأمشي.

هكذا أجبته، وأنا لا أدري على الإطلاقِ إلى أين سأتجه.

بمجرَّد أن انتهى عقدي مع "هيلينا"، أخذتُ إجازةً لقضاء بضعةَ أيامٍ في "هيفونبرسينساري"، بدا لي أنه المكان الوحيد الذي يمكنني الاسترخاء فيه؛ لأن "توروباكا" تشوبها الذكريات، ما زلت أشعر بطيفِ "ديفيد" يتجوَّل في الغابات،

وينتظرني في فندق "كوبارنس"، أخبرت "آل هاكاراينن" بمجيئي، عرض "ماتي" أن يقلني من محطة الحافلات في "أوتوكومبو" أو "كافي" لكنَّني رفضت؛ لأنني أفضِّل استخدام سيارةً مستأجرة.

ركبتُ القطار إلى "كوبيو"، وبمجرَّد أن تجاوزنا "ميكيلي"، شعرت بدورتي الشهريَّة تتدفَّق، ولا أدري هل شعرتُ بالارتياح أم بالإحباط، بل شعرتُ بكليهما، على ما أظن، لقد نشأتُ بلا أمٍّ وأب، ولا أرغب في إحضار طفلٍ يتيمٍ إلى هذا العالم، غير أن جزءًا مني أراد أن يحمل طفل "ديفيد"، طفلنا، ومع تدفُّق الدم مني شعرت أنَّني فقدتُ آخر أثرٍ له.

حملتني سيارتي "البيجو" المستأجرةَ من "كوبيو" على الطريق إلى "هيفونبرسينساري"، ورغم أن الثلوج لم تسقط بعد، فقد بلغَت درجة الحرارة أقلَّ من درجةِ التجمُّد، وغطى الطريقَ جليدٌ رقيقٌ مُتَصَدِّعٌ مثلما غطَّى حَوَاف البحيراتِ والبرك، كان الظلامُ قد هبط بالفعل بحلول الساعة الثالثة مساءً، لذلكَ شعرت بالراحة عندما رأيت الفانوسَ المضيءَ الذي وضعه "آل هاكاراينن" على جانب الطريق، بل وقاموا بتدفئةِ الكابينةِ وتركوا النور مضاءً، وعلى الطاولة وجدتُ صينيةً عليها الفطائرَ الصغيرة التي تشتهرُ بها منطقة "كاريليان"، والتي وُضعت بعنايةٍ بين فوطتين، كما وجدتُ الثلاجةَ تعمل وبها بيضًا مسلوقًا وزبدةً للفطائر، وبيرةً مصنوعةً بالمنزل، وسمكتين بياض مدخَّنتين.

أكلتُ فطيرةً وأفرغتُ معظم ملابسي من الحقيبةِ ثم خرجت، في طريقي إلى "هيفونبرسينساري"، اشتريتُ فانوسًا بشمعةٍ صغيرةٍ وباقةَ وردٍ بيضاء، ورغم أن المشى المؤدي إلى الصخرةِ المجاورةِ لشُجيرةِ الورد قد كساه العشبُ الآن، فإنني ما زلتُ قادرةً على أن أجده، وجدت الشجيرة عاريةً، والورد الذي أحضرته سيتجمَّد بعد ثوانٍ، والأرض صلدةً بفعل الجليد، وضعتُ الورد في الماء بعلبةٍ معدنيَّةٍ أحضرتها كي

أستخدمها كمزهريَّة؛ حتى لا تنكسر لو تجمَّد الماء ليلًا، أشعلتُ الشمعةَ وفكرتُ في غناءِ أغنيةٍ، فخطر على بالي مقتطفاتٌ من أغاني مُنَوَّعة:

"لخمس دقائق فقط دامت الحياة إلى الأبد
لنصف ساعةٍ فقط دامت السعادة إلى الأبد
عندما أرى بعينيكِ طيف وَشَق"

ركعت بجوار الشمعة واستمعت إلى خَشخَشةِ الثلوج فوق البحيرة بينما يزحف الصقيعُ فوق الماء في اتجاه "هيفونبرسينساري"، وبينما أخذَت السحابةُ التالية تتهادى فوق رأسي، بدأت الثلوجُ تتساقطُ رُوَيْدًا رُوَيْدًا.

24

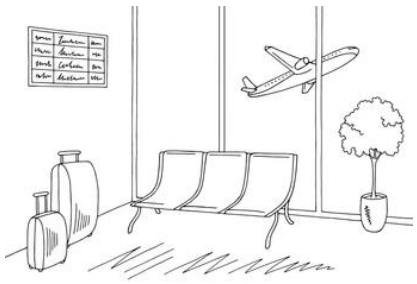

في المطار مرَّت راكبةٌ عبر جهاز الكشف عن المعادن فأطلق صفيرًا، تقدمَت إلى الأمام وطلبت منها أن تبسط ذراعيها، قالت بمرحٍ:

– لا بد أنَّه حذائي، دائمًا ما يجعل هذا الشيء يُصَفِّر.

لماذا إذن لم تضعيه على الشريط المتحرك النَّاقل، أيَّتها الحمقاء؟ بودِّي أن أسألها هذا السؤال، لكنَّني واصلتُ تفتيشها ووجهي خالٍ من أيِّ تعبيرٍ ثم طلبت منها خلعَ حذائها والمرور مرَّةً أخرى، فالتزم الجهاز الصمتَ هذه المرة.

كان عملي في أمنِ مطار "هلسنكي – فانتا" مُملًا، لذا اعتبرته مناسبًا لي تمامًا في ظلِّ الظروف الحالية، لا أرغب في اتِّخاذ المزيد من التدابير، فعندي ما يكفي من المواقف الدِّرامية، فقد حاول صبيٌّ في سنِّ المراهقة تهريبَ زجاجةِ "شامبو" في حقيبةِ ظهره، وبدأت الأسرة بأكملها تجادلني، وبعدما لم يُسمح لسيدةٍ بالصعود على متن الطائرة ومعها مقصها العتيق المرصَّع باللؤلؤ الذي ورثته، اضطررتُ إلى مصادرته، حفظتُ جميع القواعدَ وتمسكتُ بها، بدا لي هذا تغيرًا لطيفًا.

انتقلَت "ريكا" للعيش مع صديقها، لذا أصبحَت غرفتها خاليةً، كانت "جيني" تخطِّط للذهاب إلى المملكةِ المتحدةِ بعد عيدِ الفصحِ؛ للمشاركةِ في برنامج تبادل الطلاب بجامعة "كامبريدج"، وبدا أنَّ كلَّ أفراد مجتمعنا الصغير في طريقهم إلى التشتُّت إلى الأبد، تحمست أخت "جيني" وأصدقاؤها للانتقال إلى شارع "أونتامو"، لذلك اضطررتُ إلى البحث عن شقةٍ أخرى، بعدما أبلغت السيدة "فوتيلاينن" بهذه الأخبار اقترحت قائلة:

– يمكنكِ الانتقال هنا يا "هيلجا"، لَدَيَّ غرفةٌ إضافية، ولن تحتاجي إلى دفع إيجارٍ إذا ساعدتِ في الأعمال المنزلية التي لم يعد بإمكاني القيام بها، هاتان الساقان لم تعدا كالسابق، وأصبح حملُ أكياس البقالةِ والصعود بها على الدَرَجِ أمرًا صعبًا للغاية.

لم أرُد على عرضها بعد، ولكنني اعتبرته خيارًا قابلًا للتَّطبيق، ولأنني لم أعد أرغب في البقاء في كابينة "توروباكا" ثانيةً؛ فقد تنازلت عن عقد إيجارها، بمجرَّد عودتي إلى شارع "أونتامو"، قضيتُ الكثيرَ من الوقت مع السيدة "فوتيلاينن"، رغم أنَّني أستمتع بالبقاء وحدي، وجدت أن الطريقةَ الوحيدة للهروب من أفكاري أن أبُقيَ الآخرين حولي.

أطعمتني السيدة "فوتيلاينن" فطائر "الكيش" الفرنسية واليخنة، وحذرتني من الخروج عندما بدا واضحًا أنَّني مصابةٌ بنزلةِ بردٍ قائلة:

– ستصابين بالتهابٍ في عضلة القلب! هذا المرضُ يصيب كلَّ الأعمار! ألا يكفيكِ ما يعانيه قلبكِ بالفعل من أوجاع، ألا يكفيك عذابَ روحكِ؟

شعرتُ بالحرج، أعطى "لايتيو" لنفسه الحقَّ في أن يعلِّق على حياتي العاطفية من قبل، والآن السيدة "فوتيلاينن"؟ لطالما ظننتُ أنَّني شخصيةٌ غيرُ قابلةٍ للاختراق، وقادرةٌ على إخفاء أسراري دون عناء، لم أكن قد ذكرت "ديفيد" أبدًا لجارتي، اعترفت لجارتي قائلة:

- نعم، أعاني من وجعٍ في قلبي.

جلسنا معًا حول برَّاد شايٍ وفطيرةِ تفاحٍ بعدما أحضرَت أغطيتها من الخارج وعلقت ملابسها حتى تجف، كان الأمر أشبه بزيارةِ الجدة التي لم أحظَ بها أبدًا من قبل، سألتني السيدة "فوتيلاينن" بفضول:

- هل كان رجلًا سيئًا؟

- لا، بل رجلٌ طيبٌ للغاية، لكنَّه مات.

- حادث سيارة؟ يا ربي، لماذا لم تقولي أيَّ شيء؟

- إنه غرق، كانت علاقتنا قصيرةَ العمر، حدث ذلك أثناء انشغالي بالعمل مع النائبة "ليموسفو"، ولم أكن أقابلكِ كثيرًا حينها.

ربَّتت السيدة "فوتيلاينن" على خدِّي كما لو كنتُ طفلةً صغيرةً، وقالت:

- لن أقول لكِ إن هناك رجالًا آخرين سيدخلون حياتكِ، وسيدخلون، لكن إذا كان هذا قدركِ، عليكِ أولًا ألا تستسلمي لحزنكِ، هل لهذا الرجل علاقة بلوحة "الوَشَق" تلك؟

- جزئيًّا، لكنه ليس الشخص الذي باع لكِ اللوحة.

- هل تحبي أن تأخذيها؟ اعتبريها هديةَ الكريسماس، وإذا انتقلتِ معي سينتهي بها المطاف في غرفةِ معيشتي مرَّةً أخرى، فلتأخذيها الآن، لقد اشتريتُها لأنني تعاطفتُ مع ذاك الصبي، لكن من الواضح أنكِ مرتبطةٌ عاطفيًّا بذلك "الوَشَق".

هكذا انتهى المطاف بلوحة "يوري ترانكوف" معلَّقة على جداري، لم تكن سيئةً على الإطلاق، إن "ترانكوف" الفنان أفضل بكثيرٍ من "ترانكوف" القاتل، لعلَّه يبيعُ لوحاتَه الآن بالقرب من محطةِ مترو أنفاق "فرونزينسكايا"، أو

غيرها من المحطات في موسكو، ولعلَّ أناسٌ في طيبة السيدة "فوتيلاينن" يشترون لوحاته، وشيئًا فشيئًا قد يصبح "ترانكوف" رجلًا شريفًا.

لأنَّ شارع "أونتامو" به خطوطُ مواصلاتٍ رائعةٍ إلى المطار؛ ومن ثم اعتبرتُ الانتقال إلى شقة السيدة "فوتيلاينن" فكرةً جيدةً من جهة ذهابي يوميًا من وإلى محلِّ عملي، شككتُ أيضًا في أنها لم تصارحني بكلِّ شيءٍ عن وضعها الصحيِّ؛ لأنني أراها تستقِلُّ سيارات الأجرة كثيرًا لتذهبَ إلى طبيبٍ أو آخر، كانت السيدة " فوتيلاينن" على عكس الصورة النمَطيَّة للمُسِنِّ الشكَّاء من الأمراض، ولطالما اعتبرَت الطلاب في أكاديمية "كوينز" شكَّائين، رغم أنهم نُخبة، لم تطرح السيدة "فوتيلاينن" أيَّ أسئلةٍ أخرى عن "ديفيد"، وكان ذلك من دواعي تقديري، شعرتُ بأنني قريبةٌ منها، ولم تجبرني على الاعتراف بأيِّ شيءٍ.

تلقيتُ تهنئةً بالكريسماس من جارٍ سابقٍ في شارع "مورتون" بنيويورك اسمه "جاري"، هددني "جاري" بأنه سيأتي لزيارتي في فنلندا وأرسل لي أحدث صورةٍ لقطَّتِهِ الضخمة، "أنجوس"، ظلت "مونيكا" على اتصالٍ بي، تبادلنا الرسائل عبر "السكايب"، وعبر البريد الإكتروني، وتبادلنا أيضًا رسائلَ نصيَّةً متى أمكننا ذلك، من الواضح أن هناك شيئًا ما يحدث بينها وبين "جوردي"، ورغم ذلك.. ظلَّت تدعوني إلى زيارتها في موزمبيق حيث ينتظرني الكثير من العمل، فكلُّ يومٍ تولد أفواهٌ جديدة في حاجةٍ لمن يطعمها.

كان هذا خجاري الثاني، وبالنظر إلى ظلامِ الشتاء الفنلندي، فإنَّ فكرة الذهاب إلى إفريقيا تبدو مغريةً، بالتأكيد ليس بوسعي تجهيز أيِّ شيءٍ مميزٍ في المطبخ، لكنني أعرف كيف أقشر لحاءَ الخشب ثم أقسمه، وأجزئه، وأقطعه قطعًا، كما أعرف كيف أرفع الأحمال الثقيلة، لم تكن هذه هي المرة الأولى التي أسافر فيها عبر المحيط كي أفسحَ لنفسي مكانًا في هذا العالم، في المرة الأولى سافرتُ سعيًا وراء وظيفة، وهذه

المرة، سأغادر فنلندا لكي أهرب من الماضي، حتى هذا لن يجدي، فمكاني الجديد لا يمكن أن يداوي أوجاع ذكرياتي، بل الزمن هو الوحيد الكفيل بها.

عملتُ بالمطار أثناء الكريسماس، فالسيدة "فوتيلاينن" سافرت إلى عائلة ابنة أختها في "سيبو"، كما ذهبت "جيني" إلى كابينة والديها، أكلتُ "السوشي" وبيتزا الخضروات، ولم أفكر في شراء زينة الكريسماس، بالمطار، أظهرتُ شيئًا من روح الكريسماس عندما سمحتُ لامرأةٍ بالصعود على متن الطائرةِ المتوجهة إلى "كوبيو" مع فطائرها، رغم أن حشوتها من البرقوق، وهو ما يعتبر في الأساس نوعًا من السوائل، ومن حسن الحظ أن زملائي الحراس التزموا بالقدرِ نفسه من المرونة.

لم يفارق "ديفيد" فكري طوال اليوم وكلَّ يوم، مرت بي لحظاتٌ انتابني فيها غضبٌ عارمٌ من الحياة؛ لأنها منحتني القليل من الوقت مع "ديفيد"، ومع ذلك شعرتُ أيضًا بالامتنان لما منحتني إيَّاه، داومتُ على الاتصال بـ"هيلينا" من حينٍ إلى آخر، وفي عشية رأس السنة، تلقيتُ بريدًا إلكترونيًّا جماعيًّا مُرسلًا من "لايتيو" وفيه نصح كلُّ من تلقاه بتدخين سيجارٍ من نوعٍ جيِّدٍ احتفالًا بالعام الجديد، لكن بصفته رجل قانون.. عليه أن يذكرنا بأنه لا يحثنا بأيِّ شكلٍ من الأشكالِ على التورط في أنشطةٍ منافيةٍ للقانون، انتهت الرسالة بملاحظةٍ مرسلةٍ لي وحدي:

"بالمناسبة، يا "إلفسكيرو"، أظن أنه يهمك أن تعرفي أننا لم نتمكن من التعرف على أيٍّ من الجثث التي وجدناها في خليج فنلندا، باستثناء "بوريس فاسيليف"؛ لأن رأسه بقي سليمًا تقريبًا وتمكَّنا من التحقق من حمضه النووي، لا توجد معلومات عن الضحايا الآخرين، آمل أن يكون أحدهم هو ذاك الشرير الذي قتل "أنيتا نيوتينين"، الحمض النووي لـ"ديفيد ستال" ليس موجودًا في ملفات أيٍّ من الجهات المعنية، لكن إحدى الجثث تتطابقُ مع عمره وبنية جسمه، للأسف، ليس لدينا

أيُّ شيءٍ يمكن مقارنته بسجلات أسنانه، لذلك لا يمكننا تأكيد هويَّته، سأخبركِ إذا عرفت أيَّ جديد، مع أطيب تحياتي، أسد العدالة".

"تي، لايتيو".

لطالما كرهت شهر يناير، انتهى الكريسماس وليس هناك بصيصُ ضوءٍ طبيعيٍّ وسط الظلام، ويعتبر شهر يناير أكثرَ احتمالًا في نيويورك منه في فنلندا، حيث كلُّ شيءٍ مغلقٌ طوال الشهر، ومن ثم ليس أمامك سوى إنقاص وزنك والتوقف عن شرب الكحول وممارسة الرياضة والاستفادة من كلِّ التخفيضات، أنارت الثلوجُ المتساقطة العالمَ، غير أنها ستذوب في غضون أيامٍ قليلة، أما الأثرياء الأوغاد الذين لم يهتموا بتغيُّرات المناخ.. فإما أنهم طاروا إلى جنوب شرق آسيا أو ذهبوا إلى التزلج في جبال الألب، حتى السيدة "فوتيلاينن" ذهبت إلى جزر الكناري لمدةِ أسبوعين قضتهما في مسكنٍ يملكه أحد أصدقائها القدامى، أوصلتها إلى بوابةِ طائرتها وحذَّرتها بشدةٍ من الوقوع في حبِّ زير نساءٍ يتلاعب بعواطفها مقابل مالها، كان بإمكاني أن أحزم أمتعتي وأسافر أنا أيضًا، لكنَّ حزني غمرني وبقيت وحدي بالبيت، فهمت الآن فقط سبب استمتاع خالي "جاري" بالعيش وحده في "هيفونبرسينساري"، بلا كهرباء ولا تليفزيون، عندما لا تجد ما يدفعك للحياة، ولا من يخبرك بما ينبغي أن تفعله، فما عليك سوى أن تتصرف على طبيعتكَ وتقضي أيام يناير المظلمة في ثباتٍ عميق.

ذهبتُ إلى مُناوَبةٍ ليليَّةٍ بالمطار في اليوم التالي لرحيل السيدة "فوتيلاينن"، وأنا في طريق عودتي إلى البيت كنت شبه نائمةٍ، كادت سيارةٌ أن تدهسني عندما تجاهلَت الضوء الأحمر وانعطفت بقوةٍ في التقاطع، ولأن الغضب انتابني، ركلتُ السيارةَ ركلةً قويةً عندما تمايلَت أمامي، إنه يومٌ آخر قارس البرودة، ولم يكن ذلك مفاجئًا، أطاحت الريح القارصة بغطاء سترتي، وخدَّرت أذني، فقدت بالطبع قبعتي في مرحلةٍ ما من الطريق، بدا بئر سلم المبنى السكني مهجورًا بعدما خلا من روائح فطائر "الكيش"

الفرنسية الطازجة المحشوة بلحم الخنزير، أو فطيرة التفاح اللذيذة، حاولت أن أجبر نفسي على الذهاب إلى صالة الألعاب الرياضية، لكني لم أجد لَدَيَّ طاقة، لو تمكنت من السير إلى بار "كابيجيرلي" لتناول البيرة فسأعتبره إنجازًا، ربما أقضي بقيَّةَ اليوم أمام التليفزيون يغالبني النوم.

في طريقي إلى الداخل، تحققتُ من البريد، فوجدتُ إعلانًا عن سيارةٍ ومظروفًا واحدًا لا غير لا يوجد عليه اسم المرسِل، وجدت صعوبةً في تحديد مكان الختم البريدي، أهذه إسبانيا؟ إنه ظرفٌ أبيض عادي يستخدمه الملايين في جميع أنحاء العالم، وبه بطاقة، لم أتعجَّل في فتح المظروف، بل ذهبتُ إلى المطبخ وأحضرت مقصًّا ثم فتحته بحرصٍ حتى لا أُتلف ما بداخله.

وجدت بطاقةً مكونة من قسمين تُفتح مثل الكتاب، ظهر على الجزء الأمامي من البطاقة صورة لـ"وَشَق"، "وَشَق" أيْبِيرِي وبداخل البطاقة رسالةٌ بخطِّ اليد كُتبت بالسويدية:

"عزيزتي "هيلجا":

تحياتي من أقصى جنوب موطن "الوَشَق" الأيْبِيرِيَّة، استغرقَ الأمر ما يقرب من ثلاثة أشهر للتعافي من لدغة الثعبان وتدبير شؤون حياتي، الآن يمكنني التواصل مرةً أخرى مع العالم الخارجي، أنا أقيمُ في الجبال، في كوخٍ صغير يشبه كبينتك في "ديجيربي"، يبعد موطن "الوَشَق" عن الكابينة بحوالي ستة أميال، إن "ويلفا" هي أقرب مدينةٍ إلى المكان، وأسهل طريقةٍ للوصول إليها هي السفر إلى "إشبيلية"، سأنتظرك هناك، يمكنك مراسلتي على عنوان بريدي الإلكتروني: lo.lynx@hotmail.com

تعالِ بأسرع ما يمكن، أشتاق إليكِ كثيرًا".

أكاد لا أصدِّق عيني، لا بد أنها مزحةٌ شيطانية؟ لا يمكن أن تنتهي قصتي هذه النهاية السعيدة، قرأتُ البطاقة مرةً ثانيةً ثم ثالثة، أخيرًا اتَّضح أن "ديفيد" قد نجا من عمليته المجنونة وهو في انتظاري بإسبانيا، صرختُ كما لو أنَّ منتخب كرةَ القدم الفنلنديِّ فاز بكأس العالم، ولكن "ديفيد" هو الذي فاز على "جوزليان" و "فاسيليف" بستةِ أهدافٍ مقابل لا شيء، وكنت أنا جائزته، قمت بتشغيل جهاز الكمبيوتر لأجدَ أقربَ رحلةٍ أطير بها إلى "إشبيلية"، وجدت رحلةً إلى "مدريد" تغادر في الخامسة، لذا سأكون في "إشبيلية" هذا المساء.

بمجرد أن اشتريت التذكرة، أرسلت بريدًا إلكترونيًّا إلى "لو، لينكِسْ" "lo.lynx"، استبدل "ديفيد" لقبه باسم "لينكِسْ" أي "الوَشَق". كتبت:

"عزيزي لو:

أصلُ "إشبيلية" الليلة الساعة 11:05، رقمي لا يزال كما هو، برجاء إعلامي برسالةٍ نصِّيَّةٍ إذا كان بإمكانكَ الحضور لاصطحابي من المطار أو إذا كان عليَّ الاستمرار في السفر بمفردي إلى مكانٍ آخر، سأبدِّل طائرتي في مدريد".

حبيبتك "هيليجا".

استقلت من وظيفتي برسالةٍ بالبريد الإلكتروني، وهو ما سيُحدث فوضى عارمة، لكن لا يهمني، حزمتُ أغراضي الأساسيَّة فقط، وقبَّلتُ لوحةَ "الوَشَق" قبلةَ وداع، ورقصتُ في طريقي إلى محطَّةِ الحافلات تحت نُدَف الثلج، ابتسمتُ لسائق الحافلةِ ابتسامةً أوحت له بأنني مجنونة، وظلَّ جميعُ الركاب يحدِّقون بي أيضًا، منعتُ نفسي من إخبارِ كلِّ الناس بما حدث للتوِّ، في غضون بضعِ ساعاتٍ فقط سأرى "ديفيد" مرَّةً أخرى.

عند التفتيش الأمني، عانقتُ كلَّ زملائي في العمل، لم أرغب في مقابلة "ديفيد" خاليةَ الوفاض، لذا اشتريتُ له قميصًا مقاسه كبيرٌ طُبع عليه من الأمام صورة "وَشَق"، قبل أن أصعد إلى الطائرة مباشرةً، تلقيت رسالةً نصِّيةً منه:

"عزيزتي "هيلجا"، سأنتظركِ في مطار "إشبيلية"، سأراكِ قريبًا، لو".

حاولت أن أنام قليلًا على متن الطائرة، لكنَّ محاولتي باءت بالفشل، شربتُ زجاجةً صغيرةً من النبيذ الفوَّار، رغم أنَّ ذهني كان مُتقدًا بالفعل، بمجرَّد أن بدلتَ الطائرةَ في "مدريد"؛ بدأتُ في العدِّ التنازليِّ للدقائق التي أخذت تمرُّ ببطءٍ شديد، لم أستطع النومَ أو الاستماعَ إلى الموسيقى، من الطائرةِ رأيتُ دولةَ إسبانيا الممتدَّة، بطرقها السريعة والعادية، التي تُشكِّل شبكةً من الضوء لا نهايةَ لها، كان "ديفيد" ينتظرُ خلف بوَّابةِ الوصول، وبمجرَّد أن رأيته بدأتُ في الرَّكض، وجدته على عهده: رائحتُه هي نفسها، مذاقُ شفتيه هو نفسه، دفءُ بشرته هو نفسه.

دعا "الوَشَق" رفيقته، فلبَّت النداء.

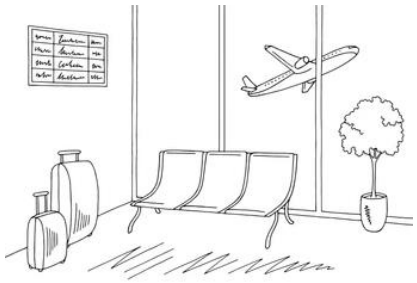

أماكن توزيع إصداراتنا

قائمة إصداراتنا الكاملة